

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية



سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية رقم 04

بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف



منسقو الكتاب:

أ.د. عبد الله مقلاتي أ.د. كمال بيرم
د. عمر بوضربة د. أبو بكر الصديق حميدي

بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف





سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
رقم: 04

بحوث ودراسات تاريخية

مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف



منسقو الكتاب

أ. د/ عبد الله مقلاتي — أ. د/كمال بيـــــرم

د/ عمر بوضربة — د/ أبو بكر الصديق حميدي

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
جوان 2018

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

- جامعة محمد بوضياف بالمسيلة-

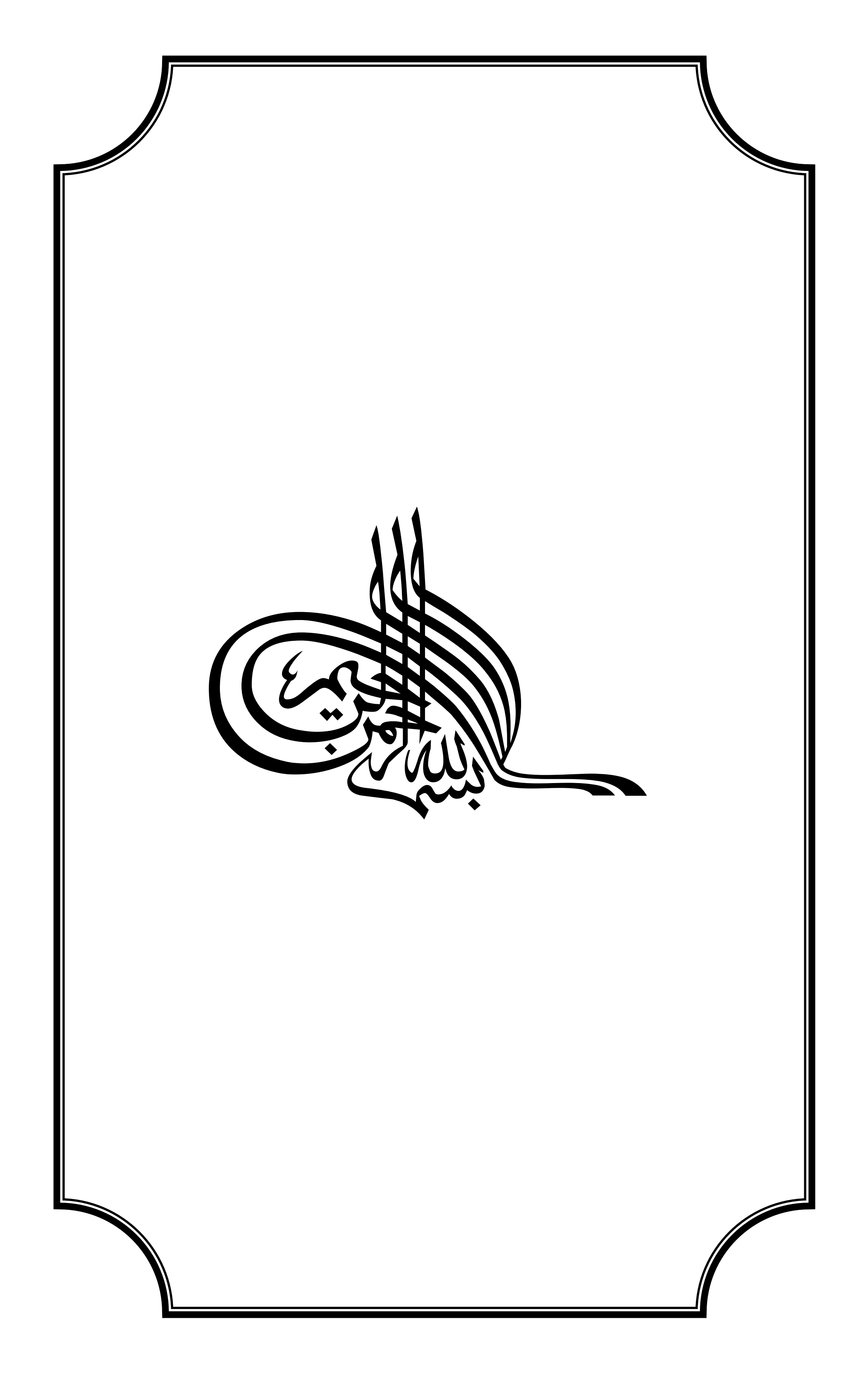
حي اشبيلية، ص ب 190 ولاية المسيلة. الجزائر

البريد الالكتروني: revuehalgint@gmail.com

الموقع على الانترنت: virtuelcampus.univ-msila.dz/lerra2

رقم الإيداع القانوني: السداسي الأول 2018

ISBN 978-9931-9460-3-8


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

الاحتفاء بالعلماء وتخليد مآثرهم سنة علماء السلف، وبدوره كان المرحوم عبد الكريم بوصفصاف يحتفي بالعلماء والمؤرخين، يعقد لهم في مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بجامعة قسنطينة الملتقيات الدولية لمناقشة وإثراء أبحاثهم، مثلما حصل مع الدكتور أبو القاسم سعد الله عام 2004، والدكتور عبد الرزاق قسوم عام 2005، والمؤرخ يحي بوعزيز عام 2006، كانت سنة عبد الكريم بوصفصاف الحميدة هي التعريف بالعلماء الأكاديميين وأعمالهم العلمية، وعدت المحاضرات والحوارات فرصة للأساتذة الجامعيين وطلبة الدراسات العليا لإثراء معارفهم والاستفادة من تجارب القامات العلمية الرائدة في مجال التخصص.

واقتداء بالنهج الذي سطره علماء السلف والمرحوم بوصفصاف رأينا في مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية أن ندعو الباحثين إلى إصدار كتاب جماعي يخلد ذكرى المرحوم بوصفصاف، يشتمل على بحوث تاريخية وفلسفية متنوعة، ودراسات تتعلق بكتابات وأفكار الدكتور بوصفصاف، وانطباعات معارفه وزملائه حول جوانب مختلفة من شخصية المرحوم، وتقارير علمية ملخصة حول الرسائل الأكاديمية التي أشرف عليها.

وقد تفاعل الباحثون مع المقترح، وكان الأوفياء لبوصفصاف وفكره في الموعد، حيث وصلت بريد المخبر عشرات البحوث والدراسات، انتقينا ما كان منها مفيدا، ويستجيب لشروط القبول المسطرة، ويندرج ضمن محاور الكتاب الأربعة.

وقد تضمن القسم الأول دراسات وبحوث تاريخية متنوعة بين التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر، وخاصة تاريخ الجزائر الذي اهتم به المرحوم بوصفصاف، واشتمل القسم الثاني دراسات تتعلق بكتابات بوصفصاف وأفكاره، عرفت ببعض كتبه وأماطت اللثام عن حقول المعرفة التي اهتم بها، وهي تجمع بين التاريخ والثقافة والفلسفة، وأما القسم الثالث فسجل انطباعات بعض زملائه وطلابه حول شخصية الباحث والمؤرخ بوصفصاف.

ونعتقد جازمين أن الكتاب يقدم معارف تاريخية مفيدة ومتميزة، ويسجل قراءات جديدة لكتابات وفكر بوصفصاف، ويخلد لحظات من حياته وأعماله، ونقر أن هذا الكتاب سيسجل للتاريخ ويخلد مكانة وقيمة هذا الباحث الذي خدم الجامعة الجزائرية والبحث العلمي 43 سنة من حياته، كانت ثمراتها تأطير عشرات الباحثين والأساتذة الجامعيين، ونحو ثلاثة وثلاثين كتابا مطبوعا، ومئات المقالات العلمية المنشورة في أرقى المجلات الوطنية والدولية.

ونتمنى أن نكون قد وفقنا في أعمالنا، وأن يكون هذا الكتاب مرجعا مفيدا للطلبة والباحثين، ولبنة في صرح المكتبة الجزائرية، ونتقدم في الأخير بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاح هذا العمل، من منسقين ومحكمين وتقنيين، ونشكر كل المشاركين في العمل بأبحاثهم ومساهماتهم العلمية القيمة، ونتمنى لمبادرتنا في التعريف بمؤرخي الجزائر التوفيق والنجاح.

الأستاذ الدكتور عبد الله مقلاتي

ديباجة الكتاب

يعد المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، تميز عن كثير من أقرانه من المؤرخين بسبقه في تناول قضايا التاريخ الوطني المعاصر وخاصة الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وبتوأمته للتاريخ بحقول المعرفة الإنسانية والاجتماعية، وخاصة تخصص الفلسفة والفكر، وبعلاقاته وصداقاته مع مجموع الباحثين داخل الوطن وخارجه.

ولا شك أن كل من تعرف على الدكتور وجالسه التمس منه حبه الكبير لوطنه وشعبه، وطيبته وإنسانيته، وشغفه بالعمل الجماعي وجديته في البحث العلمي وتطويره، وطوافه من أجل نشر العلم والثقافة والفكر داخل الوطن وخارجه، لقد استطاع من خلال عمله في جامعات قسنطينة وقالمة وباتنة وأم البواقي وأدرار، وعبر تأسيسه وإدارته لمخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بقسنطينة ومخبر الدراسات الإفريقية بأدرار، وإخراجه لعشرات الكتب والمقالات، وإشرافه على مئات الطلاب، استطاع أن يحظى بتكريم عدد من رؤساء الجامعات، ووزارة التعليم العالي، ووزارة المجاهدين، واتحاد المؤرخين العرب الذي كرمه في القاهرة بدرع الشماريخ سنة 2007، وقبله تكريم رئاسة الجمهورية له بوسام عام 2004، ولكن التكريم الحقيقي الذي ناله هو المكانة المرموقة التي حظي بها لدى طلابه، وكل الأستاذة والمثقفين الذين تأثروا بكتاباته وأفكاره وتتبعوا مسيرته العلمية وأشادوا بفضل هذا العصامي المتبحر في مختلف العلوم الإنسانية والرائد في مجال الكتابة التاريخية.

لقد قضى الأستاذ العصامي بوصفصاف قرابة خمسة عقود في التدريس بالجامعة والتأليف وإلقاء المحاضرات، وكان بحق مضرب المثل في الجدية والمثابرة والتضحية، خدم الجامعة الجزائرية وهي في أمس الحاجة لمثله من الكوادر، وأغنى الساحة الفكرية والثقافية بإسهاماته الوطنية، وقدم خدمات كثيرة لوزارة المجاهدين ومديرياتها عبر الوطن، وأشرف على تخريج دفعات من الطلاب، وخلف بذلك أثرا ملموسا في الحياة الأكاديمية والثقافية الجزائرية.

وتخليدا لذكرى رجل خدم الجزائر والجامعة الجزائرية ارتأينا أن نساهم في مناقشة أبحاثه وأفكاره وكتاباته التاريخية والفكرية، وذلك من خلال نشر كتاب يتضمن بحوث ودراسات تتناول مجال الدراسات والأفكار التي اشتغل حولها الأستاذ، ودراسات حول بحوثه ومؤلفاته، وكذا شهادات حول حياته وتجاربه ومساره البيداغوجي والعلمي.

محاور الكتاب

الباب الأول: بحوث تتناول القضايا التاريخية والثقافية والفلسفية التي اشتغل حولها المرحوم.

الباب الثاني: بحوث تتعلق بكتابات وأفكار الأستاذ الدكتور بوصفصاف.

الباب الثالث: آراء وانطباعات معارفه وزملائه حول جوانب مختلفة من شخصية المرحوم.

الباب الرابع: تقارير علمية ملخصة حول الرسائل الأكاديمية التي أشرف عليها.

القسم الأول

بحوث ودراسات تاريخية

المعالم المسيحية في مقاطعة موريطانيا القيصرية

د /عبد الحميد عمران

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمـة:

في منتصف القرن الثاني للميلاد بدأت الديانة المسيحية تفد على منطقة بلاد المغرب القديم وتتركز بأهم المناطق الحضرية بالخصوص كمدن قورينة وقرطاج ثم سرتا، كديانة توحيد معادية لعبادة الإمبراطور مما جعل السلطة الزمنية تكن لها العداء وتستخدم كل الوسائل لمحاربتها والقضاء عليها، وصاحب تلك البداية حركة اضطهاد واسعة في صفوف المنتصرين وخصوصا في قرطاج وسرتا، وكان أغلب المضطهدين من الفئات الفقيرة من المجتمع الروماني ومن بعض الأهالي الذين اعتنقوا هذا الدين الجديد ووجدوا فيه راحتهم الإنسانية، وصبروا أمام بلاء السلطة الزمنية، واتهموا من تخلى منهم بسبب الخوف والاضطهاد بالمرتد والآثم .

مع حكم الإمبراطور"دقلديانوس" (Doclitianus) في نهاية القرن الثالث ازدادت حدة السياسة القمعية ضد كل من لا يعتنق الديانة الرسمية المتمثلة في عبادة الإمبراطور عموما، وضد الفئات المتنصرة، لأنها عدت مارقة وخارجة على قوانين الإمبراطورية، وصمد الكثير من المسيحيين أمام القمع الممارس، وشق المجندون منهم عصا الطاعة ضد السلطة الزمنية. وصارت بمثابة المعبر عن طموحات الأهالي والطبقات المسحوقة بما حملته من تسامح وعدالة وتضامن بين الفئات المتنصرة، ومع بداية حكم الإمبراطور "قسطنطين" (Constantinus) سنة 312م تم تبني سياسة التسامح الديني، تم تبني

المسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية، وبدأت الطبقة الحاكمة والغنية تتنصر.

1- الانتشار المسيحي في موريطانيا القيصرية:

إذ أن الغموض حول انتشار هذه الديانة بقي سائدا خلال القرنيين الأول والثاني للميلاد، والذي نعت بأنه تاريخ أبيض في حركة التنصير [1] نظرا لغياب الشواهد والأدلة التي تبين العبور المسيحي إلى المنطقة. وفي وقت كانت الدولة مهدّدة من طرف أعدائها من الشمال، صارت مهدّدة أيضا من طرف مواطنيها الذين يرفضون الدفاع عنها[2]، فإن الإمبراطور "دقلديانوس" أصدر في23 فيفري 303م المرسوم الأول الذي أمر فيه بتهديم الكنائس المسيحية وإحراق الكتب الدينية، ومنع المسيحيين من الاجتماعات واعتبارهم خارجين عن القانون لا يحق لهم الاستفادة من الدفاع أمام المحاك[3]، وأمر المرسوم سنة 304م بأن يقدم جميع سكان الإمبراطورية القرابين للإمبراطور[4]، إن هذه المراسيم خلفت عددا كبيرا من الشهداء في كامل أرجاء الإمبراطورية، خاصة وإنها كانت تجبر المسيحيين على المشاركة في الاحتفالات الرسمية وتلزمهم بتسليم كتبهم المقدسة

1Aude (B), Les Chrétiens dans L'empire Romain, des Antonins au milieu du **3eme** siècle (180 – 249), Paris ,1881, p.199.

2-LATOUCHE (Robert), les grandes invasions et la crise de l’occident au V°siècle, Aubier, éd., Montaigne, Paris, 1946, p.63.

3 حبيب سعيد، تاريخ المسيحية، ج،1، (فجر المسيحية)، دار الجبل للطباعة، القاهرة، بلا تا، ص.113.

4-LE BRETON (J.), et autre, histoire de l’Eglise, T.2, Bland et GAY, Paris, 1948., p. 465-466.

إلى حكام الولايات، وقام عدد كبير من المسيحيّين بدافع الخوف من السلطة، إلى تخليهم عن عقيدتهم[1].

تبيّن المكتشفات الأثرية أن عدد ضحايا تلك الاضطهادات كان كبيرا وامتد إلى غرب المستعمرة، ففي شرشال أستشهد "فابيوس" (Fabius) المجند في حامية شرشال بعد رفضه حمل الراية في مقدمة الموكب الرسمي لحاكم موريطانيا في احتفال رسمي، ولما سئل عن سبب رفضه، أجاب: " بأنه يخدم الرب، ولا يخدم سيدا وثنيا." وأعلن صراحة أمام الناس على أنه مسيحي لتتم محاكمته وأعدم بقطع رأسه، كما رميت القديسة "ماركيانا" (Marciana) إلى الأسود في الملعب بشرشال في 9 جانفي 304م[2].

وبقيت المناطق المعزولة والجبلية مستعصية على قوات الاحتلال، وفي حالة احتلال منطقة جديدة فإن ذلك يلقى هيجانا كبيرا من قبل السكان الأهالي الذين لم يتوقفوا عن رفضهم للاحتلال ومقاومته بكل الوسائل المتاحة آنذاك.

ودعمت روما قواتها العسكرية في موريطانيا بالكثير من الفرق العسكرية[3]، وظلت موريطانيا القيصرية كإقليم لا يتمتع بالسلم الذي تنشده روما من خلال قوة التمردات والثورات[4].

1AUDOLLENT(Auguste), Carthage romaine (146AJC-698 JC), éd., A, Fontiémoing, Paris, 1901, p.507.

2-Courlot (M.) Saints d'Afrique, S.A.P.I., Tunis,1930., pp.18-22.

3 كان عدد الفرق العسكرية كبيرا جدا، ويتزايد من سنة إلى أخرى بغية حماية ظهر المستعمرة الرومانية من أي خطر قادم من خارج حدود الليمس والقضاء على التمردات المستمرة. للمزيد ينظر: Cagnat(R.), l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie Nationale, E. Leroux, Paris, 1913, p.221-222

4-Pierre Salama, vues nouvelles sur l'insurrection Mauritanienne dite « de 253 » le dossier numismatique », in H.ARCH.A.N., T.2, éd., CTHS, Paris ,1991, p.455.

تميز الوضع العام خلال تلك الحقبة بالتوتر، وعدم الاستقرار مع وجود قبائل شبه مستقلة في المناطق الجبلية والمناطق غير الخاضعة تماما للسيطرة الرومانية، والتي ظل التماس بينها وبين الرومان يتقارب ويتباعد، وظلت روما تتحين الفرص من أجل السيطرة على تلك القبائل، من خلال الحملات العسكرية خاصة مع نهاية القرن الثالث للميلاد[1].

يبق تاريخ بداية المسيحية في تلك المنطقة غامضا، فيما عدا ما وجد في "تيبازة" (Tipaza)[2] و"شرشال" على الساحل من بعض الأثريات المسيحية والتي تعود إلى القرن الثالث للميلاد[3]. ويبرز ذلك من خلال غياب أساقفة موريطانيا عن المجامع الأولى للكنيسة الأفريقية وخاصة مجمع قرطاج لسنة 250م برئاسة الأسقف قبريانوس.

وتطرح العديد من التساؤلات حول هذا الغياب، هل كان لعدم رغبة مسيحيو موريطانيا التدخل في شؤون مسيحيي قرطاج والصراع الذي بدأ يتجلى بين رجال الدين هناك؟ أم هو انتصار للطرف المناوئ للقديس قبريانوس؟ أم لعدم وجود تنظيم كنسي يوحد الجماعة المسيحية في موريطانيا خلال تلك الفترة؟ أم أن

1-CHARBONNEAU(M.),«L'inscription du Tétrastyle de potitus a Constantine »,R.S.A.C , N°13, 1869 ,p.126 .

2-Heurgon Jacques, Nouvelles recherches a Tipaza ville de la Maurétanie Césarienne, in M,A,N, T .7 ,1930 ,pp.182,183.

3 تيبازة عبارة عن برج يجاور البحر تقع غرب الجزائر ب 68 كلم، وتجاور مدينة شرشال " القيصرية " عاصمة موريطانيا، تحتوي على عدد كبير من المعالم الرومانية والمسيحية والتي بقي جزء كبير منها محفوظا، عرفت هذه المدينة منذ سنة 39 ق.م، وتشتهر بزراعة الكروم والزيتون كما تحتوي على ميناء للتصدير، ويعود تاريخها المسيحي إلى أواسط القرن الثالث للميلاد، للمزيد ينظر:

-Gsell Stéphane, « Fouilles de Bénian (Alamiliaria) », publiées sous les auspices de l'Association historique pour l'étude de l'Afrique du Nord. Éd., Ernest Leroux, Paris, 1899, p.17.

الجماعة المسيحية الموريطانية لم تتقو بعد وأن أعدادها لا زالت قليلة وتخاف من الاضطهاد الممارس سواء من قبل السلطة أو من طرف الجماعة الوثنية؟ وبالتالي تبنت مبدأ السرية وعدم الجهر بديانتها؟ ويذكر "قبريانوس" اسم رجلي دين مسيحيين راسلاه لإبداء الرأي في قضية الهراطقة من موريطانيا.[1] وهما من موريطانيا السطيفية[2].

وبالنظر إلى المصادر المادية المتعلقة بأقدم النقوش المسيحية في موريطانيا القيصرية نجد تلك التي وجدت بمنطقة "أوزيا" والتي ترجع إلى الفترة الممتدة ما بين سنتي 169م و300م بحسب دراسة "فيفري" (Février)[3]. كما تعود أقدم المقابر المسيحية إلى فترة حكم "سيبتيموس سيفيروس"مع نقوش متماثلة في "تيبازة "و"القيصرية" ترجع إلى القرن الثالث للميلاد ومنها واحدة بتيبازة مؤرخة بسنة 238م[4]. فضلا عن ذلك نجد أن المعلومات المتعلقة ببداية الانتشار المسيحي بتلك المقاطعة يسودها الكثير من الغموض، نظرا لقلة الوثائق وتناقضها في الكثير من المرات، فمثلا تذكر لنا الوثائق اسم أحد أساقفة مدينة مجاورة للقيصرية باسم "فورتوناتوس" (Fortunatus) وتذكره في أخرى باسم "إفيلبيوس" (Evelpius) [5].

وإلى غاية القرن الثالث للميلاد لم يظهر أي أثر للجماعة المسيحية في المدن الساحلية الموريطانية، ففي "روسوكوري" (Rusucurru) بمنطقة القبائل

1-Ibidem.
2-Mesnage (J.), le Christianisme en Afrique, (L'origine développement et extension), Alger – Paris, 1914. p.126.
3-Février Paul-Albert, « Aux Origines de Christianisme en Maurétanie Césarienne »,in M.E.F.R.A ., T ,98 ,N°,2,1986., p.770.
4-Monceaux (P.), H.L.A.C., T.II, (Saint Cyprien et ses temps), éd., Ernest Leroux, Paris,1902., p.11.
5-Février Paul-Albert, op-cit, p.793.

أكتشف قبر يحتمل أنه لمسيحي يعود إلى سنة 299م، ومن تلك المدينة الشهيدة "ماسيانا" وقدمت تيبازة العديد من الشهداء وأقدم قبر مسيحي يعود إلى سنة 238م[1]. وغير بعيد وفي حوض الصومام عثر في مدينة "توبوسوبتو" "(Tupusuptu)– تيكلات–مستعمرة أوغست، على قبر"أوميليي" (Aemilii) والذي يعتقد بأنه مسيحي[2].

2– المقابر المسيحية في القيصرية

مع حلول بداية القرن الرابع للميلاد بدأت تظهر كنائس ومقابر لدفن شهدائهم وموتاهم، ففي تيبازة عثر على بقايا لمقابر مسيحية تعود إلى أواخر القرن الثالث للميلاد، في حين تعود أقدم القبور المسيحية التي عثر عليها في "بوماريا" (تلمسان) إلى القرن الرابع للميلاد (Pomaria)[3]. كما عثر على نقوش تذكر أسماء شهداء من موريطانيا القيصرية، ففي تيبازة يذكر الشهيد "فيكتورينوس" (Victorinus) والذي ورد اسمه على نقيشة مؤرخة ما بين 315 و320م، و"سوفوسار" (Sofosar)، الذي ذكر اسمه على نقيشة مؤرخة بسنة 320م[4].

ومن خلال لوائح للشهداء تلك، نلاحظ نوعا من التباعد الزمني بينها وأنها تركزت بالساحل، مما يعني أن المسيحية كانت بطيئة الانتشار في تلك المقاطعة وحسب المؤرخ "مونصو" فأن المسيحية في شمال أفريقيا يقل انتشارها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب ويقل وجودها كلما ابتعدنا عن البحر أو

1-Monceaux (P.), H .L.A.C. ,T.III ,pp.6-7.
2-Mesnage (J.), le Christianisme en Afrique, p.128.
3-Gsell(S.), les monuments antiques de l'Algérie, T.,2,éd., Albert Fontomoing ,Paris , 1901,p. 404.
4-Février Paul-Albert, op-cit, p.787.

عن قرطاج وكذا الطرق الكبرى[1]. مما يعني ارتباط المسيحية بحركة الرومنة وبالكثافة السكانية.

ويعتقد أن أقدم شهداء القيصرية هو "فابيوس فيكليسبر"[2] (Fabius vixillifer) والذي يمكن أنه استشهد ما بين سنتي 299 و 304 م في مدينة قيصرية، واستشهدت في نفس الفترة مجموعة أخرى يذكر منها "أركاديوس" (Arcadius) في 304/01/12م و"سيفيروس" (Severius) و"أكويلا " (Aquila) في 304/01/23م[3]، و"ثيودوتا" (Theodota) والأبناء السبعة و"أركاديوس" (Arcadius) [4] و"مارسيانا" (Mariciana)[5] وإلى الغرب عثر على كتابات مسيحية في "كاسترا بورووروم" (Castra Puerorum) – الأندلسيات–تعود إلى سنة 289م، وفي "ريجياو" (Regiae) غير بعيد عنها، تعود إلى سنة 295م[6].

1-Monceaux (P.), H .L.A.C. ,T.II ,p.10.

2 فابيوس، كان ضابطا في الجيش الروماني في القيصرية، رفض تقديم مظاهر الطاعة للوثنية، أثناء حفل كبير حضره حاكم وأعضاء المقاطعة، وتخلى عن دوره كضابط، بحجة أنه مسيحي، سجن وحوكم بتهمة العصيان، وصدر ضده حكم الإعدام بقطع رأسه، وتُركت جثته دون دفن لمدة ثلاثة أيام، ثم رميت في البحر. للمزيد ينظر، Ibid,T,III,pp.122–123.

3-Février Paul-Albert, op-cit ,p.789

4-Mesnage(J.), le christianisme en Afrique,p.127.

5 "مارسيانا" (Mariciana) فتاة من بلدة "روسيكاري ",من عائلة غنية ونبيلة، سقطت شهيدة في القيصرية، كانت تعيش في خلوة وذات يوم زارت المدينة وألقي عليها القبض، وبعد المحاكمة بتهمة عدم تقديم القرابين للآلهة الوثنية، حكم عليها بالإعدام بطريقة وحشية بدهس جثتها ثور ورميت جثتها إلى الذئاب، وكان لليهود والوثنيين دور كبير في قتلها. للمزيد ينظر، Monceaux (P.),H .L.A.C. ,T.III , p p. 157-158.–

6-Février Paul-Albert, op-cit, p.774.

ووجدت بقيصرية نقيشة تحمل اسم "سيفيريانوس"(Siverianus)، والذي مات أثناء اضطهادات "دقلديانوس" مع نهاية القرن الثالث للميلاد.[1] ويتطابق ذلك مع وجود نقوش مسيحية في العديد من مناطق مقاطعة القيصرية، إذ وجدت نقوش مسيحية في "سيفسار" (Sufasar) يرجع تاريخها إلى ما بين سنتي301 و322م وفي "مانليانا" (Manliana) –خميس مليانة– و"زوكشابار" (Zucchaber)–مليانة تعود إلى الفترة ما بين 300 و314م و"كارتينا" (Cartenae)–تنس–ترجع إلى الفترة الممتدة ما بين 357و 412م[2].

وتوجد مسلات مسيحية في تيبازة تعود إلى القرن الثالث للميلاد.[3] وفي الجهة الغربية وجدت في مقابر"ألتافا"– أولاد ميمون– أقدم النقوش المسيحية والتي تعود إلى سنة 302م، والمؤرخة بالعاشر من أكتوبر (disc(essit)X Kol(endas Octo(bres)[4] وتم إحصاء أكثر من مائتي نقيشة مسيحية بموقع "ألتافا" لوحدها خلال الحفريات التي أجريت في المنطقة وهي واضحة الكتابة والشكل[5].

1-Mesnage(J.), le christianisme en Afrique, p.127.
2-Février Paul-Albert, op-cit, p.773.
3-Gsell(S.), les monuments, T, II, p .404.
4-Février Paul-Albert, op-cit, p.780 .
5-Duval Noël, . Les recherches d'épigraphie chrétienne en Afrique du Nord (1962-1972). In: Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité T. 85, N°1. 1973.p.339.

وتذكر الكتابات القديسة "سالصا" (Saintes Salsa)[1] الشهيدة التي يحتمل أنها استشهدت أثناء حكم الإمبراطور "قسطنطين"[2]. وتذكر نقوش "كارتينا" (Cartenna) و"أبيدوم نوفيم" (Oppidum Novum)– ديبيري– أسماء شهداء من الأهالي.

وفي ظل غياب للمعلومات الأدبية حول تلك الاضطهادات التي نستقي معلوماتنا منها أكثر من المصادر المادية في أغلب الأحيان، مما يدفع إلى التأكيد بارتباط المسيحية بالحراك الاستعماري والعسكري الروماني، خصوصا وأن الكثير من شهداء تلك المقاطعة سقطوا في فترة السلم الديني– كما بينته بعض النقوش المؤرخة– إما كنتيجة للتعصب الوثني، أو لرفض السلم الديني الذي تبنته السلطة، وإن كنا نشك في الأمر الثاني نتيجة لعدم وجود قنوات اتصال ديني قوي بين أساقفة نوميديا وأساقفة مقاطعة القيصرية على الأقل في بداية الانشقاق الديني. بالرغم من أن الوثائق النقوشية تذكر أسم أسقف القيصرية "فورتوناتوس" (Fortunatus) الذي شارك في مجمع "آرل"(Arles) سنة 314م[3].

---

1 سالصا ابنة الرابعة عشرة سنة لأبوين وثنيين، يعتقد بأنها كانت مسيحية لم يرقها احتفال سكان تيبازة بإلاههم الذي كانوا يصنعون له رأسا من ذهب، تسللت إلى المعبد و فصلت الرأس عن التمثال ورمته جهة البحر، ثم أعادت الكرة مع بقية التمثال، ألقى الوثنيون عليها القبض وعذبوها قبل أن يرموا بها إلى البحر من علو الجبل فتمزق جسدها، ليقوم المسيحيون بعد ذلك بجمع أشلاء جسدها لدفنه، حيكت حولها الأساطير العديدة للمزيد ينظر، روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا (دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى)، تر.، سمير مالك، دار منهل الحياة، بيروت، 1999.، ص ص. 215-216.

2-Monceaux (P.),H .L.A.C.,T.III,(le III ° siècle d'Arnobe a Victorin),éd., Ernest Leroux , Paris, 1905. , p.44.

3-Ibid,p.42.

3- كنائس وأبرشيات القيصرية:

أقيمت كنيسة على مرتفعات"ألتافا" بعد تكريس السلم الديني[1]. وكذا الأمر في "كاستيلوم تينجيتانوم" (Castellum Tingitanum)- الشلف- التي وجدت بها أبرشية كبيرة يعود بناؤها إلى سنة 324م[2]. مما يبين بأن المسيحية بدأت تنتشر في بعض المواقع بموريطانيا القيصرية ولكن بطريقة بطيئة بعكس البروقنصلية مثلا أو حتى نوميديا، وأن بناء الكنائس والأبرشيات كان خلال فترة السلم الديني وفي المناطق الأكثر خصوبة كحوض الشلف، مما يطرح فرضية ارتباط المسيحي بحركة الرومنة.

وبدءً من القرن الرابع بدأت تبنى الكنائس والأبرشيات في تلك المقاطعة رغم استمرار حملة الاضطهاد التي لم تتوقف وكانت إما للتعصب الوثني، أو لرفض السلم الديني الذي أقرته السلطة أو نتيجة للصراع الذي اشتد ما بين الكاثوليك والدوناتيين، وإن عُرفت أسباب استشهاد البعض، مثل شهداء منطقة "رونو" (Renault) الذين استشهدوا في 21 أكتوبر 329 م، والذين ذُكرت أسماؤهم على نقيشة، وهم "روقاتوس" و"ماينتوس" (Maientus) و"ناسوس" (Nasseus) و"ماكسيما" (Maxima) والذين يعتقد بأنهم كانوا دوناتيين حسب "مونصو"[3] فان أسباب قتل الشهيد "تيباسيوس" (Tipasius) في "تيقافا" (Tigava)-الخربة- بحوض الشلف تبقى غير معروفة[4]. وحسب "مونصو" فان شهداء1 نوفمبر 329 م والذين كان من بينهم "بوناقيوس" (Bennagius)

1-Monceaux (P.),H .L.A.C. ,T.III ,p.7.
2-Mesnage (J.), le Christianisme en Afrique, p.126 ; Monceaux (P.),H .L.A.C. ,T.III ,p. 42.
3-Monceaux (P.), H .L.A.C. ,T.III ,p.162.
4-Mesnage (J.), le Christianisme en Afrique, p. 127.

و"سيكتوس" (Sextus) من الكاثوليك وماتوا في معركة على يد الوثنيين أو الدوناتيين[1].

إن غياب الوثائق والأدلة يدفع الباحث إلى طرح عديد الفرضيات المتعلقة بهذا الجانب في منطقة تذكر نقائشها أسماء شهداء دون تاريخ أو هوية، وتظهر نقوش في "نيمورس سيروريم" (Numerus Syrorum) –مغنية– لسنوات 344 م، 348 و359م [2] ونقيشة في منطقة "تيارت" لنفس السنة كتابات مسيحية[3]، مما يدل على الانتشار في أقصى غرب وجنوب المقاطعة، بل الدخول في قلب الصراع الذي دلت عليه نقيشة في الشمال الشرقي لمدينة تيارت مؤرخة في سنة 361 م، وتحمل اسم شهيد[4].

ويورد "أوبطا الميلي" (Optat de Milev) اسم "فرباين" (Vrbain) كواحد من آباء الدوناتية أثناء حكم "قسطانس" و"جوليانوس" والذي تعرض للاضطهاد الكاثوليكي، ويعتقد أنه من تيبازة[5] كما وصلت المسيحية إلى مناطق أخرى أظهرتها النقوش المتعددة مثل "مشرع الصفا"سنة356م و"بوماريا" (Pomaria) –تلمسان– ما بين سنتي 372و373م، و"ألابيلاو"(Albulae) –عين تيموشنت–سنة 409م وتيارت 415 م و"ألاميلاريا " [6](Ala Miliaria) –بنيان–

1-Monceaux (P.),H .L.A.C. ,T.III ,p.162.
2-Mesnage (J.), le Christianisme en Afrique, p.234.
3-Février Paul-Albert, op-cit ,p.778.
4-Monceaux (P.),H .L.A.C. ,T.IV ,p.474.
5-Optat, de schismate Donatistarus , libri VII,C, Ziwsa (G.S.E.L .), XXVI, 1893, II,18 ,19.
6 "ألاميلاريا "موقع أثري يقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة معسكر ب 35 كلم في سهل تحيط به الجبال ويمر به نهر صغير، وسمحت الإصلاحات السيفيرية العسكرية للجنود بالإقامة مع زوجاتهم، وأقيمت بألماريا حامية عسكرية مقيمة بدءا من القرن الثالث للميلاد. للمزيد ينظر:

سنة 421م و"قطنة" (Guetna) سنة 414 م.[1] بالشمال العربي من الموقع السابق بسهول "أغريس"، حيث وجدت مقبرة مسيحية مع نقوش تبدأ من سنة 421م[2].

ولا شك أن تلك النقوش تبين الانتشار المسيحي الذي وصل إلى تلك المنطقة والتي كانت ذات طابع زراعي وعسكري وتميزت بزراعة الزيتون وكان أغلب سكانها من الجنود الذين كان يسمح لهم بالإقامة بعد 25 سنة من الخدمة العسكرية[3]، ونعتقد بأن هؤلاء الجنود هم الذين شكلوا نواة المسيحية في تلك المنطقة في سنوات السلم الديني، خصوصا وأن الآثار المسيحية تعود إلى الفترة المتأخرة من الاحتلال الروماني.

تعد "تيبازة" غنية بالأبرشيات المدنية والأبرشيات المقدسة[4] .الموجودة بالمقابر كما توجد بها كنيستين، وأخرى مكرسة للقديسة "سالصا" والتي بنيت على شرفها وأقيمت على معبد يهودي قديم، والذي أقيم بدوره على معبد وثني[5]. وكنيسة "تيبازة"[6]، كانت قائمة في عهد الإمبراطور "جوليان المرتد" في النصف

Gsell(S.), Fouilles de Bénian (Alamiliaria) publiées sous les auspices de l'Association historique pour l'étude de l'Afrique du Nord. éd., Ernest Leroux, Paris, 1899, ,pp.6-10.

1-Février Paul-Albert, op-cit ,pp.776 -778.

2-Mesnage (J.), le Christianisme en Afrique ,,, p. 235 .

3-Gsell(S.), Fouilles de Bénian (Alamiliaria),,,pp.10-12.

4-Heurgon Jacques ,op-cit, p.93.

5-Gsell(S.), les monuments, T,II, pp.113-121.

6 تعتبر كنيسة "تيبازة" الأكبر في أفريقيا بطول 52 متر وعرض47 متر، وهي مقسمة إلى سبعة صحون وبها صفين من الأعمدة ويحيط بالكنيسة سور خارجي مربع، وسلم لصيق بالجدار وصالتين مابين الأعمدة الحاملة للسلم وبها معمودية، وتجاورها مجموعة من الفيلات المنعزلة للمزيد ينظر:

-Lassus Jean,«Autour des basiliques chrétiennes de Tipasa ». In: Mélanges d'archéologie et d'histoire , T.47, 1930 .pp .222-232.

الثاني من القرن الرابع للميلاد،[1] وتوجد على تلة في الجزء الغربي للمدينة تحتوي على تسعة صحون وبها أفنية مستقلة.[2] ومن أبرشيات تيبازة نجد أبرشية الأسقف "الاسكندر" وتقع في المقبرة الغربية لتيبازة (الشكل)، وتوجد بمقبرة أيضا أبرشية بالجزء الغربي للمدينة بطول 9.50 متر وعرض 4.90 متر[3].

وفي "تقزيرت"[4] توجد الكثير من المعالم المسيحية ومنها كنيستين[5]، وأبرشية مزودة بقناة مائية بطول 15 متر ومعمودية تعود إلى بدايات المسيحية ومزودة بقناة مائية[6]، وغير بعيد عن تيقزيرت يوجد موقع أخر وهو موقع "روسوكوري"(Rusuccuru) والذي يحتوي أيضا على آثار مسيحية ومنها كنيسة كبيرة بطول 38 متر وعرض 18 متر[7]، وأبرشية بالجزء الجنوبي وربما كانت كنيسة مهمة، وهي ذات شكل منحرف بطول 25 متر وعرض 13 بالإضافة إلى العديد من القبور المسيحية[8]. أما موقع "تاكسبت" فيحتوي على آثار أبرشية بطول 10 أمتار وعرض 8 أمتار[9]. وغربا تتكرر اسم أبرشية الأسقف "اسكندر

1-Optat , II,19.

2-Gsell(S.), Fouilles de Bénian (Alamiliaria),p.17.

3-Id, les monuments, T.2,, pp.334-337.

4 تيقزيرت (Tigzirt)، آثار لمدينة تحتوي على الكثير من المعالم اغلبها يعود إلى الفترة المسيحية التي تتركز في الجزء الغربي باتجاه "رأس تدلس" (Cap Tedles) تبتعد ب 28 كلم عن دلس شرقا، و من موقع "تاكسبت" (Takasebt) .للمزيد ينظر:

-Toulotte(A) géographie de l'Afrique chrétienne (la Maurétanie), imprimerie Notre-Dame des Prés, Paris,1894., p .94-134.

5-Gsell(S.), les monuments, T,II, pp.113.

6-Pierre GAVAULT, les ruines roumaines , éd., Ernest Leroux, Paris,1897,pp.86-89.

7-Gsell (S.), les monuments, T,II, pp.262.

8-Pierre GAVAULT ,op-cit, pp.97-103.

9-Gsell (S.), les monuments, T,II, p.263.

"ب"كاستيلوم تينجيتانوم" – الشلف– كواحدة من أهم الأبرشيات في المنطقة، وقد يكون هذا الأسقف هو أول من أدار أسقفية " تيبازة"[1].

وبشرشال وجدت العديد من الأبرشيات التي تعود إلى القرن الرابع للميلاد ومنها الكنيسة الرئيسية (ecclesia moiri) والتي تكلم عنها القديس أوغسطين سنة 414 م، ويعتقد بأنها كانت موجودة بالجزء الغربي للمدينة القديمة[2].

ويبدو التأثر بالمسيحية جليا من خلال البقايا الأثرية والنقوش الموجودة بالجزء الغربي من موريطانيا القيصرية كالنقيشة المسيحية التي عثر عليها بموقع " بورتوس ماغنوس" لشخص يدعى " يوليوس"(Iulius) أرجعها غزال إلى القرن الرابع الميلادي نظرا لبساطة كتابتها[3]. ورغم ذلك فان مساهمة مقاطعة موريطانيا القيصرية في الحياة المسيحية ببلاد المغرب القديم يعد ضئيلا جدا، بالمقارنة مع المساحة والكثافة السكانية ومقارنة بمساهمة المقاطعات الشرقية مثل نوميديا وأحصى الباحث "سارج لونسال" بتلك المقاطعة 41 أسقفا فقط، وهم 17 أسقفا كاثوليكيا و24 أسقفا دوناتيا شاركوا في مجمع قرطاج عام 411م[4]، وضمت لائحة هذا المجمع عدد الأبرشيات التي حضر ممثلون عنها من موريطانيا القيصرية أربعا وثلاثين أبرشية، مع غياب ممثلي أبرشيات أخرى بلغت الأربعين بالمقاطعة القيصرية[5].

1-Toulotte(A),(la Maurétanie),,,p.168.

2-Gsell (S.), les monuments, T,II, p.190.

3 محمد بن عبد المومن، المرجع السابق، ص ص. 151–152.

4-Février Paul-Albert, op-cit ,p.801 .

5-Mesnage (J), le Christianisme en Afrique, pp.135-136.

خاتمة:

لقد تزايدت المخلفات والأثريات المسيحية في موريطانيا القيصرية مع القرن الرابع الميلادي وخصوصا بعد حركة الانفصال الديني المسيحي ما بين كاثوليك مدعمين من قبل السلطة الزمنية ودوناتيين مناوئين لها من الأهالي خصوصا، مما أدى إلى حركة اضطهاد كبرى مست الطائفة الثانية وتوالدت فكرة تخليد شهدائهم مقابل كنائس متعددة المذهب دوناتية. وكاثوليكي.

علاقات المرابطين الخارجية في عهد علي بن يوسف (500 – 537هـ)

د/ عبد العزيز شاكي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

شكلت دولة المرابطين اللمتونيين أحد النماذج الناجحة للدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية في الغرب الإسلامي، وشملت هذه الدولة الصحراء الكبرى [1] من بلاد غدامس شرقا إلى البحر المحيط [2] غربا، وتمتد جنوبا حتى بلاد السنغال مرورا ببلاد السوس ووادي درعة وحتى صحراء شنقيط (موريطانيا الحالية) [3]. ولم تبق سوى أجزاء من المغرب الأدنى والأوسط تحت سلطة الزيريين وأبناء عمومتهم الحماديين، ولم تكن دولة المرابطين سوى حركة دعوية ضد الفساد والانحرافات الدينية الواقعة في أوساط المغربة [4] قادها مجموعة من الفقهاء [5] ضد قبل أن تتحول إلى دولة مترامية الأطراف صارت لها اليد الطولى>&

---

1 في قارة إفريقيا.

2 المحيط الأطلسي حاليا.

3 – محمد محمود عبد الله بن بية: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار ابن حزم، بيروت، 2000، ص 50؛ الخليل النحوي: بلاد شنقيط – المنارة والرباط –، إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 19.

4 ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع (قسم المرابطين)، تحقيق، إحسان عباس، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 8؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدر البيضاء، 1979، ص ص 19–20.

5 أمثال أبي عمران الفاسي والفقيه واجاج بن زلوان والفقيه عبد الله وبن ياسين.

على جزء كبير من جغرافية المغرب ومن بعدها الأندلس في عهد يوسف بن تاشفين[1]، الذي توفي على رأس المائة الخامسة (500هـ) [2] وخلفه ابنه علي بن يوسف [3] الذي سار على نهج والده، فجاهد نصارى الأندلس، وتصدى لثورة الموحدين، وصارت لدولته سطوة وهيبة وتمكن من نسج علاقات مع جيرانه الزيريين والحماديين وكذا دولة العباسيين في بغداد ، فما هي معالم هذه العلاقات ؟ وما العوامل المتحكمة في طبيعتها؟ وهل تجاوزت هذه العلاقات حدود المألوف

---

1 ترجم ليوسف بن تاشفين: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص136؛ مجهول: الحلل الموشية، ص24؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ج34، ص75، الذهبي: دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، ط1، دار صادر، بيروت، 1999، ج1، ص436 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج5، ص192؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج29، ص ص73-77.

2 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 156؛ مجهول الحلل الموشية، ص 83؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص45؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون – المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر –، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص250.

3 ترجم له ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 157 وما بعدها؛ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 84 وما بعدها؛ عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص ص 121 – 122؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ج 20، ص ص 124 – 125؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخارجي، القاهرة، 1977، ج 4، ص ص 58 – 59.

لتصل إلى التعاون العسكري؟ وكيف ساهمت المجاورة في ترسيم جزء من هذه العلاقة؟

أولا: علاقة المرابطين مع الخلافة العباسية:

كان من الضروري أن تبحث دولة المرابطين في المغرب والأندلس عن سند من الخلافة الإسلامية، هذه الأخيرة التي كانت تمثلها الخلافة العباسية في بغداد، لذا تطلع المرابطون إلى كسب ود العباسيين في المشرق، وقد كان اتصال العباسيين بالمرابطين منذ سنة 450هـ / 1058م، أي منذ عهد الأمير أبي بكر بن عمر، حيث تم نقش أسماء الخلفاء العباسيين على السكة المرابطية وظل ذلك حتى توفي الأمير أبو بكر سنة 480هـ / 1087م، وخلفه يوسف بن تاشفين فذكر اسمه مع اسم الخليفة العباسي، وهذا يؤكد أن المرابطين قد دعوا العباسيين قبل معركة الزلاقة عام (479هـ/ 1086م) وليس إلى الشك سبيل في أن أبا بكر بن عمر اللمتوني لم يكتب في عملته اسم الخليفة العباسي إلا بعد أن أرسل الخليفة العباسي وتلقى منه إجابة بقبول طاعته وتقليدا بولايته[1].

إلا أن القلقشندي صاحب صبح الأعشى رجع أن أول علاقة للعباسيين مع المرابطين كانت أيام يوسف بن تاشفين بعد الانتصار في وقعة الزلاقة حيث يقول: «ونزل بالجزيرة الخضراء في سنة تسع وسبعين وأربعمائة (479هـ /1086م) ودفع الأذفنش ... وانتظمت بلاد الأندلس في ملكه (أي يوسف بن تاشفين) وانقرض ملك الطوائف أجمع منها واستولى على العدوتين، وخاطب

1 حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الازاريطية، 1997، ص. ص 235 – 236.

المستظهر الخليفة العباسي ببغداد في زمنه، فعقد له المغرب والأندلس وكتب له بذلك عهدا وأرسله إليه، ولم يزل الأمر على ذلك حتى توفي سنة خمسمائة»[1].

ويتوافق ابن خلدون مع طرح القلقشندي حيث يقول: «وانتظمت بلاد الأندلس في ملك يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن، واستولى على العدوتين ... وتسمى بأمير المسلمين وخاطب المستظهر العباسي الخليفة لعهده ببغداد، وبعث إليه عبد الله بن محمد بن العرب على يد المعافري الاشبيلي وولده القاضي أبا بكر، فتلطفا في القول وأحسنا في الإبلاغ، وطلبا من الخليفة أن يعقد له على المغرب والأندلس، فعقد له» [2].

لقد كُتب على ظهر العملة المرابطية عبارة: "عبد الله أمير المؤمنين" وقد ظل هذا الاسم حتى العهود المتأخرة من عمر دولة المرابطين، وهو ما جعل بعض الباحثين يرون أن هذا الاسم المقصود منه عبد الله بن ياسين صاحب دعوة المرابطين، ولكن عبد الله بن ياسين – كما نعلم – لم يتخذ لنفسه اسم أمير المؤمنين ضف إلى ذلك أن الرجل لم يتجاوز سلطة الفقيه [3].

---

1 القلقشندي: صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج 5، ص 258.

2 ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 250.

3 يرى عالم الآثار الألماني فان برشم (VAN BERCHEM) أن الخلفاء الأمويين والعباسيين كانوا يطلقون على أنفسهم كنية " عبد الله " في النقوش أو السكة، وهذا ما يؤكد أن العبارة المنقوشة على السكة المرابطية " عبد الله أمير المؤمنين " المقصود بها الخليفة العباسي وليس عبد الله بن ياسين فقيه المرابطين، ضف إلى ذلك أن العرف الدبلوماسي كان يقتضي عدم ذكر الأسماء المجردة وإنما توضع على السكة الألقاب والكنى، زد على ذلك أن أمير المؤمنين لا يطلق إلا على الخلفاء، وهناك دليل آخر على أن هذه العبارة المضروبة على السكة المقصود بها خليفة العباسيين حيث أن المرابطين اتخذوا السواد شعارا لهم في ملابسهم وأعلامهم وهو عينه شعار العباسيين، ويتوافق مع ذلك ما ورد أن المعتصم بن صمادح صاحب المرية لما أراد التقرب من المرابطين، ارتدى ثوبا

بمجرد اعتلاء علي بن يوسف بن تاشفين سدة الحكم أرسل إلى الخليفة العباسي يطلب الحصول على التقليد الخلافي فأرسل إليه المستظهر بالله العباسي في عام (512هـ / 1118 م) مرسوما بولايته نوه فيه بخدمات علي بن يوسف للإسلام [1]، وهذا بعض ما جاء فيه: « من عبد الله العباس المستظهر بالله أمير المؤمنين إلى معز الدولة العباسية، وزعيم جيوشها المغربية، علي بن يوسف بن تاشفين، أحسن الله توفيقه، أما بعد : فالحمد لله مقدم على كل مقال، وتال كل فعال، وهو ذو المن والأفضال، الكبير المتعال وصلى على سيدنا ومولانا محمد المؤيد بالتنزيل، الذي كشف عن الأمة الغمة، واستنقذ من الضلالة الأمة ، وحمى به من المحارم ما كان مباحا ... والبس الدين بعدما كان بالعراء من البسيطة جناحا، وعلى أزواجه وذريته ما أعقب مساء صباحا، وحض العباس بن عبد المطلب عم النبوة، ووارث الخلافة ، وشقيق الأبوة ، الميمون، الظاهر، الطاهر الأوائل والأواخر بالصلاة المستهلة العهاد [2] المتصلة الإمداد ... وعرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك، الموضح لإخلاص السريرة، المطبوعة بطبائع الدين، المعربة عن تمسك بطاعته بحبل الله المتين، الهاطلة سحائبها من سماء

أسودا فكان – كما قيل – كالغراب الأسود بين الحمام الأبيض. حسن محمود: المرجع السابق، ص. ص 335 – 336؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص. ص 236 – 237.

1 مجهول: الحلل الموشية، ص 87؛ وقد علق الأزدي عن ذلك بقوله: «وكانت دعوة المستظهر هذا قائمة بالأندلس والمغرب، قام له بها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ولم تزل قائمة بالمغرب حتى ظهر محمد بن تومرت». الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام مصطفى هزايمة وآخرون، ط 1، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ج 2، ص 438.

2 يبدو أن الخليفة العباسي أراد تذكير أمير المرابطين علي بن يوسف بالنسب الشريف للدولة العباسية ويتضح ذلك من قوله: «وخص العباس بن عبد المطلب عم النبوة ووارث الخلافة»، وكذا التلميح له بأن الخلافة العباسية هي الأحق بوراثة الملك من غيرها.

سيرتك، والمضيئة مصابيحها من إخلاص طريقك، وأما ما أنهيته من توفير الأخبار، ومثابرتك على الجهاد ، لدفع أدناس الكفرة [1] فيما يليك من البلاد، فإنك وطائفتك من حزب الله «حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » [2] فاتخذ التقوى عمادك، والحق منارك، وكتاب الله وسنة رسوله شعارك، وتجرد للدفاع عن الإسلام والمسلمين، وحطم صعادك في نحور أعداء الله الكافرين، وأعلن بالدعاء لأمير المؤمنين على المنابر، تكن الظافر بالأعداء، والظاهر، والسلام عليك وعلى من قبلك من أهل الطاعة، سلام يهديهم إلى المقام المحمود، ويكنفهم بظل الرحمة الممدود، ورحمة الله وبركاته » [3].

يبدو من خلال هذا المرسوم أن العلاقات بين المرابطين والعباسيين كانت علاقة روحية فقط ، حيث من خلال الرسالة التي عرضناها لم يتضح سوى أن العباسيين [4]طلبوا الولاء لهم والدعاء لهم من على المنابر[5]، كما أن الخليفة

---

1 المقصود بهم الممالك النصرانية في الأندلس المعادية لدولة المرابطين.

2 سورة المائدة، الآية 56.

3 مجهول: الحلل الموشية، ص. ص، 87 – 88.

4 قامت الخلافة العباسية سنة 132هـ / 750 م على أنقاض الخلافة الأموية، وذلك إثر هزيمة الأمويين مع العباسيين في وقعة الزاب وبذلك انتقل العالم الإسلامي تحت قيادة العباسيين وتم نقل العاصمة من دمشق إلى بغداد. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج 5، ص 69؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ج 7، ص 432؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج 5، ص 305، 311؛ الأزدي: المصدر السابق، ج 2، ص 268.

5 حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 239.

العباسي [1] الذي أرسل بهذا المرسوم طلب من المرابطين التفرغ للجهاد وحماية بلاد المغرب والأندلس التي اعتبرها جزءا من الخلافة العباسية ، ويظهر ذلك من خلال قوله «من عبد الله أبي العباس المستظهر بالله أمير المؤمنين إلى معز الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربية علي بن يوسف بن تاشفين» [2] وكان له ذلك فعلا، حيث ظلت الدولة المرابطية في المغرب والأندلس تظهر ولائها للعباسيين في بغداد.

ومن الواضح – في رأينا – أن انصراف المرابطين لطلب الولاء العباسي لم يكن اعتباطيا، فقد كانت الخلافة العباسية هي من تمثّل التيار السُّني وبالتالي اشتراكهما في المذهب، هذا بصرف النظر عن النفور البيّن للمغاربة من المذهب الإسماعيلي الذي طالما دعا له الفاطميون في مرحلتهم المغربية، لذلك بعد رحيل الفاطميين إلى عاصمتهم الجديدة القاهرة، خرجت الكيانات السياسية المغربية عن الفلك الفاطمي وأعلنت القطيعة معها وهو ما كلفها عناء مواجهة الهجمات الهلالية المدفوعة إلى المغرب بإيعاز من الفاطميين نكاية في المغاربة.

---

1 هو الخليفة العباسي الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس، واسمه الكامل هو أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن عبد الله المقتدى بأمر الله بن أبي القاسم القائم بأمر الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق، في خلافته للدولة العباسية استحوذ الروم على بيت المقدس وبعض بلاد الشام. مجهول: الحلل الموشية، ص، 89؛ وقد توفي المستظهر في سنة 512 هـ / 1118 م. وكان عمره إحدى وأربعين سنة وقد دامت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر= =يوما. ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 173؛ ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999، ص. ص 206 – 209.

2 مجهول: الحلل الموشية، ص 87.

ثانياً : علاقة المرابطين مع الزيريين في المغرب الأدنى:

في مطلع القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي ، وعلى وجه التحديد عندما انتزع الفاطميون أفريقية [1] من أيدي الأغالبة ، بدأ ظهور الصنهاجيين التابعين لقبيلة صنهاجة المستقرة غربي المغرب الأوسط والذين حكموا أفريقية [2] وشكلوا ما يعرف بالدولة الزيرية [3] (362 هـ – 543 هـ / 972م – 1148م) التي حكمت أفريقية واجزاء من المغرب عدا صقلية [4]، ومن المعروف أن كلا من المرابطين والزيريين هم صنهاجيون ، فهم من قبيلة واحدة، حيث كان يطلق على المرابطين اسم صنهاجة الجنوب وعن الزيريين صنهاجة الشمال، لذلك أثناء توسعات المرابطين في بلاد المغرب اقتصروا على الجهات الجنوبية والغربية والوسطى وتجنبوا التوسع على حساب الزيريين في أفريقية تفاديا لأي صراع مع بني عمومتهم الزيريين ثم بني حماد في المغرب الأوسط[5].

---

1 وهي المغرب الأدنى وتعرف حاليا بتونس.

2 الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تعريب: حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 31.

3 يتحدث ابن خلدون عن دولة آل زيري بقوله : « لما اخذ المعز في الرحلة إلى المشرق وصرف اهتمامه إلى ما يتخلف وراء ظهره من الممالك والعمالات ونظر فيمن يوليه أمر أفريقية والمغرب ممن له الغناء والاضطلاع وبه الوثوق ... فعثر اختياره على بلكين بن زيري بن مناد ... وكان متوغلا في المغرب في حروبه مع زناتة، و ولاه أمر أفريقية ... ولقبه سيف الدولة ، ووصله بالخلع والأكسية الفاخرة ... وأوصاه بثلاث: أن لا يرفع السيف عن البربر ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا يولي أحدا من أهل بيته ... ولما توفي بلكين تولى الحكم من بعده ولده المنصور» ابن خلدون: العبر، ج 6 ، ص 205 وما بعدها .

4 حسن حسنين عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب، تونس، 1994، ص 78.

5 حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 219.

كانت العلاقات بين الدولة المرابطية و الزيرية علاقة ود وصداقة [1] بغية الحفاظ على الحدود بينهما وتفادي أي صراع قد يؤدي إلى إضعاف الدولتين دون فائدة، وكان الزيريون قد استعانوا بأسطول المرابطين لمواجهة الخطر النورمندي الذي كان يهدد سواحل الدولة الزيرية، حيث كان النورمنديون قد استقروا في قلورية ثم وجهوا سطوتهم على صقلية [2]، التي احتلوها عقب النزاع الذي وقع بين القادر بالله صاحب طرابنش TRABANI وبين صهره القائد بن الحواس علي بن نعمة حيث استنجد الأول بالنورمان وسقطت صقلية في يدهم.[3] ونظرا لقوة الأسطول المرابطي في عهد علي بن يوسف فقد تدخل لمساعدة الدولة الزيرية من خلال مهاجمته لجزيرة صقلية التي كانت تحت الاحتلال النورمندي وكان ذلك عدة مرات وبل تعدى ذلك ليشن غارات على إيطاليا وفرنسا[4].

نظرا لتعدد غارات المرابطين على صقلية ، فقد اعتقد ملوك صقلية أن الدولة الزيرية هي التي تحرض الدولة المرابطية بقيادة علي بن يوسف، لذلك أعد النورمان حملة عسكرية واحتلوا مدينة المهدية محاولة منهم لتأديب الزيريين، لذلك تدخل أسطول المرابطين في معركة المهدية ومنها عبر إلى صقلية حيث

---

1 ومن بين الدلائل على ذلك الكتاب الذي وجهه يوسف بن تاشفين إلى تميم بن المعز بن باديس بالمهدية، يصف فيه جهوده في بلاد المغرب وعبوره للأندلس لجهاد النصارى وانتصاره على ألفونسو السادس ملك قشتالة في وقعة الزلاقة 479 هـ /1086م. نفسه.

2 عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج 2، ص 674.

3 نفسه.

4 فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2005، ص 289.

فتك الأسطول المرابطي بالأسطول النورمندي [1]، وبدأت العلاقات النورمندية الزيرية تزداد سوءا، حيث صار كل واحد منهما يأخذ حذره من الآخر ، ولما كانت سنة 512 هـ / 1118 م وصل إلى أمير الزيريين علي بن يحيى رسول من قبل صاحب صقلية [2]، يطلب تجديد العقود وتأكيد العهود ويطلب أموالا كانت موقفة بالمهدية ولكن طريقة الطلب كان فيها غلظة وقسوة فازدادت العلاقات سوءا بين الدولتين [3].

لما توفي الأمير علي بن يحيى عام 515 هـ / 1121 م وخلفه ابنه الحسن تمت الإغارة على صقلية عام 516 هـ /1122 م ففتح مدينة نقوطره NICOTERA صاحب صقلية وسبى نساءها وأطفالها وقتل شيوخها لذلك شك " رجار " صاحب صقلية في أن العملية تمت بدعم أمير أفريقية الحسن بن علي [4]، وجهز النورمنديون حملة بقيادة جرجي الأنطاكي [5]وعبد الرحمان بن عبد

---

1 حسن محمود: قيام دولة المرابطين – صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص 395.

2 ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال و ج. كولان، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج 1، ص 307.

3 نفسه.

4 يقول عن ذلك ابن عذاري: «فلم يشك صاحب صقلية أن المحرك لذلك والمسبب له هو أمير أفريقية الحسن بن علي ... فاستنفر أهل بلاد الروم قاطبة، فالتام له ما لم يعهد مثله كثرة». نفس المصدر، ج 1، ص 308.

5 كان جرجي نصرانيا هاجر من المشرق، تربى في أنطاكية في الشام وتعلم بها وقد استخدمه تميم صاحب أفريقيا ثم التحق روجار صاحب صقلية وجعله قائدا على أسطوله وبعثه لحصار المهدية. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 214.

العزيز[1]، لكن هذه الحملة منيت بالهزيمة وقد وصف ابن حمديس الصقلي انتصارات المسلمين بقوله:

أتوا بأساطيل تمر كأنها جراد مظل ضاق عن عرضه البحر
وخيل حشو منها السفين ولم يكن لها في مجال الحر كر ولا فر
وقد ركبت فرسانها صهوتها فأرجلهم عنها التذلل والذعر
فسل عنهم الديماس تسمع حديثهم فهم بالمواضي في جزيرة جزر [2]

وبهذا ظل المرابطون يدافعون عن المهدية في أفريقية بل ويوجهون ضربات لصقلية محاولة منهم لكبح المد النورمندي نحو بلاد المغرب، وظلت الأمور كذلك حتى سقطت دولة المرابطين سنة 541 هـ / 1146 م على أيدي الموحدين حيث عاود النورمنديون الهجوم على المهدية واحتلوها [3].

ثالثاً: علاقة المرابطين مع بني حماد في المغرب الأوسط:

الدولة الحمادية [4] هي التي تنسب إلى حماد بن بلكين وكانت تمتد بين الجزائر وقسنطينة وجنوبا إلى الزاب وورقلة وكانت سواحلها في الغالب تمتد من عنابة إلى غاية وهران [5] وكان إطارها الزماني 408 هـ – 552 م / 1017 م

---

1 ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 308؛ ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 214.

2 حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 224.

3 ابن خلدون: العبر، ج 6، ص. ص 214 – 215.

4 هذه الدولة شعبة من دولة آل زيري وكان المنصور بن بلكين قد عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة، وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار، ثم استقل بها سنة 387 هـ / 997 م أيام باديس. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 227.

5 عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ط 2، دار الصحوة، القاهرة، 1991، ص 80.

– 1157 م، وكان أول ملوكها حماد بن بلكين [1] الذي كان قائما بإدارة أشير، ثم انفصل عن الزيريين مما أدخله في حرب معهم ثم استقرت الأمور بعد وفاة باديس سنة 406 هـ / 1015 م ، حيث جنح حماد بن بلكين للصلح عام 409 هـ/1017 م وانقسمت الدولة الصنهاجية إلى الزيريين في المغرب الأدنى والحماديين بالمغرب الأوسط [2].

أما علاقة الحماديين بالمرابطين فلم تكن ودية ، بل كانت تتخللها بعض الفترات من اللااستقرار، حيث أن توسعات المرابطين في المغرب الأوسط ومنها تلمسان التي فتحها مزدلي [3] كانت على حساب الحماديين، وبذلك صارت تحت حكم المرابطين ، وقد أدى كفاح المرابطين من أجل بسط نفوذهم على المغرب الأوسط إلى الاصطدام ببني حماد ، مما جعلهم يتحينون الفرصة للانتقام من المرابطين ، حيث لما عبر المرابطون إلى الأندلس برسم الجهاد ضد النصارى اغتنم بنو حماد الفرصة وتحالفوا مع بني هلال ، وأغاروا على القسم الغربي من المغرب الأوسط وحاصر المنصور بن الناصر بن علناس [4] مدينة تلمسان، ولكنه لم يتمكن من تحصيناتها فرجع إلى القلعة [5].

---

1 مجموعة مؤلفين: الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني –، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج 3، ص 204.

2 حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 227 وما بعدها.

3 مجهول: الحلل الموشية، ص 33؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص 29؛ ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 247.

4 الناصر بن علناس هو خامس ملوك الحماديين وهو من نقل عاصمتهم من قلعة بني حماد بالمعاضيد الواقعة شرق المسيلة إلى بجاية الناصرية.

5 ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 234.

ساءت العلاقات بين المرابطين والحماديين [1]، إلا أنه لم يكن هناك صدام مسلح بين الطرفين ولربما يرجع ذلك إلى صلة القرابة التي تربطهما ، وربما ومن بين الأسباب الأخرى – في نظرنا – هو انشغال المرابطين بحروبهم في الأندلس ضد النصارى وحاجتهم إلى مزيد من الجند .

كما أن دولة المرابطين أيام علي بن يوسف انشغلت بحركة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي والذي أدت ثورته في المغرب الأقصى إلى اختلال توازن دولة المرابطين بل ونجاحها فيما بعد أيام عبد المؤمن بن علي الكومي في القضاء على دولة المرابطين ، وتأسيس دولة الموحدين على أنقاضها ، كل هذه الأسباب جعلت العلاقة بين دولة المرابطين أيام علي بن يوسف ودولة الحماديين تكون متوترة ولكن ليس لحد الصدام العسكري الذي صرف المرابطون عنه أنفسهم للأسباب السالفة الذكر [2].

خاتمة:

إن دولة المرابطين اللمتونيين كانت أُمثولةً ناجحةً في التجارب القائمة في الغرب الإسلامي ، ذلك أنها استطاعت أن تخدم الإسلام سواء بنشر تعاليمه الصحيحة أو التصدي للخطر النصراني الداهم من الشمال، وقد كانت تمثل التيار السني المالكي وبذلك كانت علاقاتها طيبة مع الخلافة العباسية ، كما أن

---

1 خاصة بعد ما لجأ معز الدولة بن المعتصم بن صمادح إلى الحماديين تاركا مدينة المرية للجيوش المرابطية وقد منحه المنصور بن ناصر بن علناس مدينة دلس للإقامة بها، كما استقبلوا ابن مجاهد صاحب مدينة دانية الذي فر من قوات المرابطين فاستقبله المنصور بن ناصر بن علناس وأحسن إليه. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 156. ويبدو أن اختيار صاحبي مدينة دانية والمرية للفرار إلى الحماديين لم يكن عن جهل، وإنما كانوا يدركون أن العلاقة بين الحماديين والمرابطين لم تكن طيبة لذلك اختاروا الفرار إلى المغرب الأوسط في كنف بني حماد.

2 حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 232.

علاقاتها مع الزيريين الصنهاجيين كانت طيبة بشكل عام وتعدت إلى تقديم المساعدة والسند للوقوف في وجه الأطماع النورمانية، غير أن علاقة المرابطين مع جيرانهم الحماديين لم تكن كمثيلاتها فقد كان العلاقات مشحونة بعض الشيء وهذا راجع لتوسع المرابطين على حساب الحماديين واقتطاعهم أقاليم من المغرب الأوسط، غير أن هذا الخلاف لم يرقى حد الصدام العسكري .

العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في العصر الوسيط

د/ مسعود خالدي

بجامعة 8 ماي 1945 بقالمة

الملخص:

كان الطابع السلمي والودي هو الغالب على العلاقات السياسية بين دول المغرب الأوسط والسودان الغربي في العصر الوسيط. ونظرا لأهمية التجارة والأرباح التي تدرها على بلاد المغرب حاول حكامه التقرب من سلاطين وأمراء دول جنوب الصحراء منذ عهد الرستميين إلى عهد الموحدين والزيانيين عن طريق الزيارات والوفود الديبلوماسية وتبادل الهدايا والرسائل.

وبسبب كثافة النشاط التجاري مع بلاد السودان والأرباح التي تدرها تجارة الصحراء، كثف أمراء الدولة الرستمية من زياراتهم إلى ممالك السودان أشهرها زيارة محمد بن عرفة أحد أعوان أفلح بن عبد الوهاب إلى مملكة غاو أواخر القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي. وفي عهد سلطة الدولة الفاطمية أبرزت لنا بعض المصادر التاريخية إشارات تدل على تحسن العلاقات السياسية من أجل الحصول على بعض السلع منها الذهب خاصة في عهد المعز لدين الله.

وأثناء حكم الزيريين وبني حماد للمغرب الأوسط كان لتبادل الهدايا دليل على وجود علاقات سياسية ودية مع ملوك السودان كما يذكر ذلك ابن عذارى. أرتقت هذه العلاقات إلى مستويات رفيعة في عهد المرابطين مع مملكة غانة خاصة بعد دخول حكامها للإسلام، ولعبت أسرة المقري التلمسانية دورا ديبلوماسيا في

تعزيز العلاقات السياسية في عهدي الموحدين والزيانيين بسبب كثافة نشاطها التجاري مع سلاطين مملكة مالي.

Sommaire

La nature pacifique et cordiale des relations politiques entre les pays du Maghreb central et le Soudan occidental au Moyen Age était prédominante. Étant donné l'importance du commerce et des bénéfices générés, les dirigeants du Maghreb ont tissé des relations politiques avec tes états d'Afrique sub-saharienne depuis l'époque des Rostémide à l'époque des Ziayanide, manifesté par des visites et des délégations diplomatiques, l'échange de cadeaux et de messages.

En raison de l'intensité de l'activité du pays avec le Soudan et les bénéfices générés par le commerce du Sahara, les princes de l'Etat Rostomide ont intensifié des visites dans les royaumes soudanaises, parmis les plus connues le voyage de Mohamed Ibn arafa agents celebre d'ibn Abdul Wahab, au royaume de Gao fin du IIIe siècle AH / Xe siècle. À l'ère de l'autorité de l'Etat fatimide les sources historiques nous a donné des signes de ces relations politiques pendant le regne d'el mouiz li dinne el allah améliorées pour obtenir de l'or et d'autre marchandises ..

Au cours de période des Zirides et de Bani Hammad, les relations politiques était amicale avec les rois du Soudan, comme l'a mentionné Ibn adara. Ces relations se sont élevées à des niveaux élevés à l'époque du Royaume du Ghana, surtout après que celle-ci est entré en l'islam . la famille Mokri de Tlemcén a joué un rôle diplomatique important dans la promotion des relations politiques pendant le règne des Mouahidinnes et des Zianyine en raison de l'intensité de son activité commerciales avec les sultans du royaume de Mali .

مقدمة:

ارتبطت السودان الغربي بعلاقات تاريخية وسياسية وصلات تجارية مع بلاد المغرب الأوسط منذ أمد بعيد بفضل تيسير الاتصال بين المنطقتين. بالرغم من المسافات البعيدة وأخطار الرحلة في الصحراء الكبرى وما يرتبط بها من أهوال ومخاوف كانت هذه الصحراء عاملا من عوامل الاتصال.

كان يغلب على العلاقات السياسية الطابع السلمي والمودة المتبادلة رغم التوتر الذي كان يشوبها من حين لآخر مثل غزوة أبي بكر بن عمر المرابطي لمملكة غانة. فمنذ عهد الرستميين مرورا بحكم الفاطميين والزيريين وبني حماد وحكم دولة المرابطين والموحدين تطورت وارتقت إلى مستوى تبادل الوفود الديبلوماسية والهدايا والرسائل من أجل حماية تجارة الصحراء والحصول على السلع المختلفة ونشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية. ما هي المظاهر والإشارات التي تدل على العلاقات الودية والحسنة بين دول المغرب الأوسط والسودان الغربي؟ هل دخول المرابطين لمملكة غانة كان غزوا وسببا في توتر العلاقات السياسية؟ كيف كان تبادل الوفود والهدايا والرسائل بين ملوك المنطقتين عامل من عوامل تحسن العلاقات السياسية وزيادة في حجم التبادل التجاري منذى عهد الرستميين إلى فترة حكم الموحدين والزيانيين؟

1. العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية وبلاد السودان الغربي:

إن علاقة الدولة الرستمية مع بلاد السودان في مجملها علاقات تجارية ودية، ولأهميتها نسجت الدولة الرستمية علاقات سياسة مع ممالك ودول جنوب الصحراء.

فقد ذكر الدرجيني أن أفلح بن عبد الوهاب بن رستم أراد السفر إلى مدينة غاو ببلاد السودان في عهد حكم أبيه عبد الوهاب بن رستم ولكنه عدل عن

سفره بأمر منه[1]. إن هذا الحدث يدل على أهمية التجارة مع مملكة غاو بالنسبة للرستميين وتجهيز سفرية تجارية بقيادة وريث الحكم يبين حاجة الدولة الرستمية إلى علاقات سياسية مباشرة مع إحدى ممالك السودان في ذلك الوقت من أجل ضمان التجارة الصحراوية التي تدر أرباحا كبيرة على البلاد.

وقد يكون سبب منع عبد الوهاب الذهاب إلى بلاد السودان هو فشل ابنه أفلح في حل إحدى المسائل الفقهية التي طرحت عليه لها صلة بالتجارة الشرعية، وهو ما يبين أن دولة تاهرت لها مهمة شرعية وهي تنشيط التجارة مع بلاد السودان والمتمثلة في نشر الدعوة الإسلامية وفي نفس الوقت ممارسة التجارة.

إن تفكير أفلح السفر إلى بلاد السودان كان قبل وفاة أبيه في سنة 208هـ/823م، فرغم صعوبة الرحلة في الصحراء وتميزها بكثرة المخاطر والمشقة منها بعد المسافة، والحرارة العالية، وقلة المياه إلا أن عزم أحد أبناء أئمة تاهرت الذهاب إلى بلاد السودان يؤكد قوة العلاقات السياسية بين الطرفين وأهميتها للرستميين. فالهدف الاقتصادي فيها هو الحصول على تسهيلات للقوافل التجارية الإباضية إلى تلك البلاد بالإضافة الحصول على الذهب الذي يعد السلعة الأهم بين السلع السودانية ويجب أخذ موافقة حكام المدن السودانية ليعمل دعاة المذهب الإباضي على نشر الإسلام ومعالم المذهب.

ويعتقد أن الإمام عبد الوهاب صرف أبنه أفلح عن السفر إلى مدينة غاو (أوكوكو) خوفا عليه من تبعات السفر إلى تلك المدينة في ذلك الوقت كما ذكر سابقا والمتمثلة في مخاطر عبور الصحراء، خاصة إذا علمنا أنه كان يعد ابنه لخلافته على عرش الدولة الرستمية.

---

(1) الدرجيني: طبقات مشايخ المغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1974، ج2، ص 178.

وينقل لنا ابن الصغير[1] (القرن 3هـ/10م) مؤرخ الدولة الرستمية أن أفلح بن عبد الوهاب (294-281هـ) لما تولى السلطة أرسل وفدا دبلوماسيا برئاسة أحد أعوانه، احمد بن عرفة محملا بهدايا إلى ملك السودان بمدينة كوكو أوغاو .فأعجب بهيبته وجماله وفروسيته، إذ ركب الخيل فهز يديه فقال له ملك السودان كلمة بالسودانية معناها: "أنت حسن الوجه حسن الهيبة والجمال"[2].

وما نستنتجه من خلال هذه الرواية أن بن الصغير لم يذكر اسم الملك ولا اسم المملكة التي زارها مبعوث الدولة الرستمية، فإنه يعتقد أن البلاد توجد جنوب الصحراء وعاصمتها غاو الموجودة على نهر النيجر، وقد تكون إمارة صغيرة تابعة لمملكة غانة[3].

2 . العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي والأوسط خلال العهد الفاطمي (ق3-4هـ)

بعد هزيمة الدويلات الخارجية منها الدولة الرستمية في المغرب الأوسط، سعت الدولة الفاطمية جاهدة بسط نفوذها على مناطق جنوب الصحراء. لذلك كانت رغبة حلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء الكبرى، ليتسنى لهم الحصول على كميات كبيرة من الذهب تخل لهم تمويل فتوحاتهم وضرب عملاتهم، وبالتالي كانت تلك الدولة حريصة على بسط نفوذها على المناطق الواقعة على مسالك تلك التجارة ومدن المرافئ المرتبطة بها[4].

---

(1) ابن الصغير، أخبار أئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص13

(2) ابن الصغير: المصدر السابق، ص 13

(3) إبراهيم علي طرخان إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، 1970، ص 44.

(4) الحبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص 160.

ومن الإشارات التي تدل على العلاقات الودية مع بلاد السودان، أن المعز لدين الله الفاطمي لما عزم على توجيه حملة إلى مصر رصد أموالا كان مجموعها حوالي أربعة عشر مليون دينار كان قد جلبها من بلاد السودان[1].

كما وردت في بعض المصادر السودانية أن احد ملوك الحكام بالسودان الأوسط يسمى حوا (حكم بين 487-460هـ/1064-1067م) قد تلقى رسالة مباركة من طرف الخليفة الفاطمي بالقاهرة والذي قد يكون المستنصر بالله[2].

ومما يشير أن للفاطميين اتصالات ببلاد السودان هو الأثر المذهبي الشيعي بالمنطقة. فقد ذكر البكري (القرن 5هـ) أنه وجد ببلاد السودان قرية على ضفاف السنغال تسمى بوغرات تسكنها قبيلة من بربر صنهاجة، وقد أخبره الفقيه محمد بن عبد الملك أنه رأى في بوغرات هذه طائرا يشبه الخطاف يقيم من صوته كل سامع، إفهاما لا يشوبه لبس كله (قتل الحسين) يكرر هذه الكلمة تكرارا ثم يقول (بكربلاء) مرة واحدة[3]. إن هذه الرواية التي نقلها لنا البكري تدل على التأثير الشيعي في بلاد السودان خلال القرن 5هـ.

واجهت العلاقات بين الدولة الفاطمية وبلاد السودان صعوبات كثيرة منها لجوء المعارضة الإباضية والخارجية إلى الصحراء ومحاولة التمرد على سلطاتها. بعد انهيار الدولة الرستمية والخوارج في المغرب الإسلامي على يد أبي عبد الله الشيعي، تفرق أهل تاهرت وسجلماسة في واحات الصحراء، وقامت ثورة خارجية بقيادة يزيد بن مخلد بن كيداد خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

---

(1) إبراهيم علي طرخان: أمبراطورية برنو الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية، 1975، ص69.

(2) نفسه.

(3) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر، 1957، ص 181.

ومخلد بن كيداد هو والد أبي يزيد الذي ثار على الفاطميين، استقر في بلاد السودان للعمل بالتجارة، وتزوج من أحدى نساء كوكو، واستقر بها حتى بعد مولد ابنه أبي يزيد[1].

وكان مخلد بن كيداد ينتمي لقبيلة واركلا التي أسست مدينة واركلان وأطلق عليها اسمها[2]، تلك المدينة التي ازدهرت بسبب حركة القوافل التجارية وحازت أهمية تجارية كبيرة مع بلاد السودان[3]. وعمل مخلد بن كيداد بالتجارة مع بلاد السودان، واستقر بها واشتغل وكيلا تجاريا للقوافل القادمة من الشمال.

وكان استقرار مخلد بن كيداد في بلاد السودان، جعله يتزوج أحدى السودانيات فأنجبت له ولده أبي يزيد حوالي 270هـ[4]. فأشتغل هذا الأخير في تجارة القوافل وأعد في نفس الوقت ثورته على الفاطميين والتي أعلنها سنة (331هـ/943م) وعمره يجاوز الستين.

إن سيطرة الفاطميين على المراكز التجارية الصحراوية بعد القضاء على الكيان السياسي لطائفة الاباضيين في تاهرت والصفريين في سجلماسة، ضمن لهم الإشراف على حركة التجارة في الشرق والغرب والصحراء وكان ذلك على يد الداعية أبي عبد الله الشيعي[5].

ومن أجل ضمان هذه الحرية التجارية حاول خلفاء الدولة الفاطمية في المغرب ربط علاقات سياسية متينة مع ممالك ودول السودان الغربي والأوسط.

---

(1) ابن خلدون: العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971، ج7، ص 13.

(2) ابن حماد: أخبار بني عبيد، ص 53-54.

(3) البكري: المصدر السابق، ص 182

(4) ابن خلدون: العبر، ج7، ص13

(5) موسى لقيال: دور كتامة في قيام الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979 ص 343- 373.

ومن الدلائل التي تشير على العلاقات السياسية خلال القرن الرابع الهجري بين المغرب الأوسط وبلاد السودان هي تلك الهدايا التي تلقاها بنو زيري من أحد ملوك السودان في عهد أبي الفتح المنصور سنة 382هـ/ 993م[1]. كما أن المعز لدين الله الفاطمي كان يتقن عدة لغات منها اللغة السودانية الكانمية، واحتمال كبير أن هناك دوافع سياسية جعلته يتعمق في هذه اللغة ودليل على وجود تبادل الوفود والزيارات بين المغرب وحكام السودان من أجل ضمان سير تجارة الصحراء منها الذهب [2].

وأول من بايعته على ثورة القبائل الزناتية بالصحراء صنهاجة أودغست، والتي كانت على اتصال منذ وقت مبكر ببلاد السودان في عهد الفاطميين يقول المهلبي: "وأصل أودغست مسلمون أسلموا على يد الداعية أبي عبد الله الشيعي" [3].

من خلال هذه الرواية نعتقد أن الملثمين أسلموا فعلا على يد أبي عبد الله الشيعي وأن قبيلة زناتة حاولت تعويض النظام السياسي للملثمين والسيطرة على أودغست وذلك ما أشار إليه ابن حوقل[4]. كذلك على الرغم مما أورده ابن حوقل أن أولئك الغزاة هزمتهم صنهاجة أودغست، فإن بعض المصادر العربية [5] تؤكد أنهم توغلوا في الصحراء في عهد زعيمهم زيري بني عطية الذي تجاوز نفوذه السوس الأقصى، وأرسل بعض الهدايا إلى المنصور بن عامر في الأندلس، من بينها تحف وأموال صحراوية كالجمال والدرق اللمطية وأصناف

---

(1) نفسه، ص 372.

(2) موريس لومبارده: الجغرافية التاريخية والعالم الإسلامي، ص 88.

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، 1967، ج1، ص 277

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 98.

(5) الناني ولد الحسين: صحراء الملثمين، دار المدار الإسلامي، 2007، ص482.

أخرى. وفي سنة 386هـ / 997م فر هذا الأخير الزناتي إلى الصحراء بسبب خلاف دب بينه وبين المنصور بن أبي عامر أدى بهما إلى حرب هزم عقبها .واستمر ببلاد صنهاجة الذين وجدهم يعيشون خلافات داخلية فبعث إلى زناتة يطالبهم بانتهاز الفرصة وغزو عدوهم التقليدي فنهض إليه خلق كثير من مغراوة وغيرهم وزحف بهم إلى صنهاجة وألحق بهم الهزيمة[1].

وخلال الفترة نفسها كان أمويو الأندلس يبذلون جهودا كبرى لإبعاد أي احتمال يؤدي بالفاطميين إلى السيطرة على الطرق الغربية المتصلة بين المغرب باتجاه غانة فساعدوا حلفاءهم الزناتيين على السيطرة عليها، الأمر الذي يكون كافيا لتبرير التغيير الذي طرأ على تركيبة سكان مدينة أودغست الذين كانوا من معظمهم خلال القرن 4هـ/ 710 من صنهاجة[2].

ومما يشير على اهتمام الصنهاجيين ببلاد السودان ومحاولة إقامة علاقات سياسية خاصة بعد ازدياد حجم الحركة التجارية وتبادل السلع ما بين المغرب الأوسط ومنطقة جنوب الصحراء هي الرحلة المعروفة التي قام بها بن حوقل، فابن حوقل هو رحالة من المشرق إلا أنه كان شيعيا فاطميا وقد يكون جاسوسا للدعوة الشيعية. فالمعلومات التي أوردها في كتابه صورة الأرض (المسالك والممالك) قيمة، ومما ذكره وضعية سجلماسة السياسية والتجارية وهي عاصمة بني مدرار الصفرية. فقد كانت مركزا تجاريا هاما خلال القرن الرابع الهجري وكان لها شهرة عند التجار الغرب وكانت منطلق لتجارتهم مع بلاد السودان.
ومما ذكره عن سجلماسة :" كانت قوافل تجار المغرب إلى سجلماسة وسكانها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغدادين الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق،

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 106-107-108

(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 98.

فهم وأولادهم وتجارهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم شاسعة فلم يدانيها فيها التجار في بلاد السودان وحقق أرباحا طائلة وفوائد عظيمة ولكن القوافل التجارية التي تحوم الصحراء [1].

3. العلاقات السياسية في عهد الزيريين والحماديين:

رغم الظروف التي مرت بها منطقة المغرب الأوسط بين القرن 4 و5هـ والأثر السلبي الذي تركته على تجارة القوافل الصحراء وتنقل الأفراد والجماعات إلى بلاد السودان فقد وردت لنا بعض الإشارات تدل على العلاقات الودية بين ممالك السودان ودولة الزيريين والحماديين.

فقد ذكر ابن عذاري[2] أن السلطان الزيري منصور بني بلكين (373-386هـ) تلقى هدية من أحد ملوك السودان تمثلت في إحدى الحيوانات النادرة وهي زرافة، كما أثار إعجاب أهل المغرب بها :"وفي هذه السنة (من سنة 382هـ) وصلت هدية من بلد السودان فيها زرافة فخرج المنضور حين دخلت في بلده..." وما يؤسف له في هذه الرواية أن بن عذارى لم يذكر لا اسم الملك ولا اسم المملكة التي أرسلت الهدية. ويذكر في موقع آخر أن السلطان الزيري المعز بن باديس (445-408هـ) جاءته هدية من الرقيق من ملك السودان فيقول: "وفي هذه السنة أي سنة 423هـ وصلت من ملك السودان إلى المعز هدية جليلة فيها رقيق كثير وزرافات وأنواع من الحيوانات...". وقد يكون صاحب

(1) نفسه، ص 41.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، 1980، ج 1 ،ص276.

هذه الهدية مبعوث من ملك كانم وهو اركو (414- 489هـ/ 1023- 1060م) وهو الملك الذي اشتهر بتجارة الرقيق من بلدان المغرب(1).

ومما لا شك فيه أن العلاقات السياسية بين بلاد السودان والمغرب الأوسط والأدنى كانت ودية وساهمت في تنويع تقرير التبادل الاقتصادي والتجاري.

وأشارت بعض كتب النوازل إلى العلاقات التجارية مع بلاد السودان خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، فقد جاء عن الونشريسي(2) في نازلة أفتى فيها وترجع لفقيه القيروان القابسي (321- 403هـ/ 938- 1012م) مما جاء فيها " سئل القابسي عمن دفع إلى رجل قراضا ليمضي به إلى ناحية وفي تادمكة وفي بلاد السودان وشهد الشهود، فسافر إلى تادمكة ومنها إلى غانة وأودغست وتأهل هناك وولد له، وأقام إحدى عشرة سنة من يوم خروجه إلى البلد الذي أخذ فيه المال، وعلى هذا العامل ديون باع القاضي فيها ماله ليقسمه بين الغرباء فقام من له القيام بهذا القراض، هل يضرب له مع الغرماء".

إن عقد القراض عقد بطريقة قانونية متفق عليه وشهادة شهود ولا مجال لمسك في أن الوكيل كان غائبا لمدة أحد عشر سنة كتابا في بلاد السودان، وقد وافق القابسي في إجابته على تحويل المال الذي استلمه الوكيل وفق عقد القراض إلى دين مما يعطي صاحب القراض الحق في اهتمام العائدين مع أملاك الوكيل بقية الدين (3). تناولت هذه النازلة في القرنين 4 و5هـ /10 و11م التجارة بين

---

(1) نفسه، ج1 ص275

(2)الونشريسي(أبو العبس أحمد بن يحي)ت914هـ: المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأنلس والمغرب ،وزارة الأوقاف الإسلامية ، المملكة المغربية، 1401هـ/1981م،ج9، ص116 .

(3) نفسه.

المغرب الأوسط والسودان الغربي عبر الصحراء الكبرى ويذكر بعض المراكز التجارية مثل تادمكة واودغست وغانة ذات ارتباط وثيق بالتجارة عبر الصحراء.

4 . العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد المرابطين:

كانت لدولة المرابطين منذ تأسيسها علاقات وثيقة بالسودان. حيث تميزت العلاقات بالتعاون التجاري والسياسي، مما سمح بتنقل الأفراد والجماعات وأفكارهم ومعتقداتهم معهم إلى بلاد السودان، ومما يدل على العلاقات السلمية أن مملكة غانة الوثنية رحبت بالمسلمين المقيمين بها، وأكثر من ذلك كان ملك غانه الوثني يستعين بهم في تدبير شؤون الحكم، فقلدهم مناصب عليا كمستشارين ووزراء له.

فارتقت العلاقات السياسية الرسمية بين الطرفين إلى مستويات رفيعة، حيث يذكر صاحب الاستبصار أنه وقف على رسالة من ملك غانة موجهة ليوسف بني تاشفين(1062– 1106م) خاطبه فيها بأمير أغمات مما يجعل الظن بأن الرسالة وصلت قبل بناء مراكش عام 1070م[1].

والمتمعن للخريطة السياسية لدولة المرابطين يلاحظ أن جزءا كبيرا من المغرب الأوسط كان تحت سيطرتها، حيث امتدت حدود هذه الدولة حتى إلى جزر بني مزغنة، وبطبيعة الحال أن العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي والأوسط كانت متينة خاصة منها التجارية فكثير من القوافل التجارية الصحراوية تنطلق من تاهرت وتلمسان وتوات وغيرها من المدن.

---

(1) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص219.

إن الوضع السياسي في المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري سمح بإقامة علاقات السياسية ودية بين المغرب الأوسط وبلاد السودان. فقد توصل الأمر بملوك غانة الوثنية أن استعانوا بعلماء وفقهاء المغرب لتسيير دولتهم، فقد كان كبار موظفي الملك ومستشاريه ووزرائه من المسلمين ويذكر ذلك البكري[1] فيقول "وتراجمة الملك من المسلمين، وكذلك صاحب بيت ماله وأكبر وزرائه...".

ومن التقاليد الإسلامية في مجال الحكم والسلطة التي نقلها المرابطون إلى غانة من المغرب حياة الملوك والرعية ، ويعتبر ذلك مظهر من المظاهر الإسلامية العربية في المجال السياسي، يذكر الإدريسي (ق 6هـ) موكب ملك غانة فيقول "ومن سيرته قربة من الناس وعدله فيهم، وله جملة قواد، يركبون إلى قصره في صباح كل يوم، ولكل قائد طبل يضرب على رأسهم، فإذا وصل إلى باب القصر سكت، وإذ أجمع عليه جميع قواده، وركب وسار يقدمهم ويمشي في أزقة المدينة، ودائر البلد، فمن كانت له مظلمة أو ناله أمر تصدى له، فلا يزال حاضرا بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره..." [2].

5 . العلاقات السياسية بين ممالك السودان ودولة الموحدين:

استمرت العلاقات المغربية السودانية على عهد الموحدين وشهد على ذلك الرسالة التي أرسلها والي سلجمانة (في مطلع القرن 7هـ/ 13م) لملك غانة بشأن تسيير ظروف التجارة ما بين المملكتين ونصها كما احتفظ به المؤرخ المغربي[3] :"نحن نتجاور بالإحسان وإن تخالفنا في الأديان ونتفق على السيرة المرضية،

---

(1) البكري: المصدر السابق، ص 175.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، الجزائر 1975 ص 246.

(3) أحمد المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطب، بيروت، ج3، ص 105.

ونتآلف على الرفق بالرعية، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة".

فقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما لهم بصدده وتردد الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهتنا من أهل الناحية، لكن لا نتصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله والسلام".

وما يشير على تحسن العلاقات بين الموحدين وبلاد السودان هو ما أشارت إليه بعض المصادر أن حكام المصامدة حاولوا استقطاب أحد أدباء مملكة كانم الأديب أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي، الذي دخل يوما على الخليفة الموحدي يعقوب المنصور فأنشده مادحا.

أزال حجابه عني وعيني — تراه من المهابة في حجاب

وقربني تفضله ولكـــن — بعدت مهابة عند إقترابي [1]

ومن الإشارات التي تدل على قدم العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الموحدين هي أسرة المقري التلمساني التي ساهمت في تنشيط هذه العلاقة، فنجد الكاتب المعروف أحمد بن محمد المقري المتوفى سنة 1633م وهو صاحب كتاب نفح الطيب. ويحتمل أن هذه الأسرة بدأت أعمالها التجارية منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي أي قبل نهاية دولة غانة بما يقرب من قرن، فقد كان لهم ممثلون ووكلاء في مدينة ولاتا الخاضعة لغانة، وشهد هؤلاء المقيمون في ولاته نهاية دولة غانة على يد قبائل

---

(1) الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1955، ج5، ص 103.

الصوصو قي1203م، كما شهدوا هجرة العلماء والتجار المسلمين من عاصمتها كومبي صالح إلى ولايته بعد دخول الصوصو[1].

رغم العلاقات الودية التي كانت تربط بلدان السودان الأوسط والغربي مع المغرب في عهد الموحدين، إلا أن كثير من القبائل العربية المعارضة لحكمهم جعلهم يلجؤون إلى ما وراء الصحراء ويستقرون منها قبائل بني معقل التابعين لقبائل بني حسان الهلالية إلى الهجرة الجماعية نحو جنوب الصحراء، واستقرت على ضفاف نهر السنغال ونهر النيجر، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك فقال أن كثيرا ما يكون عرب المعقل استولوا على مراكز تجارية هامة قريبة من بلاد السودان[2].

وقد لجأ عند القبائل ببلاد السودان أحد أباء السلطان عبد الواحد المراكشي 640هـ/1238م حيث احتمى بقبائل بن معقل إلى أوجه وجهته مع بعض أتباعه وأسرته سنة 630هـ[3]. ومما يدل على عمق الصلات السياسية والتعاون بين المغرب الأوسط في عهد الموحدين وبلاد السودان هو اتخاذ بعض سلاطين برنو كانم ألقاب عربية يذكر المقريزي أنه في سنة 700هـ/1300م كان ملك البرنو الحاج إبراهيم من ذرية سيف بن ذي يزن وتولى الحكم من بعده إدرس ثم

---

(1) إبراهيم علي طرحان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف ةالنشر، القاهرة، 1390هـ/ 1970م، ص 83.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7 نص 80.

(3) أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة ،2004 ، ج2، ص 297.

أخوه داوود وهؤلاء كلهم حكموا باسم الشريعة الإسلامية مما يدل على تعمق الثقافة الإسلامية في بلاد السودان الغربي[1].

6 . العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في العهد الزياني:

عاصرت مملكة مالي بالسودان الغربي مملكتي بني مرين بالمغرب الأقصى ودولة بني زيان بالمغرب الأوسط. ولذا كانت العلاقات مع بني مرين حسنة وودية، فإنها عكس ذلك مع بني زيان. فقد أيد الملك المالي منسى موسى (712. 738هـ) أبي الحسن المريني (732- 749هـ) عند غزوه لمدينة تلمسان سنة 1337م وبعد أن الحق الهزيمة بالجيش الزياني فعظم تفرده في المغرب الأوسط وظهر عظم الملك القوي[2] مما جعل ملوك السودان يتقربون منه.

فقد أرسل منسى موسى وفدا إلى السلطان أبي الحسن مهنئا له النصر على بني زيان ولكن قبل عودة الوفد توفي السلطان منسى موسى، وخلفه أبنه منسى سليمان (1341- 1360م/742- 762هـ)[3] كما يخبرنا بذلك ابن خلدون[4]، وقد رد السلطان أبو الحسن المريني على وفد مالي بوفد مماثل برئاسة كاتب الديوان، ولم يكتف سلطان مالي بذلك، بل أرسل وفدا آخر عاد مع وفد السلطان أبي الحسن إلى المغرب[5].

---

(1) يوسف عابد: الاتصالات والهجرة العربية التجارية إلى بلاد السودان العربي، ص 426 (مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، العدد 13، جوان 2012،)

(2) عبد الحميد حاجيات، حمو أبو موسى، طبعة الرياض، ص 93.

(3) إبراهيم علي فرحات، دولة مالي الإسلامية، ص 93.

(4) ابن مخلدون، العدد 72، ص 885.

(5) نفسه.

ويوضح ابن خلدون هذه الواقعة بقوله: "وعادوا إلى مرسلهم في وفد من كبار مالي يعظمون سلطانه، ويوجيدون حقه"(1).

ومن الطريف أن السلطان منسى سليمان حين قدمت إليه هدية سلطان بني مرين رد عليهم بهدية من عنده وبإرساله الهدية إليهم توفي السلطان أبو الحسن سلطان بني مرين ووصلت الهدية إلى ولاتة، وقتل قبل وصولها الملك منسى سليمان واختلف أهل مالي وشغلوا عن الهدية بالفتنة حتى تولى أمرهم منسى جاطة(1360- 1375م/762- 776هـ) (2).

ورغم ذلك لم تخف على حكام تلمسان أهمية التبادل التجاري منذ وقت مبكر لاعتقادهم أن ثروة الدولة تكمن في امتلاك أكبر كمية من الذهب، وهذا هو التفكير الذي كان سائدا في العصر الوسيط(3).

وهذا ما يفسر محاولة الأمير يغمراسن (633- 681هـ/1235- 1283م) الاستيلاء على على سجلماسة محطة القوافل جنوب الصحراء، ودخوله في صراع مع المرينيين من أجل السيطرة عليها، وقد استولى عليها سنة 662هـ/1226م، لكن الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني أحتلها في صفر سنة 273هـ/1275م(4).

(1) ابن محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب لأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغاي، دار المجمع العلمي، جدة، 1396هـ/1977م، ص 81، 82.

(2) لبشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزبانية من القرن السابع إلى القرن الثامن هجري، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1982، ص 141.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق ص 171، 176.

(4) المقري، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج7، ص 131، 132.

كما أن أبو موسى الأول (707- 718هـ/1307- 1318م) أدرك أهمية التجارة إلى بلاد السودان وتجلى ذلك في قوله: "لولا القناعة لم أنزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بحيث السلع ويأتون بالبقر الذي كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء إلى المفاسد"(1).

ومما زاد من أهمية بلاد السودان لحكام الدولة الزيانية هو ما تدر عليهم تجارة الصحراء من أموال خاصة الذهب وصل الحد أن أبا تاشفين الأول (718- 737هـ/1318- 1327م) لمنحه قرضا من الذهب بشروط(2).

ومن الإشارات التي تدل على العلاقات السياسية الودية بين تلمسان بني زيان ومملكة مالي أن هلال الفضلاني، حاجب بن تاشفين الأول، ارتبط بالصداقة مع منسى موسى ملك مالي (707-712هـ/1307-1312م، 735- 737هـ/1332- 1337م) عندما التقى به في موسم الحج بمكة(3)، وقد يكون هذا الارتباط ناتجا عن ازدهار العلاقات التجارية بين بلديهما، كما كانت له ولا شك نتائج إيجابية في المجال التجاري.

وقد نسج أشهر تجار المغرب وهو من تلمسان علاقات ودية مع حكام مالي، فالملك سنديانا أومارى جاطة لما أراد الاستفادة من نشاط أسرة المقري التجاري في سنة (1203م) أستدعى رئيسها واتفق معه على توفير ما يحتاج إليه مارى جاطة من السلع الأجنبية مقابل حمايته لهم(4).

---

(1) ليشاري لطيفة، المرجع السابق، ص 142.

(2)Goudray : Relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan , Alger ,1887,p43.

(3) إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص 145.

(4) المقري، المصدر السابق، ج7، ص 145.

وأسرة المقري من أشهر التجار المسلمين في دولة مالي وهم أسلاف أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ- 1633م) صاحب كتاب نفح الطيب، وجد هذه الأسرة هو عبد الرحمن المقري، وربما كان يعيش خلال القرن 6هـ/12م، إلى أوائل حكم أسرة كيتا، وعمل في التجارة هو وبنوه من بعده، وجمعت هذه الأسرة أرباحا طائلة من هذا العمل، لأنها عملت في التجارة بين بلاد السودان والمغرب.

وكان لهذا الجد البعيد خمسة أولاد نظموا شؤون عملهم التجاري أحسن تنظيم، فكونوا شركة تجارية وتواصلوا مع ملوك مالي الذين كانوا يحسنون استقبالهم ويشجعونهم على ممارسة التجارة في بلادهم وقد تبادلوا الرسائل مع منسي موسى الذي خاطب بعضهم "بالصديق الأحب وبالخلاصة الأقرب"[1].

كما كان يطلب منهم تزويد بما يحتاجه من بضائع أي "يتقضى منه مآربه"[2] وهذا معناه أن الإخوة المقري كانوا همزة وصل بين سلاطين تلمسان وملوك بلاد السودان في المجال التجاري، وقد تجمعت أسرة المقري في مدينة أيوالاتن مع أبنائها من التجار والعبيد، وابرز أفرادها الذين استقروا بهذه المدينة عبد الواحد وعلي وأتباعهما وتزوجوا فيها، وعلى إثر استيلاء قبائل الصوصو على الولاتيين تم توزيع السلاح بين أفرادها للدفاع عن أموالهم وكان دورهم مستورة حصينة[3] وهذا ما جعل ملوك مالي الاستعانة بها خاصة في المجال التجاري.

---

(1) المقري: المصدر السابق، ج8، ص 132.

(2) إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص 144.

(3) ابن بطوطة: الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص 444.

بالإضافة إلى عائلة المقري هناك عائلات أخرى أشتهرت بالتجارة مع بلاد السودان وكان لها علاقات مع حكام ملوك هذه البلدان مثل عائلة العقباني، وعائلة المرازقة، حيث شجعوها على ممارسة التجارة، وقد ألتقي ابن بطوطة بهؤلاء عند رحلته[1] إلى مملكة مالي وذكر منهم الفقيه الجزولي وصهره الفقيه المقري عبد الواحد وابنه والشيخ اللبان الذي كان مقربا من منسى سليمان (1341- 1360م).

وخلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي برزت مدينة توات (قصر توات) أكبر مركز تجاري وثقافي في المغرب الأوسط حيث كان تتجه القبائل العربية مثل بني معقل وبني عامر وزغبة لممارسة التجارة ومنها يدخلون السودان[2].

وأصبحت بعد ذلك بعض دول السودان تعتمد عليها لبسط التجارة مع بلاد المغرب حتى ان سلطان برنو كان قد بعث برسالة إلى علماء توات يذكر لهم فيها أن التجار لم يعودوا يقصدون بلاده بأعداد كثيرة كما كانوا يفعلون من قبل[3].

وفي عهد مملكة سنغاي، أصبح ملوكها يهيئون الظروف الملائمة لإستقبال التجار والعلماء المغاربة خاصة من تلمسان ويوفرون لهم الأمن ويستقبلونهم في قصورهم.

---

(1) نفسه، ص446.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص55.

(3) عبد الكريم المغيلي: أسئلة الإسقيا وأجوبة المغيلي تحقيق عبد القادر زبادة، الجزائر، 1974، ص 6.

وصارت توات انذاك اكبر نقطة تنطلق منها القوافل التجارية حتى تكاثر التجار التواتتيين في معظم مدن بلاد السودان مثل تمبكتو وغاو خاصة في عهد الإسقيا محمد الأول (1493- 1528م) قابلهم العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي عند زيارته لسنغاي 407هـ/ 1502م[1]، ومن الدلائل التي تشير إلى عمق العلاقات بين بلاد السودان والمغرب الأوسط هو استنجاد أمراء وملوك السودان بعلماء وفقهاء المغرب من أجل تسيير بلدانهم على طريقة الشريعة الإسلامية ومن أبرز هؤلاء العلماء التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي.

فبعد أن تعرض لمشكلته مع اليهود رحل المغيلي من توات إلى بلاد السودان فزار عدة بلدان كان له فيها أثر سياسي وعلمي وديني. فقد زار بلدة تكدة وأجتمع بسلطانها ونشر العلم بين أهلها، واجتمع بسلطان كانو واستفاد منه، وكتب له رسالة ترشده في أمور سلطته وتوضح له الطريقة الإسلامية في الحكم. ثم رحل إلى بلدة التكرور وكان له أثر علمي بها، ووصل إلى بلاد كانم واجتمع بسلطانها وألف له كتابا أجابه فيها على عدة مسائل عن الحكم الراشد، وقد ذكر هذه الرحلة العالم الجليل أحمد بابا التنبكتي في كتابه نيل الابتهاج.

ومما ذكر فيها أن ملك كانو "محمد رونفا" أستنجد بعبد الكريم المغلي ليسير شؤون مملكته، وقد وردت أفكاره في كتاب أطلق عليه اسم "تاج الدولة فيما يجب على الملوك" ينصح فيه المغيلي الحاكم بأن يعمل من أجل مصلحة رعيته ومعالجة مسألة العتاد وإعادة تنظيم سير العمل في الدولة[2].

---

(1) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص264.

(2) محمد بن عبد الكريم المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق، محمد حيدر ورمضان يوسف، دار ابن خدم، بيروت، ط1، 1995، ص 48- 54.

وبعد بلاد الهوسا دخل المغيلي إلى مملكة سنغاي حيث استقبله حاكمها السلطان الإسقيا محمد الأول ،وجعله مستشارا له في مختلف المسائل الفقهية والشرعية، ويذكر ابن مريم صاحب كتاب البستان[1] الذي ألفه بعد وصوله مباشرة، والكتاب عبارة عن مجموعة من الأسئلة (وهي تسع) وجهها إلى المغيلي أجابه فيها كما أوضح له فيها الفتاوى الإسلامية في الموضوعات التي أثارها وفي مجموعها تتضمن المشاكل التي تواجه الحكام المسلمين في السودان الغربي ومملكة سنغاي[2]، وتعطينا صورة واضحة لأثر بلدان المغرب في الفكر السياسي والعلمي لبلاد السودان.

خاتمة:

من خلال ما تقدم ذكره نستنتج أن العلاقات السياسية بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي كانت ودية ويغلب عليها الطابع السلمي رغم التوتر الذي كان يشوبها من حين لآخر مثل غزوة المرابطين لمملكة غانة. وبسبب تطور التجارة الصحراوية وازدياد حجم التبادل التجاري كثف الرستميون اتصالاتهم بممالك السودان عن إرسال الوفود الرسمية وأشهرها زيارة محمد بن عرفة لمملكة غاو .أما الفاطميون كانت حاجتهم لبعض السلع وأهمها الذهب مما جعلهم يتوددون لملوك السودان ، فالأموال التي تحصل عليها المعز لدين الله من أجل تمويل حملته على مصر كانت من ذهب بلاد السودان ورغم الظروف السياسية التي مر بها المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين إلا أن بني زيري وبني حماد كانت لهم صلات سياسية حسنة ببعض

---

(1) ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر أولياء وعلماء تلمسان، تحقيق محمد ابن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص244.

(2) محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الإسقيا وأجوبة المغيلي، ص6.

ملوك السودان الغربي تمثلت مظاهرها في تبادل الهدايا كما أشار إلى ذلك ابن عذارى.

وفي عهد المرابطين والموحدين ازدادت الحركة التجارية والثقافية بين المنطقين، ومن أجل الحفاظ على الأمن في الصحراء تم تبادل الرسائل والهدايا بين أمراء المغرب وحكام مملكة مالي. وكانت لأسـرة المقري التلمسـانية أثر على تحسن العلاقات السياسية بين ملوك بني زيان بتلمسان وسلاطين السودان الغربي نتيجة الخدمات التي تقدمها في المجال التجاري للمنطقة.

علماء مدينة قلعة بني حماد وإسهامهم العلمي والحضاري

د/عبد الغني حروز

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ملخص المقال:

يعزي الازدهار الثقافي والحضاري الذي عرفته الدولة الحمادية 397هـ /1007م إلى الجهود الأولى التي قام بها علماء مدينة قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط نذكر منهم: علي بن معصوم القلعي، إبراهيم بن حماد أبو إسحاق القلعي، أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي، علي بن أبي بكر القلعي..... وغيرهم.

وتسلط صفحات المقال الضوء على تراجم هؤلاء العلماء الذين أسهموا أيما إسهام في النهضة الفكرية التي عرفتها مدينة القلعة خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي وما بعده، إلى جانب علماء آخرين وفدوا عليها من بيئات مختلفة، بالإضافة إلى مجهودات العلماء القلعيين. حيث شجع موقع المدينة الجغرافي وظروفها على تلاقح الأفكار وثرائها.

كما نشير إلى أن مدينة القلعة ظلت خزانا للعلماء والفقهاء، رغم تراجع دورها السياسي فيما بعد، ولقد تحكم هؤلاء العلماء الذين أشرنا إليهم في علوم عصرهم، وساهموا في بثها بين أجيال من الطلبة والمتعلمين، أثروا باجتهاداتهم من خلال مؤلفاتهم. ولم يكن هؤلاء العلماء بمعزل عن مجتمعهم، بل ساهموا في تطويره وخدمته، ومن خلال الوظائف التي شغلوها. والمهام التي أوكلت لهم.

مقدمة:

سجلت المصادر التاريخية تراجم مجموعة من العلماء، تبحروا في مختلف العلوم منهم من ولد بالقلعة[1] وتلقى علومه بها، ومنهم من قصدها من أجل التحصيل العلمي وانتهى به المطاف إلى الاستقرار، ومنهم من نشأ بها ودرس فيها ورحل إلى مناطق أخرى إما نشرا للعلم أو لتلقي المزيد من العلم أو هربا من بطش الغزاة الهلاليين مثل ما حدث لغيرها من مراكز الحضارية في الشرق، فقرب أمراء بني حماد هؤلاء العلماء و قلدوهم مناصب رفيعة تتلائم و مكانتهم العلمية[2]. ومن بين العلماء الذين سجلتهم هذه المصادر نذكر:

1- علي بن معصوم القلعي:

يعرف بأبي ذر ولد في قلعة بني حماد عام (489هـ/1096م) نشأ وتعلم بها ثم رحل إلى بلاد المشرق واستوطن العراق و تفقه على يد الفرنج الخريني [3] ثم انتقل لغلى خراسان [4] وكان إماما فاضلا من كبار فقهاء الشافعية

---

1 - بنيت قلعة بني حماد أو قلعة أبي الطويل في سنة 398هـ/1007م على منحدر وعر، على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة 36كلم من المسيلة- حاليا تقع قلعة بني حماد شمال شرق مدينة المسيلة انظر: أحمد أبو عبد الرزاق: **الأدب في عصر دولة بني حماد**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1979م، ص66.

2 - عيسى بن الذيب وآخرون: **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر ،2007م.، ص ص 95. 96.

3- ذكره الحنبلي هكذا لكن الأصح بن عبد الله أبو الروح، أنظر: الأسنوي: **طبقات الشافعية**، ج1، كمال يوسف الحوت مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987م ص 434.

4 - خراسان: منطقة واسعة تشمل على كور عظام وأعمال جسام يحدها شرقا سجستان وبلد الهند، انظر: ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: **كتاب صورة الأرض**، ليدن، هولندا 1939م، ص – ص 226 – 258.

عالما بالمذهب، وبحرا في الحساب توفي في سفراين[1] شهر شعبان عام (551هـ/1156م) أو (555هـ/1160م) ذكر له المستشرق الشهير روزنفلد وماتيفيا فسكايا كتاب بعنوان " حاشية على درة التاج " وهو عبارة عن مخطوط موجود في طهران، وذلك الجزء الخاص بالعلماء الذين تجهل فترات حياتهم من كتابه الهام علماء الرياضيات و الفلك في القرون الوسطى و أعمالهم من القرن الثامن إلى القرن السابع عشر الميلاديين [2].

2- إبراهيم بن حماد أبو إسحاق القلعي:

وهو فقيه مالكي من أهل القلعة بني حماد وورد ذكره في كتاب التكملة لابن الأبار عاش في القرن السادس هجري الثاني عشر الميلادي.

3- أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي:

نشأ بالمسيلة[3] حيث تلقى تعليمه الأولي ثم سافر إلى تونس ودرس بها عن ابن عرفة و أبي عيسى الغبريني كانت له اهتمامات كثيرة بالعلوم النقلية كالفقه و التفسير[4].

---

1 - سفراين: هي مدينة كبيرة فيها أسواق ومياه جارية في أخر عمل نيسابور من خراسان وبينهما خمس مراحل وقيل إثنان وثلاثون فرسخا أي حوالي 130 كلم وهي مشهورة بكثرة العلماء المنسوبين إليها، عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص 291.

2 - محمد قويسم: **علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، الملتقى الدولي، مدينة قلعة بني حماد 1000 سنة من التأسيس**، أيام 09-10-11 أفريل، قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2007م.، ص03

3 - وهي من مدن المغرب الأوسط يرجع تأسيسها إلى أوائل القرن العشر ميلادي، وبالضبط 315هـ/927م انظر: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص ص 74،75.

4 - نفسه، ص96.

4- علي بن أبي بكر القلعي:

هو محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي أبو عبد الله، لا يعرف تاريخ ميلاده لكنه توفي عام 660هـ/1262م أو عام 1266م، وهو فقيه مالكي عالم بالفرائض والحساب علما وعملا سبق فيه الأوائل، نشأ بمدينة قلعة بني حماد واشتغل ببجاية، حيث أقام إلى أن توفي، له طريقة في الفرائض ملخصة في كتاب " نهاية القرب " ولعله ينسب إليه لأن البعض يقول أنه لم يترك آثار مكتوبة. وذكره الغبريني أنه كان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل لو لقيه الحصار ابن وهيب وغيرهما ما أمكنهم إلا الأخذ عنه والاستماع منه ولم يكن في بجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه، وكان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه، حيث كان له مجلس يقرأ عليه فيه التهذيب، وكان أحد العدول المرضيين، وكان من موثقي الوقت[1].

5 – حسن بن علي بن محمد المسيلي أبو علي :

يعود أصله إلى مدينة المسيلة رحل إلى مدينة بجاية و توفي بها سنة 580هـ/1185م، كان فقيها مالكيا، حافظا ومتكلما، تولى القضاء ببجاية إلى ان دخلها بنو غانية سنة 581هـ واحتلوها وأكرهوه على مبايعتهم فرفض واعتزل القضاء واهتم بالتدريس في مساجدها، ترك مؤلفات كثيرة ذكرها الغبريني وعلق عليها منها: التذكرة في أصول الدين، النبراس في الرد على منكر القياس، والتفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ و الغايات،وهو كتاب اتبع فيه منهج أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء في طريق عرض القضايا وتحليلها حتى لقب بابي حامد الصغير وقد قال فيه الغبريني: " و كلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد و أسلم، ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول،

---

1 – محمد قويسم: علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، ص ص، 03 .04.

وعلم الظاهر والباطن، ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين، و لم يفتقر فيه إلى تبيين وهو كثير الوجود بين أيدي الناس،و كثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به و إيثارهم له."[1] وكان أبو علي حسن من أهل النسك والدين، حيث كان يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد.

ويذكر الغريني: " أن الفقيه أبا علي المسيلي، عرض له في ولايته مرض اقتضى أن يستنيب من ينوب عنه في الأحكام الشرعية، فاستناب حفيده، وكان له نبل فتحاكمت عنده يوما امرأتان ادعت إحداهما على الأخرى إنها إعارتها حليا وإنها لم تعده إليها وأجابتها الأخرى بالإنكار فشدد على المنكرة وأوهمها حتى اعترفت، وأعادت الحلي إليها.

وكان من سيرته إذا انفصل عن مجلس الحكم يدخل لجده أبي علي، ويعرض عليه ما يليق عرضه من المسائل، فدخل عليه فرحا، وعرض عليه هذه المسألة فاشتد نكير الفقيه رحمه الله وجعل يعتب نفسه وقال له: إنما قال النبي ﷺ " البينة على المدعي واليمين على من أنكر."[2]

6- محمد القلعي:

هو محمد بن الحسين بن علي بن أبي علي القلعي لا يعرف تاريخ ولادته لكنه توفي سنة 611هـ/1214م، له مؤلف بعنوان" إيضاح الغوامض في علم الفرائض"، كما ذكره الخزرجي بأنه أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن

1 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص96.

2 - أبو العباس أحمد الغبريني: **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية**، تحقيق رابح بونار، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981م.، ص ص 66، 70.

علي بن أبي القلعي وأنه فقيها عالما كبيرا عاملا له مصنفات كثيرة مشهورة أنتفع بها الناس منها:

- قواعد المهذب: ذكره الأسنوي له في الاحترزات المهذب ومشهور مستعذب.
- إيضاح الغوامض في علم الفرائض: وهو مجلدات جيدات جمع فيه بين مذهب الشافعي وغيره وأورد فيه طرفا من الجبر والمقابلة والوصايا.
- إحتراز المذهب.
- لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار.
- كنز الحافظ في غرائب الألفاظ: يعني ألفاظ المهذب.
- تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة.
- أحكام القضاة[1].

7- يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بالنحوي المتوفى سنة " 513هـ" :

ابن النحوي، توزري الأصل، عكف على طلب العلم في صغره بإفريقية حتى نبغ فيه قال ابن الآبار عنه: " إنه أخذ صحيح البخاري عن اللخمي، ويحكى أنه لما لقيه طالب علم سأله: ما جاء بك؟ فقال له: جئت لأنسخ تأليف " التبصرة " فقال له: إنما تريد أن تحملني في كفك إلى المغرب، أو كلاماً هذا معناه"، وقد أشار بذلك إلى أن عمله كله في هذا الكتاب، وأخذ أيضا عنده أعلام ذلك العصر كالمازري صاحب الصيت البعيد وأبي زكريا الشقراطسي وعبد الجليل الربعي، وكان أبو الفضل بن النحوي عارفا بأصول الدين والفقه وأحد أعلام القرآن العاملين بحلاله وحرامه، ويميل إلى النظر والاجتهاد، وقد ترك تأليف حسنة.

---

1 - محمد قويسم: علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، ص ص 04، 05.

أخذ عنه جماعة من علماء ذلك العصر، أشهرهم: أبو عمران موسى ابن حماد الصنهاجي الذي كان معجباً به كثيراً حتى قال عنه: إنه في بلادنا بمنزلة الغزالي في العلم والعمل. وقد امتاز ابن النحوي عن كثير من معاصريه بالأسفار الكثيرة التي قام بها في أنحاء المغرب، وعاصر الدولة الحمادية بالقلعة وبجاية[1] والزيرية بالمهدية[2] والمرابطية بمراكش، ودخل سلجماسة وأقرأ بها الأصلين: أصول الدين وأصول الفقه، فتضايق منه أحد رؤساء البلد، وهو ابن بسام، فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها، يعني بذلك أبحاث العقائد على طريقة الغزالي، فأمر بإخراجه من المسجد، فقال له أبو الفضل: أمتَّ العلم أماتك الله هنا، فجلس في اليوم الثاني لعقد نكاح سحراً، فقتله جماعة من صنهاجة.

ثم أنتقل إلى فاس وانتصب بها للإقراء والتعليم فضايقه قاضيها ابن دبوس, فدعى عليه, فأصابته أكلة في رأسه فوصلت إلى حلقه فمات منها, وفي

---

1 – بجاية :تقع على ساحل البحر المتوسط، و هي من أهم مدن المغرب الأوسط يقول الإدريسي: " مدينة بجاية في وقتنا هذا هي مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد "، وكانت عاصمة لدولة بني حماد الصنهاجية، واشتهرت بنشاطها الاقتصادي، فيذكر الإدريسي أن أهلها مياسير تجار وبها الصناعات و الصناع ما ليس بكثير من البلاد كما أن لها بوادي ومزارع تتوفر فيها المحاصيل الزراعية و الفاكهة؛ أنظر : أبو عبد الله الشريف الإدريسي : **المغرب و أرض السودان ومصر والأندلس**، مطبعة بريل، ليدن، 1866، ص 96؛ كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوي المعيار المعرب للونشريسي** ، مركز الإسكندرية للكتاب ،مصر ، 1999،ص ص25.

2 – المهدية:"308/303هـ" مدينة جليلة بناها عبيد الله بشبه جزيرة جمة بين سوسة وصفاقس، ولما أتم بنائها أطلق عليها اسم المهدية، ونقل إليها حكومته سنة 308هـ واتخذا عاصمة دولته، وقد وصفها الأديب التيجاني في رحلته بالقرن السابع الهجري فقال: " المهدية مدينة جليل قدرها، شهير في قواعد الإسلام ذكرها، وهي من بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين.؛ رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر, 1981م، ص 130.

صبيحة يوم وفاته خرج أبو الفضل من فاس وجاء ولد ابن دبوس لتوديعه, فقال له الشيخ: أرجع لتحضر جنازة والدك, فرجع فوجده ميتاً, وكان خروج الشيخ من فاس حوالي سنة 494هـ[1]. كان أبو الفضل متأثراً كثيراً بالغزالي في أبحاثه في العقائد والتصوُّف وغيرهما، ولذلك كان ينتصر له ويبث كتبه أينما حل، ولما أفتى فقهاء الأندلس كابن حمدين ومن شايعه من علماء المغرب بإحراق الأحياء للغزالي وأحرق في صحن مراكش وغيرها[2].

ووصل كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (537-500هـ) وفيه تحليف الناس بمغلظ الإيمان، أن ليس عندهم كتاب الأحياء انتصر الشيخ للغزالي وأحيائه، وكتب إلى السلطان برأيه، وأفتى بعدم لزوم تلك الإيمان، ونسخ الأحياء ثلاثين جزءاً، يقوم كل يوم في رمضان بنسخ جزء منها وهو يقول: **((وَدَدْتُ أَنَّنِي لَمْ أَنْظُرْ فِي عُمْرِي سِوَاهُ))** وهكذا كان موقفه من الأحياء نصراً كبيراً له ولمبادئ الغزالي عامة.

عاد أبو الفضل بعد أسفاره بالمغرب إلى قلعة بني حماد، وأخذ نفسه فيها بالتقشف ولبس الصوف، وقصّر جبنّه حتى كانت لا تزيد عن ركبتيه. ومرّ يوماً بالفقيه أبي عبد الله بن عصمة المفتي فلم يسلّم عليه لانشغال خاطره، فعظم عليه ذلك، فلما رجع ناداه محقراً: يا يوسف، فجاءه ثم قال له: يا توزري، سفرت وجهك، ورققت ساقيك وسرت تمرّ ولا تسلّم؛ فأعتذر له فلم يقبل عذره وأغلظ له، فقال له أبو الفضل: غفر الله لك يا فقيه، يا أبا محمد، ثم أنصرف مغضباً عنه.

ولما استقر به المقام بقلعة بني حماد أخذ في التدريس والإقراء، وأفاد أهلها كثيرا، وتخرج على يديه جماعة من أعلام القرن السادس في هذه الفترة التي

1 - رابح بونار: المرجع السابق ص186.

2 - نفسه، ص186.

استقر بها بالقلعة، فمنهم القاضي أبو عمران موسى الصنهاجي السابق الذكر، ومنهم أبو عبد الله محمد الرمامي الفقيه رئيس الإفتاء بفاس، ومنهم الفقيهان أبو بكر بن مخلوف بن خلف الله ومحمد ابن مخلوف بن خلف الله وغيرهم. لقد ضرب أبو الفضل المثل في تقواه وزهده، فكان شديد الخوف من الله، دائم الإستحضار لجلاله، كثير الورع، لا يقبل من أحد شيئا إنما يأكل ما يأتيه من توزر، وقد كان لتشدده في تعبده وزهده يقول:

أَصْبَحْتُ فِيمَنْ لَهُمْ دِينٌ بِلاَ أَدبٍ ... وَمَنْ لَهُ أَدَبٌ عَارٍ مِنَ الدِّينِ

أَصْبَحْتُ فِيهِمْ غَرِيبَ الشَّكْلِ مُنْفَرِدًا ... كَبَيْتِ حسَّانَ فِي دِيوَانِ سَحْنُون

ويعني ببيت حسان قوله:

وهان على سراة بني لؤيٍّ ... حريقٌ بالبُوَيرَةِ مستطيرُ[1]

ومن أدعيته الإنشادية التي كان يقرأها ليدفع بها كربًا أو شِدّة قوله:

لبستُ ثوبَ الرجاء والناس قد رقدوا ... وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجِدُ

وقلتُ يا سيدي يا منتهى أملي ... يا مَن عليه بكشف الضرّ اعتمد

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... مالي على حملها صبرٌ ولا جَلَد

وقد مددتُ يدي للضرّ مشتكياً ... إليك يا خيرَ مَن مُدّتْ إليه يَد

أجاد ابن النحوي قرض الشعر كما أجاد علوم الدين والفقه والكلام وغيرها، وقد برع في نوع منه وقلّده فيه من أتى بعده وهو شعر التوسُّلات والابتهالات. وأشهر القصائد التي وصلتنا عنه قصيدة جيمية دُعيت بالمنفرجة، من انفراج الأزمة، وقد نالت من معاصريه وممن أتى بعدهم عناية كبيرة، كما نالته قصيدة شيخه الشقراطسي التي دُعيت بالشقراطسية.

1 – رابح بونار: المرجع السابق، ص. ص186، 187.

وعاش ابن النحوي درساً متعبِّداً بقلعة بني حماد أكثر من ثلاث عشر سنة كانت عاملاً قوياً على ازدهار الدراسات الفقهية والكلامية على عهد الموحدين، وتوفي كما يقول أبو العباس النقاوسي بالقلعة سنة 513هـ وقبره بها مشهور[1].

وينتمي أبو الفضل المعروف بابن النحوي إلى الفكر الجديد الذي سينفتح، ويرجع ذلك إلى صوفيته لمبدأ الغزالي، وسوف يثأر له في المستقبل، فضريحه يقام على القلعة التي خربت عن آخرها[2].

8- محمد بن محمد بن أبي بكر المصور القلعي أبو عبد الله :

فقيه مالكي من أهل قلعة بني حماد، أخذ عن مشيخة بلاده ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها إلى أن توفي نحو 665هـ/1270م.

9- المعافري :

هو أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري، أبو العباس، نشأ بقلعة بني حماد ودرس فيها عن أبيه في نهاية القرن السادس الهجري وعلى يد الأستاذين أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي، وأبو الحسن علي بن الشكر بن عمر القلعي وأخذ أيضا عن الخطيب المقري النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفراء، والفقيه الفاضل الزاهد أبي عبد الله محمد بن المعطي المعروف بابن الرماح وغيرهم.

اهتم بالفقه وعلم القراءات وعلوم اللغة ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها فأخذ العلم فيها عن أبي زكرياء الزواوي حيث ولي الخطابة بجامع القصبة و أقرأ بها واشتهر بحسن التلاوة حتى إذا كانت ليلة السابع والعشرون من رمضان امتلأ

---

1 - نفسه، ص ص 187، 188.

2- جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991، ص 220.

المسجد بالمصلين لسماعه ومكث بها إلى أن وافته المنية بها، له مختصر كتاب التسيير في القراءات السبع لأبي عمرو وعثمان ابن سعيد الداني[1].

10- ابن رشيق القيرواني :

هو الحسن بن رشيق أبو علي الشهير بالقيرواني، لقب بهذا الاسم لطول مكوثه بالقيروان، ولد بالمسيلة سنة 385هـ/995م، اهتم بالأدب والتاريخ فدرسها عن علماء بلده ثم رحل على القيروان، حيث لازم كبار علمائها وأخذ عنهم العلم، مدح أميرها المعز فقربه إليه وجعله كاتبا فذاع صيته بالقيروان إلى أن غزا الهلاليون إفريقية، فلجأ إلى صقلية وأقام بها إلى أن توفي سنة 463هـ/1071م.

وخلف مجموعة من الكتب منها:

- العمدة في صناعة الشعر ونقده.
- أنموذج الزمان في شعراء القيروان.
- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب.
- ميزان العمل في تاريخ الدول.
- تاريخ القيروان.

وكلها كتب جمع فيها بين التاريخ والآداب.

11- الأصم :

هو محمد بن عبد الله بن زكريا أبو عبد الله القلعي الشهير بالأصم شاعر من أهل قلعة بني حماد ورد ذكره في بعض المصادر التاريخية وأثنت على شعره، سافر إلى بلاد المشرق وانتهى به المطاف في مدينتي الإسكندرية والقاهرة، ومكث بهما مدة زمنية غير أنه لم ينل المكانة التي ينشدها لدرجة بلغت به عجزه

---

1 - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص97.

عن تحصيل قوت يومه فقفل راجعا وفي طريقه مر بقوم يدعون بني الأشقر من بلاد طرابلس الغرب فامتدحهم بقصيدة جميلة فأحسنوا إليه وأجزلوا له العطاء، ثم سكتت المصادر عن ذكره بعد ذلك.[1]

خاتمة:

وخلاصة القول أن قلعة بني حماد تمكنت من أن تتبوأ مكانة كبيرة، حيث أصبحت تضاهي بها عواصم الفكر والثقافة مشرقا و مغربا، بحيث صارت مركزا علميا هاما آنذاك، بفضل جهود هؤلاء العلماء الذين اعتلوا منابر المساجد والكتاتيب والزوايا والمكتبات، هذه المراكز ودور العلم غذت العقول وأنتجت العلوم و أثمرت عددا لا بأس به من العلماء القلعيين.

* صاحب تمركز العلماء بالقلعة إنتاج علمي وفير من خلال ما خلفه وأنتجه علماؤها أو العلماء الذين وفدوا إليها واستقروا بها، من علوم نقلية وعقلية سابقوا ونافسوا بها غيرهم من علماء المغرب والمشرق.

* اشتهر وعرف بالقلعة جمع كبير من العلماء والأدباء والشعراء والرياضيين، كان لهم الفضل في رقي الحضارة الحمادية بالقلعة أولا ثم ببجاية ثانيا بعد انتقال العاصمة إليها.

1 – الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص97.

بلاد حمزة: تطورها التاريخي وتفاعلها الحضاري "850-1962م"

د/حسين محمد الشريف

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

المقدمة:

إنّ الحديث عن بلاد حمزة هو الحديث عن مدينة تاريخية عريقة شرقية قديمة قدم التاريخ كانت محطة مهمة جدا في التاريخ الإسلامي وحلقة وصل بين الشرق والغرب جذبت اهتمام الكثير من المؤرخين والكتاب والرحالة بمختلف مشاربهم وألسنتهم منذ نشأتها عام 850م على يد حمزة بن الحسن العلوي الذين تركوا لنا مادة تاريخية في غاية الأهمية عبر مراحلها التاريخية لا زالت خاما حبيسة المصادر والمراجع تبحث عمن يقوم بجمعها وإظهارها وتقديمها للقارئ حتى يدرك مدى أهمية هذه البلاد وتطورها التاريخي وتفاعلها الحضاري في بلاد المغرب، ومن هنا جاءت الإشكالية عبر جملة من التساؤلات سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه المداخلة.

بعد أن كانت هذه البلاد نسيًا منسيًا لدى الكثير من العامة والمثقفين.

- ما هي بلاد حمزة التاريخية؟ كيف تأسست؟ وما هو حظها في الكتابات والبحوث التاريخية؟
- من هم سكانها؟ وما هو دورهم الثقافي والحضاري؟
- ما هي المراحل التاريخية التي مرّت بها من نشأتها إلى غاية استعادة السيادة الوطنية.

1. بلاد حمزة في العصر الوسيط والحديث:

إن لبلاد حمزة وعاصمتها – البويرة[1] الحالية – تاريخا عريقا يستحق الذكر والتعريف به، فهو يعود إلى عصور قديمة زاخرة بالبطولات والوقائع التاريخية الهامة.

فقد عرفت هذه البلاد قديما بمملكة «هاز» حسب ما أشار إلى ذلك المؤرخان اليعقوبي والبكري. ولقد ارتبط اسم البويرة في العصر الوسيط بشخص حمزة بن الحسن العلوي الذي ينتهي نسبه عند الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه[2]، فقد أسسها في منتصف القرن التاسع الميلادي «850م» في عهد الدولة الإدريسية ثم تطورت التسمية إلى سوق حمزة إذ كانت حينها مركزا للمبادلات التجارية وعرفت فيما بعد بسوق السبت الذي ما زال إلى يومنا هذا.

ولقد كانت بلاد حمزة محطة تاريخية جذبت اهتمام الكثير من الكتاب والمؤرخين أمثال أبي زكريا يحيى بن خلدون صاحب «بغية الرواد في دولة بني عبد الواد» وأبي العباس أحمد المقري صاحب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» واليعقوبي والبكري والإدريسي... والعلامة عبد الرحمن بن خلدون الذي أشار في مواضع كثيرة إلى بلاد حمزة التي كانت ملتقى أبناء المغرب، والدور الهام الذي قام به أهالي هذه البلاد في بناء قلعة بني حماد التي ما تزال إلى يومنا هذا تشهد على كفاءتهم.

وهناك العديد من الروايات الشعبية حول أصل كلمة البويرة منها:

---

(1)– اسم (البويرة) عرفت به مدن بالمشرق العربي كفلسطين التي توجد بها «خربة البويرة» بمحافظة الرملة التي دنسّت وأخليت من سكانها في يوليو 1948م، كما توجد البويرة بالحجاز والعراق....

(2)– راجع تسلسل هذا النسب في جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص 55.

أ- أن المنطقة كانت مشهورة بخصوبة أراضيها، إلا أنها كانت غير مستغلة أي تركت بورا فاشتق الاسم من كلمة «بور» فهي بويرة.

ب- أن الاسم اشتق من كلمة قبائلية وهي «بير إيرا» التي تعني بئر الأسود، وحسب الرواية فإن أسودا كانت تعيش في المنطقة. وقد أشار إلى وجود الأسود الكاتب الفرنسي: Daudet- Alphonse في كتاباته.

ج- أن اسم بويرة هي جمع لبئر أي آبار، وباللهجة المحلية جمع بير هو بيورة - bioura - فتحولت الكلمة إلى البويرة BOUIRA لسهولة اللفظ بها على حال العامة.

د- أن رجالا حطوا الرحال بالبئر فوجدوا ولدا فسألوه عن أبيه فأجابهم (بوي راح) بالعامية وهذه رواية ضعيفة لكنها الأكثر شيوعا. وقد اهتم بالبويرة الكثير من المؤرخين أمثال: البكري الذي قال عنها: «... إن حمزة مدينة نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ...» وأولى المدن التي كانت تحت إمارته مدينة يقال لها «هاز» [1].

وإلى «هاز» ينسب البلد حيث قام الحسين بتفريق أعماله على بنيه مثلما فعل «محمد بن سليمان» في تلمسان فكان نصيب حمزة السهل المذكور «سهل حمزة».

أما ابن خلدون فيرى أن الذي دخل المغرب هو سليمان جد حمزة وليس أباه حيث قال: «... أما سليمان أخو إدريس الأول فإنه فر إلى المغرب فلحق

---

(1)- يقول المؤرخ إسماعيل العربي في كتابه «دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة»، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، ص 139. «كانت مدينة «هاز» تقع على نهر شتوي في أراضي زناتة يسكنها بنو يرنان (عند البكري) أو بنو برنان (عند اليعقوبي) وهو الأصح. وقد أجلاهم عنها زيري بن مناد الصنهاجي إلى بؤرة نهر جار في غضون الحروب الضارية التي كان يشنها على زناتة». للاطلاع أكثر على هذه الحروب راجع كتابه «بنو حماد ملوك القلعة وبجاية».

بجهات تيهرت، بعد أن هلك أخوه إدريس... وملك تلمسان... ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الأوسط وقسموا أملاكه ونواحيه....

وفي العهد الفاطمي يصف البكري المدينة قائلا: «... إلى سوق حمزة وهي مدينة عليها سور وخندق وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة». وبهذا تعد البويرة من أهم مدن صنهاجة قبل قيام زيري بن مناد الصنهاجي ببناء العاصمة (آشير). وقد كانت منطقة حمزة ملتقى الحضارات ومركز إشعاع ثقافي وحضاري، وهنا يشير ابن خلدون إلى أنه في عهد الخليفة الفاطمي المعز بن منصور قام قائد جيشه جوهر الصقلي بحمل بني حمزة إلى القيروان، ولم يبق منهم إلا بقايا في الأطراف والجبال معروفون هناك عند البربر [1].

أما في عهد الدولة الحمادية فبعد الاتفاق الزيري الحمادي وبعد المفاوضات التي جرت بين المعز وحماد اشتغل هذا الأخير بسوق حمزة، وهكذا أصبحت منطقة حمزة جزءا من الدولة الحمادية وقد قام حماد بتفريغ حمزة من أبنائها ونقلهم إلى القلعة ليكونوا المؤسسين لها والبانين لعمرانها بالرغم من أن أصله من حمزة كما ذهب إلى ذلك الزركلي وبعد سقوط القلعة عاصمة بنو حماد الأولى أمام الهجمة الهلالية أسسوا بجاية حوالي عام 457هـ في عهد الملك الناصر بن علناس بن حماد ولذلك سميت أيضا بالناصرية [2].

أما في العهد الموحدي فقد انضوت البويرة تحت لواء الدولة الموحدية التي تعتبر أول دولة مغاربية وحدت أقطار المغرب العربي تحت حكم أبنائه.

---

(1)- ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، ص 18، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، "دون تاريخ".

(2)- صالح الخرفي، « من أعماق الصحراء»، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ص 110.

وبعد سقوط هذه الدولة وانقسام المغرب العربي إلى ثلاث دويلات كانت منطقة حمزة الحدود الفاصلة بين الزيانيين من الغرب والحفصيين من الشرق، وقد نبعت في هذه الفترة منطقة حمزة في ميدان الفكر والثقافة بصفة عامة بواسطة أبنائها، وبعد مجيء العثمانيين لإنقاذ هذه البلاد من براثن الإسبان المغرورين بالانتصارات التي حققوها على مسلمي الأندلس خاصة بعد سقوط غرناطة عام 1492م، اتخذوا من حمزة قاعدة لهم فبنوا فيها برجا يعرف لدى الأوساط الشعبية بـ«برج الترك» ما زال شامخا إلى يومنا هذا، وقد بني في عهد الباي لارباي حسن قورصو «963هـ-1556م» [(1)]، وقد اتخذه الأمير عبد القادر حصنا لخليفته بمنطقة حمزة وهو أحمد بن سالم الدبيسي. كما بنوا باب أخريص أو كما يسمى حاليا «الحوش الكبير» والمسجد العتيق بسور الغزلان الذي حوله الاستعمار الفرنسي إلى مريض لتربية الخيول.

وهنا لا بأس أن نشير إلى أن منطقة حمزة - طيلة العهد الإسلامي وسيطا وحديثا - فقد أنجبت علماء أجلاء في مجالات متعددة: دينية وأدبية وفكرية أثروا الفكر والحضارة العربية الإسلامية بأبحاثهم ودراساتهم ومنهم الشعراء والكتاب والمحدثون أمثال: ابن قرقول الإمام العلامة وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحمزي الوهراني المعروف بابن قرقول من قرية حمزة.

كان رجالا في طلب العلم نقالا، فقيها نظارا أديبا نحويا عارفا بالحديث ورجاله، بديع الكتابة، كان من أوعية العلم، له كتاب «المطالع» على الصحيح

---

(1)- Diego de Haïdo, "Histoire des rois d'Alger, éditions grand Alger, Alger, 2004, p104.

وينظر كذلك: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1402هـ-1982م، ص 89-90.

عزيز الفوائد 521م. انتقل من مالقة إلى سبتة ثم إلى سلا ثم إلى فاسن. وتصدر للإفادة وكان رفيقا لأبي زيد السهلي وصديقا له فلما فارقه وتحول إلى مدينة سلا نظم فيه أبو زيد أبياتا وبعث بها إليه منها:

سلا عن سلا إن المعارف والنهي ... بها، ودعا أم الرباب وماسلا
بكيت أسى أيام كان بسبته ... فكيف التاسي حسين منزله سلا
وقال أناس إن في البعد سلوة ... وقد طال هذا البعد والقلب ما سلا
فليت أبا إسحاق إذ شطت النوى ... تحيته الحسني مع الريح أرسلا
فعادت ديور الريح عندي كالصبا ... بذي غمر إذ أمر زيد تبسلا
فقد كان يهديني الحديث موصلا ... فأصبح موصول الأحاديث مرسلا
وقد كان يحيى العلم والذكر عندنا ... أوان دنا فالان بالنأي كسلا
فلله أم بالمرية أنجبت ... به وأب ماذا من الخير انسلا[1]

توفي ابن قرقول في شعبان 569ه عن عمر يناهز الرابعة والستينمن عمره[2]. ونذكر كذلك أبا عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي[3] من كبار الأئمة وفضلائهم، أصله من قرية حمزة من حوز «قلعة بني

---

(1)- أخبار ملوك بني عبيد، الأعلام للزركلي، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1956م. وينظر كذلك: الغبريني، أبو العباس أحمد بسن بن أحمد: «عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، د.ت، ص ص 192-194.

(2)- نفسه.

(3)- ترجم له التيجاني في رحلته، وفؤاد أفرام البستاني في دائرة المعارف [ج1، ص473]، جاء فيها: «أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، ويقال بن حمادو، مؤرخ جليل، وجل ما يعرف عنه أنه عاش في القرن السابع الهجري بعد قيام دولة الموحدين، وترك كتابا قيما في أخبار الفاطميين اسمه «أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم»، وقد ترجم منه فصلين إلى الفرنسية المستشرق «فندر هين Von Derhjden/ في منشورات جامعة الجزائر عام 1927م.

حماد»، قرأ بالقلعة وإليها نسبته وببجاية التقى الشيخ أبا مدين[1]، وولي قضاء الجزيرة الخضراء بالأندلس ثم «سلا» بالمغرب الأقصى سنة 613هـ، ثم استوطن مراكش وتوفي بها.

ومن كتبه نذكر «النُّبَذ المحتاجة في أخبار صنهاجة» و«الإعلام بفوائد الأحكام» لعبد الحق. و«شرح مقصورة ابن دريد» و«برنامج» في ذكر شيوخه ومقروءاته من الكتب [2]. و«ديوان شعر» و«أخبار ملوك بني عبيد».

ومن العلماء الآخرين الذين أفادوا العلم والثقافة والمعرفة بجهودهم ومؤلفاتهم المختلفة نذكر كذلك محمد بن السلاح الزواوي، ويحيى بن معطي النجمي، ويحيى المثقلاتي، وأحمد بن إدريس، وعبد الرحمن الوغليسي، وعمر المليكشي، وإبراهيم بن فايد، أبو عبد الرحمن الثعالبي صاحب المؤلفات العديدة التي تقارب التسعين، وأبو مهدي عيسى الثعالبي، وعبد الرحمن القشطولي، والعلماء المشداليون أمثال محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي «أبو عبد الله 866هـ- 1462م» إذ كان عالما وإماما جليلا مقدما على أهل عصره في الفقه وعلوم الدين حتى إنه كان ذا وجاهة عند حاكم تونس، وكذا ناصر الدين المشدالي الذي نبغ في بجاية ونشر الفقه المالكي على طريقة ابن الحاجب بعد عودته من مصر، فعمت هذه الطريقة مراكز التدريس في أنحاء المغرب العربي [3].

---

(1)- الغبريني، المصدر السابق.

(2)- نفسه.

(3)- صالح الخرفي، المرجع السابق. وينظر كذلك: محمد الفاضل بن عاشور، ومضات فكر، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1982م.

ونذكر علماء زاوية قرومة الواقعة قريبا من الأخضرية أمثال: أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم القرومي، ومحمد علال القرومي بن جروم 1237 – 1323م – 672 هـ – 723هـ وأحمد بن محمد بن علال القرومي، وآخرون كثر يصعب إحصاؤهم.

وإلى جانب هؤلاء العلماء والفقهاء ينتشر بالمنطقة أكثر من أربعين زاوية حتى لقبت البويرة بمدينة الأربعين وليا. مما يؤكد أن المنطقة كانت مركز إشعاع ثقافي وحضاري قديما وحديثا لما تقدمه هذه الزوايا من تعليم للقرآن الكريم واللغة العربية والفقه ومختلف العلوم الأخرى. وهنا نفتح قوسا للتذكير بأن كل زوايا هذه المنطقة كانت زوايا رحمانية، أي على الطريقة الرحمانية (*)، زوايا سيف وقلم أو زوايا جهادية.

(*)– الرحمانية: طريقة دينية خلوتية منبعها مصر أسسها في الجزائر الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري، الزواوي المولود في آيت إسماعيل ولاية تيزي وزو، الجزائر عام 1130هـ/1720م وهو الذي تتلمذ على يد الشيخ واعراب بآيت إيراثن ولاية تيزي وزو، وعلى الشيخ محمد بن بلقاسم التاجديوي، درس بجامع الأزهر الشريف على عدّة شيوخ أمثال محمد بن سالم الحفناوي صاحب الطريقة الحفناوية الخلوتية، فاعتنقها وأسّس زاوية لها بمسقط رأسه لقن فيها مبادئ التصّوف فالتّف حوله الناس ومنهم أحمد التيجاني الذي أخذ عنه وانشأ طريقته التيجانية. انتقل إلى العاصمة ووسّع دائرة دعوته ودرّس بمسجد الحامة وذاع صيته فاتهمه منافسوه بالخروج عن الشريعة غير أنّه انتصر عليهم فأكرمه الداي، وعرفت طريقته الحياد مع السلطة العثمانية بالجزائر. راجع في ذلك:

- Simian (M), les confréries islamique en Algérie (Rahmanya, Tidjanya), A. Jourdan, Alger, 1910, p54.
- Trumelet (E), l’Algérie, légendaire, A. Jourdan, Alger, 1882, pp 340, 341.

2 . بلاد حمزة خلال العهد الاستعماري:

بعد دخول الاستعمار الفرنسي لبلادنا تصدى له سكان بلاد حمزة بكل بسالة، من ذلك مقاومة أحمد بن سالم الدبيسي المعين من طرف الأمير عبد القادر بعد زيارته لبودربالة يوم: 1837/12/14م،[1] وثورة الحاج المقراني عام 1871م، وكنتيجة لهذه المقاومة الشرسة قام الفرنسيون بطرد السكان إلى الجبال وصودرت أراضيهم ومنحها المستوطنون أمثال: باسطوس، ماركو، كاطالا، ديبيراك، بانيير... وبعد السيطرة التامة على المنطقة قرر الماريشال ماكماهون إنشاء بلدية البويرة في: 1868/09/28م ولم ينفذ القرار إلا في 1872/06/07م بسبب المقاومات الشعبية التي شهدتها المنطقة، هذا القرار الذي اعتبر البويرة بلدية فرنسية كاملة الحقوق.

وقد شهدت المنطقة آنذاك نشاطا تنصيريا كبيرا في إطار مشروع الكاردينال لافيجري[*] الذي أنشأ فيها مأوى للأيتام ما زال قائما إلى اليوم، حيث جمع به

---

(1)- أبو القاسم سعد الله، المقاومة الشعبية – مرحلة 1837- 1847م، «محاضرات السنة الرابعة ليسانس»، جامعة الجزائر، 1982م.

(*)- الكاردينال لافيجري 1825-1892م: تولى أسقفية الجزائر عام 1867م. كان الساعد الأيمن والرأس المفكر للبابا في روما، تمكن بثقافته الواسعة واتقانه لعدة لغات منها العربية من تحقيق أهدافه. اشتغل قبل قدومه إلى الجزائر أستاذا للتاريخ الديني بالكلية الدينية بباريس، شارك في توزيع المساعدات على النصارى العرب أثناء الفتنة الطائفية بالشام عام 1860م، عمل على توسيع النشاط الكاثوليكي في المشرق. كوّن مع غيره مدارس تسمى (مدارس الشرق) وظلّ على صلة حتى بعد تعيينه أسقفا على الجزائر، التي أقام فيها مشروع تنصيري استعماري تسانده في ذلك البابوية والجمعيات التي يسمونها الخيرية. أنشأ مؤسسة القديس أوغسطين لبعث الدين المسيحي ونشره بين المسلمين. استغل مجاعة 1868م بالجزائر فجمع الأرامل واليتامى في "قرى لافيجري المسيحية" لتنصيرهم، كما أنشأ فرقة الآباء والأخوات البيض لنفس الغرض، واعتقد أنه بتكوينه لهذه الفرق إنما يقوم بحملة صليبية حقيقية، كما وسع نشاطه من المناطق الشمالية إلى الصحراء ثم إلى إفريقيا=

عددا من أيتام وجياع الشعب الجزائري وقام بتنشئتهم تنشئة مسيحية بهدف تكوين جيل من الجزائريين يدين بالمسيحية ويساهم في نشرها بين أبناء جلدته. تشير الدراسات التاريخية إلى أن الجنرال بيجو أحد قادة الاحتلال كان يجمع الأطفال الجزائريين اليتامى ويأتي بهم إلى القسيس فيسلمهم له قائلا: «حاول يا أبتي أن تجعلهم مسيحيين وإذا فعلت ذلك فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار».[1]

كما أنشأ كنيسته التي ما زالت آثارها إلى اليوم، حيث حولت إلى معهد موسيقي. وقد أشار في هذا المضمار هذا الكردينال قائلا: «علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا الدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل... تلك هي رسالتنا الإلهية» [2].

=لذلك أنشأ الإرساليات وبثها وسط السكان المسلمين. كما أنه اهتم بمجد قرطاج المسيحي الروماني وأنشأ فيها كنيسة "لسان لويس" عام 1890م، بعد تسميته أسقفا في الجزائر وتونس معا. توفي بالجزائر ونقل جثمانه إلى تونس أين دفن بكاتدرائية سان لويس بمدينة قرطاج. "أنظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830–1954)، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص ص 118، 119. وانظر كذلك: سعدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867–1892م)، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 48. وأنظر كذلك: الحبيب الجنحاني، "حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن 19م"، ضمن أعمال الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي"، تيزي وزو، الجزائر: 10، 22 جمادى الثانية 1393هـ/10، 22 يوليو 1973م، منشورات وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1395هـ/1975م، الجزء الثالث، ص 1066.

(1)– رابح تركى، ابن باديس والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، العدد الثاني، "مجلة فصلية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر"، السنة الأولى، ربيع الأول 1391هـ ماي 1971م، ص 66.

(2)– نفسه.

ونشير هنا إلى الدور الفعال الذي قامت به زوايا المنطقة: زاوية زمورة، زاوية سيدي سالم، زاوية قصارة، زاوية سيدي داود، زاوية تسالة...[1] في التصدي لسياسة التنصير، حيث فتحت أبوابها لليتامى والمعوزين والجائعين كما كانت منارة علم حافظت على استمرار التعليم العربي الإسلامي ضد سياسة التجهيل والتغريب.

ورغم هذه السياسة الردعية الجائرة التي قام بها الاستعمار الفرنسي لم تنل من العزيمة والروح الجهادية لسكان المنطقة، ذلك أنه بمجرد أن بلغتهم دعوة الجهاد الصادرة عن الشيخ الحداد للالتحاق بثورة الحاج المقراني العام 1871م حتى كان أبناء المنطقة يتقدمهم أبناء الزوايا في الصفوف الأولى لهذه الثورة خاصة بعد وصول المقراني يوم 25 أفريل 1871م إلى جبل بوقرنين بسور الغزلان الذي جعله أخوه بومزراق أكبر معسكر للمجاهدين منذ اندلاع الثورة، بينما اتخذ المقراني زاوية سيدي سالم بعين بسام مركز جهاده [2].

إلا أن هذه المقاومة لم تدم طويلا حيث قمعت بعد استشهاد قائدها في سوفلات «التي تعرف باسمه اليوم يوم 05 ماي 1871م مع عدد كبير من خيرة شباب المنطقة آنذاك. وفي هذا المضمار يشير المؤرخ: هنري أوكابيتان Henri AUCAPITAINE في كتابه: (les kabyles et la colonisation de l'Algérie) إلى أن الزوايا أدت دورا عظيما في المقاومة في الفترة مابين 1850 و1857م وخلال ثورة 1871م المدعمة بالطلبة بشكل خاص وذلك إيمانا منهم

(1)- ذلك حسب ما رواه لي بعض كبار السن من خريجي هذه الزوايا.

(2)- بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م، ص 137، 139.

بأن مقاومة الاستعمار الفرنسي وما يقوم به من نهب وسلب للحرث والنسل واجب ديني مقدس يقوم به أهل الزوايا بزواوة.

وقد عاقبت السلطات الفرنسية سكان المنطقة لمساندتهم هذه الثورة بمصادرة أراضيهم ونفي عدد كبير من أبنائهم إلى كاليدونيا الجديدة، كما فضل البعض الآخر من الأسر الفاعلة في الثورة اللجوء إلى المشرق العربي وبالذات إلى بلاد الشام، ونذكر من ذلك عائلات الطيب ومحمد الشريف والعارفي وزرقين... الذين استقروا بفلسطين وهجروا بعد النكبة عام 1948م إلى سورية والأردن [1].

ورغم كل ما لحق بالمنطقة من قمع وتشريد وتهجير لم يمنع ذلك من إعادة الكرة مرة أخرى بعد امتداد فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر خاصة بعد زيارة الشيخ محمد عبده لها عام 1903م. حيث قام سكان بلاد حمزة في مدينة عين بسام عام 1906م بثورة ضد الكولون، الأمر الذي أدى بالحاكم العام الفرنسي بالجزائر إلى أن يصدر أوامر تنص على سجن جميع المشتبه بهم بالانتماء إلى هذه الجامعة [2].

إن جهاد سكان بلاد حمزة الذي لا يمكن فصله عن جهاد الشعب الجزائري الثائر الذي تقول عنه حرفيا دائرة المعارف الاستعمارية بأن مقاومته المسلحة دامت 80 سنة من 1830م إلى 1910م.

---

(1)- يستقر أبناء هذه العائلات في حارة المغاربة بمخيم اليرموك في دمشق بسوريا، وبعض من إلتقيتهم هناك من كبار السن في صائفة 1997م مازالوا يتحدثون القبائلية، أما من هم في الأردن فهم في مدينة أربد: بعد طردهم من أراضيهم ومدنهم بفلسطين كمعذر وطبرية وديشوم وصفد.....

(2)- د. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

أما في مطلع القرن الماضي فقد هيمن التنصير والكنيسة على مقاليد السلطة الاستعمارية إذ منع بناء المساجد وتعليم القرآن الكريم واللغة العربية وقد عملت فرنسا على محاربتهما بشتى الوسائل ومختلف الأساليب للحد من تعلمهما وانتشارهما. وكان من جملة إجراءاتها إصدار القانون المعروف بقانون 24 ديسمبر 1904م والذي ينص على: «عدم السماح لأي معلم مسلم أن يتولى إدارة مكتب التعليم اللغة العربية بدون رخصة يمنحه إياها عامل الولاية أو قائد الفيلق العسكري. ويعد فتح مكتب بدون رخصة اعتداء على حدود القوانين الخاصة بالأهالي المسلمين» [(1)].

وهكذا عرفت البويرة فترة قحط ثقافي وعلمي لا مثيل له مما أدى إلى انتشار الأمية بشكل رهيب جعل الفرنسيين يتباهون بذلك قائلين: «لم يبق في الجزائر إلا الغبار».

إلا أن أبناء المنطقة كغيرهم من أبناء الوطن نفضوا عن أنفسهم الغبار وانخرطوا في الحركة الوطنية بمختلف اتجاهاتها الفكرية خاصة نجم شمال إفريقيا وسليله حزب الشعب الجزائري،[(2)] وانضموا كذلك إلى الحركة الإصلاحية[(3)] والكشفية وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر بعض الانفراج اتجاه الجزائريين خاصة بعد انتفاضة 8 ماي 1945م، حيث سمحت السلطات الاستعمارية ببناء بعض المدارس التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعض المساجد منها: مدرسة "الحياة" بأهل القصر بأولاد عبد الله التي كانت انطلاقتها من مسجد

---

(1)- بسام العسلى، ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ-1983م، ص 50.

(2)- تأسست أول خلية له في البويرة سنة 1937م أي سنة تأسيسه وذلك حسب وثيقة أرشيفية موجودة بحوزة الدكتور مصطفى سعداوي أحضرها معه من فرنسا.

(3)- تأسست أول خليه لها سنة 1938م حسب وثيقة أرشيفية كذلك موجودة لدى نفس الشخص.

أعمر أوعذنان بقرية أولاد عبد الله حيث كان السيد خيتوس عبد القادر مدرسا للقرآن الكريم به من سنة 1930م إلى سنة 1940م المتخرج من المدرسة الكتانية بقسنطينة، وهو أول من حارب الشعوذة والخرافات والطرقية بالمنطقة. وفي سنة 1946م تأسست مدرسة "الحياة" تحت إشراف خيتوس عبد القادر، وصالحي مولود، وحيموم أحمد، وبوقرة أحمد، وبن عقدي أرزقي، توجد المدرسة حاليا بقرية أولاد عبد الله بلدية أولاد راشد، دائرة بشلول ولاية البويرة.[1]

أمّا المعلمون الذين درّسوا وعملوا بها والتابعون لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هم:

1- العياشي مهوب من ولاية بسكرة.

2- عبد المالك فوضيل الورثيلاني من ولاية بجاية.

3- الطيب القاسمي من أولاد إبراهيم من ولاية برج بوعريرج.

4- محمد وأحمد دلمي

5- سعدون محمد مفتش التربية والتعليم بالبويرة بعد الاستقلال.

6- العروسي احميتي من وادي سوف.

7- قتال محمد أكلي من قرية أولاد عبد الله السابقة الذكر وهو أول تلاميذ هذه المدرسة [2].

وقد أغلقت هذه المدرسة من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1956م وزُجّ بمؤسسيها ومعهم محمد سعدوني في السجن وبعد استعادة الجزائر لسيادتها استعادت نشاطها التعليمي. وفي سنة 1972م أصبحت المدرسة تابعة لمديرية

(1)- وثيقة خاصة بمدرسة الحياة سلمت لي من طرف السيد خيتوس عبد الحميد يوم 10 مارس 2018م، ابن السيد خيتوس عبد القادر السابق ذكره.

(2)- نفسها.

الشؤون الدينية لتعليم القرآن الكريم واجتماعات جماعة القرية "ثاجمعث" [(1)]. وفي هذا الإطار قام أهالي البويرة ببناء مسجد الشيخ عبد الحميد بن باديس بين 1947 و1950م [(2)]، الذي طالما حلم ببنائه في هذه المنطقة في ثلاثينيات القرن الماضي، وهو ما سمعته من كبار السن من أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمنطقة، حيث قالوا لي: بأن ابن باديس كان يردد ذلك دائما [(*)].

---

(1)- نفسها.

(2)- من تصريحات الرائد المتقاعد عبد الحق المدعو محمد بن الحاج زروقي أثناء لقائي الخاص به يوم 2007/08/26م بمنزله.

(*)- عن قصة تسمية هذا المسجد باسم الشيخ عبد الحميد بن باديس حكى لي الكثير من أعيان وشيوخ مدينة البويرة ومنهم من كان عضوا في لجنة بنائه ممن سبق ذكرهم، أن الشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء تنقلاته على متن القطار البخاري ما بين قسنطينة والجزائر العاصمة، كان هذا القطار دائما يتوقف في محطة البويرة للتزود بالفحم والماء "ما زالت مضخة تموين القطار بالماء قائمة في محطة البويرة إلى يومنا هذا" وأثناء توقف القطار بالمحطة كان الشيخ ينزل ليتوضأ للصلاة فيسأل الناس عن المسجد فيقولون له لا يوجد عندنا مسجد في حين أن الكنيسة كانت قائمة منذ عهد طويل فيتحسر الشيخ لذلك، فيرد عليه الأهالي قائلين هذه العبارة: "بالنّيف وبالتويزة سنبني مسجدا مهما كلفنا الأمر، وسيحمل اسمك تبركا بكم إنشاء الله تعالى. وتحقق الحلم وكان أول إمام بهذا المسجد المبارك الشيخ تباني من آيت عبد المومن بواضية ثم تولى بعده الإمامة إسماعيل جوامع أحد طلبة الشيخ عبد الحميد بن باديس كما صرح بذلك المجاهد حسان سيدهم للدكتور خالد عيقون.أمّا عن قصة الشيخ محمد البشير الابراهيمي عندما زار مدينة البويرة وبينما هو يسير في الشارع الرئيسي بالمدينة الذي يحمل اليوم شارع عبّان رمضان عزمه السيد سايح لعموري صاحب مطعم لتناول وجبة الغذاء فردّ عليه الشيخ قائلا: "والله لن أتناول الوجبة في مدينة لا يجود بها مسجد" "أكّد لي هذه الحقيقة التاريخية "إبناه المختار وحميد". وتشاء الأقدار أنّ أهالي البويرة في مطلع خمسينات القرن الماضي أثناء زيارة الشيخ للبويرة كغيرهم من أبناء الوطن. كان لهم الفضل والشرف في جمع الأموال وتقديمها للشيخ وبها شدّ الرحال إلى المشرق العربي للدفاع عن القضية الوطنية الجزائرية والحصول على منح لطلبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهذا ما صرّح لي به الدكتور خالد عيقون من جامعة تيزي وزو حسب ما قاله له المجاهد عبد الرحمن قاري رحمه =

كما أنشأوا مدرسة قرآنية تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الفترة ما بين 1951 و1952م عن طريق التويزة عند جسر البويرة بوسط المدينة، وقد كان شرف تدشينها للشيخ محمد العربي التبسي عام 1951م [1]. والتي هدّت حاليًا وشيّد بدلها المعهد المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف. ومن أعضاء اللجنة التي سهرت على إنجاز هذا المشروع العظيم "المسجد ومدرسة جمعية العلماء: حسان سيدهم[2] رئيسا، زروقي الطيب ممولا، عبد السلام مولود، باش السعيد، تركماني، محمد الشريف محمد بن الحاج القاضي أعضاء...

أما معلموها فكانوا: الشيخ سعدون محمد القادم من مزيطة بولاية برج بوعريريج والشيخ سفير موسى وهما من خريجي جامع الزيتونة، والشيخ ساعد شارف خريج زاوية الهامل [3].

بينما يشير في هذا المضمار الدكتور خالد عيقون في مقاله المقدم للملتقى "الاتصال المبكر بين الأوراس وجرجرة... بناء على ما قاله له المجاهد

=الله تعالى. وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على مدى كرم سكان المنطقة وأعيانها وتفانيهم في الحفاظ على مقومات شخصيتهم وأعلامها الذين وجدوا فيها القلب المفتوح والأيادي الممدودة.

(1)- من تصريحات أعيان وقدماء ج.ع.م.ج. وينظر خبر تأسيسها في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1951م.

(2)- **المرحوم حسن سيدهم:** كان رئيس الجمعية الدينية للحركة الإصلاحية لمدينة البويرة، ناضل وجاهد بكل ما أوتي من قوة بماله وجهده ومعارفه وسخّر كل ما يملكه من أجل الحركة الإصلاحية ثم ثورة التحرّير المباركة حتى استرجاع السيادة الوطنية. "من تصريحات الدكتور خالد عيقون بعد إدلاء المجاهد المرحوم له بشهاداته في شريط مسجّل بحجرة في فندقه بالبويرة في شهر أوت 1989م".

(3)- أحمد حسيني مفتش التربية والتعليم بالبويرة بعد استرجاع السيادة الوطنية الذي كان على معرفة جيدة بهم "دراسة وعملا".

حسين سيدهم: «...بأن مدينة البويرة كان ينزل بها الكثير من رواد الحركة الوطنية والإصلاحية خصوصا الشيوخ محمد البشير الإبراهيمي والعربي التبسي وأحمد سحنون وغيرهم، وكنت مع الشيخ أعمر أوعمار عيقون "لقب بالشيخ لأنه كان معلمًا وحكيما يتميّز برجاحة العقل وسداد الرأي استشهد رحمه الله تعالى وهو في سن الثامنة والعشرين من عمره" وغربي القمراوي يتولى الاتصال بهم واستقبالهم. وقمنا بتأسيس أول مدرسة بها. تداول التدريس بها عدة شيوخ منهم "السعيد صالحي"، "أعمر عيقون"، "عبد الرحمن قاري"، وحسيني... تمثل دورهم في تعليم التلاميذ بالمدرسة دروس التوعية والإشراف على الكشافة الإسلامية والقيام برحلات إلى أعالي الجبال والمدن المجاورة وتبادل الزيارات ين تلاميذ مدرسة البويرة وأقرانهم من مدرسة تازمالت وأقبو وحيزر وغيرها...».

بعدها تأسست مدارس الجمعية الأخرى وهي «مدرسة زمورة» و«مدرسة الحنيف» و«مدرسة تناكوث» بقرية زمورة "إزمورن"[1] الواقعة سفح جبال جرجرة الشُّم بلدية حيزر الأشم- البويرة التي بناها الأهالي بمجهوداتهم وكان على رأسها خريجوا معهد إبن باديس وجامع الزيتونة المعمور: الشيخان الشهيدان عمار أوعمرو أو أعمر عيقون وفضيل محمد، والمجاهد الشيخ عبد الرحمن قاري [2].

ومن المدارس القرآنية التي اشتهرت في ذلك الحين «قبل بناء مسجد البويرة مدرسة الشيخ سي خير الدين فرج التي كانت تقام فيها صلاة الجمعة، ومدرسة سي عمر العربي، ومدرسة سي مصطفى الجرموني [3].

(1)- أنظر عمار عيقون: قرية "زمورة" (البويرة)، جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عدد: 215، 14 جمادى الأولى 1372هـ/ 30 يناير 1953م، الجزائر، ص 3.

(2)- خالد عيقون "من تصريحاته".

(3)- "من تصريحات أعيان المدينة وقدماء طلبة هذه المدارس".

وبعد اندلاع ثورة التحرير المباركة في الفاتح من نوفمبر 1954م كانت بلاد حمزة نقطة التقاء بين الولاية الثالثة والولاية الرابعة التاريخيتين. فكانت أول معركة عسكرية شهدتها هي معركة «أم الدويسة» بشعبة السكران بلدية المعمورة حاليا يوم 03 مارس 1956م. أما أول شهيد سقط في ميدان الشرف أثناء هذه الثورة هو الشهيد غربي باهية قمراوي يوم 05 مارس 1955م بذراع البرج بالبويرة [(1)]، وقد شهدت أراضيها معارك ضارية تجاوزت 649 ما بين معارك وكمائن واشتباكات وعمليات فدائية [(2)].

وكانت مدارس الجمعية قاعدة أمدت الثورة برجال بذلوا أرواحهم في سبيل استقلال الجزائر، ويذكر الشيخ عبد الرحمن قاري[(*)] أنه أراد الانضمام رسميا إلى جيش التحرير الوطني وجهز نفسه لذلك عندما استضاف الجيش في مدرسة «تناكوث» وعلى رأسه الشهيد محمد بوقرة، وبعد إسماعهم الأناشيد الوطنية من طرف أطفال المدرسة، منعه من الالتحاق بالثوار في الجبل وأمره أن يبقى في هذه القلعة وقال له كلمة يرددها الشيخ مرارا: «إذا خرج إلى الجبل أمثالك فوداعا للثورة» في فهم عميق لأهمية القواعد الخلفية الحقيقية للثورة وهي المدارس [(3)].

---

(1)- محضر قتل الشهيد غربي قمراوي، أرشيف بلدية البويرة 1955م.

(2)- من تصريحات المجاهد حموش مديني الأمين العام السابق للأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين إثر لقاء خاص معه في مكتبه.

(*)- **المجاهد عبد الرحمن قاري:** رفيق درب الشهيد عمار عيقون منذ دراستهما بالزوايا ومعهد إبن باديس ونضالهما في الحركة الإصلاحية وبناء المدارس الحرّة بزمورة. التحق بالحركة الوطنية ثم المنظمة المدينة للثورة إلى أن ألقي القبض عليه وسجن بسجن "بوسي" بوهران لأكثر من أربع سنوات، أفرج عنه بعد وقف إطلاق النار. تولى عدة مهام بالبويرة بعد استعادة السيادة الوطنية. "المجاهد عبد الرحمن قاري: مذكراته على أشرطة فيديو، مقتنيات خاصة".

(3)- من تصريحات المجاهد عبد الرحمن قاري الذي التزم العمل الفدائي بعد ذلك. راجع مذكراته على أشرطة فيديو -مقتنيات خاصة-.

الخاتمة:

وفي الأخير نخلص للتأكيد أن بلاد حمزة شهدت خلال العهد الوسيط والحديث تطورات حاسمة في تطورها السياسي والحضاري، وكان لأبنائها دورا متميزا في الحياة السياسية والثقافية، وخلال الفترة الاستعمارية قاوم أبنائها الاحتلال الفرنسي وجابهوا سياساته، حيث اندمجوا في النشاط التعليمي والإصلاحي والسياسي، ويتجلى ذلك من خلال تمسكهم بقيمهم الحضارية وتجندهم في صف الحركة الوطنية والثورة التحريرية.

مصادر ومــراجــع البحــث

أولا: كتــب ومقـــالات

1- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب.

2- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

3- أبو القاسم سعد الله، المقاومة الشعبية – مرحلة 1837- 1847، «محاضرات السنة الرابعة ليسانس»، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1982م.

4- إسماعيل العربي، «دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة»، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

5- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1956م.

6- بسام العسلي، ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1403هـ- 1983م.

7- بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م.

8- رايح تركي، ابن باديس والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، "مجلة فصلية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر" العدد الثاني، السنة الأولى، ربيع الأول 1391هـ ماي 1971م.

9- صالح الخرفي، «من أعماق الصحراء»، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م.

10- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1402هـ-1982م.

11- عمار عيقون، قرية "زمورة" (البويرة)، جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عدد: 215، 14 جمادى الأولى 1372هـ/ 30 يناير 1953م، الجزائر.

12- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد: «عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية»، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، د.ت.

13- فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف.

14- محمد الفاضل بن عاشور، ومضات فكر، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1982م.

15- Diego de Haïdo, "Histoire des rois d'Alger, éditions du grand Alger, Alger, 2004,

ثـانيـا: وثائق وتصريحاته

1- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي "1830-1954م"، الجزء 6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م.

2- تصريحات أحمد حسيني مفتش التعليم بالبويرة بعد الاستقلال من قدماء طلبة جمعية العلماء" والدكتور خالد عيقون، جامعة تيزي وزو عن المجاهد بن قاري عبد الرحمن وحسان سيدهم.

3- تصريحات أعيان المدينة وقدماء طلبة هذه المدارس.

4- تصريحات الدكتور خالد عيقون بعد إدلاء المجاهد المرحوم له بشهاداته في شريط مسجّل في فندقه بالبويرة في شهر أوت 1989م.

5- تصريحات الرائد المتقاعد عبد الحق المدعو محمد بن الحاج زروقي أثناء لقائي الخاص به يوم 2007/08/26م بمنزله.

6- تصريحات المجاهد حموش مديني الأمين العام السابق للأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين إثر لقاء خاص معه.

7- الحبيب الجنحاني، "حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن 19م"، "ضمن أعمال الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، تيزي وزو، الجزائر": 10، 22

جمادى الثانية 1393هـ/10، 22 يوليو 1973م، منشورات وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1395هـ/1975م، الجزء الثالث.

8- سعدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر "1867-1892م"، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

9- شهادة المجاهد عبد الرحمن قاري (على أشرطة فيديو).

10- وثيقة أرشيفية موجودة بحوزة الدكتور مصطفى سعداوي أحضرها معه من فرنسا.

11- وثيقة خاصة بمدرسة الحياة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سلمت لي يوم 10 مارس 2018م من طرف المفتش خيتوس عبد الحميد.

12- وثيقة محضر مقتل الشهيد غربي قمراوي، أرشيف بلدية البويرة 1955م.

13- Simian (M), les confréries islamique en Algérie (Rahmanya, Tidjanya), A. Jourdan, Alger, 1910.

14- Trumelet (E), l’Algérie, légendaire, A. Jourdan, Alger, 1882.

البعد الجغرافي في المقاومات الشعبية من خلال انتفاضة واحة العامري بالزيبان 1876

أ.د/ يرم كمال

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

تقديم:

اذ نقدم هذا المقال فإننا نتذكر به احد أساتذتي الأفاضل الذين أناروا لنا طريق التعلم والعلم والبصيرة منذ السنة الأولى جامعي سنة 1979 بجامعة قسنطينة بمنتوري في مقياس تاريخ الثورة، شغفنا خلاله بحبي تاريخها وتفاعلاتها قبل أن يترأس مخبر البحث في الحركة الوطنية بجنان الزيتون ونحن طلبة الماجستير مرة اخرى عنده سنة 2003 ونهلنا من جلساته العلمية والحميمية ومن بمواقفه الشخصية لفائدة الطلبة، وكانت حينها بصدد تحضير قاموس أعلام الجزائر، ويغادرنا الرجل وتبقى أعماله وتلامذته تذكره دائما بحب خالص ومودة وتسال الله تعالى له رحمة ومغفرة.

المقال:

تبقى الصحراء الجزائرية على شساعتها مجالا كبيرا للبحث التاريخي، وتقدم جوانب هامة لا تزال تحتاج الى دراسات جادة لبناء التاريخ الوطني العام، وانطلاقا من المصادر الأرشيفية والذاكرة الجماعية التي تعتبر رافدا أساسيا في معالجة حقبة الاحتلال الأولى وتوسعاته في الصحراء الشرقية الجزائرية، ظل نقص الكتابات الوطنية المعاصرة للفترة خاصة ما تعلق بالتاريخ المحلي، وفي هذا الإطار تتدرج مداخلتنا التي تتمحور حول جانب من المقاومات المحلية ضد الاحتلال الفرنسي في مرحلة تعد حرجة بالنسبة لتاريخ الجزائر بعد الصدمة التي

لحقت الجزائريين بعد ثورة المقراني 1871.وتعد انتفاضة واحة العامري الواقعة جنوب الزيبان احدي مظاهر استمرارية الرفض الجزائري للدخيل الاستعماري في وقت كان يظن أن الجزائريين قد ركنوا الى الطاعة. وشكلت مقاومة الزعاطشة إلهاما كبيرا في ضمائر القبائل الجزائرية المجاورة، والتي التحمت مجتمعة أحيانا ومتفرقة أخرى في مناصرة الشيخ بوزيان انطلاقا من خصوصية الجغرافيا البشرية بإقليم الزاب التاريخي الذي نلمسه في المقاومات التالية:

المقاومة بالزيبان: المجال الجغرافي والبشري وأثره في استمرارية المقاومات الى 1876.

ساهم المجال الجغرافي والبشري للزيبان في بروز ظاهرة استمرارية المقاومات الشعبية في صفوف القبائل والاعراش المجاورة التي زادها الاحتلال اتحادا وتضامنا ولحمة، وبقدر ما مثل الإقليم فضاء للحركة التجارية والرعوية لهذه القبائل فقد ساهمت بيئته في تكوين عنصر الشعور بالخطر الذي يفرض التآزر والالتفاف وراء الزعامات المحلية خاصة الجهادية منها، وهذا ما نلمسه في نماذج المقاومات التي تلت مقاومة الزعاطشة منذ 1849.

انتفاضة الحضنة الشرقية ومعركة المطاريح 1849:

تتجلى أهمية هذه المعركة وأحداثها المختلفة في عمقها الإقليمي (الزاب الكبير) نظرا لأنها اندلعت امتدادا لمقاومة أهل الزعاطشة بالواحات بعد انتشار أخبار عن جرائم فرنسا في واحات بسكرة، ومن جهة ثانية كانت عوامل الثورة المرتبطة بالوجود الأجنبي وتداعيات إجراءاته العقابية على الأهالي كافية لاندلاعها. بدأت بوادر تنظيم الثورة منذ تمرد أولاد سحنون بالحضنة الشرقية 1849 ومهاجمة الضابط بان Pein لطرق الحضنة الغربية وقوافلها خصوصا العشابة منهم.

وقعت معركة المطاريح بقرية العليق في ربيع 1849 وانتشرت في محيط بوسعادة حيث وصلت الى عين الريش، لمليلحة أولاد سعد السويقات أولاد بلقاسم عين الملح عين أغراب أولاد جابر أولاد مردف وباقي المنطقة.

من جهة أخرى ثارت قبائل أولاد جابر، أولاد مردف وتحصنت بمنطقة إستراتيجية كثيرة الأحراش تدعى المطاريح حيث الجبال العالية مثل جبل فرنينة، جبل الزرقاء جبل بولمعة على بعد 7 كم جنوب شرق قرية العليق. دارت المعركة على جبهة يزيد طولها عن 2كلم قاوم خلالها الثوار ببسالة والحقوا هزائم بالجيش الفرنسي حيث قتل خلال هذه المعركة الضابط الفرنسي قابريون Gabrion في المكان الذي يحمل اسم ضاية القبطان.

مقاومة الشريف محمد بن شبيرة ببوسعادة1849:

ينتمي الشريف بن شبيرة الى عائلة نافذة بالمدينة ذات جاه وعلم وكان من كبار مشايخها واحد معلميها بجامع ميدى سليمان المعروف بجامع سيدي ثامري، كما عمل الشيخ منذ بداية الوجود الفرنسي بالمنطقة على تهيئة ظروف الثورة من خلال اتصاله بزعيم الزعاطشة بوزيان وتم الاستعداد لذلك بتوفير الأسلحة وصناعة البارود للوقوف الى من سمى بالرجل ذي اليد الخضراء (أي بوزيان) ويمكن اعتبار هذه الثورة امتداد وتلبية لنداء ثورة الزعاطشة ورد على أحداث المطاريح ومن جهة أخرى كرد على تصرفات فرنسا ضد أوقاف وحبوس ومؤسسات الإخوان بالمنطقة خصوصا بشرفة الهامل التي عقدت اجتماع كبير في أوت 1849 لمد الثورة بالطلبة والمتطوعين حيث انضمت قبائل أولاد جابر ،أولاد النايلي من أولاد خالد، كذلك المراكسة والشرفة، الحوامد ،سكان الديس وتأخرت عن الثورة بعض القبائل.

1-ثورة أولاد عامر 1849:

التي قادها الشيخ محمد بن المقري بن احمد عطية ومساعده سعد بن عطية والتي انهزم فيها الفرنسيون بقيادة الضابط بوبريطر حيث قتل منهم 70 جندي من قوة عسكرية قوامها 1800جندي وذلك بموقع وادي العرم وكان ذلك يوم عيد الأضحى ويعرف هذا الموقع بجبانة بوبريط.

2-ثورات السوامع والمعاضيد وأولاد عدي:

ضد قوات النقيب Pein ماي 1851.

3-ثورة أولاد سعد بواحة بوسعادة:

وكانت ثورة سخط على الوجود الاستعماري الدخيل وثورة رفض للإجراءات الزجرية والضريبة على السكان وقعت في جبل بوكحيل ضد قوات النقيب Pien في جويلية 1851..

4-ثورة 1864. بالحضنة:

تزعم الثورة احد أبناء عرش السوامع إبراهيم بن عبد الله ويمكن ربط هذه الثورة في بعدها الجهادي الوطني بثورة أولاد سيدي الشيخ وتلبية لنداء زعيمها بالغرب الجزائري سليمان بن حمزة، ودور كاتبة سي الفضيل بن علي الذي يعتبره سكان الحضنة الغربية وبوسعادة خصوصا واحدا منهم بالإقامة [حيث كان يقيم ويدرس في كتاتيب أولاد سيدي إبراهيم بقرية الديس] وبالمصاهرة حيث كانت تقيم عائلته بالمنطقة وتنتقل الى الغرب أحيانا-شاركت: هذه الثورة الكبيرة كل اعراش محيط بوسعادة العسكري وأجزاء من الحضنة التابعة لمحيط برج بوعريريج كالمسيلة والمطارفة أولاد دراج وأولاد منصور أولاد ماضي) وقبائل محيط اومال كالسلامات وأولاد عبد الله والهجارين وأولاد بن داود. استعملت فيها فرنسا قوات مختلفة من قسنطينة سطيف بريكة واومال وقوم المقراني وعوامر سطيف بقيادات

عديدة مثل، سيروكا sirroka[سطيف] بيريجو والنقيب Pein قانديل بريون (بوسعادة) لاكريا–وقدرت الجيوش الفرنسية بـ12000 مسلح أمام 1900 من الثوار.

انتفاضة واحة العامري

أسباب اندلاع ثورة واحة العامري:

1–يعتبر السبب الديني

من بين أهم الأسباب لاندلاع الثورة [1]،حيث أن سكان الصحراء كانوا ينظرون للفرنسيين على أنهم كفار ومن الواجب محاربتهم حيث أنهم لم يكونوا يفوتون فرصة تسمح لهم بمهاجمه القوات العسكرية الفرنسية، هذا نتيجة ما عانوه من سياسة المطاردة التشرد المفروضة عليهم خاصة أثناء حركة بوشوشة[2].

2–دور الزعامات المحلية:

سعي أحمد بن عياش [3] –الداعية الديني للثورة – في مارس 1876 إلى تحريض الأهالي للجهاد ضد الغزاة الفرنسيين و طردهم، حيث ذكرت صحيفة المبشر (Mobacher) عن تزعم ابن عياش لحركة التمرد والعصيان بقولها :" أنه كثيرا ما يتضح بعد التحقيق أن إدعاءات ابن عياش كاذبة وهى بتالي من إيحاء

1– حيث لا ندعي بالقول أن العامل الديني كان هو السبب المباشر للمقاومة غير أنه كان بالمقابل عاملا أساسيا ومحركا قويا.

2––يحيى بوعزيز :ثورات الجزائر في القرنين19 –20 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ص 226

3– الشيخ بن عياش مرابط عرش البوازيد وهو داعية الشيخ يحيى أمحمد كما دأبت الإدارة الفرنسية على نعته بالدرويش وهي صفة اعتاد المستعمر على إطلاقها على المقاومين، بل كان يصفهم على أنهم عديمو الفهم وادعت على أنه تأتيه لحظات للهلوسة. انظر:

Hubert Cataldo,biskra et leszibans,collection français d’Afrique France 1988p42

أمحمد يحيى ... وابن عياش تمكن من أن يؤلب الناس على الإدارة الأهلية المتمثلة في الأعوان "[1]. كما بعث الحاكم العام شانزي (Chanzy)[2] إلى الجنرال كارتيري (Carteret) برسالة في 01 جانفي 1876 أبلغه فيها " : إن الثورة التي حدثت بعدما عملت فرنسا على إحلال السلام في المنطقة ،ليس مردها إلى المرابط ابن عياش فحسب...ولكن هي نتيجة الصراعات والدسائس المتواجدة بين الأطراف المسيطرة في المنطقة "[3].

كما اقترح قائد الدائرة على بن قانة بأن لا يعطي لهذا الدرويش أهمية مبالغ فيها، لأن عملية عزله ستكون بشكل تدريجي، وذلك بالسماح إلى عشابة البوازيد بالتوجه نحو الشمال ، وإذا قام هذا الدرويش وهو مبتغانا بالسفر معهم فسوف تنخفض وتضيع هيبته يوما بعد يوم ، وسيصبح من السهل إلقاء القبض عيه عند مروره بباتنة إلى قسنطينة ،أما إذا قبل التعاون معنا فسنعيده كما كان من قبل مجرد معتوه[4].

3- تاثير مقاومة بوشوشة:

والمقراني 1871-1872: بعد تمكن القوات الفرنسية من القضاء على حركة بوشوشة، حيث ظل هذا الأخير مسيطرا على الجنوب منذ 1872 إلى

1- مصطفى حداد:« نتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري»، المجلة التاريخية المغاربية تونس 1994 ،ص 22 .

2Eugéne Alfred Nouart لد في مارس1823 ب Antoine ، كما شغل منصب ضابط، في 28 جويلية 1848 تقلد رتبة ملازم ،ثم كولونيل في 6 ماي1864 ، عين حاكم قسمة بلعباس في 20 أكتوبر 1870وفي11 أفريل 1873 عين كحاكم عام للجزائر ،توفي .1882 أنظر: Jeanne et André Brochier : livre d’or de l’Algérie baconnier frères Alger 1937 , p. 94

Charles Robert Ageron Histoire de l’Algérie contemporaine paris , p573

Hubert Cataldo , op.cit p42 . 4

غاية إلقاء القبض عليه ،و إعدامه يوم 31مار1874[1] ، في جويلية 1874 قام الحاكم العام بإعادة تنظيم إدارة المناطق الصحراوي ، وذلك بإسناد القيادة إلى ابن إدريس، في محاولة منه لخلق التوازن بين الطرفين المتصارعين (بن قانة وعلي با) ، هي نفس السياسة التي اتبعتها في المقاومات السابقة مثل : ثورة المقراني و الحداد1871 [2].

كما أمر بمنح شيء من حرية التصرف لزعماء الأهالي،وهذا لتجنب التدخل المباشر في شؤون المنطقة، و اقتصر تدخل الضباط في حالة عجز رؤساء الأهالي عن حل الصراع، إلا أن هذه السياسة لم تنجح لأن المكلفين بتطبيقها (من ضباط المكاتب العربية)كانوا يعملون على تجسيد سياسة الدس والإيقاع بين العائلات خاصة بن قانة وأولاد بوعكاز هذه الخصومات انعكست سلبا على أولاد بوزيد، فأعلنوا الثورة ضد فرنسا بعد أن قاموا ضد الأمير عبد القادر وحلفائه [3].

1- أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية1860 1900، ج 1 القسم2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 302

2- حيث تمت مصادرة أوقاف الزاوية الرحمانية عقب ثورة1871 ، كما فعلت مع أملاك الزاوية القادرية إثر رحيل الأمير عبد القادر في الزيبان، أنظر محمد البشير المغيلي« التكوين الاقتصادي لنظام الوقف »، المصاد، المركز، الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ع6 2002، ص167 .

Charles Robert Ageron **, les algériens musulmans et la France 1871-1919**, pp 56,57. 3

وقد ذكر كتاب نشره أحد أفراد عائلة بن قانة في الصحافة الفرنسية [1] حول اتهام علي باي زعيم بوعكاز في التسبب في إثارة بعض المشاكل، التي أدت إلى نشوب هذه الثورة والسبب في توجيه هذا الاتهام هو الإساءة إلى سمعة بوعكاز وإظهار عجزهم في الحكم، وقد سمحت هذه الإدعاءات والشكوك التي حاولت الصحافة الأوربية (Liberté) حبكها في محاولة لإظهار الدوافع الحقيقية لثورة البوازيد،إلا أن هذه المحاولات وحسب رأي أجرون لم تخرج عن نطاق الوصف الخيالي واللامعقول، لينتهي مصير هذه المحاولات في المحاكم ،كما حدث لجريدة [2](Zéramma).

ورغم كل ذلك فإن هناك بعض الجرائد التي استطاعت أن تعطي نظرة حقيقية لما يحدث، وذلك ما ذهبت إليه جريدة (Des Débats)التي نشرت مقال لـ Ismaël urbain الذي ذكر فيه " أن فكرة التعصب هي فكرة مستبعدة ،حيث اعتبره مبررا، لكنه لا يمكن له أن يرتقي إلى درجة السببية ،كما اعتبر أن التخطيط لثورة من طرف شخص واحد هو أمر مثير للشبهة ،وأعتبر أن التنافس القائم بين العائلات من أهم أسباب التوتر[3]" .

---

1 – نشر الإخوة بن قانة مقال بعنوان "دفاع آل بن قانة عن أنفسهم بأنفسهم " اتهموا فيه بصراحة علي باي بثورة وذلك بعد دفعه مبالغ ضخمة للبازيد قصد تحريضهم على الثورة، انظر: Charles Robert Ageron: les algériens op.cit ,pp 57 , 58

2 – الصادرة من سكيكدة حيث فرضت عليها غرامة مالية ب 50 فرنك، نتيجة تضخيمها للموضوع وحديثها عن التموي العسكري.

Ageron ch R : la politique indigène de Bugeaud, paris, 1955, p2513

4-اثر وقع الاحتلال الاجتماعي والاقتصادي:

ارجع شانزي أسباب ثورة العامري في تصريح له في جوان1876 إلى عمق الواقع اليومي لسكان الواحة، كما أكد على أنها حركة معزولة، نتيجة الحيرة الصامتة التي تعيشها العديد من القبائل، والمجسدة في سذاجة الالتفاف حول المعلومات الكاذبة والإشاعات الرائجة، ونابعة من موقف بعض الطرق الدينية. كما حذر وزير الداخلية الفرنسي الجنرال بريزول (Bressoles) من نشوب المزيد من الاضطرابات وذلك بسبب سوء تقدير القوة التي تتوفر عليها هذه الأعراش،وإلى الصرامة المتزايدة والقمع المسلط على السكان، و ذلك بقوله :"أنه لا ينبغي أن نعجب من محاولة تعلق القبائل بأماني انتصار ثوار الجنوب ،فهذه الأماني نتيجة اضطرارها لتحمل أعباء الاستحواذ على أملاكها العقارية، فهي تخشى وصول اليوم الذي ترغم فيه على مغادرة أراضيها ... وباختصار فإن موقف العسكر، هو الدسائس والصراعات التي تحرك الصفوف إليها لم تكن لتجد مكانا لها في أعماق القلوب لو لم تكن الثورة قد سكنتها من قبل[1] "

5- تاثير العلاقة السيئة بين السكان وأعوان الإدارة :

عملت الإدارة الفرنسية على رفع الضرائب و أوكلت مهمة تحصيلها إلى القايد بولخراص، الذي كان متسلطا على السكان، إضافة إلى معاملته السيئة لهم، وقد عبرت جريدة (La Vie Algérienne) عن ثقل هذه الضرائب الصادرة في 23 مارس 1882 بمقال بعنوان صرخة إنذار(Cri Alarme) " لن نكون مبالغين إذا قلنا أنه لو طبق هذا الأسلوب الاستنزافي، على بلد أوروبي، ولو كان من أغنى البلدان ،فإن مرور سنوات قليلة يكفي لإحلال البؤس التام به[2] "

1-Charles Robert Ageron : les algeriens op.cit ,p59.
2-Charles Robert Ageron : lbid,p258.

6-تاثير شخصية الشيخ أمحمد يحيبن محمد:

منذ 1875 في تاليب السكان على فرنسا، وذلك بعد مقتل أخيه الأكبر مسعود الذي كان قاضيا في مدينة بسكرة-في ظروف غامضة في منزل الوكيل بالقاسم بن خمار -و قد شاع بين الناس أن القائد محمد الصغير بن قانة هو من أمر بدس السم له، كما تؤكد المراجع على أنه قتل مسموما فتألم أمحمد يحيى كثيرا لمقتل أخيه و قرر أن يأخذ بثأره من هؤلاء الخونة، ومما يرجح مقتل القاضي مسعود مسموما هو قيام السلطات الفرنسية بعزل الضابط كروزي (Crouzet) و تعيين مكانه جليز (Gellez) ، الذي أصدر قرارا في 29 نوفمبر 1875 باعتقال أمحمد يحيى استجابة لرغبة بولخراص و سمح للقرار أن يطبق[1].

كما انه تحالف مع علي باي وبدأ بالتحضير للثورة بشكل سري، وقد أكد الجنرال كارتيري، أن دافع الانتقام هو من بين أهم أسباب الثورة، ولكن الحاكم العام شانزي لم يقتنع بهذا التحليل، وبرره إلى ميل الجنرالين إلى القبول برواية بن قانة والتي كان الهدف منها الإطاحة بعلي باي، وهذا الاتهام يدخل ضمن حلقات الصراع بين العائلتين لا أكثر ولا أقل، وما دعم شكوك الحاكم العام هو بقاء قوات علي باي في مكانها المحدد لها طوال فترة الثورة وهذا أكبر دليل على بطلان هذا التحالف[2].

7- احتجاج سكان بسكرة:

من خلال رسالتهم التي وجهت إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر في شهر جوان 1875 ،حيث اشتكوا له ظلم و غطرسة بولخراص بن قانة، إضافة إلى

1- عبد الحليم صيد :أبحاث ودراسات في تاريخ الزيبان، ص62 .

1-Charles Robert Ageron : **op. cit** , p 258 .

تجبر الضابط الفرنسي كروزيCrouzet) فاتهم بولخراص بن قانة كاتبه أمحمد يحيى صاحب فكرة تحرير الرسالة للأهالي، وتم إلقاء القبض عليه و ترحيله إلى مركز القيادة ببسكرة ،أين حقق معه الضابط لوفرو ولكن نتيجة التحقيق أسفرت عن براءته، وعلى الرغم من براءته إلا أن بولخراص ظل ناقما عليه و طلب منه الاستقالة، لكن الشيخ أمحمد يحيى أصر على مواصلة ممارسة مهامه و عندما دعا بولخراص أمحمد يحيى إلى بسكرة رفض الامتثال لأوامره خوفا من أن يلقى مصير أخيه[1].

مجريات الثورة:

الذي حدث أن بعد عودة أمحمد يحيى إلى أولاد بوزيد شرع في دعوة البوازيد إلى الوئام لأنه كانت هناك انقسامات في صفوفهم، وقد تمكن أمحمد يحيى من التوفيق بين مختلف الأطراف ،و أصبح بحكم الأمر الواقع شيخ للقبيلة ، كما وجد أمحمد يحى في أحمد بن عياش قوة دعائية لثورته[2]، فاستطاع هذا الأخير أن يوحد صفوف الأهالي و يجندهم و يبدد خلافاتهم الهامشية ،هذه الخلافات التي زرعها الاستعمار من أجل بث التفرقة قصد إضعافهم ،وبعد تمكن محمد يحي من توحيد عرش البوازيد ،بدأ يحثهم على إعلان الثورة[3] .

وعندما علمت السلطات الاستعمارية بأمر التحضير للثورة ،طلبت من بولخراص أن يرسل تقريرا يتضمن تفاصيل ما يحدث في واحة العامري ،من

1- محمد العيد مطمر:« مقاومة واحة العامري1876»خلدونية ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر،عدد 03 ،ديسمبر 2004 ص90.

2- مصطفى حداد: «انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري و المناطق المجاورة سنة » 1976الملتقى الوطني ،للمقاومة الشعبية بالزيبان، مديرية المجاهدين لولاية بسكرة ، الجزائر، ديسمبر 1998 ، ص8 .

Hubert Cataldo : op.cit ,p 423

أجل الإسراع في القضاء على الثورة قبل أن يشتعل لهيبها و يصعب إخمادها، فعمل بن قانة في بادئ الأمر على سياسة التفرقة و ذلك بزرع الدسائس والفتن في أوساط الأهالي و الإساءة إلى كل من أمحمد يحيى و بن عياش ،وإظهار نوايا فرنسا في القضاء عليهم و تدميرهم و السير بهم إلى مصير مظلم، كما أرسل تقريره إلى الحاكم العام جيليز ، يقول له فيه ": أن البوازيد مخلصون للسلطة الفرنسية و أن اجتماعاتهم كانت من أجل طلب الغيث(صلاة الاستسقاء) و ليس الغرض منها الثورة[1] ".

إلا أن الضابط جيليز gellezلم يقتنع بتقرير بولخراص، وذلك بسبب ما أخبره به أحمد باي قائد أولاد زكري، عن تذمر أولاد بوزيد و عزمهم على إعلان الثورة و قد أخبر جيليز كل من الجنرال كارتيري و لوفرو عن مخاوفه قبل انطلاق الحملة على تقرت. وعلى الرغم من استجابة أولاد بوزيد لطلب الجنرال كارتيري في المساعدة لاقتحام مدينة تقرت، حيث وصلت قوات البوازيد إلى بسكرة في وقتها المحدد للمشاركة في الحملة (على الرغم من نيتهم للقيام بالتمرد)[2] .

و في صباح 08 مارس 1876 توجهت القوات الفرنسية بقيادة كارتيري رفقة البوازيد إلى تقرت و ما إن وصلوا إلى منطقة" مراير "[3] حتى انفصلوا عنه و كان ذلك في 11 مارس 1876 و حاولوا استغلال فرصة انفرادهم بالجنرال

1- ibid.

2-ibid.

3- تقع هذه الواحة قرب المغير.

و الهجوم عليه وعلى قواته في واد ريغ لكنه تفطن لنية البوازيد فاضطر للعودة أدراجه [1].

وبعد هذه الحادثة أعلن الحاكم العسكري لتقرت أن عرش البوازيد في حالة عصيان ، ولابد على فرنسا أن تسرع في اتخاذ التدابير اللازمة لإخماد هذه الثورة ،قبل أن يمتد لهيبها إلى المناطق المجاورة لواحة العامري ،وتصعب السيطرة عليها[2].

وفي 26 مارس 1876 ،وردت إلى مقر الحكومة العامة أخبار عن بداية انتفاضة قبيلة لبازيد البدوية ،وذلك بزعامة مرابط مجهول لدينا ،وقد عجز قائد المنطقة بن قانة في إحكام السيطرة على الوضع ، فالمنطقة إلى غاية هذه الفترة بقيت بعيدة عن التخطيط لأي ثورة وذلك بسبب القمع الشديد الذي تعرضت له ثورة 1871 ،إلا أن العداء القائم بين آل بن قانة وعائلة بو عكاز (علي باي)،هو الذي دفع بعودة الاضطرابات من جديد[3] .

وبعد هذه الحادثة تأكدت البداية الحقيقية للثورة ،خاصة بعد أن أكدها القائد بولخراص للضابط لوفرو و كان ذلك في 19 مارس، كما حمله لوفرو كامل المسؤولية، واتهمه بالعجز عن رصد كل ما يحدث من حوله، كما أبلغ الجنرال كارتيري بالمستجدات التي حدثت في المنطقة و بالاستعدادات التي قام بها كل من الزعيمين أمحمد يحيى وأحمد بن عياش، و اتصالهما بشيوخ القبائل

1- يحيى بوعزيز :ثورات الجزائر في القرنين 19 و20 ، ص203

2 -مصطفى حداد:« انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري» ،مرجع سابق ص222

3-Charles Robert Ageron , op.cit ,pp .56.57.

المجاورة لهم، و قد نجح في كسب دعم قبيلة المسالمية وسيدي سليمان [1] ، الشيخ بن داح شيخ قبائل الجبابرة، والشيخ مبروك بن بريكة شيخ أولاد داود و الشيخ محمد بلحاج بن سالم و الشيخ علي بن ريش شيخ زاوية متليلي ، بهدف تحطيم نفوذ و سيطرة فرنسا وأعوانها من عائلة بن قانة[2] .

وبهذا قرر لوفرو اللجوء إلى الحيلة والخداع مرة ثانية، فحاول استمالة الشيخ أمحمد يحيى واستدراجه إلى بسكرة، قصد القضاء عليه والتخلص منه وعلى انتفاضته متجاهلا وككل مرة أن الثورة لا يقودها الأشخاص بل تقودها الأهداف والمبادئ. فراسله يطلب منه القدوم إلى بسكرة، قصد التحاور معه، لإيجاد حل للمشاكل العالقة بشكل سلمي، لكن أمحمد يحيى تنبه للمكيدة المدبرة ضده فرد عليه بالرفض، بحجة أن البوازيد يرفضون ذهابه خوفا على حياته.[3]

كما أن بولخراص رفض التنقل إلى واحة العامري خوفا على حياته، لذلك قرر لوفرو التنقل بنفسه إلى الواحة في 28 مارس 1876 ، قصد التفاوض مع أعيان عرش البوازيد، أثناء مروره بطولقة على رأس فرقة صغيرة ،استقبله الأهالي ببرودة و تذمر شديدين، فطلب من الشيخ عثمان بن علي، شيخ زاوية طولقة، مرافقته إلى واحة العامري قصد التوسط بينه و بين أمحمد يحيى.

1- وكان دعم هذا الأخير بشكل معنوي، ويتبين ذلك في الرسائل التي عثر عليها بعد نهاية الثورة بحوزة أمحمد يحيى، تحمل ختم الشيخ أولاد سليمان يحثه فيها على الصمود والمقاومة. مصطفى حداد:« انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري .» .مرجع سابق، ص 225

2- يحيى بوعزيز :ثورات الجزائر في القرنين19 -20 ، مرجع سابق ص231

وبمجرد اقتراب لوفرو من الواحة ، أحاط به مسلحون من البوازيد يتزعمهم أمحمد يحيى ، فطلب لوفرو من قائد عرش البوازيد التريث ومعالجة الأمور بطرق سلمية ،لكن محمد بن يحيى طلب منه التراجع، وإعطاء له فرصة ليتشاور مع أعيان الواحة قائلا": اذهب إلى السهل مع فرسانك وسأجيبكم" ، وقد كان التهديد مستترا في كلام أمحمد يحيى ، وهذا الذي لم يستحسنه لوفرو لأنه بها أصبح يرى الأدوار تعكس[1] .

كما أنه تفطن لخطة أولاد بوزيد بمحاولة اغتياله،حيث قاموا بمحاصرته،وقطع سبل العودة أمامه . فلجأ إلى زاوية طولقة واحتمى بها ،و قام بإرسال الرسل إلى القائد الحاج بن قانة الذي كان في أورلال [2] طالبا النجدة ،و بقي محتميا في الزاوية إلى أن وصلت قوات الإغاثة ،و عاد من مهمته تحت حراسة عسكرية مشددة ليلا.وعند عودته إلى بسكرة قدم تقريرا عن مهمته إلى الحاكم العام جيليز ،حيث طلب فيه من الحكومة عزل البوازيد عمن حولهم لتجنب إنتشار لهيب الثورة[3] .

وفي 30 مارس 1876 أرسل شيخ الزاوية رسالة إلى أمحمد يحيى ، يطلب فيها حضوره، لكن الرسول عاد ليخبرهم أن الوقت قد فات وأن الثورة قد اندلعت و اشتعل لهيبها ، و أنه لم يعد هناك أي مجال للتفاوض أو الحوار كما أنبأهم بأن بن عياش و رجاله قد أغاروا على المنازل و الخيام للمناطق القريبة من طولقة، و هم الآن متمركزون في السهل الممتد بين طولقة و فرفار .و في هذه الأثناء بدأ الجنرال كارتيري بتجهيز قواته للسير إلى واحة العامري،

1-Hubert Cataldo : op.cit ,p42.

2- التي تبعد عن بسكرة ب 34 كلم

3- مصطفى حداد« : انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري »،مرجع سابق ص 225.

ومن جهة أخرى قام الزعيم أمحمد يحيى بجمع السلاح وتعبئة كل الطاقات، كما أن داعيته بن عياش قام بحمل علم أخضر (رمز الجهاد) و بدأ يحث الناس على حمل السلاح و الصمود لتخليص البلاد من الأعداء ،فاستجاب البوزيد والمناطق المجاورة للنداء .[1]

وفي 3 أفريل 1876 منح لوفرو للبوازيد مدة5 أيام للعدول عن أمر الثورة، كما كلف بن قانة بتبليغهم الرسالة التالية"سوف أحاول إخبار السكان أنهم آيلون لا محالة إلى طريق مسدود وإنهم إذا استسلموا بدون قتال سينجون من 14 قطعة مدفع مصوبة نحوهم وبنادق 2000 جندي ستدك بيوتهم."

وصلت إلى بسكرة يوم 2 أفريل أربع سرايا مشاة بمجموع 440 رجلا لتتوجه هذا الصباح من بسكرة، ليصبح مجموعها 6 سرايا وكانت تحت قيادة كارتيري القادم من قسنطينة. أما قوات السيد (Dubuch) ، والمكونة من كتيبة للمشاة المقاتلين فوج لمدفعية الميدان و3 فرق للفرسان، وفوج للمقاتلين الجزائريين ، 44 من البغال التي تحمل الغذاء ،و 122 من الحيوانات التي تحمل الإمدادات والأمتعة، وفي 6 أفريل 1876 وصلت هذه القوات إلى مشارف واحة طولقة[2] .

وبعد انقضاء المدة التي منحت للبوازيد للعدول عن موقفهم ، تحركت هذه القوات و عسكرت في مليلي وفي 9 أفريل وصلت إلى بوشقرون وفي يوم 10من نفس الشهر عسكرت بالقرب من الولي سيدي رحال ،بالقرب من فوغالة وفي صباح يوم 11 أفريل 1876 اتجهت هذه القوات نحو واحة العامري الذي خرج فرسانها لرد الهجوم وعلى الساعة السابعة اندلعت المواجهة الحاسمة بين

1- أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية1860 – 1900 ، مرجع سابق، ص300 .

2-Hubert Cataldo : op.cit ,p 42.

الطرفين، بلغت قوات العدو 2200 جندي و حوالي 800 من المشاة و 200 خياله [1]و فرقة من مدفعية الجبال و عناصر من القومية بقياد بن قانة وكانت مكونة من عرب الشراقة وقد كانوا مترددين كثيرا في مهاجمة إخوانهم من البوازيد بالرغم من تشجيع رؤسائهم ولكن في الأخير قرروا الانضمام إلى صفوف البوازيد[2].

وزحفت هذه العساكر صوب واحة العامري، وتمركزت بالقرب من القرية على مرتفعات تمكنهم من مراقبتها، وهي كدية ميمون شرقا وطبانة شمالا وذراع بلمسيس غربا ودام الحصار طويلا، حيث قرر الثوار نقل المعركة بعيدا عن القرية حفاظا على الأهالي والمساكن والبساتين، وقد قدرت قوات الثوار بحوالي 1000 فارس و 2000من المشاة [3]. ونشبت معركة طاحنة بين الطرفين، فيما ذكرت بعض المصادر أن الهجوم الفرنسي استمر من الساعة 8إلى الساعة 10 والنصف، وأكدت على أن القائد أمحمد يحيى قد استشهد في أولها[4]،كما استشهد 50 آخرين من المجاهدين[5] ،و جرح الداعية بن عياش،كما تم جرح و قتل عدد كبير من القوات الفرنسية. وأمام هذه التطورات عقد مجلس حربي في الواحة، حيث أصر الزعماء على مواصلة المقاومة، على الرغم من الخسائر التي مني بها الثوار حيث قال بن عياش "أنا مستعد لأن أموت ألف مرة على أن أسلم علم الثورة للفرنسيين"[6] .

1-Charles Robert Ageron : op.cit ,p56.
2-Hubert Cataldo : op.cit ,p42.
3- مصطفى حداد:« انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري» ،مرجع سابق ص9.
Charles Robert Ageron : op.cit ,p564

كما أن العدو فرض عليهم حصارا فاعتصم الثوار داخل الواحة مدافعين عنها رافضين الاستسلام ويعود سبب الفشل إلى:

1. عدم احترام الثوار للخطة الموضوعة.
2. القصف العشوائي لفرنسا الذي أربك صفوف الثوار
3. مساعدة الخونة والقياد لفرنسا وتزويدها بمعلومات هامة عن الواحة،وعن أساليب القتال عند البوازيد.
4. نجاح الحصار نظرا للموقع المفتوح للواحة، مما أجبر الثوار على الاحتماء بقصر العامري، وتمكن فرنسا من السيطرة على مجريات المعركة .

أما أيام 12 و 13 أفريل فقد تضمنت نشاطا للدوريات التي قادها العدو ليتمكن من رصد الخسائر التي ألحقت بالثوار بعد الهجوم الأول عليهم.

وفي 14 أفريل 1876 استغل الثوار فرصة هبوب عواصف رملية شديدة وقاموا بالهجوم مرة أخرى وذلك من الساعة السابعة عشر والنصف إلى الساعة الثانية والعشرون [1]، واقتحموا مخيما للفرنسيين بكل عزيمة وإيمان، وتمكنوا من خلال هذا الهجوم من جرح 3 ضباط فرنسيين، إضافة إلى جرح بن قانة قائد قوم بسكرة، و قتل27 جندي فرنسي و 4 من الخونة و جرح ثلاثة آخرين، وقد عرف هذا الهجوم بليلة" الزدمة "[2]أو" الخدعة في جنان الرومي "

وفي 20 أفريل اشتبك الثوار مع القوات الفرنسية، والتي فضلت التمركز في المعسكر في انتظار وصول المساعدات، حيث استغل الثوار حالة الارتباك التي تخللت صفوف العدو، وقاموا بالهجوم عليهم وذلك في فترة تناولهم لوجبة العشاء، وقد سهل سي المكي بن عيسى عملية الهجوم، الذي كان يفرق بين

1-Hubert Cataldo : op.cit ,p42

2- توفيق قاسم :انتفاضة العامري.

نغمات الأبواق [1] وهذا بسسب خبرته حيث أنه كان مجندا في الجيش الفرنسي قبل عودته للواحة ،فما إن عزفت نغمة تناول الطعام حتى أمر الثوار بالهجوم،وقد تمكن الثوار من قتل أربع جنود،وجرح ثلاثة آخرون .[2]

وبدأ بن عياش الزعيم الروحي للثورة في كتابة الرسائل إلى زعماء القبائل المجاورة طالبا منهم العون والمساعدة .ووصلت النجدات من أنحاء الزيبان، حيث بلغت 500 متطوع، وهذا ما بعث الخوف في نفس الجنرال كارتري من حدوث ثورة عارمة فأرسل في طلب تعزيزات من بوسعادة وقسنطينة، فأحكم الحصارعلى الواحة في انتظار وصول النجدات، وقد دام هذا الحصار حوالي شهر كثفت فيه فرنسا من القصف العشوائي على الواحة.

وفي 22 أفريل 1876 وصلت الإمدادات العسكرية للجيش الفرنسي الآتية من عدة مناطق، بما فيها القبائل الموالية للقوا ت الاستعمارية، فوصلت قوات قسنطينة بقيادة العقيد ناروي (Narrue).الذي تمركز شرق الواحة،إضافة إلى القوات القومية القادمة من بريكة[3].

وفي 24 أفريل وصلت قوات من بوسعادة بقيادة روكبرن (Roquebrune) و عسكرت كل قوة في المكان المخصص لها حسب الخطة الموضوعة، و قد أحاطت هذه القوات بالواحة من الشمال و الغرب بينما من الجنوب حاصرتها قوات القومية، التي تضمنت 320 من الخيول . [4]

1- يعتمد الجيش الفرنسي على ثلاث نغمات للابواق وهي (نغمة التدريب، نغمة تناول الطعام، نغمة إقتراب الخطر)، فما إن عزفت نغمة وجبة العشاء حتى أمر الثوار بالهجوم: شهادة بوزيدي إسماعيل:(حفيد بوزيدي عبد الله، أحد مجاهدي ثورة العامري).

2-Hubert Cataldo : op.cit ,p43.

3-Hubert Cataldo : op.cit ,p42.

4 –عمار بو حوش: مرجع سابق، ص149

وفي 27 أفريل شرعت القوات الفرنسية بقصف الواحة من جهاتها الثلاثة باستعمال 14 مدفعا، وقد استمر القصف العشوائي لمدافع العدو إلى غاية 29 أفريل،فتضرر الثوار المحتمين في القصر كثيرا من هذا القصف، ولم يسلم منه شيء، العباد والدور وحتى أشجار النخيل،وبعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل أجبر المقاومون على الاستسلام، وأصبح مطلبهم الوحيد هو النجاة بأرواحهم .[1]

نتائج وانعكاسات انتفاضة العامري:

بعد الهزيمة بدأت فرنسا بتسليط أبشع وأقسى العقوبات على الواحة وسكانها فقاموا بتخريبها بشكل كامل كما اقترفوا أبشع الجرائم من هدم المنازل وحرق الأشجارو قطع النخيل، على غرار ما فعله هربيون بواحة الزعاطشة، ولكن هذه المرة بشعار جديد "الويل للمهزومين " .ومن الإجراءات التي اتخذها الاستعمار مايلي:

1-فرض غرامة مالية مضاعفة ب 8 مرات للضريبة السنوية المعتاد دفعها وذلك بموجب القانون الصادر في الجريدة الرسمية في 12 اوت 1876 والتي فاقت 150.000 فرنك .كما أرغمتهم على تسليم 1122 بندقية، لكنهم لم يتمكنوا من تسليم سوى 452 بندقية . و أمام عجزهم عن تسليم الكمية المحددة ألزمتهم بدفع غرامة مالية قدرها 45200 فرنك. كما شملت الغرامات بعض القبائل المساندة و المتعاطفة مع الواحة و قد قدرت ب 44200 فرنك [2] ، كما فرضت عليهم ضريبة حرب قدرت ب100000 فرنك ،تدفع في مدة لا تتجاوز 4سنوات[3].

1-Charles Robert Ageron : op.cit ,p57.

2- عبد الحليم صيد :أبحاث وآراء في تاريخ الزيبان، ص 62-63

3-Charles Robert Ageron : lbid,p2583

أما قوات القبائل المجاورة التي ساعدت الثورة فقد تقرر أن تدفع غرامة قدرها 50100فرنك مقابل البنادق التي لم تسلم وعددها 501 بندقية. إضافة إلى دفع دية مقدرة ب 6000 فرنك للقوات القومية التي قتلت أثناء الاجتياح ودفع 3000 فرنك مقابل ما قتل من الخيول .[1]

2-مصادرة الأملاك العقارية، و نهب الأثاث المنزلي و المؤن و المصوغات بمختلف أنواعها، والتي قامت السلطات الفرنسية ببيعها فيما بعد لأعوانها، كما أمرت بمصادرة نخيل واحة العامري و فوغالة،حيث قدر التقرير العسكري المؤرخ في 21جويلية1876 أن قيمة الممتلكات المصادرة لعرش لبوازيد تم استخلاصها كما يلي: العامري 337 نخلة و فوغالة 1810 نخلة والبرج 144 نخلة بإضافة إلى ما يزيد عن4000من الإبل و 5000 من الغنم والخيول[2]، فقدرت الأملاك المستخلصة ب 72000 نخلة. كما استولت على 700 خيمة، وقد منحت بعض هذه الممتلكات المصادرة لعرب الغرابة أعداء لبازيد بعد مساندتهم للقوات الفرنسية ،في القضاء على الثورة ،كامتياز لهم[3] .

3-استشهاد 400 مجاهد من بينهم قائد المعركة أمحمد يحيى و مصادرة سلاحه وجوداه و بيعها بالمزاد العلني أمام محكمة طولقة بثمن قدر ب 4 دوروه، و قد اشتراها بولخراص شيخ قرية أوماش .[4]

1-Hubert Cataldo : op.cit ,p 43.

2-مصطفى حداد:« انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري 1876» مرجع سابق ،ص 225

3- مديرية المجاهدين لولاية بسكرة :ثورة العامري1876 ، مرجع سابق

4- مصطفى حداد: «انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري1876 »، مرجع سابق ص 10

4-تشريد و تشتيت فروع البوازيد الأربعة قصد إضعافهم و التخلص من خطرهم فنفى الجبابرة إلى تيارت ،وأولاد إدريس إلى ولاية المسيلة [1]،وأولاد أيوب إلى تبسة وأولاد سعود إلى بريكة ، كما نفي البعض منهم إلى سبيطلة (تونس) شرقا و إلى تيهرت و التل الوهراني وفاس والدار البيضاء غربا و بمنطقة القبائل الكبرى يوجد هناك قرية البوازيد و سكانها يطلق عليهم ايبوزيدن- كما نفي البعض منهم إلى منطقة قرب جيجل ،ويطلق عليهم في الوقت الحالي بني فوغال ،كما نفيت جماعات أخرى إلى شاطودان[2]، ، كما تم نفي قادة المعركة إلى كل من جزيرة كيان وكورسيكا ،ولم يبقى في الواحة إلا 18 عائلة كان أربابها في سفر فلم تثبت ضدهم أي تهمة[3] .

وقد تعرضت العائلات أثناء حملة تهجيرها إلى مجاعات قاسية و أزمات اقتصادية فتاكة[4]، حيث صرح قائد منطقة سطيف قائلا": منذ انتهاء حملة الحصاد أصبح المنفيون عاجزون في أغلب الأحيان عن الحصول على ما يسدون به رمقهم ،إلا ما يقدم لهم من صدقات... ولهذا نقترح على الإدارة العسكرية ،استقدام هؤلاء إلى أقبوا(القبائل) للعمل كأجراء لدى الكولون هناك"

1- عبد الحميد بو رايو: « ا لنزعة التاريخية التوثيقية والحس الملحمي في شعر الشعبي الجزائري في منطقة الجنوب الجزائري من خلال بعض النماذج محمد بن قيطون ،بالقاسم رغادة ،أحمد كرومي» الموروث الشعبي ،الملتقى الوطني للموروث الشعبي الوادي، الجزائر، 2006 ،ص87 .

2- شلغوم العيد حاليا.

3 - مصطفى حداد: «المقاومة الجزائرية في جبال الأوراس وتخومها الجنوبية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ،انتفاضة العامري (الزاب الغربي 1876 و ثورة الأوراس الغربي1879) » ،ص168

4 -عبد الحميد بو رايو: مرجع سابق، ص88

وقد تحدث أجرون (Ageron)عن دور هؤلاء في تخطيط لغليان شعبي جديد لرد الاعتبار بعد الإهانة التي تعرضوا لها فيقول" وفوراعتقادهم أنهم في مأمن من الرقباء يتحدثون عن ثورة سوف تحطم المسيحيين في ظرف شهرين[1] ".

كما أن أولاد سعود وأولاد زيد أحمد المنفيون إلى بريكة لم يكن بإمكانهما البقاء في بريكة ،وذلك بسبب فقر المراعي هناك وأيضا للقرب الكبير من العامري وفوغالة ،ولذلك تم إرسالهم إلى أولاد بوعون دائرة باتنة.

أما المنفيون لمنطقة القالة فإنهم وبعد نهاية موسم الحصاد لم يجدوا ما يسد رمقهم لذلك قام الحاكم العسكري للمنطقة بتوزيعهم في المناطق المجاورة ،أما الضابط المكلف بالشؤون الأهلية بجيجل فيقول حول هذه المسألة ...": لم يظهر حتى الآن أي تصرف مشين من قبلهم وأن أوضاعهم المادية تحسنت فأغلبهم مستعملين كخدم من طرف الأعيان المكلفين بمراقبتهم[2] ".

أما عرش الجبابرة فكانت الوجهة المسطرة له هي منطقة الغرب ، حيث أنهم لم يتمكنوا من العيش في المنطقة ،وهذا ما دفع بهم إلى الفرار للمناطق المجاورة للقطاع الوهراني، ويقول في هذا الصدد الحاكم العسكري لوهران": إن بيوت لبازيد التي نقلت إلى الغرب ،قد فر البعض منها إلى موطنها الأصلي .[3]"وقد أحصى التقرير المؤرخ في 18جوان 1882 عدد العائلات الماكثة في منطقة وهران ب 133 عائلة، وهي موزعة كالتالي : 54 عائلة في دائرة سعيدة و 53 عائلة في معسكر و6 عائلات في تيارت.

1-Charles Robert Ageron : op.cit ,p59.

2 – مصطفى حداد: «المقاومة الجزائرية في جبال الأوراس »مرجع سابق ،ص 169

3– مصطفى حداد :«انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري 1876» مرجع سابق ،ص 226

في سنة 1879 تمت أول عملية بيع لواحة العامري ،وكانت المزايدة التي حدثت تشمل قطع منفصلة لكنها فشلت لعدم حضور أي مشتري ،وذلك تضامنا مع أصحاب الواحة الأصلين.

وفي 3 نوفمبر 1879 أقيمت ثاني عملية بيع على أساس الواحة كاملة ،وتمت عملية البيع لصالح السيد (Forciolle Treille) و السيد (Sarradin) وهما من المعمرين[1].

وفي 7 أوت 1890 ، تم العفو عن مجموعات البوازيد المتواجدين في التل وسمح لهم بالعودة إلى الزيبان .ووزعت عليهم أراضي للحرث في منطقة الدوسن .

و قد خيروا بين شراء البساتين أو الدور فاختاروا الثانية ، و بقيت البساتين بيد المعمرين اللذين سخروا الأهالي لخدمتها تحت الذل و الهوان كما أجبروا على ممارسة حياة الرعي و الخماسة في ممتلكاتهم ،كما أجبروا على ممارسة أعمال السخرة و المتمثلة في شق الطرقات و تعبيدها منها الطريق الرابط بين باتنة و بسكرة[2] .

وفي سنة1922 قدم البوازيد التماسا يطالبون فيه رفع الحراسة القضائية عليهم .وفي سنة 1917 قاموا بإجراء اتصالات مع السيد ترايل قصد إعادة شراء نخيلهم، وذلك بواسطة بن قانة. وقد طلب السيد ترايل قيمة 150.000 فرنك، لكن البوازيد لم يكن بإمكانهم جمع غير 100.000 فرنك، ويبدو أن العملية فشلت لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على قرض 50.000 فرنك الباقية .

Hubert Cataldo : **op.cit**,p441

2- يحيى بوعزيز :ثورات الجزائر في القرنين 19 و20، مرجع سابق، ص234

وقد تم شراء واحة فوغالة من طرف نفس السيد ثم انتقلت الملكية إلى السيد (Bchère)وذلك بعد تصفيتها[1].

5-إلقاء القبض على الزعيم الديني للمقاومة ابن عياش بعد إصابته بجروح خطيرة رفقة 91 مجاهدا آخر أين عرضوا على محكمة عسكرية فأصدرت حكم الإعدام رميا بالرصاص بحق ابن عياش ، [2] كما أمرت بسجن 68 ثائرا وتوزيعهم على سجون مختلفة في منطقة الشرق الجزائري.و أصدرت قرار النفي في حق 91 مجاهدا إلى كورسيكا[3] .

6-عزل الخائنين علي باي ومحمد ابن إدريس آغا تقرت و ورقلة ،الأول لعجزه عن الدفاع عن تقرت ضد بوشوشة 1872 ،وقد أصدر قرار تجريده من جميع وظائفه في أفريل،1877[4]و الثاني رغم ولائه الأعمى لها و تمكنه من القضاء على حركة بوشوشة ووقوفه في وجه الزاوية التيجانية،إلا أن العقيد نولا اتهمه بالخيانة و الكذب فتم إبعاده عندما انتصرت الزاوية التيجانية عليه و على أولاد بن قانة تخلت القوات الفرنسية عن حلفائها التقليديين وحاولت التقرب من الزاوية التيجانية تحت شعارها المعتاد"نحن مع الأقوى[5]"، هذا بالإضافة إلى تقسيم أعراش لبازيد والزيبان والهدف من هذا التقسيم هو إضعاف سلطة بن قانة وتقوية نفوذ بن شنوف[6]

1-Hubert Cataldo : **op.cit** ,p 44.

2- محمد العيد مطمر، مرجع سابق، ص65

3- مصطفى حداد«: انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري « مرجع سابق ،ص 226

4-Charles Robert Ageron : **op.cit** p57.

5- أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية 1860*1900 مرجع سابق، ص303

6 -مصطفى حداد:» انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري 1876 »مرجع سابق، ص 227

7-بتاريخ 12 أوت 1876 أصدرت السلطات الفرنسية قرارا تم نشره في الجريدة الرسمية و يتضمن هذا القرار استخلاص الأموال المحصل عليها من واحة العامري و تتم كالآتي:

أ- توضع الأموال المحصل عليها من سكان واحة العامري ،في صندوق خاص لصالح القوات الفرنسية.

ب - كل فرد من سكان واحة العامري اغتصبت أرضه و أصبح يطالب بها ما عليه إلا شراءها من جديد و بأسعار باهضة من السلطات الفرنسية و يتم دفعها للصندوق السابق ذكره و تصرف أمواله لتعبيد الطريق الرابط بين(توقرت و ورقلة)و(بسكرة و باتنة)كما تستغل هذه الأموال لقمع الثورات ضد فرنسا .[1]

8 - تشتيت السكان على مناطق متباعدة وذلك بغرض تفكيك الرباط القبلي والاجتماعي، وتضرر الكثير من الأسر بفعل النفي الاضطراري وعدم قدرة أفرادها على التواصل، ومنهم من مازال حتى اليوم.

9-كما أنه صدر مرسوم في 30 جوان 1876 لإنهاء حكم الجيش وسيطرته على المناطق الساحلية من الجزائر وإلحاق هذه الناحية بالوزارات المختلفة في باريس ،نتيجة عجزه في الكثير من المرات في القضاء على الثورات الشعبية لولا مساعدة فرق القومية له رغم التطور العسكري الكبير له.، ولكن الهدف الحقيقي من هذا التحويل هو إدماج الجزائر بفرنسا وجعلها مقاطعة فرنسية،

Dorgeval : Recueil officiel des actes de la préfecture de Constantine 1878, Gouvernement General ,AB, p68_1

وذلك لإتاحة فرصة للجالية الأوربية بالجزائر لتفرض وجودها على الحاكم العام بالجزائر، وتوجه أمور البلاد حسب مصالحها دون الظهور على الساحة .[1]

لقد تصدى سكان واحة العامري للاستعمار الفرنسي ولحملاته الشرسة وذلك على الرغم من الصعوبات والمضايقات التي تعرضوا لها ،كما أنهم حملوا لواء الجهاد وثورة بدء بزعيمها الروحي بن عياش شكلت انتفاضة العامري بعنفوانها وتأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية كانتفاضة مقرانية ثانية،من حيث أبعادها الجغرافية والبشرية وتزامنها ومن حيث عواقبها التي مست الأرض والإنسان على السواء فشابهت انتفاضة المقراني في مسالة تهجير قبائل البوازيد كما كان الحال لقبائل الحشم المقرانيين من مجانة الى الحضنة ونفت البعض الى كاليدونيا وكورسيكا وفرضت على البقية ضرائب الحرب وبذلك مثلت الوجه الحقيقي للاحتلال الفرنسي في أبشع صوره العنصرية..

---

1 - عمار بو حوش: **الأرض والهجرة**، الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، عدد16، 1973، ص87 .

زوايا منطقة عموشة وإسهاماتها العلمية 1830 – 1962م

د/ سفيان لوصيف

جامعة سطيف 02

مقدمة:

ازداد دور الزوايا أهمية في تاريخ الجزائر بعد القرن 15م بفعل ضعف السلطة السياسية والهجمات المسيحية على الأراضي الساحلية من جهة ثانية، وما كان لها من وقع في نفوس الجزائريين الذين وجدوا في أهل الزوايا متنفسا لهم لقيادة عملياتهم الجهادية ضد الاحتلال الأجنبية والمتواصلة، ومن ثم بات من الصعب الفصل بين الديني والسياسي لدى هذه الزوايا، وخاصة بعد انتشار الطريقة الرحمانية في المنطقة.

وعند اقتحام الفرنسيين للمنطقة تحولت الزاوية إلى معسكر للمجاهدين تأهبا لما سيسفر عنه الحدث، وقد كتب الفرنسيون كثيرا حول دور الزوايا في تحريض المجاهدين وتمويلهم وتنظيمهم لمحاربة الجيش الفرنسي، وبث الرعب في صفوفهم بالصبر وقوة الإيمان التي كان يمتاز بها رجال الزوايا، وعلاقتهم بقيادات جبهات الجهاد حيث كان لهم الفضل في استمرار حركات المقاومة الشعبية والثورات المتسلسلة.

1- زاوية عباشة[1]:

في أواخر العهد العثماني استقر سيدي علي عباشة في دوار لمرابطين في بلدية تيزي نبشار، كان له خمسة أولاد لم يترك منهم الذرية سوى اثنين أحمد

---

1 الرحمانية نسبة إلى الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الزواوي الأزهري، أخذ العلم في جامع الأزهر الشريف، وأجيز من شيوخه، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد بن سالم الحفني، ونشرها في المغرب العربيّ، ثم نسبت إليه الرحمانية.

وعبد القادر، الأول أحمد ذريته تحمل الآن لقب قوسم وكوسام، عبد القادر ونسل عبد القادر لقبه عباشة وعباش.

تذكر الرواية الشفوية أن سيدي علي عباشة كان سابع إخوته، وهو من عائلة محافظة تحفظ القرآن الكريم والشريعة الإسلامية والفقه المالكي، ينتسبون إلى الطريقة الرحمانية الواسعة الانتشار، وفي أول انطلاقته قصد أحد أصدقاء العائلة، وهو الرجل الصالح سيدي يوسف الدرقيني، واستقر عنده ردحا من الزمن في درقينة، وبقيت منذ تلك الفترة الصلة قائمة بين العائلتين إلى حدود الجيل السادس، وقد كانت بينهما مصاهرات.

وكانت العائلتان تدعيان النسب الشريف وأنهما من الأشراف، وطبعا فإن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث ودراسة معمقين، ورغم ذلك نقول أن عائلة عباشة من العائلات المرابطة أي المحافظة التي توارثت تعلم القرآن والدين أبا عن جدا، وقد انتقل سيدي علي عباشة إلى مكان بجيل الطوق بمحاذاة سيدي طالوت في دوار بني مسالي، وبقي هناك مدة لا نستطيع تقديرها، وفي آخر حياته استقر في مكان عرف فيما بعد باسمه في دوار لمرابطين في بلدية تيزي نبشار.

ورث سي عبد القادر إرث والده سيدي علي عباشة، وقام بنشاطات دينية معتبرة لم يصل أبوه إلى تحقيقها رغم حلمه بالوصول إليها، وهي أنه تمكن من تأسيس زاوية، والتي أصبحت مزارا مشهورا لمختلف المداشر المجاورة، يمتد إشعاعها ما يقارب بوعنداس وذراع القايد غربا ومشارق رقاب وعين الكبيرة وما حولها قرى، وأنشأ بستانا كبيرا ما زالت بعض آثاره إلى اليوم.

وعرفت الزاوية نشاطا دينيا واجتماعيا مهما إلى أن وقعت جائحة كبرى أدت إلى خراب هذه المجهودات، بسبب اجتياح وباء الطاعون[1] الذي أتى على كل من كان هناك، بما فيها الشيخ عبد القادر وعلى عشرة من أولاده، و كانوا طلبة في الزاوية منهم من كان يجود القراءات السبع و العشر، ولم يسلم إلا ولداه الطاهر ومحمد.

ولم يبقى من العائلة إلا فرد وحيد هو محمد ابن الطاهر، وانقرض البقية بين وفاة بسبب الطاعون أو وفاة طبيعية، ومن شدة تأثير الفاجعة في نفوس الناس وتقديس سيدي علي عباشة لأنهم اعتقدوا فيه الكرامات والخوارق حتى وهو ميت، فقد رثاه أحد القوالين للشعر الملحون و هو بورنان، من شدة الحزن والأسى لأنه لم يتفاعل مع المأساة التي حلت بأحفاده، و مما بقي محفوظا في الذاكرة الشعبية من أقوال الشاعر بورنان قوله:

سيدي علي بن عباشة

يا لي راقد في رقوبة (ربوة)

وتفطن يا شومان

أولادك ماتوا للعشرة

من حفظة القرآن[2].

نعود إلى الطفل الوحيد محمد الذي كان بمثابة سفينة نوح عليه السلام منقذ العائلة من الزوال، وهو صغير تكفل به زوج عمته أحمد بلحاج من عائلة

---

1 كان الطاعون أخطر مرض عانت منه كل الفئات الاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، كما تعرضت إلى ضرباته الحادة كل العناصر الأجنبية المقيمة بالبلاد لقد تكرر ظهوره في شكل تواتر حلقات متعاقبة مع الأوبئة المستوطنة بالمنطقة تسببت في انهيار ديمغرافي و أدت إلى تدهور الوضع الصحي الذي أثر بدوره سلبا على اقتصاديات البلاد تاركا تشوهات خطيرة في البيئة الاجتماعية، أنظر: قشاعي موساوي فلة: وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، دوراته و سلم حدته و طرق انتقاله، مجلة دراسات إنسانية ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر، ع 1 سنة 2001 ص. 134.

2 هذا الشعر الشعبي لا زال يحفظه عمر عباش أبا عن جد.

شلالي، فأخذه إلى زاوية الشرفة في تازمالت[1] يتعلم فيها وأصبحت الزاوية مأواه حتى تخرج منها وعاد إلى قريته، واستقر في كوخ أبيه لكنه تشاءم من المكان لما حصل فيها ونزل أسفل الربوة وأقام فيها بيتا.

وأصبح معروفا يقصده الناس والعائلات المرموقة، وعين شيخا في دوار أولاد عثمان، وذاع صيته فقد استطاع فك الخصومات والعداء الذي كان بين عرش أولاد عثمان والدواوير التي تحالفت ضده، والتي وقفت إلى جانب القايد الدراجي، والذي لم يعترف به سكان أولاد عثمان، لأن القيادة كانت فيهم متمثلة في حمو منصور (خنيش)، الذي قتل في إحدى الصدامات القبلية.

وكان لمحمد ثلاثة أولاد هم الطاهر، أحمد، المكي، قتل أحمد في سجن قسنطينة لمشاركته في ثورة المقراني 1871 والتي دعمتها الطريقة الرحمانية وكان من أتباعها، وكان المكي شخصية مرموقة شغل منصب باش عدل في دوار تقيطونت، ويعد عالم زمانه درس على يد مشايخ متخرجين من جامع الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب، وتحصل على رصيد علمي في الشريعة الإسلامية والفقه، وكانت له مراسلات بمشايخ وعلماء الأزهر في مصر، ويزودونه بدروس ورسائل في العلم و الشريعة، وذاع صيته في عرش تقيطونت والمنطقة عامة، خلال النصف الثاني من القرن 19 م.

---

1 تأسست زاوية سيدي بهلول بقرية الشرفة بولاية تيزي وزو في القرن الثامن للهجرة، و قد تم غلقها من طرف الاستعمار الفرنسي الذي حوّلها إلى ثكنة، تعد زاوية سيدي بهلول بتيزي وزو من أكبر و أقدم زوايا منطقة القبائل، يعود تأسيسها إلى القرن الثامن للهجرة و كانت تأوي ما يقارب 120 طالب قرآن قبل الثورة التحريرية، و في العام 1957م أقدم الاستعمار الفرنسي على غلقها و تحويلها إلى ثكنة عسكرية، وبعد الاستقلال مباشرة تمّت إعادة فتحها مجددا و ذلك بجلب بعض أطفال و شباب القرية لتعلّم القرآن، إلاّ أن سمعتها و مكانتها ساهمَت في تزايد عدد طلبة القرآن فيها من مختلف ولايات الوطن، علاوة على دور الصلح الذي كانت تلعبه الزاوية سواء بين مواطني قرية الشّرفة أو حتّى في المنطقة بصفة عامة.

وكان ابنه أحمد المدعو لخضر مقدما للشيخ بلقاسم بوجليل الذي ينتمي إلى الطريقة الرحمانية، وكان إنسانا ذا شخصية مهمة ويتمتع برصيد علمي لا بأس به، وله علاقات بالعائلات المرموقة المحافظة باعتبار مقاييس العلم آنذاك، وكانت له صلة بالشيخ البشير الإبراهيمي الذي يزوره في أولاد مرغم التي استقر بها، ويبيت عنده لأنه من البيوتات المرموقة والمقصودة آنذاك مثل عائلة بن علاق ومعيزة في سطيف وبن عدة في ذراع القايد وغيرها.

وخلال القرن 20 م برز في هذه العائلة الشيخ حمو عباش، وهو من مواليد سنة 1910، تلقى تعليمه الأول في كتاب العائلة على يد أبيه ثم على يد الشيخ الحسين خريص والعمري بوقندورة، حيث ختم القرآن الكريم شاقا (الحفظ الأولي)، لينتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي موسى تنبذار لإعادة مراجعة القرآن حيث تحصل على حفظه كاملا، و تلقى دروس في علوم الفقه و العربية كغيره من طلبة الزاوية على يد الشيخ السعيد فضلاء المدعو السعيد أبهلول، فتحصل على رصيد على علمي و ديني لا بأس به ليرجع إلى قريته و يشتغل معلما، و مارس التعليم في عدة كتاتيب.

وفي هذه الأثناء قامت فرنسا بتجنيد الشبان في الحرب العالمية الثانية فأعيد تجنيده مرة ثانية مع غيره من الجزائريين الذين زجت بهم فرنسا في جبهات القتال ضد ألمانيا، ولم يرجع إلى قريته إلا بعد انتهاء الحرب، ولما أحسن ببعض التراجع في مستواه العلمي جراء المدة التي قضاها في التجنيد التحق بزاوية بن سحنون لاسترجاع الحفظ الجيد وأخذ الدروس على يد شيوخ الزاوية، ومن المعلوم أن الزاوية كان بها مدرسون أكفاء في مختلف العلوم المعروفة إذ ذاك، وبعض هؤلاء المدرسون جلبتهم الزاوية من جامع الزيتونة بتونس و حتى من الأزهر

الشريف بمصر، وكانت زاوية بن سحنون في قمة إمكانياتها وعطائها، فمكث بها مدة تمكن خلالها من الإطلاع على الكتب الفقهية المعتمدة.

ومارس التعليم ثانية في جهات عدة منها قرية جرمونة، و قرية أولاد مرغم التي مكث مدة أربع سنوات و حفظ على يده عدد من الطلبة القرآن الكريم، ثم رجع إلى قريته وفي هذه الأثناء كان شغوفا بمطالعة الكتب المختلفة كجوهرة التوحيد[1]، وبعض أجزاء صحيح البخاري و مخطوط إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وقد حاول الاطلاع على علم المواريث من خلال كتاب الرحبية الذي كان يتخذ كمرجع أساسي في مسائل الميراث.

وكان شغوفا بالمطالعة رغم الظروف المادية المحدودة وانشغاله بتبعية الواجبات العائلية، وبعدها انتقل إلى قرية بني ملاّ بوادي البارد ليقوم بدور الإمامة وتعليم القرآن الكريم في نفس الوقت، ومنها عاد مرة ثانية إلى أولاد مرغم حيث قضى بها فترة تقارب الأربع سنوات، ودرّس بضعة سنوات في كتاب عائلي لدى عائلة داودي أحمد بن سعو بقرية الصياح، وانتقل لنفس المهمة في كتاب عائلي لدى عائلة بحري الصغير.

وقبيل الثورة التحريرية عاد من جديد إلى قرية بني ملاّ لأداء نفس المهمة وبقي فيها إلى اندلاعها، وبدءا من سنة 1956 م كان معلما في قرية بويشطاط على يد الثورة الجزائرية تحت إشراف مسؤول التعليم والأوقاف في جيش التحرير سليمان خنيش، وقد تم اعتقاله من قبل السلطات الاستعمارية في سوق عموشة بالمناسبة والتاريخ الذي تم فيه تفجير قنبلة في عملية فدائية استشهد فيها بوثلجة إبراهيم، وقد تم اعتقاله بمعية الشريف عباشة و جماعة أخرى.

---

1 جوهرة التوحيد: أحد أهم متون علم العقيدة و الكلام عند أهل السنة والجماعة من الأشاعرة لمؤلفه إبراهيم اللقاني المالكي و المتوفى سنة 1041 هـ، و هو عبارة عن منظومة شعرية تتألف من 144 بيت شعري.

وقد تم أخذهم إلى معتقل في بني عزيز والذي اتخذ خصيصا من أجل المجاهدين والداعمين للثورة الجزائرية، حيث قضى هناك أكثر من ستة أشهر، وقد مر في الأيام الأولى بالاستنطاق والتعذيب الممنهج، وقد عانى ما عانه رفاقه من الاستخدام في الأشغال الشاقة من أجل حمل الحجارة واستعمالهم في حمل الأثقال أتناء التمشيط العسكرية في السفوح و الجبال الوعرة متمثلة حمل جهاز الاستعلامات الذي كان يزن ما يقارب القنطار، وحتى صناديق الذخيرة من مختلف العيارات ذات الأحجام ناهيك عن اتخاذهم كدروع بشرية فيضعونهم أثناء السير والتمشيط في الأماكن التي تكون مظن لوجود الخطر.

وعاش الشيخ حمو عباش ورفاقه مدة الاعتقال المذكورة في عذاب مقيم وخطر دائم سواء داخل المعتقلات أو أثناء استعمالهم في الأعباء الشاقة، ناهيك عن سوء التغذية والظروف التي تنعدم فيها الحياة داخل الزنزانات من غير فرش ولا أغطية ترد عنها قساوة البرد وحتى خطر الرطوبة والأمراض في هذه الزنزانات التي هي عبارة عن أقبية لا تصلح حتى لإيواء الخنازير.

ولم يطلق سراحه إلا بعد أن سقط مريضا في حالة خطيرة، ولم يتم له أي إسعاف مهما كان بسيطا فضلا عن أن يحلم بأخذه لأي مستشفى، فحمل هو وبعض رفاقه الذين هم كانوا لا يقلون عنه شقاء ومحنة في شاحنات عسكرية وألقوا بهم في الثكنات العسكرية القريبة مثل عموشة وتيزي نبشار، ويعاد استنطاقهم محليا من جديد، وتسجيل السيرة التي يرونها لازمة عنهم مع التهديد والتخويف وإشعارهم بأنهم متابعون بالرقابة المستمرة، وبعد فترة تماثل للشفاء الذي مكنه من استئناف الحركة والعمل.

واستفاد مرة أخرى من القانون الثوري الذي اتخذته جبهة التحرير الوطني في مؤتمر الصومام المتمثل في فرض التعليم الإجباري في جميع القرى والمداشر

على أساس اتخاذ الكتاتيب، فعين من قبل سليمان خنيش معلما للقرآن الكريم، وكان مثل غيره من المعلمين يتقاضى أجرة زيادة على منح عائلية يسددها التنظيم الثوري، وبقي الشيخ حمو عباش على هذا الحال إلى مطلع الستينات.

وقد اشتدت الثورة التحريرية بعد عمليات التمشيط الكبرى التي مست المنطقة من قبل القوات الاستعمارية، وكان التعليم العربي الإسلامي الذي تدعمه الثورة يكاد يندر بفعل تضييق الخناق عليه وصعوبة الانتقال والحركة، فعاد إلى مسقط رأسه في قرية لمرابطين في تيزي نبشار واستقر فيها، توفي في شهر جانفي 1962.

وخلاصة القول يمكن القول أن زاوية عباشة قد أثرت المحيط الاجتماعي الإقليمي أيما تأثير حيث نشطت الأعمال الدعوية متمركزة على تخريج الطلبة وحفظة القرآن وتلاوته وتجويده إلى درجة القراءات العشر، ولذلك فقد ذهبت الأيام والسنين بأغلب الآثار المكتوبة والبناءات التي أتى عليها الإهمال والتخريب الذي لم يبق الحجر والشجر، خاصة بعد الكارثة التي ألمت بالمنطقة أواخر العهد العثماني المتمثل في وباء الطاعون الذي قضى على ذلك الصرح الاجتماعي والديني بوفاة أغلب أفراد العائلة.

وشاء القدر أحد الأحفاد أن يستأنف بدوره مسيرة الجد المتوفي، حيث برز من أبنائه وأحفاده علماء وفقهاء ومشايخ حسبما يعتبره عصرهم وزمانهم، وذكروا حتى في المصادر الفرنسية منهم سي المكي وابنه أحمد، وغيرهم من الطلبة وحفاظ القرآن الكريم، وإلى سنوات قريبة فأغلب هؤلاء مارسوا وظيفة تعليم القرآن في الكتاتيب التي كانت منتشرة عبر القرى والمداشر، حيث قاموا بالدور المنوط لهم من إمامة وفتوى وغيرها من المقاصد والشؤون الاجتماعية.

2- زاوية الشيخ عمار لطرش:

أسسها الشيخ عمار لطرش[1]، كان إنسانا معروفا في المنطقة، يقرأ من القرآن الكريم ما تسير له، وعن دافع تأسيس الزاوية أنه رأى في المنام شخص أتى إليه يأمره ببناء زاوية، وشرع في أعمال البناء سنة 1911 وفي أكتوبر 1913 سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في سفينة انطلقت من ميناء بجاية[2]، وكانت أعمال تشييد الزوايا توشك على نهايتها.

ولما عاد من الحجاز في 20 جانفي 1914 تفرغ لإتمام ما تبقى من أشغال الزاوية، وافتتحت في غضون سنة 1914 بعد الرخصة التي تحصلت عليها لأنه كما هو معلوم أن الإدارة الاستعمارية كانت تمنع فتح المدارس والزوايا للتعليم العربي الإسلامي، وتوافد عليها الراغبين في طلب العلم من القرية وكذا من القرى والمداشر المجاورة، وقد وردت في التقارير الاستعمارية الفرنسية أنها من أهم زوايا الطريقة الرحمانية في المنطقة التي تدرس القرآن الكريم [3].

تحصل الشيخ عمار لطرش على إجازة من شيخ الطريقة الخلواتية[4] الرحمانية المولود بن الشيخ سيدي أحمد بن حميدة اليعلاوي، وأصبح مقدما للطريقة، والإجازة في أصلها استخدمها شيوخ الزوايا و العلماء مع طلابهم

---

1 ولد الحاج عمار لطرش بن السعيد بن أحمد في حدود سنة 1880 في مشتة الماعلي التي كانت تعرف بعين السلطان، انتقلت عائلته إلى مشتة سيدي موسى وفيها مات والده، ومات جده أحمد في معركة منتانو سنة 1871 الشهيرة في مصادر التاريخ، حين وقف السكان إلى جانب ثورة المقراني.

2 وعن رحلته إلى بلاد الحجاز كتب مخطوط يصف فيه الرحلة والبقاع المقدسة والمناطق التي زارها.

3 Rapport de l’administrateur de la commune mixte de Takitount, a Monsieur le Préfet de Constantine au sujet des écoles coraniques.

4 الطريقة الخلواتية: تفرعت عنها الطريقة الرحمانية، فهي طريقة أهل السنة والجماعة، والخلوتية: نسبة إلى الخلوة، من خلا يخلو خلوا وخلاء، والكلمة عند اللغويين تحتمل عدة معان، منها: الانفراد والانعزال والاستثناء والاعتماد والإرسال والإطلاق والتجرد والتفرغ والترك والكلام والبراءة والتسليم والموادعة والمضي والموت، أنظر: محمد فؤاد القاسمي: ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية من الكتاب والسنة، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص ص.14، 15.

ويجعلون مقام الدرجة العلمية التي تمنح اليوم، فكان الطالب بعد أن يستكمل تعليمه ينال من شيخه إجازة، وقد تكون خاصة بكتاب أو موضوع لإجازته ليجيز تدريسه أو روايته، وقد أصبحت الإجازة من الضرورات التي يجب على العالم الحصول عليها لكي يثبت أنه وصل إلى درجة كافية من العلم تؤهله لتدريس ما سمعه أو تلقاه عن شيخه أو أستاذه أو روايته له[1].

ومما جاء في مخطوط إجازة[2] الحاج عمار لطرش ما يلي:" الحمد لله الذي نور قلب عباده، واصطفاهم و اختارهم من جميع خلقه لطاعته ووفاهم، والصلاة والسلام على من أنقض الخلق من الجهالة وهواهم، سيدنا محمد ﷺ... وبعد فإن خير عباد الله من يخشاه و يتبع طريقة هداه التي أقام بها عباده الصفوة و جعلهم دلائل لخلقه، فطوبى لمن سلك طريق النجوى و لزمها إلى الممات، و أن الحامل لهذه الإجازة ابننا قلبا السيد عمار بن السعيد بن خريص اليحياوي البابوري، فإني أجز له في اليقين الذكر للخلق و إرشادهم إلى طريق الحق سبحانه وتعالى في الطريقة الخلواتية المنسوبة للشيخ الكامل السيد محمد بن عبد الرحمن الأزهري نفعنا الله به وبأمثاله، أول من أتى بها لمغربنا هذا وأفشاها و مهد سبلها وسلك على يده خلق كثيرون... ".

وقد تضمن المخطوط دعوة من شيخ اليعلاوي لسكان المنطقة باتباع نهج الطريقة قائلا:" فعليكم أيها الناس بالدخول في الطريقة... أصيكم بمن وقعت

---

1 مصطفى ديف: إجازة علي البوديلمي التلمساني للشيخ العيفة العياضي السطيفي، سلسلة التراث الثقافي لولاية سطيف، 2017، ص. 13، 14.

2 من خصائص الإجازة الخطية، أنها لا تعطى إلا بعد طلب من المجاز للمجيز، ويرمز المجيز لطلك بقوله (طلب مني، سألني ...)، أنها عند المتقدمين تعني إذنا بالرواية، لكنها عند المتأخرين من العلماء الدرجة العلمية، التي تشهد لصاحبها بصحة إسناده وقوة ارتباطه بالسند ورجاله، وأنها تعبر عن أهلية لأن يجيز غيره ممن يرى فيه الأهلية، فأضحى صاحبها في مرتبة الشيوخ المجيزين أو المعيدين بدل من كزنه من الطلبة العاديين، أنظر مصطفى ديف: المرجع السابق، ص ص. 20، 21.

بيده هذه الإجازة أن يعمل بها ومن استخفى بها واستهزأ فقد هلك مع الهالكين، نعوذ بالله من ذلك، ومن عمل بها يكون إن شاء الله آمن ومن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقال السيد مصطفى البكري نفعنا الله به أمين، بشرى الذي دخل في الطريق نال الرضى وغاية التحقيق حاز الضمانة من الرسول وكذا الشفاعة يوم الرحيل "[1].

درّس في الزوايا منذ تأسيسها مشايخ وفقهاء كثيرون ينحدرون من المنطقة أو خارجها، وساهموا في الحركة العلمية التي كانت تشهدها الزاوية وهم:

- الفقيه أحمد لخضاري وهو أول إمام خطيب في الزاوية.
- الفقيه صالح معطي.
- الشيخ الشريف رحال.
- الشيخ قادري مبارك.
- الشيخ البشير منصوري.
- الشيخ السعيد عزوق.
- الشيخ محمد معطي.
- الشيخ لطرش بوزيد.
- الشيخ البشير فوغالي (من بني فوغال في جيجل).
- الشيخ خريص الحسين.
- الشيخ أحمد خنتوت.
- من عائلة الشيخ عمار لطرش درسّ محمد وعبد الرحمن أوائل الثورة التحريرية[2].

---

1 إجازة المولود بن الشيخ سيدي أحمد بن حميدة اليعلاوي للشيخ عمار بن السعيد بن خريص اليحياوي (عمار لطرش).
2 وثيقة محفوظة في أرشيف الحاج السعدي ابن مؤسس الزاوية.

وكان في الزواية خلال العقد الأول من تأسيسها نظام داخلي للطلبة المتمدرسين من خارج القرية، وتدرس الذكور ومصادر تمويلها من العائلة ودعم السكان لاسيما أولياء المتمدرسين، لضمان السير الحسن للزاوية وتسديد أجرة المعلمين فيها[1].

وأقيمت في الزوايا صلاة الجمعة، وقد أثارت في البداية جدلا فقهيا بين مشايخ المنطقة في أسسها وأركانها وشروط أدائها ووجوب صلاتها، وعن ذلك أستفتي الشيخ محمد الطيب بن محمد الشريف بن حافظ الصالحيوي وأجاب برسالة مخطوطة عن ذلك بفتواه رغم سقوط عبارات منها بسبب التلف الذي تعرضت له الرسالة المخطوطة، فحواهها إجازة تأدية صلاة الجمعة بدليل مشايخه الذين أفتوا بوجوب صلاتها وصحتها في بلادنا بأكملها في زاوية سيدي موسى[2].

ومما جاء فيها:" الحمد لله الذي أبقى شريعة سيد الوجود فلا تنسخ ولا تبدل كما مضى الأولين، تفضيلا لنبينا عليه أفضل صلاة المصلين و أزكى سلام المسلمين... تصح صلاة الجمعة في بلادنا كلها... ولا نعترض لمثل هذا الباب، من كان على الهدى فالله يعينه و من كان على خطأ فالله يهديه، ولكن نحن خفنا من هذا الخبر الذي وصلنا ليلا نخط الصواب و فوق كل ذي علم

---

1 من أوائل الذين درسوا في الزوايا نذكر: منصور لطرش، عبد الله خنتوت (شهيد في مجازر 08 ماي 1945)، لخضر خريص، رحال الشريف، خنتوت عمر(شهيد في ثورة التحرير)، خلفة الهاشمي، يوسف خلفة، محمد السعيد لطرش (شهيد في ثورة التحرير)، عبد الرحمن لطرش (شهيد في ثورة التحرير)، الطيب لطرش (شهيد في ثورة التحرير)، مجماج الخير، منصوري العياشي، علي بن عبد الرحمن(شهيد في ثورة التحرير)، مومن الخير، بو عكاز عمر، بن علي مسعود، علي علاوة، تميم لمنور، السعيد لطرش، تميم العمري ، تميم رابح، حمداني السعيد، أحمد منصوري، قاسي خنتوت، العربي خنتوت، لمنور خنتوت، صالح خنتوت (شهيد في ثورة التحرير)، خنتوت محفوظ (شهيد في ثورة التحرير)، خنتوت الزايدي، عبد المجيد لطرش، السعدي لطرش، .

2 رسالة مخطوطة محمد الطيب بن محمد الشريف بن حافظ، الصالحيوي نسبا والمالكي مذهبا تلميذ شيخه بن الحملاوي طريقة الرحمانية.

عليم ومنتهى العلم إلى الله العظيم إذ لا ينبغي اتحاف الكمال إلا ربنا الكبير المتعال وأما زماننا هذا فقليل خيره كما قال صاحب الشعر زماننا كأهله وأهله كما ترى يسيرون بسيره... ولا لنا عمل سوى رجاء رحمة الله ودعاؤكم الصالح... والله يختم لنا ولكم بالسعادة على الإيمان والإسلام على الشهادة الكاملة لا إله إلا الله محمد رسول الله "[1].

وكانت زاوية سيدي موسى تقيم الزردة في فصلي الربيع والخريف، وتعبر الزردة ظاهرة اجتماعية لها بعد إنساني وديني من الموروث الشعبي القديم الذي توارثته الأجيال جيلا بعد جيل، فهي وليمة يدعى إليها المعارف والجيران ويأتون إليها من خارج القرية، لتحسين العلاقات الاجتماعية وتقريبها وتقوية المودة والمحبة ويدعى ويحضرها من دعي وحتى من لم يدعى إليها، وغالبا ما تقتصر على المأكولات من الكسكس واللحوم.

واصلت الزاوية نشاطها رغم ظروف الاستعمار الصعبة لاسيما الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية، حيث انتشر الفقر المدقع وساءت المعيشة وحصلت المجاعة وقل الغذاء، ورغم ذلك بقي ثلة من الطلبة يدرسون ويواجهون المصاعب، وتخلي آخرين واتجاههم للرعي والفلاحة، واستمرت دروس حفظ القرآن الكريم وأساسيات الفقه الذي يلقنه المشايخ للمتعلمين.

وخلال الثورة التحريرية تحولت الزاوية إلى مركز جيش التحرير الوطني، وفيها عقد أول اجتماع في دوار القرقور، وخلاله نصبت خلايا المجاهدين والفدائيين، وعين فيها محمد السعيد لطرش مسؤولا على الدوار، وبعد ضيق

---

1 رسالة مخطوطة محمد الطيب بن محمد الشريف بن حافظ، الصالحيوي نسبا والمالكي مذهبا تلميذ شيخه بن الحملاوي طريقة الرحمانية.

الخناق على الزاوية وأصبح تعليم القرآن الكريم يتم فرادى بعيد عن مقر الزاوية في مسجد صغير بالقرب منها.

وخلالها تفرغ السكان للعمل الثوري، وفي الزاوية كان يقدم الأكل والشرب والمبيت والمعلومات للمجاهدين، لاسيما أنها تعد معبرا بين الولاية الثانية والولاية الثالثة، وقربها من مراكز أخرى في الدوار مثل مركز قواسي، ولخضر خريص، محمود خنتوت، عمر خنتوت، ومراكز بالجوار في الجهة المقابلة في بابور، وفي سنة ماي 1957 بعد أسبوع من معركة تمدرارت حاصرت قوات الجيش الفرنسي الدوار وخلالها سقط 08 شهداء[1].

وبعد الاستقلال أصبحت مدرسة لتعليم القرآن الكريم، وعاد إليها الطلبة والمشايخ، منهم المدرس الشيخ محمد لطرش الذي اشتغل فيها حتى سنة 1974، ومر منها تلاميذ بعد الاستقلال أصبحوا أساتذة جامعيين ومعلمين وأئمة[2]، وإطارات في الإدارة، وخلال هذه السنة توقفت عن النشاط بفعل هجرة السكان خاصة نحو المدينة والاستقرار فيها، وبقي تاريخها كإشعاع ديني وثوري واجتماعي بارز في المنطقة.

3- زاوية حافظي:

استقرت عائلة حافظي في بني مسالي وأولاد ميرة وفي مجرقي في بابور، ولا يعرف تاريخ تأسيسها بالتحديد، لكن ما نعرفه أنها في سنة 1884 حين أنشأت السلطات الاستعمارية مدرسة فرنسية في دوار بني مسالي كانت موجودة،

---

1 الشهداء هم: رحال عمار، عواشرية مصطفى، لطرش محمد السعيد، لطرش الطيب، معطي بشير، خنتوت محفوظ، خنتوت صالح، خنتوت عمر.

2 نذكر منهم: دكتور يوسف لطرش، الأستاذ الخير بوسنات، الأستاذ نصر الدين لطرش، الأستاذ العمري قاروش.

بهدف عرقلة النشاط التعليمي الذي اعتنت به زاوية بن حافظ، والتي كان يقصدها الطلبة وحفظة القرآن الكريم من كل حدب وصوب.

وقد كانت في بادئ الأمر كتاب يعلم القرآن الكريم، وبعد أن تحصلت العائلة على إجازة من شيخ الزاوية الحملاوية في التلاغمة وهي تتبع الطريقة الرحمانية أصبحت زاوية لها أتباع ومريدين[1]، وكثير من أفراد عائلة حافظي درسوا في الزاوية الحملاوية وتخرجوا منها ونهلوا من علمها، ونذكر من الذين أشرفوا على إدارة الزاوية منذ سنة 1900 الفقيه محمد الطيب، وخلفه في مشيخة الزاوية ابنه أحمد، والذي تولاها في أحلك المراحل لاسيما أحداث سنة 1945، وأحداث الثورة التحريرية التي سقط فيها أحمد شهيدا.

اشتهرت الزاوية بإسهامها الكبير في التكافل الاجتماعي بمختلف أنواعه ونورد هنا بعض مظاهره مثل التصدق على المحتاجين وما يحتاجه الفقراء من المأكل والمشرب، وبدورها استفادت الزوايا من الهدايا والعطاء والهبات التي يمنحها الزوار والأتباع كل حسب مقدوره.

وكان للزاوية دور في تأسيس مدرسة للتعليم العربي الإسلامي في وادي البارد مركز في نهاية الأربعينات من القرن العشرين (1948 / 1949)، على يد الشيخ عمر بن عبد الرحمن الحملاوي شيخ الزاوية الحملاوية في خريج جامع الزيتونة، في أرض منحتها عائلة بن غذفة، وأشرف على إدارتها أحمد حافظي مقدم الحملاوية في المنطقة، وأسند مهمة التدريس إلى المعلم عمر أفتيس خريج زاوية بن سحنون.

---

1 تأسست الزاوية الحملاوية على يد الشيخ علي بن الحملاوي الذي انخرط في الطريقة الرحمانية، وفي عهده أصبح لزاويته إشعاع كبير في كل الشرق الجزائري، وأنشأ لها فروع وكان لها مقدمين وأتباع، وتوارث أفراد عائلته مشيخة الزاوية إلى فترة ما بعد الاستقلال، للمزيد يرجع إلى وثائق الزاوية الحملاوية في التلاغمة ولاية ميلة.

واستمرت في تدريس القرآن الكريم ومبادئ الشريعة الإسلامية للأطفال إلى اندلاع الثورة التحريرية، وخلالها رخّص جيش التحرير الوطني بمواصلة عملها واعتمادها مدرسة من مدارس الثورة وتكفلها بتسديد أجرة المعلم، ويذكر عمر أفتيس أنه ذات مرة اقتحمها الجيش الفرنسي، وهو يدرس تلاميذه فقال له الضابط الفرنسي أحرقتم المدرسة الفرنسية وتدرسون أبناءكم اللغة العربية والدين الإسلامي، ومن ذاك اليوم أصبح التلاميذ يدرسون متنقلين من مكان إلى آخر، خفية عن أنظار الجيش الفرنسي وأعوانه.

وخلال الثورة التحريرية كان في زاوية حافظي مخبأ توضع فيه مخطوطات في اللغة والشريعة الإسلامية ووثائق عن تاريخ العائلة ونسبها، وللأسف أنها اكتشفت من قبل الجيش الفرنسي وتعرضت للحرق والإتلاف، وقد حفظ أبناء العائلة القرآن الكريم في زوايتهم نذكر منهم الشهيد محمد وإخوته عبد الرحمن والشريف ومحمود.

وبعد الاستقلال عمل فيها الشيخ بوزيد لطرش معلما للقرآن الكريم، وحوّلت إلى المسجد العتيق في دوار بني مسالي الذي يحمل اسم مسجد عثمان بن عفان، وبقي أبناء العائلة على اتصال بالزاوية الحملاوية وواصلوا التعليم فيها.

تقرير فرنسي عن نشاط شيوخ الزوايا:

في تقرير معنون " معطيات داخلية لمشكلة الأهالي- مشكل الأهالي كوجهة نظر دينية – نشاط شيوخ الزوايا "[1]، يتضمن تفاصيل عن حالة التعليم و المشايخ الذين اعتنوا به، و مما جاء فيه:

1 Données intérieures du problème indigène. A – Le problème indigène, en tant que de vue religion. Actions des confréries – Maraboutisme, A.O.M, p.1.

" كانت الطريقة الدينية الوحيدة التي لها ممثلين وأتباع في البلدية المختلطة تقيطونت هي الطريقة الرحمانية، من حيث المقدمين والإخوان، ينتمون لدواوير وأعراش البلدية المختلطة، ونشاطهم اقتصر في هذا الإقليم، ويوجد في ثلاث دواوير من خمسة عشرة دوار على مستوى هذه المقاطعة، ثلاثة مقدمين يتشاركون السلطة الدينية.

بدوار تقيطونت برز عباشة أحمد بن المكي، ابن أحد المقدمين، الذي كان باشا عدل سابق بمحكمة تقيطونت و الذي تم عزله بسبب مشاركته في ثورة شيخ الحداد[1].

هذا المقدم عباشة أحمد رغم تعيينه من طرف الشيخ محمد أو عمارة من دوار أوزلاقن في البلدية المختلطة أقبو، إلا أنه اعتبر قائده الروحي هو الشيخ سي محمد أمزيان الشباني من دوار قرقور الذي امتد تأثيره على جزء من دوار تقيطونت، وكذلك برز نشاطه على دوار منتانو ودوار شعبة شرفة بالبلدية المختلطة عين عباسة. وفي دوار منتانو كان المقدم لطرش الحاج عمار بن السعيد قد نصب من طرف الشيخ سي احميدة من دوار حربيل في البلدية المختلطة قرقور، وامتدت سلطته على دوار منتانو.

أخيرا بدوار واد البارد، كان بن حافظ محمد الطيب بن أحمد قد نصب من طرف الشيخ الحملاوي من منطقة تلاغمة، امتد تأثيره الديني على ملحقة دوار واد البارد وجزء ضعيف من دوار بني مرعي. والجدير بالذكر أن المقدم عباشة امتلك زاوية– لكنها تراجعت بعد ثورة الشيخ الحداد والمقراني سنة 1871 – فأصبحت عبارة عن مدرسة قرآنية يعطى التعليم فيها سوى لأقرباء المقدم الخاصين.

---

1 Ibid, p. 1.

فلا أحد كان يقوم بنشر طريقته ودعوته أو الزيارة التي كان من شأنها المحافظة على الحماسة وعقيدة ضعفاء الايمان، فيبدو أن العلاقات كانت فاترة بين المقدم والإخوان، وما يمكن قوله هو أنه فقط تجسد في التأثير المعنوي[1].

وإلى جانب هؤلاء كان في البلدية المختلطة تقيطونت السيد بلجودي محمد من دوار بابور الذي يسير زاوية بالقرب من مقر من عين الكبيرة، هذه الزاوية التي هي عبارة عن ملاذ لعابري السبيل والفقراء والبؤساء ولا تقدم أي تعليم ديني.

وتوجد فوارق فيما يخص مواقف هؤلاء المقدمين الثلاثة ذوي التكوين الديني المتطابق، لكن ذوي التطلعات المختلفة عن قادتهم الروحانيين الذين نصبوهم كمقدمين في المنطقة.

– الأول بن حافظ محمد الطيب الذي اعتمد موقف تحفظي مطلقا ليس فقط اتجاه الموظفين الفرنسيين، ولكن أيضا اتجاه سكان الوسط الذي يعيش فيه غير أن تأثيره كان محدودا.

– الاثنين الآخرين لهما بروز أكثر وامتزج بحيوية أكبر مع سكان الدواوير، مع وجود تنافس بين عباشة أحمد ولطرش الحاج عمار، وذلك لوجود مناطق التأثير مجاورة لبعضها البعض "[2].

الواقع أن هذا أمر طبيعي ومشروع نلمسه عند كل المشايخ ماضيا وحاضرا، وأما ما ورد في التقرير الذي ينتقد المشايخ المقدمين لمن أجازوهم، حيث ورد فيه بأن هؤلاء الممثلين للطريقة الرحمانية لم يقوموا بالمأمورية التي أنيطت بهم بالصفة المطلوبة ودخلوا في تنافس بينهم لا من أجل رفع مستوى الدور الموكول

---

1 Ibid, p. 2.
2 Ibid, p. 3.

إليهم، ولكن من أجل طموحات مصلحية وشخصية دنيوية لا تمت إلى خدمة الدين والعلم بصلة حسبما يزعم الفرنسيون[1].

وإن كان ظاهر القضية ينم بوجود بعض هذه التصرفات فإن هذا التقرير زيادة عن جهله بالأساليب التكتيكية التي يستعملها الناشطين في تحقيق الأهداف الوطنية والدينية تجنبا للضغوط والمراقبات الاستعمارية، وإبعاد الظنون والشبهات التي يتخذها الاستعمار ذريعة لغلق هذه الزوايا والمراكز التعليمية، فيكون ما يبدو من تصرفات متناقضة في الظاهر هي في الواقع تمويه لاتقاء الإجراءات التعسفية الاستعمارية.

وإذا كان ما يبدو هناك تنافسا فهو تنافس مشروع في تحقيق الأهداف وتنشيط التطورات في الميدان، وما دام هذا المشروع المتمثل في بذل الجهود لتقوية هذا العمل وتوفير ما تستلزمه هذه الزوايا والكتاتيب والبيوتات الدعوية من إيواء وإطعام لمختلف الطلبة والمريدين وذوي الحاجات الذين يفيدون على بيوت هؤلاء الشيوخ سواء كانت حاجات مادية بالنسبة للفقراء والمسافرين في إطار العملية التي يطلق عليها بيوت السبيل أو الوافدين من أجل تلقي الاستشارات وحل المشاكل الاجتماعية والدينية.

إن الشيخ كان عبارة عن قطب اجتماعي وعلمي وديني مما يجعله في نشاط دائب ومستمر لاستقبال الضيوف، ونشر مبادئ الإصلاح والتوفيق لجميع أبناء الأحواز التي ينتمي إليها، وإذا رجعنا إلى التقرير والذي قلنا نظرا للجهل المطلق بالحيثيات التي يجري فيها هذا النشاط، فإن قصد هذا التقرير شأنه في ذلك شأن الكثير من الكتاب والمؤرخين لم يكن نزيها في طرحه ولا مجردا من الأهواء المتحيزة في كتاباته وملاحظاته.

---

1 Ibid, p. 4.

ويجدر الذكر أن المؤرخين الفرنسيين تلقوا منذ إنشاء جامعة الجزائر سنة 1909 م تسهيلات مادية و معنوية، فسخروا جهودهم لكتابة تاريخ الجزائر منذ عصوره القديمة، فشكلوا لجان أعمال وأبحاث، وجالوا أنحاء الجزائر بهدف البحث عن المصادر والمعارف المساعدة على معرفة أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وكرسوا أقلامهم في خدمة المشروع الاستعماري الذين تأثروا به ودافعوا عنه، ولم يكترثوا في الغالب بالمصداقية العلمية والموضوعية، فانفردوا في الخطاب رغبة منهم في جعل التاريخ يخضع لهم كما أخضعت الأرض للعسكريين وإدارتهم[1].

وقدموا تفسيرات له بصورة مغايرة للحادثة التاريخية التي بعثوها لا في حقيقتها بل كما تصوروها أن تكون وفق وجهة معينة عبر عنها المؤرخ" Gsell " بقوله[2]:" إن التاريخ يحدد لنا أيضا واجباتنا، فعلينا أن نتسلح بإرادة لا تقهر في أن نكون أسيادا وإلى الأبد ... فالمؤرخون سواء كانوا واعين أو مناصرين، مرغمين للنظام للاستعماري، دأبوا على تقديم صورة يائسة عن ماضي الجزائر، وانكبوا على استعراض النتائج الفاجعة مستغيثين بالاحتلال ".

1 محمد الميلي: "الجزائر والمسألة الثقافية، مدخل تاريخي"، المستقبل العربي، ع 41، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص.55.

2 محمد الشريف ساحلي: تخليص التاريخ من الاستعمار، تر محمد هناد، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 1992، ص.10.

قضية تجنيس الأهالي المسلمين في الجزائر المستعمرة: 1865-1962م (الأبعاد والتداعيات)

أ .د/ رمضان بورغدة

جامعة 8 ماي 1945م بقالمة

مقدمة:

سأتطرق في هذه الدراسة إلى معالجة الوضعية القانونية للأهالي المسلمين الجزائريين إبان الاحتلال الفرنسي، من خلال تحليل الغموض الذي اكتنفها خلال المرحلة الممتدة من 1830 إلى 1865م، وطبيعة قانون سناتيس كونسيلت" Sunatus Consult"، والصفة القانونية التي أطلقها على أفراد المجتمع الجزائري، ومختلف الشروط التي فرضها عليهم للحصول على الجنسية الفرنسية. وفي الأخير سأخلص إلى دراسة مكانة الأهالي المسلمين في الإدارة الاستعمارية، ومدى تناسبها مع ثقلهم الديمغرافي، ومع المعايير الديمقراطية السائدة في فرنسا نفسها، وأثر ذلك على ظروف حياتهم، ومختلف **مواقف وردود فعل الأعيان المسلمون** في هذا المجال، وتأثيرات ذلك على النشاط الوطني خلال القرن العشرين.

أولا: الوضعية القانونية للأهالي المسلمين إبان الاحتلال الفرنسي:

على الرغم من أن الملك لويس فيليب(1848-1830) قد أصدر مرسوما ملكيا يوم 24 فيفري 1834م، اعتبر فيه الجزائر أرضا فرنسية، واتخذت بعد ذلك تدابير عسكرية وقانونية لتجسيد الإدماج، وعلى الرغم من أن محكمة الجزائر (Cour d'Alger) أصدرت فتوى قانونية اعتبرت فيها أهالي الجزائر

رعايا فرنسيين(sujets) إلا أن سلطات الاحتلال الفرنسي لم تقم بتحديد الصفة القانونية للمسلمين الجزائريين إلا في عهد نابليون الثالث "Napolion III (1852–1870), وهي وضعية اعتبرها الإمبراطور نفسه غير مقبولة, وكانت في نظره سببا لكثير من التجاوزات التي كان الأهالي المسلمون ضحية لها في الفترة السابقة.

ولما كان قد اعتبر نفسه إمبراطورا للعرب مثلما أنه إمبراطورا للفرنسيين، فقد أمر بوضع حد لهذه الوضعية وأبدى بعض التعاطف مع الأهالي من خلال بعض مواقفه، ومنها رسالته الطويلة إلى الحاكم العام ما ماكماهون Mac Mahon [*]بتاريخ 20 جوان 1865 التي قال فيها[1]: " ...إن المؤسسات الإدارية السابقة, قد عمل كل منها في مجاله الخاص من غير اهتمام بالتصور الشامل للمسألة... و أن محاولات تفكيك القبائل كانت من غير بديل يمنح لهذا الشعب".

ولهذا أصدر الإمبراطور يوم 14 جويلية 1865م قانون سيناتيس كونسولت Senatus consult الذي اعتبره المؤرخون بمثابة دستور للجزائر، لأنه حدد بوضوح الصفة القانونية للجزائريين لأول مرة منذ الاحتلال، فاعتبرهم " أهالي مسلمين (Indigènes musulmans)، ومعنى هذا أنه حرمهم من المواطنة الفرنسية، وما يترتب عنها من امتيازات تضمنها الدولة الفرنسية.

فقد نصت المادة الأولى من هذا القانون على ما يلي:" الأهلي المسلم فرنسي، ولكنه يستمر في الخضوع للقانون الإسلامي، ويمكن قبوله للخدمة في الجيوش البرية والبحرية، ويمكن استدعاؤه للقيام بوظائف مدنية في الجزائر، ويمكن بطلب منه قبوله من أجل التمتع بحقوق المواطنة الفرنسية، وفي هذه الحالة يخضع للقوانين المدنية والسياسية الفرنسية".

أما المادة الرابعة، فبينت أن صفة المواطن الفرنسي لا يمكن الحصول عليها، طبقا للمواد: 1 و2 و3 من هذا القانون إلى غاية اكتمال سن 21 سنة. ونصت المادة الخامسة على أن قانون الإدارة العمومية منوط به تحديد:

أ- شروط القبول والخدمة والتعويضات بالنسبة للأهالي المسلمين والأهالي الإسرائيليين في الجيوش البحرية والبرية.

ب-الوظائف المدنية التي يمكن أن تمنح في الجزائر للأهالي المسلمين والأهالي الإسرائيليين.

ج-الأشكال التي يجب إتباعها في تقديم الطلبات المنصوص عليها في المواد 1، 2، 3 من هذا القانون [(2)].

ومن أجل ذلك صدر بتاريخ 21 أفريل 1866 مرسوم تطبيقي (مرسوم إمبراطوري)_فبالنسبة لشروط القبول والخدمة والتعويضات بالنسبة للأهالي المسلمين والأهالي الإسرائيليين في الجيوش البحرية والبرية، نص المرسوم في مادته الأولى على اعتبار القوات المشكلة من أهالي الجزائر جزءا من الجيش الفرنسي، وحسابها في التعداد العام، وأن أفرادها هم متعاقدون بصورة طوعية، وأن كل أهلي يمكنه إبرام عقد للتجنيد إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

1-أن يكون قد بلغ 17 عشر سنة على الأقل و35 سنة على الأكثر، وألا تقل قامته عن 1م و55 سنتم.

2- أن يكون قادرا من الناحية الجسدية على القيام بالخدمة العسكرية.

3-أن يكون أهلا من الناحية الخلقية والسلوكية للخدمة في الجيش الفرنسي.

ويتم التأكد من هذا الأمر من خلال تقرير رئيس المكتب العربي، أو من خلال المسؤول العسكري للفيلق الذي ينتمي إليه الذي يبدى رأيه فيه، ويرسل طلبه والوثائق المرفقة إلى قيادة القطاع العسكري.

وتكون مدة العقد 04 سنوات قابلة للتجديد وفق شروط معينة، وذلك مقابلة منحة مالية يحددها قرار من وزير الحربية، ويخضع العسكريون الأهالي للنظام القضائي العسكري الفرنسي.

أما الترتيبات الخاصة بتجنيس الأهالي، فقد نص هذا المرسوم الإمبراطوري على ما يأتي:

1-إن الأهلي المسلم .....إذا أراد أن يتم قبوله من أجل التمتع بحقوق المواطنة الفرنسية ...عليه أن يتقدم بصورة شخصية سواء أمام رئيس البلدية التي يقع بها مقر سكناه أو أمام رئيس المكتب العربي للدائرة (circonscription) التي يسكن فيها من أجل تشكيل طلبه والتصريح بأنه يقبل بالاحتكام والخضوع للقوانين المدنية والسياسية الفرنسية، حيث يتم تحرير محضر بهذا الخصوص.

وبعد ذلك يباشر رئيس البلدية أو رئيس المكتب العربي تحقيقا حول سوابق وأخلاق المترشح، ويتم إرسال نتيجة هذا التحقيق برفقة المحضر الذي يضم طلبه إلى الجنرال قائد العمالة(Province) الذي يرسل بدوره كل تلك الوثائق مع إبداء رأيه إلى الحاكم العام للجزائر، وهو الذي يملك سلطة الموافقة أو رفض الطلب، مع العلم أن طلب التجنس يقتصر فقط على الأهالي الذين أكملوا سن 21 سنة، ويتم التأكد من ذلك بشهادة ميلاد(لم تكن موجودة)، فإن لم توجد فبعقد موثق يتم تحريره اعتمادا على تصريح شرفي لأربعة شهود من قبل قاضي الأمن (le juge de paix) أو القاضي المسلم (3).

ومعنى هذا، أنه يجب عليهم التخلي عن قانون الأحوال الشخصية المستمد من الشريعة الإسلامية الذي يشمل مجالات الزواج والطلاق والمواريث .... إلخ، والاحتكام إلى القانون الفرنسي في هذا الاختصاص الذي يتعارض مع الشريعة، حتى يتمكنوا من الحصول صفة مواطن فرنسي.

وحجة المشرع الفرنسي أن الاستفادة من امتيازات المواطنة (الحقوق) يستلزم القيام بالواجبات، ومنها الخضوع للقوانين السارية المفعول، غير أن هذا الشرط كان تعجيزيا، فقد ظل الجزائريون يعتبرون القبول به ارتدادا عن الإسلام، ولهذا رفضوه، ونبذوا كل من تجرأ على التجنس، وهو ما جعل نابليون الثالث Napolion III يقول [3]: «إن السكان المسلمين أمسوا تائهين من غير دليل بعد أن تعرضت مؤسساتهم لهزة عنيفة لم يسلم منها سوى جهلهم وتعصبهم الديني الذي حال دون إقبالهم على طلب المواطنة الفرنسية».

ولم تكن دوافع رفض الأهالي لإغراءات المواطنة الفرنسية واضحة لدى نابليون فحسب، وإنما كانت كذلك لدى مختلف المسؤولين الفرنسيين، فقد جاء في تقرير اللجنة البرلمانية التي ترأسها السيد وارنيي [1*] (Warnier) , وكلفت بتحضير القانون العقاري لعام 1873 (قانون الأرض)، الذي قدم إلى الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان), أن[4]:« موقف الأهالي من قانون الجنسية, هو تعصب وحشي يعود تاريخه إلى اثنا عشر(12) قرنا ».

وإذا كانت المواطنة توحي للسكان بأنهم أحرار في بلدهم، ولهم فيه حق التصويت في المجالس العمومية [5] فقد حرمت فرنسا منها سكان البلد الأصليين، رغم أن ثورتها عام1789م هي التي جاءت بهذا التعريف للمواطنة، واعتبرتها حقا مكتسبا بالفطرة، فالجزائري هو أهلي (ndigene) أي أنه ساكن أصلي للبلد, لكنه محتقر لأسباب عنصرية، و هو ما اعترف به إسماعيل إيربان Ismail Urbain [2*], مستشار الإمبراطور نابليون الثالث (Napolion III) الذي اعتبر أن قانون سناتيس كونسيلت يعد استفزازا لمشاعر الجزائريين [6] .

وقد كشف الحاكم العام للجزائر، الجنرال ماكماهون (Mac Mahon) أن الأهداف الحقيقية من وراء وضع هذا القانون هي: إبعاد المسلمين عن دينهم

كوسيلة لتحقيق سياسة الإخضاع, فصرح قائلا[7]:« إذا أرادوا أن يكونوا فرنسيين عليهم أن يرتدوا عن عقائدهم, و أن يمزقوا كتابهم المقدس ..».

ولهذا كان متوقعا ومنطقيا أن يرفض الأهالي المسلمون بمن فيهم الأكثر ولاء لسلطات الاحتلال قانون التجنيس، نظرا لشروطه التعجيزية، وخاصة شرط التخلي عن الأحوال الشخصية، فقد عد القبول بهذا الشرط ارتدادا عن الإسلام، كما جاء في الآية الكريمة [8]: «**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**»، وعبر عنه أحد القياد بقوله [9]:« وأما الدخول في الجنسية الفرانساوية[كذا] ، فهو أمر عظيم علينا ، لأنه الخروج عن ديننا ، وتبديلها ولا نقبلوه [كذا]».

والواقع أن طلب الجنسية الفرنسية ظل منبوذا حتى من قبل طلائع النخبة الجزائرية التي تخرجت من المدرسة الفرنسية، فقد كتب المدعو عبد الله [*3] سنة 1893م في جريدة الحق EL- Hack De Bône التي كانت تصدر بعنابة مقالا لاذعا ضد المتجنسين عنوانه:«إلى المرتدين », تساءل فيه قائلا :«ما هي فضائل رجل يرتد عن قوميته وعن دينه ؟ », و دعا الفرنسيين إلى عدم الثقة فيم ,فقال :« إن الخائن الذي يحبكم اليوم، ألا يمكن أن يخونكم غدا ؟». وأضاف متسائلا[10]:« من الشخص الذي يفضله الفرنسي؟ هل هو ذلك الرجل الذي يقول عن نفسه بأنه ليس بعربي ولا بمسلم، ولكنه فرنسي؟ ذلك الذي ينسى اليوم أن الدم المحمدي يسري في عروقه، وأن أمته مسلمة وأن أسلافه قد دافعوا عن القضية الإسلامية».

ولقد تجلى رفض الأهالي المسلمين لقانون سيناتيس كونسولت( ) Senatus Consult في امتناعهم عن طلب الحصول على الجنسية الفرنسية, ففضلوا الحياة بصفة " أهالي", مقابل الاحتفاظ بدينهم, مع ما يترتب عن ذلك

من حرمان سياسي و اجتماعي, و خضوع للقوانين الاستثنائية القاسية, و رفضوا كل إغراءات المواطنة المشروطة بالارتداد عن الإسلام حسب اعتقادهم, ولهذا ظل عدد المتجنسين محدودا جدا كما يبينه الجدول الآتي[11]

السنـة	1877	1878	1879	1880
عدد المتجنسين	17	23	30	18

وقد بلغ مجموع المتجنسين طوال فترة 1865 إلى 1921: 1839متجنس، وهو عدد ضئيل جدا كما هو واضح إذا قورن بعدد السكان المسلمين الذي كان يقدر بالملايين.

قانون 26 جوان 1889، و22 جويلية 1893، يمنحان الجنسية بصورة آلية لأبناء المتجنسين، ولكن إذا بلغوا سن 21 سنة يحق لهم التخلي عنها [(12)]. وقد جاءت هذه الطلبات المحدودة من لدن عساكر قدامي، ومن مساعدي المكاتب العربية [(12)]، وظل المتجنسون منبوذين من قبل المجتمع الأهلي المسلم، ولم يتمكنوا في الوقت نفسه من الاندماج في المجتمع الفرنسي رغم صفة المواطنة التي يحملونها، وذلك بفعل احتقار هذا المجتمع لهم، ولهذا قضوا حياتهم في حالة ضياع حقيقية.

وفي يوم 24 أكتوبر 1870، أصدر أدولف كريميو(Adolphe Crémieux) وزير العدل في حكومة الدفاع الوطني قرار رقم 136، منح بصورة جماعية وآلية الجنسية الفرنسية لـ35000 يهودي من سكان الجزائر [(13)].

حيث ورد فيه ما يلي:"إن الأهالي الإسرائيليين في المقاطعات الجزائرية يعتبرون مواطنين فرنسيين، ونتيجة لذلك، فإن قانون أحوالهم الشخصية يتم معالجته من قبل القانون الفرنسي ابتداء من سريان مفعول هذا المرسوم، وكل

تدابير قانونية وكل سيناتيس كونسيلت وكل قرار أو تنظيم أو أمر يخالف هذا المرسوم يعتبر لاغيا".

كما أصدرت حكومة الدفاع الوطني يوم 24 أكتوبر 1870م مرسوم رقم 137 حول تجنيس الأهالي المسلمين والأجانب المقيمين في الجزائر، عدل قانون سناتيس كونسيلت الصادر يوم 14 جويلية 1865، بعد أن حصل يهود الجزائر بشكل جماعي وآلي على الجنسية الفرنسية

والواقع أن شرط التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية, مقابل حصول الأهالي على المواطنة الفرنسية استهدفت منه إدارة الاحتلال فعلا ارتداد، أو على الأقل ابتعاد المسلمين الجزائريين عن دينهم بغرض تحقيق عمليتي الإخضاع و الإدماج(*4) , فإذا كانت سياسة الحكام العامين العسكريين الفرنسيين بالجزائر قد تميزت بالحذر الشديد تجاه كل ما يمس المعتقدات الدينية ,نتيجة الاستماتة التي أظهرها الشعب في الدفاع عن دينه، فإن الإدارة الفرنسية لجأت إلى توظيف المبشرين من رجال الدين المسيحيين لتحقيق الغرض نفسه , ولهذا طالبوا بحرية كاملة في فتح المدارس ,و إنشاء الملاجئ للأطفال و اليتامى ونشر تعاليم الإنجيل خاصة لدى قبائل البربر [13], ففي رسالة رعوية (Lettre pastorale) مؤرخة يوم06 أفريل 1868 م حدد الكاردينال لافيجري " Lavigerie" واجب المسيحيين اتجاه الشعب الجزائري, فقال :" يجب إنقاذ هذا الشعب ، يجب توقيفه عن النزول عند أحكام القرآن ، لقد فعلنا ذلك بكل الوسائل الممكنة ، يجب أن يتنفس أطفاله على الأقل بأحاسيس أخرى, وبمبادئ أخرى ،وفرنسا هي التي تمنحهم ذلك بأن تعطيهم الإنجيل , و إلا فلتطردهم إلى الصحاري بعيدا عن العالم المتحضر " [14] ,و أشارت هذه الرسالة إلى غضب الحاكم العام ماكماهون (Mac Mahon) الذي أراد حصر نشاط لا فيجري،

غير أن هذا الأخير أقنع نابليون الثالث بسمو المهمة التي يقوم بها ، ووجد في الأوساط العسكرية من يدعم أفكاره, فهذا الجنرال صوني (Sonis) يصف مهمة لا فيجري "Lavigerie " بأنها المهمة الوحيدة التي يمكنها أن تقدم الحقيقة إلى هذا الشعب, وليس العسكريين فقط، و كتب الطبيب وارنيي (Dr Warnier) إلى لافيجري مشجعا لنشاطه من أجل«انتصار الحضارة بين الأهالي... هؤلاء الجبليين الذين كانوا مسلمين بالاسم فقط».

وعندما سقط العسكريون وتولى المدنيون السلطة في الجزائر سنة 1871 اشتد النشاط التبشيري بسبب تشجيع الحاكم العام[*5] الجديد، و عدت أعمال لا فيجري (Lavigerie) من طرف الجنرال ومبفان (Wimphan) كأجمل مشاريع القرن التاسع عشر [15].

والواضح أن الظروف التي وردت فيها الرسالة تبين أن السياسة الاستعمارية تلقت صفعة قاسية من قبل الأهالي، الذين كانوا في تلك الفترة يمرون بأحلك أيامهم، وكانت القضية لديهم مسألة حياة أو موت بسبب مجاعة سنوات1866م, 1867, و1868م الرهيبة، فكان خيار الموت أهون عليهم من التجنس، أو اعتناق المسيحية.

فعلى سبيل المثال عين في ماي 1868 أحد الدعاة المبشرين المتحمسين على رأس مستشفى الأربعاء نايت إيراثن، وقام بإنشاء جمعية لنشر العقيدة المسيحية, وحاول أن يعزز دور رجال الدين المسيحيين في بلاد القبائل لكن النتائج كانت عكس توقعاته, فقد رفضت القبائل إقامتهم بينها، وغادر المرضى المستشفى, و وقعت اضطرا بات, خاصة في منطقة أيت برار [16].

وهكذا فشلت مساعي الاندماج، سواء بالتجنيس أو بالتنصير، بسبب صلابة رفض الأهالي، و هو ما عبرت عنه بوضوح العديد من عرائضهم، ففي

عريضة مؤرخة في 10 جويلية 1887م بقسنطينة وقع عليها 1700 شخص، و صادقت عليها بلدية قسنطينة يوم 5 أوت 1887 بحضور عمدتها السيد ارنست مارسيي (Ernest mercier),ورد أن[17] : « ... الدخول في الجنسية الفرنسية ستكون آثاره بالنسبة لنا هو الإلغاء الكامل لقوانيننا ونظمنا .... إن القانون (الشريعة) عندنا هي أساس الدين وأنه غير مسموح لنا الخروج عن هذا الطريق السوي...»، ولم يترك أصحاب العريضة مجالا للمساومة على هويتهم بقولهم [18]: " إن أعز ما نرغب فيه ونتشبث به أكثر من أي شيء آخر، هو المحافظة على شريعتنا».

وقد أصر أصحاب العريضة الذين أطلقوا على أنفسهم «هيئة أهالي الجزائر المسلمين» على ضرورة المحافظة على الوضع الاجتماعي، والشريعة " المدنية والدينية " حسب تعبيرهم، ودعموا مطلبهم باعتمادهم مرجعية معاهدة استسلام الجزائر 1830 [19].

ولما أعد السيد مارتينيو(Martinio) مشروعي قانونين يهدفان إلى إصدار مرسوم جديد للتجنيس يجمع المسلمين الجزائريين في حلف مشترك مع الأمة الفرنسية, مع إخضاعهم للخدمة العسكرية الإجبارية, بادر 11179 شخص من سكان مدينة تلمسان بتاريخ 7 أفريل 1891 إلى توقيع عريضة أرسلت إلى وزير الحربية الفرنسي، ورد فيها قولهم [20]:«... ونحن بمسلكنا هذا قد أوفينا بجميع التعهدات التي التزم بها أجدادنا إزاء فرنسا عند الاستسلام, على أمل الاحتفاظ بحرية عقيدتنا التي لا يمكن فصلها- على كل حال - عن نظامنا الاجتماعي، وحسب الحكمة الدارجة فالحياة الدنيا عماد الدين...».

وبعد أن أقر الموقعون على العريضة بحسن نية صاحب المشروعين، أضافوا قائلين: «ومهما يكن الأمر فهذه الأحكام لا يمكن تطبيقها علينا لأنها

خطيرة على ديننا.... فنحن لن نقبلها... إن حمل الأسلحة الحربية هو شرف كبير لنا، ولكننا لا نستطيع التضحية بديننا من اجل امتيازات دنيوية، إن ما يعتز به المسلمون أكثر من أي شيء آخر هي عقيدتهم».

وفي رسالة وجهها شيخ قبيلة إلى عضو في البرلمان الفرنسي، جاء فيها [21]: «إن ثورة المسلمين لن تصبح واجبا إلا إذا كان الشعب المسيطر، مسيحيا كان أو ثنيا، يريد إجباره على التخلي عن دينه أو أظهر عدم احترام لشعائره، ففي هذه الحالة يتحتم عليه أن يختار الموت بدل الاستسلام».

ولقد وجدت السلطات الفرنسية نفسها أمام باب مسدود، محكم الإغلاق بسلطة الدين وحدها، فعندما ترددت إشاعات حول احتمال قيام فرنسا بمنح الجنسية الفرنسية للجزائريين، وفرض الخدمة العسكرية الإجبارية عليهم شهدت الجزائر موجه هجرة نحو المشرق، مما جعل الحاكم العام جول كامبون (J.Cambon) خلال موسم حج 1893 يستصدر فتوى [*6] ترغب الأهالي المسلمين عن الهجرة.

ومعلوم أن يهود الجزائر قد أصبحوا مواطنين فرنسيين بموجب مرسوم كريمبو, الذي صدر بتاريخ 24 أكتوبر 1870 [22] و أدى إلى توسيع الهوة بينهم وبين الأهالي المسلمين, فقد هاجمت جريدة الحق [*7] اليهود بحدة نظرا لانقلابهم على مواطنيهم بعد حصولهم على التجنيس, و جاء في عددها الصادر يوم 30 جويلية 1893 أن [23]:« الذي يثيرنا ويحز في أنفسنا أكثر هو ما نراه من كون بؤساء الأمس الذين كانوا يرزحون تحت وطأة الاحتياج، و الذين كانت تغمرهم السعادة عندما تمتد أيدهم لمصافحتنا, قد تحولوا اليوم إلى أغنياء, وأصبحوا يهاجموننا بشراسة أكثر من غيرهم».

وهكذا يتضح أن الشروط التعجيزية التي فرضتها السلطات الفرنسية على الأهالي المسلمين إن أرادوا الحصول على الجنسية الفرنسية، استهدفت صرفهم عن المطالبة بالجنسية الفرنسية، وما يترتب عنها من حقوق، تتنافى مع جوهر الظاهرة الاستعمارية، وسنرى فيما يأتي أثر حرمانهم من المواطنة الفرنسية على مكانتهم في الجهاز الإداري الذي استحدثته السلطات الفرنسية في الجزائر.

ثانيا: تأثير حرمان الأهالي من المواطنة الفرنسية على مكانتهم في الهياكل الإدارية المستحدثة في الجزائر

يعتبر النظام الإداري الذي استحدثته السلطات الفرنسية في الجزائر خلال القرن 19 خلاصة لتجارب كثيرة بدأت بعد احتلال مدينة الجزائر مباشرة سنة 1830 [(8*)]، حيث صدر في البداية مرسوم 22 جويلية 1834م الذي اعتبر الجزائر أرضا فرنسية, ونظم الإدارة الاستعمارية فيها, فأنشأ منصب الحاكم العام العسكري, ومنحه سلطة ممارسة الوظيفة العسكرية باعتباره قائدا عاما للقوات الفرنسية بالجزائر, وسلطة مدنية باعتباره أعلى مسؤول فرنسي يمثل الحكومة الفرنسية في الجزائر, فهو يخضع مباشرة إلى سلطة وزير الحربية, ويساعده مجلس استشاري أعضاؤه من العسكريين فقط، مما أدى إلى إثارة استياء المستوطنين, و فجر الصراع على السلطة في الجزائر بينهم و بين العسكريين [(24)] طوال الفترة الممتدة ما بين 1830م و1870م (فترة الحكم العسكري) التي انتهت بانتصار المستوطنين, و تكريس الحكم المدني منذ 1871م , بعد قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة(1871-1940م).

وبعد احتلال مدينة قسنطينة يوم 13 أكتوبر 1837 م، وما أعقبه من احتلال لإقليم الشرق بكامله، طورت سلطات الاحتلال جهازها الإداري باستمرار بهدف ضمان أحسن السبل لاستغلال الأرض، والتحكم في السكان، ويمكننا أن

نميز بالنسبة للتنظيم الإداري الفرنسي بالجزائر مرحلتين أساسيتين خلال القرن التاسع عشر.

أما المرحلة الأولى، فيطلق عليها النظام الإداري المزدوج (1848– 1870)، و خلالها تقاسم المدنيون و العسكريون السلطة، حيث ألغى قرار 9 ديسمبر 1848 المقاطعات المختلفة، وقسم البلاد إلى ثلاث عمالات (Provinces) وقسم كل عمالة إلى أراضي عسكرية (Territoires militaires)وأراضي مدنية (Territoires civils) ,و أسند إدارة مناطق الحكم العسكري داخل كل عمالة إلى ضابط برتبة لواء(Général division) تساعده مكاتب عربية. (Bureaux arabes) [(25)].

و لما كانت المكاتب العربية تمثل العمود الفقري للإدارة العسكرية, فمن المفيد توضيح تركيبتها ومهامها وسياساتها, حيث تعد مبادرة قام بها الحاكم العام, الجنرال بيجو[(9*)] (Bugeaud) من أجل إخضاع السكان المسلمين, و تحقيق الأمن لتسهيل استغلال المستعمرة عن طريق تغيير نمط معيشة الأهالي المسلمين. وقد عرف دوماس (Dumas)المكتب العربي بأنه[(26)]: " المؤسسة التي يتمثل موضوعها في صفات التهدئة، إي إخضاع القبائل بصفة دائمة... ", ولهذا كتب أحد ضباط الشؤون الأهلية يقول [(27)]:" يجب أن تهتم المكاتب العربية بتحقيق الأمن أكثر من اهتمامها بالاستعداد للحرب، وعليها أن تستميل العرب وتديرهم, و تمنحهم الهدوء والراحة ".

ويتحقق هذا المسعى في نظر الجنرال بيجو (Bugeaud) بواسطة ربط القبائل بالأرض وتحسين ظروف استغلالهم لها, وهي أفكار تبدو متناقضة تماما مع سلوكاته ومعاملاته للأهالي المسلمين، إذ طبق ضدهم سياسة الأرض المحروقة, وسلط عليهم العقوبات الجماعية كمصادرة الأراضي والغرامات

الجماعية ,و عقوبات الحجز, و النفي , و غيرها من العقوبات التي تتنافى مع مبادئ القانون العام , و تتعارض مع القيم الإنسانية.

وقد وصل عدد المكاتب العربية سنة 1870 إلى 70 مكتب، يديرها مائتا (200) ضابط على مستوى العمالات الجزائرية الثلاث (قسنطينة، الجزائر، وهران). وقد تمتع رئيس المكتب العربي بسلطات واسعة، شملت مراقبة عمل القضاة المسلمين في جميع القضايا باستثناء القضايا الجنائية التي كانت من صلاحيات مجالس الحرب (Conseils de guerre)، وكان يعمل مستشارا للطرف المسلم في النزاعات التي تحدث بين المستوطنين والأهالي المسلمين.

وفي المجال المالي، يقوم بتحديد الإتاوات المفروضة على القبائل، ويحول المبالغ المحصلة إلى الخزينة، كما يقوم بمهام عسكرية تتمثل في تشكيل فرق القومية (*10) وتنظيمها وقيادتها أثناء الحرب، لأن ضباط المكاتب العربية هم عسكريون قبل أن يكونوا متصرفين إداريين (28).

وقد ظل ضباط المكاتب العربية أكثر عداء وتعسفا في تعاملهم مع الأهالي بالمقارنة مع الضباط الفرنسيين الآخرين، فعلى سبيل المثال أتهم رئيس المكتب العربي بالبيض، محمد بن العربي بن إبراهيم المدعو " بوعمامة "(*11) بتحريض ابن الآغا سليمان بن قدور على الفرار إلى المغرب الأقصى، وأقترح على السلطة الفرنسية اعتقاله في مارس 1880 م أي قبل الثورة، بينما كان الضابط دوكاستري (De Castries) أكثر اعتدالا وعقلانية ، إذ قابل بوعمامة بنفسه, وعارض توقيفه وأيده الحاكم العام الفرنسي البير قريفي (Albert Grevy) . ولهذا السبب كان ضباط المكاتب العربية أكثر عرضة للصدام المباشر مع الأهالي، فقد اغتيل الضابط وامبرونر (Wembrenner) نائب رئيس المكتب العربي لما كان يحاول أن يعتقل بالقوة مبعوثي بوعمامة لدى

قبائل الجرامنة بواد الحجل يوم 22 أفريل 1881 وكان ذلك سببا مباشرا لثورة بوعمامة [29] .

ويمكن أن نميز في تطور المكاتب العربية مرحلتين: مرحلة المكاتب العربية الحاكمة (1848-1858), حيث قامت هذه المكاتب خلالها بمراقبة الأهالي وإدارة البلاد, فتكفل المكتب العربي بمهمة وضع قائمة بأسماء الأشخاص المشبوهين من كل قبيلة, و متابعة تصرفاتهم, و معرفة أماكن وجودهم على نحو يمكنه خلال ليلة واحدة من الإمساك بهم في حالة الشعور بالخطر.

ويعتبر شارل ريشار[30] أن:« هؤلاء الأشخاص موجودين بكثرة, و يمكن تصنيفهم حسب طبقاتهم المتنوعة، وأهمهم المراسلون القدامى للأمير عبد القادر ،وشيوخ الطرق الدينية،و المرابطون المشهورون، والدراويش المتنبئون, والأغنياء الرافضين للاحتكاك بنا, و الشيوخ المشهورين بوقارهم وعلمهم».

وقد تلت المكاتب العربية الحاكمة, المكاتب العربية الإدارية (1858-1870) وظهرت بعد استكمال عملية وضع الهياكل الإدارية ببلاد القبائل، واستخدمت المكاتب العربية المخزن [*12] لتحقيق أهدافها, ومارس القياد الذين كان للمكاتب العربية سلطة تعيينهم, تعسفا مشينا في حق الأهالي، وكانت الإدارة الاستعمارية على علم به, لكنها غضت عنه الطرف نظرا للخدمة الجليلة التي كانت تقدمها هذه الفئة من الجزائريين للإدارة الاستعمارية, فقد كتب أحد رؤساء المكاتب العربية قائلا[31]: " يتخذ بعض القياد في بعض الجهات من كل شيء وسيلة لكسب المال .." وبعد أن شرح الطرق المختلفة التي سلكوها لتحقيق ذلك، وخلاصتها استباحة كل أملاك القبائل، وصف القايد بأنه " متمسك بناصية هذا الفن الصعب – كسب المال– بحيث ينتف الدجاجة من غير كثرة صراخ».

وإذا سيق الأهلي المسلم إلى المكتب العربي، فسيتعرض بلا شك لعقوبة قاسية ومهينة، رغم أن الأسباب كانت تافهة في أغلب الأحيان، فعلى سبيل المثال أثناء ممارسة أفراد من عائلة سيدي الشيخ للعبة "الخربقة"(*13) أنظم إليهم الصبايحية التابعين للمكتب العربي، وبسبب تحريك بيدق (كلب) بطريقة غير صحيحة حصلت مشاجرة بينه وبين أحد أشرافهم، وانتهى باقتياد هذا الأخير إلى مقر المكتب العربي، وسلطت عليه عقوبة الضرب بالعصا على قدميه (32)، فكانت هذه الحادثة سببا مباشرا لثورة أولاد سيدي الشيخ.

ورغم الخدمات التي قدمتها المكاتب العربية للاحتلال فإنها كانت عرضة لانتقادات المستوطنين الذين حملوها مسؤولية الكوارث التي أصابت البلاد، و اتهموها بعرقلة انتقال الأراضي إليهم, والوقوف وراء ثورة المقراني و الشيخ الحداد في بلاد القبائل سنة 1871م, ولهذا سيتم إلغاؤها بعد أن عزز المستوطنون نفوذهم في مختلف مراكز صنع القرار, سواء في الجزائر, أو في فرنسا نفسها, بعد قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة في مطلع عام 1871م, فقد اعتبر مرسوم صدر عام 1870م أن سياسة المكاتب العربية كانت معادية للوطنية الفرنسية ولهذا بدأت عملية احتواء وإلغاء مناطق الحكم العسكري تدرجيا، فتم إخضاع المناطق العسكرية في العمالة لمناطق الحكم المدني (33)، وصدرت العديد من القرارات التي ألغت تدريجيا الأراضي العسكرية في شمال الجزائر كله, وحولت المكاتب العربية في الجنوب منذ 1902 م إلى مصلحة الشؤون الأهلية.

أما بالنسبة للإدارة المدنية, فقد أنشأت بمقتضى قرار 29 ديسمبر 1848 المقاطعة (Département)في الأراضي المدنية داخل العمالة، وعهد بإدارتها إلى وال، وزود الولاة بالصلاحيات نفسها التي يتمتع بها نظراؤهم في الوطن الأم, فكان للوالي حق الاتصال مباشرة بوزير الحربية ومختلف وزراء

الارتباط، و منذ 1858 تحصل على سلطات أوسع, و أصبح المختص الأول في المسائل المحلية المرتبطة بالأراضي التي يديرها [34], ويساعد ه في مهامه أمين العام للمقاطعة، ثم أستحدث ابتداء من سنة 1861 منصب نائب والي Sous préfet , يتمتع بنفس السلطات القانونية الممنوحة لنظيره في فرنسا, و هي الوصاية على البلديات, وأنشأ مرسوم 15 ديسمبر 1848م مجلس عام للولاية يراقب عمل الوالي ويشرف على وضع ميزانية العمالة، و هو يمثل وحدة العمالة، لأن أعضاءه يمثلون أراضي الحكم العسكري, ومناطق الحكم المدني التي تتشكل منها العمالة على حد سواء.

ومع أن المرسوم المؤسس للمجلس نص على إنشاء مجلس منتخب، إلا أن الإمبراطور نابليون الثالث (1870-1852) كان يقوم بتعيين أعضاء المجلس العشرين (20),ومنهم مسلمين اثنين وإسرائيلي واحد, وارتفع هذا العدد إلى 23 عضو بموجب مرسوم 25 جويلية 1860 وبعد ذلك تم تخفيف عدد الأعضاء غير المقيمين أي أولئك الذين توجد أغلب مصالحهم في فرنسا إلى ثلث (3/1) أعضاء المجلس .[35]

ولما كان الأهالي المسلمون يسكنون أيضا الأراضي المدنية، فقد أنشأت بها السلطات المختصة مكاتبا عربية للمقاطعات Bareaux arabes départementaux سنة 1848, بهدف إدارة شؤون الأهالي الذين أصبحوا تحت السلطة المدنية بعد ضم الأراضي العسكرية للمقاطعة، واقتبست تقنيات المكاتب العسكرية العربية مع إعطائها فقط مظهرا مدنيا.

وكان المكتب العربي للمقاطعة يمثل مكتبا ولائيا يخضع لسلطة الوالي، وتتمثل مهمته الرئيسية في تجزئة القبائل لتسهيل ربطها بالبلديات الفرنسية المستحدثة، لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية محددة. وكان موظفو هذه المكاتب

مدنيين، لهم نفس السلطات القانونية التي يضطلع بها زملائهم في المناطق العسكرية، مثل سلطة فرض الغرامات لقمع المخالفات البسيطة المقترفة من قبل الأهالي المسلمين. وكانت هذه المكاتب مرتبطة بالبلديات، ويمارس مسئولوها مهامهم من خلال القيام بجولات على الأحصنة، تحت حماية حراس مسلحين، فيتكفلون بحل المشاكل السياسية للقبائل عن طريق زيارة الأسواق وتنظيم جلسات الشكاوى [36].

ونظرا لتداخل صلاحيات المكاتب العربية للمقاطعة مع صلاحيات رؤساء البلديات، فقد صدر مرسوم 1866 الذي أنشأ منصب المساعدين الأهالي لدى البلديات ومنح تمثيلا للمسلمين في المجالس المحلية، وبذلك فقدت المكاتب العربية للمقاطعة جدواها، فتم إلغاؤها في سبتمبر عام 1868 م.

وابتداء من سنة 1870 م شهد التنظيم الإداري الفرنسي في الجزائر تحولات جذرية عقب انتهاء الحكم العسكري في الجزائر، وسيطرة المدنيين على السلطة، فبدأت مرحلة الإدماج، في إطار مسعى استهدف استنساخ الهياكل والتنظيمات الإدارية السائدة في الوطن الأم، وتطبيقها والعمل بها في الجزائر مع إحداث بعض التعديلات استجابة لخصوصيات الوضع في الجزائر، وبما يخدم أكثر مصالح المستوطنين الذين أصبحت لهم كلمة مؤثرة في مراكز القرار الإداري في هذه المرحلة.

فبموجب مرسوم 24 أكتوبر 1870 م تحولت العمالات الثلاث السابقة إلى مقاطعات [37]، ووضع على رأس كل مقاطعة وال, له سلطات واسعة, أما ما بقي من أراض عسكرية فقد كلف ضابط عسكري بإدارتها, لكن سلطاته القانونية تقلصت, فأصبح الجنرال قائد المناطق العسكرية لا يستطيع مراسلة الحكومة إلا عن طريق الوالي، فهو إذن أصبح يخضع لسلطة هذا الأخير.

كما تغير المركز القانوني لمجلس المقاطعة، فاعتمد مبدأ الانتخاب لأول مرة بالنسبة بالمستوطنين الأوربيين، ورفع عدد أعضاءه إلى ستة وثلاثين، منهم ثلاثين عضوا منتخبا يمثلون المستوطنين، أصبح هذا المجلس يتمتع بسلطات مماثلة لنظيره في الوطن الأم، وكان يمثل جهازا استشاريا ومحكمة في المجال الإداري.

أما فيما يتعلق بالتقسيم الإداري، فقد قسمت المقاطعات إلى دوائر (Arrondissement) وقسمت الدوائر إلى بلديات مختلطة, وبلديات ذات صلاحيات كاملة, وبما أن البلديات المختلطة كانت تمثل عصب الإدارة المحلية للأهالي ,فمن المفيد توضيح طبيعتها و مكانتها في النظام الإداري الفرنسي الذي كان سائدا في الجزائر.

ففي سنة 1868فكرت السلطات العسكرية في إنشاء بلديات مختلطة [*14]من أجل إدارة المجتمع المسلم في المناطق العسكرية, و لأن مرسوم 24 ديسمبر 1870 م أخضع مناطق الحكم العسكري السابق للإدارة المدنية (إدارة المقاطعة), فقد وجدت السلطات المدنية نفسها مرغمة على الاحتفاظ بجوهر النظام الإداري العسكري السابق وأضفت عليه فقط مظهرا مدنيا[38].

وكان الهدف من إنشاء هذه البلديات هو ترسيخ النظام الإداري الفرنسي في الجزائر، غير أنها كانت تمثل فقط مرحلة انتقالية، فينبغي حسب ماكسيم شومب (Maxime Champ)[39]: «أن تتحول إلى بلديات ذات صلاحيات كاملة متى تطور عدد الأوروبيين بشكل مقبول ومتى اندمج العنصر الأهلي في أفكارنا وخطا خطوة جديدة نحو الأمام».

وقد استحدثت هذه البلديات في المناطق التي مسها الاستيطان الأوروبي, ولكن الأهالي المسلمين ظلوا يشكلون الغالبية العظمى من سكانها,

كما شكلت لجنة بلدية لإدارتها, يتم اختيار أعضائها من بين السكان الفرنسيين,و بعض المسلمين الذين يتم انتقاؤهم بعناية حسب درجة ولائهم, و يقوم الحاكم العام بتعيين رؤساؤها و نوابهم،[40], و تتشكل من موظفين عسكريين ومن مستشارين أوربيين و مسلمين وإسرائيليين, و كانت البلديات المختلطة, على المستوى الوطني تشمل خمسة أسداس(6/5)أراضي الجزائر الشمالية,و تظم ثلاثة أخماس(5/3)السكان المسلمين, وخمس (5/1) السكان الأوربيين, و كان عددها سنة 1870 سبعة عشرة (17) بلدية, وفي سنة 1881 ارتفع عددها إلى سبعة وسبعون(77) بلدية [41] .

ولقد كان هذا النوع من البلديات استثنائيا وجديدا، إذ لم يكن له مثيل في النظام الإداري السائد في فرنسا.وقد ثبته قرار 1875, و بموجب قرار 30ديسمبر 1876, وضع على رأس هذه البلديات متصرفون إداريون(Administrateur)، يمثلون – في الواقع– رموزا للنظام الاستعماري ,فهم ورثة ضباط المكاتب العربية العسكرية السابقة, أي أنهم بمثابة قضاة، ورؤساء بلديات ورجال أعمال وبنكيين[42] .فالمتصرف الإداري بصفته رئيس بلدية يمثل عونا للسلطة المركزية، وضابطا للحالة المدنية، وغير ذلك من مختلف السلطات التي كان يتمتع بها نظيره في البلديات ذات الصلاحيات الكاملة، ويزيد عليه بكونه يضم إلى مجال اختصاصه تنظيم نقاط رصد لحراسة الغابات ويساعد الموزعين في المؤسسات على سد وتغطية الضرائب, ويعد تقريرا شهريا حول وضعية بلديته, كما يعد الميزانية، ويمثل البلدية المختلطة في العدالة, ويعين ويوجه القياد (Gaïds) ,وأمناء وأعوان الشرطة وأحيانا تمتد صلاحياته لتشمل إنشاء مصالح حراسة ، ودوريات لضمان الأمن العمومي .

وكان يشغل صفة ضابط شرطة قضائية بشكل استثنائي، وكثيرا ما تسببت هذه الصفة في أزمات بينه وبين قاضي الأمن (le juge de paix) بسبب تداخل سلطاتهما في هذا المجال. [43]

وأما البلديات ذات الصلاحيات الكاملة les communes de (pleines exercices) فقد أنشأت في المناطق التي يوجد بها عدد كبير من الأوروبيين يسمح بإنشاء مجلس بلدي منتخب, وهي تجسد سياسة الإدماج في المجال الإداري, وكان إنشاؤها يتطلب فقط موافقة المجلس العام, بيننا كان استصدار قانون من اجل إنشاء بلدية جديدة بفرنسا يخضع لمصادقة مجلس الدولة والمجلس العام.

ولما كانت هذه البلديات تخدم مصالحهم، فقد دفع المستوطنين السلطات إلى إنشاء عدد كبير منها بفضل سيطرتهم على المجالس العامة للمقاطعات، وقدرتهم على ممارسة ضغوط على الولاة، وعلى الحاكم العام، ووزير الداخلية، بواسطة ممثليهم في غرفتي البرلمان (مجلس الشيوخ والجمعية الوطنية) وحملاتهم الإعلامية عبر الصحف ونفوذهم المالي الكبير، فانتقل بذلك عددها من ستة وتسعين (96) بلدية سنة 1869م إلى مائتين وتسعة وأربعين (249) بلدية على المستوى الوطني [44].

ولقد كان واضحا أن الشروط التعجيزية التي نص عليها قانون سيناسين كونسلت الصادر في 14جويلية 1865 (قانون الجنسية) لحصول الأهالي المسلمين على المواطنة الفرنسية كانت مقصودة، لأن المشرع الفرنسي كان يدرك مسبقا رفض الأهالي لهذه الشروط لاعتبارات دينية,و لهذا اتخذها حاجزا للحيلولة دون تحولهم إلى مواطنين فرنسيين, حتى لا يسيطروا على مراكز

صناعة القرار في الجزائر باعتبارهم يمثلون الأغلبية العظمى من سكان البلد، فتفقد الظاهرة الاستعمارية جوهرها وجدواها.

ولما كان تحقيق الأهداف الأساسية للظاهرة الاستعمارية في الجزائر يتطلب التعامل مع السكان الأصليين، فقد نص قانون سيناتيس كونسلت في مادته الأولى على إمكانية استدعاء هم لشغل بعض الوظائف و الأعمال المدنية,و هي سياسة تتدرج في إطار إستراتيجية جديدة تعتمد على حكم العرب بالعرب دائما فيما يخص الوظائف الثانوية فقط ، في حين استأثر الفرنسيون وحدهم بالوظائف العليا. فهذا بوديشون الذي عد منبين المتعاطفين مع الأهالي يقول سنة 1848 [45]: «يحق لفرنسا أن تقول للأهالي أن تنظيمكم الاجتماعي وطباعكم وعاداتكم تضعكم خارج الحق المألوف بالنسبة للشعوب المتحضرة»، وعلى هذا الأساس يمكن فهم السياسة الفرنسية فيما يخص تمثيل الأهالي المسلمين بالجزائر طيلة الوجود الاستعماري (1962-1830).

و هكذا، فإن منصبا الوالي والأمين العام للولاية ظلا حكرا على الفرنسيين وحدهم نظرا لأهميتهما، أما موظفي مكاتب الولاية, فكانت غالبيتهم العظمى من الأوروبيين,ففي سنة 1872م كان يشتغل بمكاتب ولاية قسنطينة مائتين وتسعة وعشرون (229) موظف ,من بينهم أربع عشر (14) موظفا مسلما فقط [46] وهو ما مثل 9,11% فقط من مجموع الموظفين,كما بقي مجلس الولاية حكرا على المواطنين الفرنسيين فقط.

وبالنسبة للتمثيل في المجلس العام، فإن الأعضاء المسلمين كانوا يعينون من طرف الحاكم العام، على عكس المستوطنين الذين ينتخبون ممثليهم طبقا للمعايير الديمقراطية، وينحصر التعيين في الأهالي الذين يتشغلون كمستشارين ومساعدين في المجالس البلدية، وهم في الواقع عناصر منتقاة بعناية من طرف

الأجهزة الإدارية و الأمنية الفرنسية على أساس الولاء المطلق للإدارة, ولهذا لا يمكن الحديث عن أية شرعية تمثيلية لهؤلاء الأعوان.

ورغم أن السلطات الفرنسية أصدرت خلال شهر سبتمبر1875 م مرسوما منح الأعضاء المسلمين حق التصويت في مداولات المجلس, إلا أن هذه المبادرة لم تكن سوى ذرا للرماد في العيون ,لأنه فضلا عن الطريقة المنافية للمعايير الديمقراطية التي أوصلت هؤلاء إلى تلك المناصب, فإن تأثيرهم على قرارات المجلس ظل معدوما, خاصة أنهم كانوا لا يمثلون إلا ستة من أصل ثلاثة وثلاثين عضوا[47].

أما على مستوى الهياكل الإدارية المحلية، فقد كان السكان المسلمون يشكلون الأغلبية الساحقة في كل البلديات التي أستحدثتها الإدارة الاستعمارية، سواء منها البلديات المختلطة,أو البلديات الكاملة الصلاحيات,غير أن تمثيلهم كان محدودا للغاية .

ولتنظيم التمثيل الأهلي على المستوى البلدي أصدرت السلطات الفرنسية مرسومي ديسمبر 1866 وأوت 1868، الذين منحا المسلمين والإسرائيليين ثلث مقاعد المجالس البلدية,وحق المشاركة في إنتخاب رؤساء البلديات و نوابهم [48],غير أنه بعد صدور قانون كريميو حصل الإسرائيليون على الجنسية الفرنسية, و تعزز مركزهم الإنتخابي رغم قلة عددهم,و منذ 1882م أصبح رؤساء البلديات ونوابهم ينتخبهم فقط المستشارون (الأعضاء) الأوروبيين,و لدعم سياسة الإدماج و السيطرة الأوروبية طبق في الجزائر القانون البلدي السائد في فرنسا بموجب مرسوم 5أفريل 1884.

وكانت الهيئة الناخبة المسلمة لا تظم إلا الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 25 سنة ،المقيمون بالبلدية منذ سنتين على الأقل,و الحائزين على بعض

الصفات الضرورية كالملكية أو المستعملين لدى الدولة, أو الحائزين على وسام (Titulaire de décoration)، على أن يطلبوا رسميا التسجيل ضمن القوائم الانتخابية,و هي عقبات يصعب تذليلها,تستهدف حصر تمثيل المسلمين حتى يبقى تأثيرهم محدودا , بينما اكتفى بالنسبة للهيئة الناخبة الفرنسية، بأن يكون الناخب قد تجاوز سن الواحد والعشرين (21) سنة ، ومقيم بالبلدية ، ومدون في السجلات الانتخابية ,وهو ما جعل بلدية كاملة الصلاحيات مثل تيزي وزو تعد 1311 مسجلا في القائمة الانتخابية, بينما بلغ عدد الأهالي المسلمين بها 22500 .

و قد استمر هذا الوضع الشاذ مدة طويلة، حتى أنه في عام 1913 م كان عدد الأهالي في البلديات كاملة الصلاحيات يقدر بمليون وثمانية وسبعين ألف شخص (1078000) منهم 57000فقط مسجلون في القوائم الانتخابية [49].

أما التمثيل داخل المجلس البلدي فهو أكثر سوءا كما سيوضحه الجدولان الآتيان [50]

- تمثيل الأوروبيين في مجالس البلديات الكاملة الصلاحيات :

الفئة السكانية (ن)	0–500	501–1500	1501–2000
عدد الأعضاء الممثلين في المجلس البلدية	10	12	16

- تمثيل الأهالي المسلمين في مجالس البلديات الكاملة الصلاحيات (communes de pleines exercices)

الفئة السكانية	100–1000	لكل 1000 ساكن آخر عضو إضافي على ألا يتجاوز العدد الإجمالي ستة ممثلين, أي ربع أعضاء المجلس
عدد الأعضاء الممثلين في المجالس البلدية	02	

ويزداد الأمر سوءا حينما نتحدث عن تمثيل الأهالي في البلديات المختلطة,فقد مورس عليهم إجحاف عنصري فظيع ,رغم أنهم يمثلون الأغلبية العظمى من سكان هذه البلديات,فقد سجلت غرائب فيما يتعلق بالتمثيل في اللجان البلدية , فعلى سبيل المثال,تم خلال سنة 1875انشاء بلدية باليسترو المختلط(Palistro) ، الأخضرية حاليا, وكانت تضم ثمانية وثلاثين ألف(38000)ساكن أهلي,يمثلهم ثلاثة أعضاء,في حين كان عدد الأوربيين القاطنين بها أربعة أفراد فقط , و تمثيلهم في في اللجنة البلدية يتطلب سبعة أشخاص, و لهذا تم جلب ثلاث (3) أوربيين من البلديات المجاورة لعضوية اللجنة.

وقد أسرف رؤساء هذه البلديات, وهم متصرفون إداريون (Administrateurs)في استعمال سلطاتهم ضد الأهالي المسلمين, وهو ما توضحه حصيلة نشاطهم سنة 1883,إذ أصدروا ثلاثين ألف (30.000) حكم ,بما يعادل ما بين 62.000, و 82.000 يوم سجن,ومائة ,و125.000 فرنك كغرامة مالية[51] .

وقد جعل هذا الواقع السيء, السيد: جول فيري(J.Ferry) رئيس اللجنة المكلفة بالتحقيق حول تنظيم الجزائر يعترف في تقريره سنة 1892م، بتهميش الأهالي المسلمين في الهياكل الإدارية الفرنسية المستحدثة في الجزائر، وتجاهل مصالحهم، فذكر في تقريره أنه[52]: «... ليست هناك مؤسسة واحدة من مؤسساتنا ولا قانون من قوانينا الخاصة بأرض فرنسا، يلائم إن لم ندخل عليه تعديلات عميقة العناصر التي تعمر إمبراطوريتنا الجزائرية المتكونة من مائتين واثنين وسبعين ألف(272000) فرنسي ومائتان وواحد وأربعون ألف(241000) أجنبي وثلاث ملايين ومائتين وسبعة وستون ألف (3267000) أهلي. فلا بد من الاعتراف بأن نظام الاندماج التشريعي هو في حالة تفتت وتداع في جميع النواحي ...».

وسنرى كيف أن هذا التعسف الاستعماري، قد حرك نوعا من الوعي الوطني لدى الأعيان المسلمين في فترة حرجة من تاريخ الجزائر تميزت بقضاء الفرنسيين على الانتفاضات الجزائرية المسلحة واستكمالهم لعملية الاحتلال الشامل، ومباشرتهم لسياسة إدماجية لتحويل الجزائر بشكل عملي إلى مقاطعة فرنسية.

ثالثا- ردود أفعال الأعيان المسلمين:

لقد كان تهميش الأهالي وإبعادهم عن مراكز صنع القرار الإداري وما أنجر عنه من ضياع لمصالحهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، قد أثار استياء الأعيان المسلمين، وتجلى ذلك في تصريحاتهم إلى مختلف لجان التحقيق، وخاصة البرلمانية وعرائضهم الموجهة إلى مراكز صنع القرار وفي بعض الكتابات الصحفية، إذ ألحوا على طلب حق الإدماج الكامل في الحياة السياسية عن طريق تمثيل أكبر، ليس فقط في مختلف أجهزة المقاطعة المحلية،

وإنما كذلك في المجلس الأعلى على مستوى الجزائر العاصمة، وفي غرفتي البرلمان الفرنسي نفسه.

ولم تصدر هذه المطالب عن شخصيات مستقلة عن الإدارة الاستعمارية فحسب, وإنما تبناها كذلك ورافع عنها الأعيان الجزائريون الذين يمارسون مهامهم كأعوان للإدارة الفرنسية في الجزائر , ففي عريضة تحت عنوان «مقالة غريق أمام طبيب شاف », وقعت من قبل أعضاء مجالس بلديات: وادسقان قطار العيش ،عين اسمارة, وهي بلديات تابعة لقسنطينة، ورد فيها قولهم[53]:«...لا شك أن سبب الحالة المضرة التي نحن فيها الآن هو الكيفية الناقصة المجعولة لنا [كذا] في الانتخاب في الدواوين الجزائرية ، أما في دواوين العمالة فنحن في عرض الدولة ، لأن الستة أعضاء الكومسيون[اللجنة] في كل مجلس عام, منهم قياد وآغوات مختارون من جانب الدولة بالقصد لا يتعرضون للمقالة الموضوعة[كذا] و إن كان لنا فيها ضرر ...».

وفي عريضة [54] لسكان مدينة قسنطينة حررت سنة 1892, و وجهت إلى البرلمان الفرنسي، ورد فيها أن عدد الأهالي المسلمين هو أربعة ملايين (4000.000), و أنهم ضعف عدد الفرنسيين بستة عشرة (16) مرة ، و تساءلوا قائلين :«...لماذا ترفضون منحنا وسائل ناجعة للدفاع عن مصالحنا بالمجالس المنتخبة في المستعمرة، والسماح لنا بأن نفوض لديكم في باريس مندوبين من اختيارنا...نترجاكم أن تمنحوا لنا الحقوق الانتخابية...».

وبادر السكان الموقعون على هذه العريضة إلى طرح اقتراحات ملخصها: أن ينتخب مجلس الشيوخ لجنة تتشكل من ثمانية عشرة(18) شخصا من أعضائه, يشارك في أعمالها خمسة عشرة(15) مندوبا من الأهالي, ينتخبون من طرف" أبناء ملتهم"، لمناقشة و تقرير كل ما يتعلق بالجزائر, ويكون مقرر

اللجنة مسلما, ويسمح له بالمشاركة في جلسات المجلس, و كذلك الأمر بالنسبة لمجلس النواب, و يتكفل ممثلو الأهالي بمتابعة أثر الإجراءات المطبقة التي تخص الأهالي المسلمين.

وختم الموقعون عريضتهم في هذا المجال بقولهم: «... إذا قبلت وجهة نظرنا هذه، وهو الشيء الذي نأمله فلن نكون ممثلين لا في مجلس النواب ولا في مجلس الشيوخ، وإنما فقط في لجنتيهما الخاصتين بالجزائر، فكل تدخل في مسائل غير التي تخص الأهالي محظور على نوابنا ...».

كما طالب أصحاب العريضة برفع عدد ممثليهم في مجلس الحكومة العامة إلى ثمانية عشرة عضوا باعتبار أن ذلك سيكون مفيدا لهم، ولن يضر العنصر الأوربي، ولن يتجاوز ثلث أعضاء المجلس الذين يبلغ عددهم ستة وخمسين (56) عضوا.

وقد تجنب محررو العريضة المطالبة بالتمثيل حسب وزنهم الديمغرافي، كما تقتضيه المعايير الديمقراطية، وتطلعوا إلى رفع نسبة التمثيل إلى ما يقرب الثلث فقط، وهي سياسة واقعية تستهدف تحسين تمثيلهم تدريجيا في هذا المجلس الهام، لإدراكهم بأن الإدارة الاستعمارية لن تقوم بمبادرات إصلاحات جذرية في هذا المجال، خاصة أن المستوطنين الذين كانوا يتمتعون بنفوذ واسع في أجهزة صنع القرار في الجزائر وفرنسا على حد سواء، سيقفون بالمرصاد لكل محاولة إصلاحية جدية تعود بالنفع على الأهالي المسلمين.

وفي عريضة وقع عليها ألف وسبعمائة شخص يوم 10 جويلية 1887، وتمت المصادقة عليها يوم 5 أوت 1887 ببلدية قسنطينة بحضور رئيس البلدية السيد ميرسي(Mercier)، كان هدفها الاعتراض على مشروع القانون الذي تقدم به كل من السيدين ميشلان وقوتي والذي كان يهدف إلى إدماج

المسلمين جملة في الأمة الفرنسية عن طريق ما يسمى بالتجنيس، وهو المشروع الذي لقي قبولا من عدد معتبر من أعضاء البرلمان ومن قبل العديد من محرري الصحف الباريسية وشخصيات أخرى، حسب تعبير أصحاب العريضة الذين نوهوا بالنوايا الحسنة لأصحاب المشروع والمؤيدين له.

غير أنهم في المقابل أكدوا اعتراضهم على هذا المشروع وبرروا ذلك بما يلي:

أولا –أن الدخول في الجنسية الفرنسية يترتب عنه إلغاء " قوانيننا ونظمنا" سواء تعلق الأمر بالمسائل المادية (العقارات والأملاك) أو بالأحوال الشخصية، وأكدوا أن:" القانون(الشريعة) هي أساس الدين وأنه غير مسموح لنا الخروج عن هذا الطريق السوي....إن أعز ما نرغب فيه والذي نتشبث به أكثر من أي شيء آخر هو المحافظة على شريعتنا، فإخضاعنا بالجملة وبدون قيود للجنسية الفرنسية سيجرنا إلى ترك تقاليدنا مما سينجم عنه اضطراب عوائدنا، ذلك أنه يوجد في القوانين الفرنسية ترتيبات تتعارض وتتناقض تناقضا مباشرا مع شرائعنا وحتى مع روح المعتقدات الإسلامية نفسها.

ثانيا–إن الحقوق التي ستمنح للمسلمين ستكون من نوعين

1–الحق في الوظائف والمناصب من كل نوع.

2–المساواة التامة مع الفرنسيين في الحقوق السياسية وأمام القوانين الانتخابية.

ولكن، لكي يعين المسلمون في وظائف معينة يجب أن يستوفوا الشروط المطلوبة بخصوص الكفاءة والاستعداد، وهذا يتطلب مسبقا التوفر على مؤهلات جامعية، وهو أمر غير موجود بالنسبة للمسلمين.

أما ممارسة المسلمين للحقوق الانتخابية بكيفية سليمة ولمصلحتهم، فهذا غير ممكن إلا إذا توفرت لديهم شروط معينة تتمثل في العلم والحرية والاستقلال،

وهو ما ليس متاحا لأن مسلمي الجزائر متخلفون من زاوية التعليم والتمدن الفرنسي، وهم بذلك غير قادرين على استخدام الحقوق الانتخابية استخداما جيدا، فالواقع المنحط الذي هم عليه لا يسمح لهم بالاستفادة من هذه الامتيازات بالتمتع بالمنافع التي يمنحها التجنس وعلى ذلك فالهدف المتوخى منها لن يتحقق.

ولذلك أخطر أصحاب العريضة صناع القرار في فرنسا " أن هناك مسائل هامة تتعلق بتحسين ظروف حياة المسلمين وتطوير العلاقات الودية بينهم وبين مواطنيهم الفرنسيين تستحق البحث والدراسة الجادة كنوع من الإجراءات التمهيدية لإدماج الجنسين في المستقبل. وتتمثل هذه الإجراءات حسب أصحاب العريضة فيما يأتي:

1-تنظيم المدارس العربية ودراسة الطرق والوسائل لجعلها في متناول المسلمين.

2-منح الأهالي الأعضاء في المجالس البلدية والمجالس العامة نفس الحقوق التي يتمتع بها الأعضاء الفرنسيون، بدون أي قيد، بمعنى إلغاء التمييز الموجود حاليا فيما يتعلق بانتخاب شيوخ البلدية ونوابهم في المجالس البلدية وكذلك فيما يتعلق بحق الانتداب في المجالس العامة، إلى المجلس الأعلى بالجزائر حيث لا يوجد لنا أي تمثيل فيه للدفاع عن حقوقنا وبعبارة واحدة المساواة التامة بين أعضاء الهيئات الانتخابية على أي مستوى كان.

3-اتخاذ إجراءات لوقف الضرر الذي نعاني منه من جراء التنظيم الجديد للقضاء الإسلامي الناجم عن مرسوم 10 سبتمبر 1886.

4-قيام الحكومة باتخاذ إجراء يسمح للعمالات الجزائرية بأن يكون لها نواب مسلمون منتخبون بواسطة اقتراع ضيق من طرف أبناء ملتهم بشروط يتم تحديدها وسيكلف هؤلاء النواب بتمثيلهم في البرلمان والذين يمكن اختيارهم من العرب أو من الفرنسيين، وبهذه الكيفية يوضع حد لعملية حرمان السكان الذين

يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين نسمة من عدم وجود وسيط بيننا وبين الحكومة الفرنسية للدفاع عن حقوقنا. (55)

وقد امتدت موجة المطالبة برفع نسبة تمثيل الأهالي لتشمل الجرائد الأهلية، فعندما أستدعي المكي بن باديس للمشاركة في جلسة المجلس العام سنة 1881، طالبت جريدة المنتخب (El– montakhab) بتمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي (56). ويعتقد الزبير سيف الإسلام (57) أن النخبة التي أنشأت جريدة المنتخب اختارت لها هذا العنوان، لأنه يمثل برنامجها فأصحابها يطالبون بتمثيل الأهالي في البرلمان بواسطة الانتخابات، ولا غرابة أن النخبة الجزائرية ستطالب في بداية القرن العشرين بحذف التعويض المالي للمجندين الجزائريين مقابل تعويض آخر أكثر نفعا وهو (58): "تمثيل نيابي جاد وكاف في المجالس الجزائرية، والباريسية ", ويقصد بالمجالس الباريسية غرفتي البرلمان (أي الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ)

رابعا–استمرار المشكلة خلال القرن العشرين:

ظلت مشكلة الجنسية الفرنسية قضية مركزية في الجزائر المستعمرة خلال حقبة القرن العشرين، حيث حاولت النخبة دفع فرنسا لمنح المواطنة الفرنسية للأهالي المسلمين مقابل التضحيات التي أرغموا على تقديمها لفرنسا وفي هذا السياق، وفي مداخلة له أمام المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع الاستعماري المنعقد بباريس عام 1900 عبر السيد بن شعيب عبد القادر عبد السلام عن موقفه من هذه المسألة الحساسة، وهو موقف في اعتقاده يعبر عن قناعة الغالبية من الأهالي المسلمين:" لا أعتقد أننا سنتهم بالغرور إذا أكدنا بأننا نجد عند الغالبية من أبناء ملتنا مثل هذه الأفكار "(59).

وقد عرف التجنس بكونه:" تخلي الفرد تخليا كاملا عن قوانينه وعاداته التي تتعارض مع قوانين البلد الذي أصبح مواطنا فيه والوقوع مستقبلا تحت طائلة القوانين المدنية والسياسية لهذا البلد " ص269

وبعد ذلك أورد ما اعتبره" حقيقة ثابتة يدركها الكل، بأن القوانين المدنية والدينية متداخلة بالنسبة للمسلمين، فكلاهما يستمد من القرآن والأحاديث النبوية، ويكفي لإدراك هذا فتح أي كتاب في الشريعة الإسلامية ليتبين مثلا أن دراسة فرائض الصلاة وسننها وإجراءات البيع والمعاملات تقوم على نفس المبادئ وتتدرج في سياق واحد بدون أي تمييز....".

واعتبر أن:" القومية والدين هما موضوعان متداخلان دائما عند المسلمين، ويعتبرونهما شيئا واحدا، وأن التمييز بين الشيء الديني والشيء المدني الذي كرسته التشريعات الأوروبية المنبثقة عن القانون الروماني هو شيء غير مفهوم وغير معقول عند المسلمين".

وخلص في الأخير إلى القول بأن:" الفقه هو جزء من الدين والدين ليس شيئا آخر غير الفقه ومن هذا المنظور، فإنه من المؤكد من وجهة النظر الأرثدوكسية الإسلامية أن التخلي حتى ولو كان جزئيا عن القانون المدني سيكتسي صفة الردة، فليس من السهل التخلي عن قواعد، سواء أكانت تتعلق بالميراث أو بنظام الأسرة أو بالبينات والأدلة الشرعية التي لها هي الأخرى أصولا اعتقاديه".

ولهذا اعتبر أن:" التجنس بهذا المفهوم سيسيء إلى الأغلبية الساحقة من سكان الجزائر المسلمين..."[(60)] ولقد ظلت هذه المسألة الحساسة تثير جدلا واسعا وتغذي صراعات مريرة سواء بين الإدارة الاستعمارية وبين النخبة المسلمة أو داخل النخبة المسلمة نفسها، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى أين

بدأ النشاط السياسي الوطني خاصة بعد أن أصدرت الإدارة الاستعمارية قانون 04 فيفري 1919 الذي وسع التمثيل الأهلي داخل الهياكل الاستعمارية الفرنسية، وإن أبقى على هيمنة العنصر الأوروبي، فانقسمت النخبة إلى مؤيد للاندماج دون قيد أو شرط كوسيلة لانعتاق المجتمع الأهلي وتحرره من نظام الأهالي(code de l'indigénat) الرهيب ومن اضطهاد المستوطنين، و قد اجتمع هذا التيار حول الدكتور ابن التهامي، والذي مني بهزيمة ساحقة خلال انتخابات المجلس البلدي لمدينة الجزائر عام 1919، أمام القائمة الانتخابية للأمير خالد، حفيد الأمير عبد القادر الجزائري الذي طالب بالمساواة بين المسلمين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين بمنح الأهالي حقوق المواطنة الفرنسية، من دون التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي، ودعا إلى إلغاء قانون الأهالي و العدالة في مجال الضرائب وتمثيل عادل للمسلمين الجزائريين في مختلف المجالس ، تمثيل يراعي وزنهم الديمغرافي(10/9 سكان الجزائر)، وتضحياتهم الضريبية.

وبفضل هذه المواقف التي عبرت عن إرادة غالبية الجمهور الأهلي المسلم برز الأمير خالد كشخصية مركزية بين رموز النخبة الجزائرية، ورغم نفيه من الجزائر عام 1925، إلا أن مجهوداته لم تذهب سدى، حيث يمكن اعتبار ميلاد نجم شمال أفريقيا عام 1926 نتيجة منطقية لتراث الأمير خالد.

وقد ازداد رفض الجزائريين للجنسية الفرنسية، خاصة بعد أن أصدر الشيخ بن باديس فتوى بأن المتجنسين مرتدين، لا يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين.

وفي هذا السياق أصدر فتوى تنص على تكفير كل مسلم جزائري أو مغربي أو تونسي يتنازل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ويتجنس

بالجنسية الفرنسية بغرض التمتع بالحقوق المدنية الفرنسية، وقد في هذه الفتوى ما يلي:" بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على محمد وأله : التجنس بغير الجنسية الإسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية، ومن يرفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع.

والمتجنس بحكم أن القانون الفرنسي يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عله بإخراجه من حظيرة الإسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته، والعلم عند الله". خادم العلم وأهله عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(61).

أما رأيه في تزوج المسلم الجزائري بالفرنسية، فعلى الرغم من أن الإسلام يبيح الزواج بالكتابية ما دامت العصمة في يد الرجل، فإن الشيخ بن باديس أفتى بحرمة زواج الجزائري المسلم بالفرنسية، وعلل ذلك بكون النتيجة التي يؤدي إليها هذا الزواج هي الخروج عن حظيرة الإسلام لأن القانون الفرنسي يقتضي بأن أبناءه منها يتبعون جنسية أمهم في خروج نسله عن حظيرة الإسلام، فإن كان راضيا بذلك فهو مرتد عن الإسلام جان على أبناءه، ظالم لهم بذلك، وإن غلبته شهوته على الزواج فهو آثم ، لا يخلصه من إثمه هذا إلا إنقاذهم مما أوقعهم فيه " (62).

وسأله أحد أبناء منطقة القبائل عن أبناء المتجنسيين هل يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، فكان جوابه على النحو الآتي:" بعد الحمد لله والصلاة والسلام على النبي وآله، فإن المطورني (من الكلمة الفرنسية naturalisé) إذا كان مكلفا ولم يعلم منه إنكار ما صنع أبوه والبراءة منه، فهو مثل أبيه لا يصلى عليه ولا يدفن

في مقابر المسلمين، وإن كان صغيرا فهو مسلم على فطرة الإسلام يدفن معنا ويصلى عليه".[(63)]

وخلال الحرب العالمية الثانية، شهدت الحركة الوطنية تطورا هاما، وتجلى ذلك خاصة حول النشاط السياسي الذي تمحور حول فرحات عباس.

ففي فيفري 1943م عقد اجتماع ضم فرحات عباس، إلى جانب ممثلي حزب الشعب الجزائري:الصالح حسين, و الدكتور لمين الدباغين, و ممثلي العلماء: خير الدين, و العربي التبسي, وأحمد توفيق المدني, و ممثلي المنتخبين: الدكتور تامزالي, و غرسي أحمد, و قاضي عبد القادر, و كلفوا السيد فرحات عباس بتحرير ما أصبح يسمى: البيان الجزائري.[(63)]

وقد قام فرحات عباس بهذه المهمة بعد عودته إلى سطيف، حيث تضمن القسم الأول من هذا البيان «حصيلة موضوعية ونزيهة لمائة واثنتي عشر سنة من الاستعمار، ثم تذكير بالماضي، وتعبير صادق عن التطلعات الوطنية لشعبنا...» حسب تعبير فرحات عباس نفسه.

أما القسم الثاني من البيان، فتضمن المطالب التي اتفقت عليها كل التيارات السياسية الوطنية وهي: - إدانة الاستعمار، وإلغائه، وتحريم استغلال شعب لشعب آخر، لأن هذا الاستعمار لا يمثل إلا مظهرا جماعيا للعبودية الفردية التي كانت سائدة في العصور القديمة.

- تطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، مثلما نص عليه تصريح الرئيس الأمريكي ويلسن(**Wilson**)، وميثاق الأطلنطي الذي صدر عام 1941م.(*)

- تزويد الجزائر بدستور خاص بها، يضمن:

1- الحرية والمساواة المطلقة بين كل السكان، من دون تفرقة عرقية أو دينية.

2-إلغاء الملكية الإقطاعية بواسطة إصلاح زراعي كبير لفائدة البلورتاريا الفلاحية الواسعة.

3-الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية، على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية.

4- حرية الصحافة، والحق في إنشاء الجمعيات.

5- التعليم المجاني، والإجباري لكل الأطفال من الجنسين.

6- حرية العبادة لكل السكان، وتطبيق مبدأ الفصل بين الدولة والكنيسة على الديانة الإسلامية.

7- المساهمة الفورية والفعلية للمسلمين الجزائريين في حكومة بلدهم كما فعلت الحكومة البريطانية، وكما فعل الجنرال كاترو(**Catroux**) في سوريا.

8- تحرير كل السياسيين، المحكوم عليهم، أو المعتقلين، مهما كان الحرب الذي ينتمون إليه.

و لكي يضمن فرحات عباس مصداقية أكبر لهذا البيان الذي صادق عليه كل شركاءه السياسيين جال في أرجاء الجزائر لمدة شهر كامل، وعرضه على كل الشخصيات التي تمارس مسؤوليات باسم الشعب الجزائري من أجل المصادقة عليه(64)

و في يوم 31 مارس 1943 م, استقبل الحاكم العام, مارسال بيروتون (**Marcel Peyrouton**) الذي عين يوم 17 جانفي 1943م, وفدا من النواب المسلمين من بينهم فرحات عباس, و الدكتور بن جلول, فسلموا له نص البيان الجزائري, و في اليوم الموالي قدموا نسخة منه إلى ممثلي الولايات المتحدة, و الاتحاد السوفيتي, و بريطانيا في الجزائر, غير أن فرنسا الحرة التي وافقت يوم 24 سبتمبر 1941 على ميثاق الأطلنطي الذي أكد على حق الشعوب في

تقرير مصيرها, لم تكن مستعدة للقبول بهذه المطالب الوطنية التي كانت بحق نقلة نوعية في الكفاح الوطني.

و لهذا بعد مناورات مختلفة حسم ديغول الموقف الفرنسي يوم 30 ماي 1943م لما قال[(65)]:«إن قاعدة الوحدة الوطنية تستند على مبدأ السيادة الوطنية الفرنسية الكاملة على كل أجزاء الإمبراطورية, و لا يمكن التخلي عن شيء من هذا المبدأ أبدا».

وإذا كان الجنرال ديغول قد استقبل فرحات عباس، فإنه أحاله على الجنرال كاترو(**Catroux**) ورفض مطلقا الإشارة إلى البيان الجزائري, خوفا أن يكون ذلك إشهارا لأفكار الخصم, غير أن كاترو المعروف بميولاته الليبرالية في معالجة المسألة الاستعمارية، التي كشف عنها حينما أيد مشروع بلوم فيوليت, أو كما فعل في سوريا[(*)], رفض المطالب التي تضمنها البيان الجزائري وامتنع حتي عن استخدامه مرجعا للمشروع الإصلاحي الذي كان ينوي إنجازه في الجزائر.

و في يوم 23 جوان 1943م, جدد كاترو رفضه, و أكد أمام أعضاء لجنة الإصلاحات أن الحكومة لن تستطيع أن تلتزم بتغيير قانون الجزائر, أو الإمبراطورية, و أن المذهب الوحيد المقبول هو الذي يعتبر الجزائر تشكل ثلاث مقاطعات فرنسية, تتطور في الإطار الفرنسي.

و لهذا تجاهل ديغول كل نداءات فرحات عباس، و رفض خلال شهر سبتمبر 1943 استقباله، بل قام يوم 23 سبتمبر 1943م بحل المفوضية الأهلية التابعة للمفوضية المالية, بسبب رفض فرحات عباس وزملائه حضور الجلسة الاستثنائية للمفوضية المالية, و بادر إلى اعتقال فرحات عباس وسايح عبد القادر اللذين اتهمهما بتحريض زملائهما على العصيان المدني و عرقلة السير

العادي للمجلس, و زعزعة الأمن العام للبلد في زمن الحرب (66)، و هي تهمة خطيرة جدا.

غير أن الجنرال ديغول كان يدرك أنه لن يستطيع إدارة عجلة التاريخ إلى الوراء, فليس من مصلحة فرنسا أن تتجاهل المطالب الوطنية تماما, لأن ذلك قد يؤدي إلى انفجار الأحداث بشكل يهدد الوجود الفرنسي في الجزائر, و لهذا قرر أن يقوم بمبادرة إصلاحية محدودة لفائدة المسلمين لسحب البساط من تحت أقدام حركة وطنية ازدادت نضجا, و أصبحت تسير بسرعة كبيرة نحو اعتناق الأفكار الوطنية الراديكالية التي كانت من قبل حكرا على حزب الشعب الجزائري وحده ولهذا بادر يوم 12 ديسمبر 1943م إلى زيارة قسنطينة, و أعلن منها (67):« أن لجنة التحرير قررت فورا منح عشرات الآلاف من المسلمين الفرنسيين الجزائريين حقوق المواطنة كاملة, و أنها لن تقبل أن تمنع, أو تقلص ممارستهم لهذه الحقوق بعوائق تتعلق بأحوالهم الشخصية».(*)

و أضاف قائلا[3]:« في الوقت نفسه, سيتخذ قرار برفع نسبة المسلمين الفرنسيين الجزائريين في مختلف المجالس التي تعالج المصالح المحلية, بحيث سيمنح عدد كبير من المناصب الإدارية للذين يتمتعون من بينهم بالكفاءة, كما تعتزم القيام بسلسلة من التدابير الكفيلة بتحسين مستقبل مجموع السكان, و ستعلن عنها قريبا»، و شكل لهذا الغرض يوم 14 ديسمبر 1943م لجنة كلفها بتحرير برنامج للإصلاحات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية لفائدة المسلمين الفرنسيين, ضمت 08 أعضاء فرنسيين, منهم ثلاثة من الوطن الأم, كما ضمت 06 أعضاء مسلمين, معروفين بولائهم لفرنسا, من بينهم الدكتور بن جلول, وبن قانة, و الشيخ العقبي, و انتهت اللجنة إلى تحرير مشروعين, أحدهما يمنح المواطنة الفرنسية لكل المسلمين، و لكنه يحدد في الوقت نفسه حقوقهم

السياسية، والثاني أعدته اللجنة الفرعية، واستلهم خطوطه العريضة من توجيهات اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، وفي سياقه أصدر الجنرال ديغول أمر (**Ordonnance**) يوم 07 مارس 1944م الذي يمكن اعتباره ردا فرنسيا رسميا على المطالب الوطنية التي تضمنها البيان الجزائري. (69)

وقد نصت مادته الأولى على أن:« الفرنسيين المسلمين الجزائريين, يتمتعون بكل حقوقهم ويخضعون لكل الواجبات التي يخضع لها الفرنسيون غير المسلمين»، و أكدت المادة الثانية منه أن:« القانون يطبق على الفرنسيين المسلمين, و الفرنسيين غير المسلمين من دون تفريق, و كل القوانين الاستثنائية المطبقة على الفرنسيين تعتبر ملغاة »، و هي القوانين التي أخضع لها الأهالي المسلمون منذ القرن التاسع عشر, كمحاكم الإجرام (**Cours Criminelles**) التي أنشأت عام 1903 خصيصا لمحاكمة المسلمين، لتكون أكثر قسوة من محاكم الجنايات (**Cours d'assises**) المعروفة في القانون الجنائي الفرنسي، و التي كانت متخصصة في البت في الجرائم المنسوبة للمتهمين المسلمين في مناطق الحكم المدني داخل العمالات (**Provences**) الثلاث منذ تاريخ إنشائها عام 1854م، إلى جانب مجالس الحرب (**Conseils de guerre**) في مناطق الحكم العسكري، و قانون الأهالي (**Code indigénat**) العنصري، و غيرها من القوانين المجحفة, التي ظل الجزائريون بكل توجهاتهم الأيديولوجية ينددون بها, و يطالبون بإلغائها منذ أواخر القرن التاسع عشر.

و في مجال الأحوال الشخصية أقر" الأمر" « بقاء المسلمين الفرنسيين خاضعين لأحكام القانون الإسلامي, و العادات البربرية..»، و حدد الأشخاص الذين يحق لهم الحصول مباشرة على الجنسية الفرنسية بصفة شخصية, و يسجلون مباشرة على القوائم الانتخابية(*) التي تحتوي كذلك أسماء

الفرنسيين غير مسلمين، وهؤلاء الأشخاص هم (70): الفرنسيون المسلمون، الذين بلغوا سن الواحد والعشرين سنة، وينتمون إلى الأصناف الآتية:

– الضباط القدامى الذين انتسبوا إلى مختلف وحدات الجيش الفرنسي.

– الأشخاص الذين حصلوا على الشهادات الآتية: شهادة التعليم العالي، بكالوريا التعليم الثانوي شهادة الأهلية العليا، شهادة الأهلية الأولية، الأهلية للدراسات الابتدائية العليا, شهادة نهاية الدراسة الثانوية, شهادة المدارس, شهادة تخرج من مدرسة وطنية كبرى, خاصة بالتكوين المهني:الصناعي و الزراعي و التجاري, والحائرين على شهادة الأهلية في اللغة العربية أو البربرية.

و يتبين مما سبق أن عرض المواطنة الفرنسية– بما تحمله من إمتيازات– على هذه الفئة، باعتبارها تمثل نخبة المجتمع المسلم، كان نوعا من الرشوة, يهدف إلى فصلها عن تبني هموم و انشغالات مجتمعها, والحيلولة دون انغماسها في النشاط الوطني الذي تزايد في ذلك الوقت بوتيرة سريعة.

كما عمد ديغول إلى منح فئات أخرى حق الحصول على المواطنة، وهم أشخاص قدموا خدمات جليلة لفرنسا، من خلال مشاركتهم في مجهودها الحربي، سواء خلال عمليات توسعها الاستعماري أو مساهمتهم في تحريرها من الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، أو عملهم كأعوان للإدارة الاستعمارية في الجزائر، وحدد هوية هؤلاء الأشخاص في القائمة الآتية:

– الأعضاء الحاليون، والأعضاء القدامى لغرفة التجارة والزراعة.

– الباشاغوات، والآغوات، والقياد، الذين مارسوا مهامهم على الأقل ثلاث سنوات، ولم يتعرضوا من قبل إلى إجراء تسريح من قبل السلطات الإدارية المختصة.

- الشخصيات التي مارست في الماضي، أو ما تزال تمارس في الوقت الحاضر عهدة مفوض مالي, أو مستشار بلدي في البلديات الكاملة الصلاحيات, أو رئيس جماعة.

- الأشخاص الذين كانوا أعضاء في لجنة التحرير.

- الأشخاص الذين حصلوا على ميدالية العمل، والأعضاء الحاليين، أو القدامى في مجالس النقابات العمالية الشرعية، بعد ثلاث سنوات من ممارسة مهامهم.

- كل شخص مارس وظيفة مستشار محكمة سواء في الماضي، أو الحاضر ،أو وكيل قضائي.

وكان الهدف هو منح خمسة و ستين ألف (65.000) مسلم الجنسية الفرنسية، وهو تطور طفيف إذا قورن بمشروع بلوم فيوليت لعام 1937م، الذي نصت مادته الخامسة على منح عشرين ألف(20.000) مسلم الجنسية الفرنسية. أما المادة الرابعة، فنصت على أن:« المسلمين الآخرين سيستدعون للحصول على المواطنة الفرنسية، حيث سيحدد المجلس الوطني التأسيسي شروط و أشكال هذه العملية ».

وفي انتظار ذلك، أكد أمر 07 مارس 1944م أن:« هؤلاء-الذكور- الذين تجاوزوا سن الواحد والعشرين سنة، يحق لهم التسجيل في القائمة الانتخابية التي تستدعى لانتخاب الممثلين الخاصين في المجالس البلدية، والمجالس العامة، و الوفود المالية, على أن لا يتجاوز هذا التمثيل(5/2)»، أي أنه لم يحدث تعديلا ذا أهمية على قرار 09 فيفري 1919م.

وقد كان هذا الأمر مخيبا لأمال الحركة الوطنية التي شكلت جبهة أحباب البيان والحرية في ربيع 1945، وتطورت الأحداث بشكل دراماتيكي، حيث ارتكبت الإدارة الاستعمارية أكبر مجزرة بعد الحرب العالمية الثانية.

فكانت دماء الأبرياء قد جعلت أي حل لا ينهي الوجود الاستعماري في الجزائر من غير جدوى، والدليل على ذلك، أنه رغم التقدم الذي شهدته المسألة الجزائرية عقب صدور قانون الجزائر في شهر سبتمبر 1947، إلا أن ذلك لم يحل دون اندلاع الثورة في الفاتح من شهر نوفمبر 1954، ورغم التدابير القانونية التي استخدمتها السلطات الفرنسية لإغراء الجزائريين بالبقاء ضمن الدولة الفرنسية، من خلال منحهم حقوق المواطنة كاملة، ومنحهم الأغلبية في المجالس المنتخبة، إلا أن ذلك قد تم بطريقة مشوهة وبعد فوات الأوان، حيث اختارت الغالبية العظمى من الجزائريين الاستقلال طبقا لنظرية جبهة التحرير الوطني.

خاتمة:

لقد جرمت السلطات الاستعمارية الأهالي من حقوق المواطنة الفرنسية، بوضعها شروطا تعجيزية أمام ذلك، وترتب عن هذه الخطوة أكبر عملية استعباد في التاريخ من خلال، مصطلح " أهلي"(Indigène) الذي هو تهذيب لمصطلح عبد(Esclave)، وما جلب من مآسي تجلت في قانون الأهالي، ونظام عقابي استثنائي خاص بالجزائريين وحدهم.

وهذا الأمر، وإن حول الجزائر إلى جنة للاستيطان بالنسبة للفرنسيين، ومملكة للبؤس بالنسبة للجزائريين، حسب تعبير أهد المؤرخين الفرنسيين، إلا أنه جعل من نهاية النظام الاستعماري في الجزائر أمرا محتوما وهو ما حدث فعلا يوم 05 جويلية 1962.

الـهوامش:

(*) **موريس** إدمند –باتريس: ولد يوم13جويلية 1808م و توفي يوم 17 أكتوبر 1893, شـــغل منصـــب حاكم عام في الجزائر في فترة (1852– 1870), ينظر: Julien(ch.An.):histoire de d'Algérie Contemporaine(1827–1871),P.U.F,Paris:1964, p504.

(1) – عبد الحميد زوزو ، نصـــوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصـــر ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 155.

2- N° 13,504- Sénatus-consulte sur l'état des personnes et la naturalisation en Algérie du 15 juillet 1865,signé par l'empereur Napoléon 03, in bulletin des lois N° 13115.

N° 13,504- Sénatus-consulte sur l'état des personnes et la naturalisation en Algérie du 15 juillet 1865,signé par l'empereur Napoléon 03, in bulletin des lois N° 13115.

* Décret d'application de la loi du 14 juillet 1965 signé par l'empereur Napoléon 03

(3) Collot(Claude), les institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830-1962), Office des publications universitaires , Alger 1987 , p09 / sup

(3) عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق .ص 155.

(*1) وارنيي (warnier) : طبيب جراح, ولد سـنة 1810، وعين مسـاعد جراح سـنة 1832 في مستشـفي وهران ، استقر بعد ذلك في الجزائر,ثم ألحق بالقنصـلية الفرنسية لدى الأمير عبد القدر بمعســـكر, عين مدير للشـــؤون المدنية في مقاطعة وهران 1848، ثم عين مقررا لدى المجلس الأعلى للإدارة الفرنسـية في الجزائر سـنة 1849 , لكن الإمبراطورية الفرنسـية الثانية أحالته على التقاعد ,عمل بعد ذلك نشر الكتب التي تكرس السياسة الاستعمارية

محرر "الكراسة الجزائرية " التي أعتبرها المستوطنون ميثاقهم في مواجهة الإمبراطورية الثانية, ينظر . julien (ch .An) ,Op.cit,p.p23–24

(*2) عاش اسـماعيل ايربان فترة في مصـر, فاعتنق الإسـلام, و أصـبح مسـتشـارا مقربا من الإمبراطور نابوليون الثالث وكان متعاطفا مع الأهالي المسـلمين, و هو مهندس سـياسـة نابوليون التي اصـطلح على تسـميتها "سـياسـة المملكة العربية" ,ينظر: Délégation générale du gouvernement général de l'Algérie :

Correspondances du Dr Vital à Ismaiel Urbain (1845-1874),i Imbert,Alger:1958,pp9-10.

(4) صـــالح عباد, الجزائر بين فرنســا والمســتوطنين (1830-1930)، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بقسنطينة 1999, ص 252

(5) Dictionnaire hachette encyclopédique édition 2000 p 372.

(6) Ageron (Charles Robert), l'Algérie algérienne de napoléon III a De Gaulle, bibliothèque orale Sendbad ,Paris 1980, p 29 .

(7) الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق, ص 32 .

(8) سورة المائدة الآية 44 .

(9) جمال قنان, نصـوص سـياسـية جزائرية في القرن التاسـع عشـر(1830-1914م), ديوان المطبوعات الجامعية,الجزائر ,1993م، ص 269 .

(*3) الســيد عبد الله : يبدو أنه اســم مســتعار ، هو من أعيان مدنية عزابة تخرج من الكلية العسكرية الفرنسية سان سير ، وعمل ضابطا في سلاح الفرسان ، كتب عدة مقالات في جريدة الأخبار (1880-1883), ومن مؤلفاته:

(De la justice en Algérie)

(10) El – Hack De Bône N° : 8. 17-09-1893 .

(11) Mercier (Ernest),l'Algérie et les questions algériennes et coloniale, Paris:1883,p 141

12- Mahfoud Kaddish, histoire du nationalisme algérien, tome 01 ,2ème édition ,ENAL, alger1993,p.13.

13- Jean-Luc Allouche, les juifs d'Algérie, éditions du scribe,1987,p.290.

(12) الجيلالي ساري، الجزائر في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 232 .

(*4) الإدماج يقصــد به التماثل بين الدولة الأصــل و المســتعمرة في نظام الحكام، ويعتبر هذا المذهب أن إقليم ما وراء البحار ليس إلا امتداد لدولة الأصــل, فيجب إذن أن يوضــع تحت نفس النظام السائد هناك, ينظر محمد حسنين ، الاستعمار الفرنسي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط 4، الجزائر :1986، ص35 .

(13) عبد الجليل التميمي، التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين بالجزائر، المجلة التاريخية المغربية، عدد 01، تونس، جانفي 1974.

(14) Kaddache(Mahfoud),Sari(.Djilali) l'Algérie dans l'histoire (5) la résistance politique (1900-1954) bouleversement socio–

économique,office des publications universitaires, entreprise nationale de livre,Alger,1985, p 243 .

(*5) هو الأميرال قيدون Gyeydon الذي كان يحقد على الإسلام, ويعتبره سبب انتفاضات الجزائريين, و لأجل ذلك قيد حرية تنقل زعماء الطرق الدينية . (ينظر عبد الجليل التميمي، المرجع السابق ، ص 22).

(15) المرجع نفسه، ص 22.

(16)الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 235

(17)جمال قنان، المرجع السابق، ص 198

(18)المرجع نفسه ، ص198

(19) المرجع نفسه، ص 200

(20) يمكن الإطلاع على النص كاملا في: جمال قنان، المرجع نفسه، ص ص111-113.

(21) المرجع نفسه، ص 165.

(*6) كلف جيل كامبون أحد الحجاج الجزائريين بعد أن زوده بالهدايا بالاتصال بشيوخ المذاهب السنية المقيمين في مكة مقلدا ما فعله بيجو في الأربعينات ، وذلك بغرض ترغيب السكان عن الهجرة التي بدأت مؤشراتها تظهر في مختلف مناطق شمال البلاد ، ينظر ,جمال قنان ، المرجع السابق ، هامش ص 262.

(22) ناصر الدين سعيدوني , دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة و المعاصرة ، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص 287

(*7) الحق(El Hack de Bône), جريدة أهلية أسبوعية كانت تصدر بمدينة عنابة , ظهر أول عدد منها في 30 جويلية 1893, و أصدرت 25 عددا كان أخرها يوم 25 مارس 1894 حيث فررت السلطة الاستعمارية بضغط من الكولون وقفها ,ينظر :

Zahir Ihaddaden, Histoire de la presse indigène en Algérie, entreprise national du livre, Alger,1983,p160.

(23)- El – Hack De Bône N° : 04,du 23 juillet 1893 .

(*8) حيث حاول الاستعمار في البداية تعيين بايات من الأهالي أو من التونسيين في كل من وهران و المدية وقسنطينة إقتداء بالأتراك، لكنه لم ينجح فعين عليها قادة من بين ضباطه, ينظر صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 27-28).

(24) المرجع السابق ، ص 38.

(25) Collot (c) , op. cit., p 37 .

(*9) ولد في أكتوبر 1784 وتوفي في باريس 10 جوان 1849,شـــغل منصـــب الحاكم العام للـجـزائـر فـي الـفـتـرة الـمـمـتـدة مـا 15 أفـريـل 1845 و 11أفـريـل1847) (يـنـظـر Julien(ch.A),op.cit,p504:

(26)- Xavier(yacono), les bureaux arabes et l'évolution de vie indigène dans le tell algérien (Dahra , Chelef , Oursenis , Sersou), Paris 1953, p95.

(27) Ibid, p 97

(*10)أصلها كلمة قومي (Goumier), وهي فرقة من الجيش الفرنسي الذي دخل الجزائر عام 1830 أما كلمة الحركة وهي أيضـــا من الكلمات العامية التي تطلق في الجزائر على الخونة فأصلها من المغرب الأقصى وتعني جامعي الضرائب وانتقلت إلى الجزائر وأطلقت على الجزائريين الذين جندوا احتياطيا واســتغلوا و اســتغلوا في المجهود الحربي الفرنســي, و خاصــة خلال الثورة الجزائريـة(1954-1962م) ينظر: Collot ,op.cit,p200 , و كـذلـك: Pervillé Guy, la tragédie des Harkis: qui est responsable? in les collections de l'histoire, 1er trimestre n°15, édition Tallandier , Paris, 2002,pp88-95

(28)yacono xavier ,op. cit. p 88 .

(*11) بوعمامة : هو زعيم الثورة ضـد الاحتلال الفرنســي التي عرفت باسـمه (1883-1906) ولد حوالي 1838-1840 بقصر الحمام وتوفي عام 1908 بضواحي وجدة المغربية , ينظر يحي بوعزيز , مجلة الثقافة ، عدد 68, الجزائر،ص ص 11-27.

(29)- يحي بوعزير ، أضواء على ثورة بوعمامة بالجنوب الوهراني ،المرجع السابق ، ص 14

(30)- Richard(Charles), Du gouvernement arabe et de l'institution qui doit l'exercer, Alger , 1848, p.p 36-37.

(*12) المخزن: جهاز عسكري يتشكل من أبناء العائلات الكبيرة الذي كانوا يقومون بخدمة الإدارة الاستعمارية مقابل بعض الامتيازات كالإعفاء من الضرائب، وقد سبق أن وقفوا إلى جانب الإدارة الفرنسية ضد مقاومة الأمير عبد القادر و كان ذلك من الأسباب الرئيسية في القضاء عليه رغم محاولته في البداية التقرب منهم , ينظر: ناصر الدين سعيدوني , دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة و المعاصرة ، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص ص 231- 241 .

(31) - F- Hugornnet ancien capitaine chef d'un bureau arabe . souvenir d'un chef du bureau arabe, paris, 1858, p p 70-73 .

(*13) الخربقة: لعبة شعبية منتشرة في كل أنحاء الجزائر وتشبه الشطرنج.

(32)إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1999

(33)- Collot (c) op. cit. p40.
(34)- Ibid, p 41.
(35)- Ibid, p.p41-42
(36)- Ibid, p 45

(*14) رسـميا تم إلغاء البلديات المتفرعة في 13 نوفمبر 1874 وتحولت إلى البلديات المختلطة, ينظر: Ageron(Charles Robert) ,les Algériens musulmans et la France (1871-1919), Tome premier , presses universitaires de France p 143

(37)- Collot (c),op. cit. p 103
(38) -Ageron (CH .R) , les Algériens musulmans,op.cit, p 139.
(39)- Champ (maxime), les communes mixtes en Algérie, imprimerie P . soubrin, Alger: 1933, p 40.
(40) - Ageron (CH .R) ,Op. cit., p139 .
(41) -Ibid,p 143.
(42)- Collot (c), op. cit., p105.
(43)- Ibid , p106 .
(44)- Ageron , Op. cit.,p 144.

(45)- صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 34

(46) -Merlo(l):l'organisation administratif de l'Algérie,3ème éd.,Blida:1960,p174.
(47)- Collot (c) op, cit., p 36.
(48)- Ibid, p 95 .
(49)- Ibid, p 96.
(50)-Idem .
(51)-Ibid, p 112.

(52)-عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق، ص 166.

(53)- جمال قنان، المرجع السابق، ص 243.

(54)-Tayeb (Morsli) : Contribution à la question indigène, Constantine,1894, p.p 93-100.

55- جمال قنان، المرجع السابق، ص197-2001.

(55)- Zahir Ihaddaden ,Histoire de la presse indigène en Algérie, entreprise national du livre, Alger,1983,p 144

(56)- الزبير سيف الإسلام، الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء الرابع ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985, ص 57.

(57)- المرجع نفسه، ص 232.

59-Ben Chaib Aboubaker Abdessalam, de l'assimilation des indigènes musulmans de l'Algérie aux français, in:compte rendu du congrès international de sociologie coloniale ,paris:1900.

60-ibid,270.

61- البصائر ،عدد 95، الصادرة بتاريخ 14 جانفي 1938، جمادي الثاني 1356.

62-المصدر نفسه.

63-المصدر نفسه.

* 64- Le texte complet de la charte atlantique in, Claude Albert Collard : droit international et histoire diplomatique, 02vol, Paris ,1950-57.

65- Ferhat,Abbas, guerre et révolution d'Algérie: la nuit coloniale, op.cit, pp141-143.

66 -L'Echo d'Alger, du 31 mai 1943.

(*)-و هو ما جعل –فيما بعد – المستوطنين يثورون في وجه رئيس الحكومة الفرنسية غي موليه لما قرر تعيينه حاكما عاما للجزائر في شهر فيفري 1956م, فرمي رئيس الحكومة بالطماطم, و أحبط حفل التنصيب, و اضطر غي مولي للخضوع لإرادة المستوطنين, و سحب ترشيح كاترو)

67 - Mahfoud Kaddache, ,pp649-650.

(*)-على عكس قانون سناتيس كونسيلت(Sénatus Consult), الذي أصدره الإمبراطور نابوليون الثالث يوم 14 جويلية 1865م, الذي اعتبر الجزائريين " أهالي مسلمين، و لكي يصبحوا مواطنين فرنسيين، اشترطت المادة الأولى منه:«...الخضوع للقوانين المدنية و السياسية الفرنسية..»، أي التخلي عن الاحتكام للشريعة الإسلامية في مجال الأحوال الشخصية، و هو ما رفضه الجزائريون بشدة و اعتبروا القبول به« ارتدادا عن الإسلام»

68- L'Echo d'Alger,du 31 mai 1943.

69 Idem.

70- Mahfoud Kaddache, op.cit, s.d,pp953-954.

(*)-يمكن مقارنة هذه القائمة بقائمة الأشخاص الذين منحهم مشروع قانون بلوم فيوليت(Blum–Viollette) لملاحظة مدى التطور الذي استحدثه أمر 07 مارس 1944م في هذا المجال, ينظر نص مشروع بلوم فيوليت في:

Benjamin Stora: Algérie, histoire contemporaine (1830-1988), édition Casbah, Alger:2004, p.332.

[71]- Benjamin Stora, op.cit, p.332.

الألقاب العائلية من وجهة نظر المؤرخ ارنست مارسييه (Ernest Mercier) في كتابه:

La Propriété foncière chez les Musulmans d'Algérie: Ses lois sous la domination française ,Constitution de l'Etat civil[1]

د/ دحمان تواتي

المركز الجامعي مرسلي عبد الله بتيبازة

مقدمة:

نحاول في هذذا المقال التعريف بشخصية المؤرخ ارنست، والتعريف بكتابه المهم في معرفة الحالة المدنية والألقاب الخاصة بالمسلمين الجزائريين، ونبين وجهة نظره بخصوص الالقاب العائلية الخاصة بالجائريين، وكل ذلك من وجهة نظر نقدية ومن أجل التعرف على ملامح الاشكاليات المتلقة بالألقاب في الجزائر.

1 . التعريف بالمؤرخ ارنست مارسييه:

ولد ارنست مارسييه في منطقة " لاروشال "Larochelle بتاريخ 17 سبتمبر 1840 ومات بقسنطينة بتاريخ 16 ماي 1907[2]. وكان والده ستانيسلاس مارسييه Stanislas Mercier طبيبا و صيدليا، هاجر إلى الجزائر مع بداية الاحتلال في إطار الطب العسكري، وشهد بذلك عدة حملات عسكرية

1 Édition :Ernest Leroux , Paris , 1891 (49 pages .).

2 M. Ernest Mercier in Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du Département de constantine, 10ème volume de la quatrième série, quarante et unième de la collection , année 1907, Constantine ,Imprimerie :D.Braham, Alger ,imprimerie Jourdan, Paris :Imprimerie René Roger ,1908.pp :15-18.

ضمن الطابور الذي قاده المريشال بيجود. ضد المقاومة الجزائرية ولاسيما سنة 1845[1].

وقد تخلى الطبيب العسكري عن المجال العسكري سنة 1845 وعمل كطبيب في صور الغزلان " اومال " واستفاد من حصة أراضي استيطانية، جعلته يستقدم عائلته من فرنسا. وكان ارنست مارسيه يومها في سن الثالث عشرة. اخذ ارنست مرسييه باكرا في دراسة اللغة العربية، وتحصل سنة 1865 على وظيفة المترجم العسكري، واستلم مهامه في منطقة " سبدو "، زمن اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى في الجنوب الغربي الجزائري. و في إطار وظيفته الجديدة، انكب ارنست مرسييه على دراسة اللغة العربية، فأهله ذلك للنجاح في امتحان المترجم القضائي، وتسلم مهامه في محكمة "العروش" ثم "تنس ".

شارك في قمع انتفاضة المقراني سنة 1871 على رأس ثلاثة فصائل من الميليشيات الأوربية، وقد عين ابتداء من شهر نوفمبر 1871 كمترجم محلف في قسنطينة، حيث كان والده قد استقر بها كصيدلي منذ سنوات. انضم ارنست مارسييه إلى الجمعية الأثرية لقسنطينة La Société d'Archéologie de Constantine وأصبح أحد أنشط عناصرها، وقد تمكن في هذه الفترة من امتلاك مزرعة لتربية الحيوانات[2].

وقد نشر سنة 1868 في مجلة الجمعية دراسة تحت عنوان: Notice sur la confrérie des Khouan de Sidi Abd-El-Kader-El-Djelani، و نشر دراسة في نفس المجلة سنة 1872 بعنوان: Révoltes

1 Ib id , p : 15.

2 Jaques Zeiller, Un historien de l'Afrique du nord ,Ernest Ernest Mercier (compte –rendu) Journal des Savants Année 1945 .mars .pp : 166-170.

وفي سنة . et dévastations en Afrique des deux Ibn–R’ania. 1874: L’Historique des connaissances des anciens sur la géographie de l’Afrique septentrionale.

عين ارنست مارسييه نائبا لرئيس الجمعية الأثرية لقسنطينة سنة 1875، ثم أصبح رئيسا لها سنة 1892. وقد واتت فرصة عمله بقسنطينة كي يتعمق في فهم اللغة العربية وآدابها ، كما شرع في دراسة تاريخ شمال إفريقيا منذ القدم ، وقد مكنه ذلك من نشر عدة مقالات و كتب . ففي سنة 1875 ألف " تاريخ استقرار العرب بشمال إفريقيا مستعملا المصادر العربية. L’Histoire de l’Etablissement des Arabes dans l’Afrique septentrionale. و في سنة 1876 كتب مقالا بعنوان : " معركة بواتييه و الأسباب الحقيقية لتراجع الغزو العربي ." La Bataille de Poitier et les vraies causes du recul de l’invasion arabe . »

وفي سنة 1880: " الذكرى الخمسينية لاحتلال الجزائر " Le Cinquantenaire de l’Algérie »،كما ألف سنة 1882 : " حلقة من الغزو العربي لإفريقيا :كسيلا و الكاهنة ."و في سنة 1883 : " الجزائر و المسألة الجزائرية ." و في سنة 1889 : " فرنسا في الصحراء ."[1] و في سنة 1891 : " تاريخ إفريقيا الشمالية ." في ثلاثة أجزاء L’Histoire de « l’Afrique septentrionale. » ، حيث كرم ارنست مرسييه لأجله من قبل

1 M .Ernest Mercier in Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du Département de constantine , 10ème volume de la quatrième serie ,quarante et unième de la collection , année 1907, Constantine ,Imprimerie :D.Braham, Alger ,imprimerie Jourdan, Paris :Imprimerie René Roger ,1908.p :17.

أكاديمية "الكتابات و الفنون الجميلة "، كما توجته "جمعية الدراسات التاريخية لباريس" بالميدالية الذهبية .

ويؤرخ هذا الكتاب لثمان وعشرين قرنا من تاريخ شمال إفريقيا، وهو ثمرة بحث على مدى ثلاثة عقود. كما ألف في نفس السنة كتابه: " الملكية العقارية للمسلمين الجزائريين في الجزائر."وهو موضوع هذه الورقة البحثية.

واصدر سنة 1894 كتاب: " حصارا قسنطينة " Les Deux sièges de Constantine" و " الملكية العقارية في بلاد المغرب وفق المذهب المالكي " La Propriété au Maghreb selon le Rite de Malek ، و ألف سنة 1895 : " وضعية المرأة المسلمة في إفريقيا الشمالية« La condition de la femme dans l'Afrique du nord . » و في سنة 1896 و 1898 كتاب: " سكان إفريقيا الشمالية: الأهالي تحت السيطرة الرومانية و الوندالية و البيزنطية ." وقد كتب ارنست مارسييه عدة مقالات في مجلة الجمعية الأثرية لقسنطينة أهمها:

في سنة 1876: " عبد الرحمان باي قسنطينة سنة 1694." وفي سنة 1878: " قسنطينة قبل الغزو الفرنسي و في القرن السابع عشر، ارتقاء عائلة الفقون ."كما ترجم سنة 1882 كتابة صخرية عربية في منطقة قفصة التونسية ."

لقد كان ارنست مارسييه غزير الكتابة و قد مجد عمليات المريشال فالي في : " أفكار و أعمال المريشال فالي " كما أثار قضية تغلب الديمغرافي لغير الفرنسيين بالجزائر قبل صدور قانون تجنيسهم سنة 1889 في " مسألة الأجانب في الجزائر ." " المسالة الأهلية في الجزائر مطلع القرن العشرين ." الرباطات و المرابطين في إفريقيا الشمالية ." فن الترجمة " " الترجمة في الجزائر

." " الباشاغا المقراني وأسباب ثورة 1871 "كما ألف سنة 1903:"تاريخ قسنطينة. " في 710 صفحة و به وثائق وملاحق كثيرة .

وفي سنة 1904، ألف كتاب : " السلالة البربرية هم السكان الأصليون لشمال إفريقيا ."و ألف سنة 1906 كتاب : " فرنسيون و أهالي في الجزائر ." و لم يقتصر ارنست مارسييه على تأليف الكتب التاريخية ، بل اشتغل أيضا ببحث المسائل الخاصة بالأهالي الجزائريين ، وفي هذا السياق ألف سنة 1895 كتاب " الحبوس " حيث ضمنه شروح وافية لقواعد عمل مؤسسة الوقف من وجهة إسلامية .

2-أعمال ارنست مارسييه على رأس بلدية قسنطينة :

استقر ارنست مارسييه بمدينة قسنطينة سنة 1872 وكان والده أحد أعضاء الحزب الراديكالي، حيث أصبح ارنست مارسييه أحد رموزه وأعمدته إلى جانب إميل مورينود. والحزب الراديكالي هو حزب متطرف معادي للعرب واليهود ويدعي اعتناق الديمقراطية والأفكار الجمهورية، وكان المنافس الرئيسي له بقسنطينة هو اليهودي "طومسون "[1].

انتخب ارنست مارسييه رئيسا لبلدية قسنطينة سنة 1883، حيث كان وراء مشروع طريق الكورنيش وفتح عدة طرق بلدية بقيمة 600 ألف فرنك اقترضها من البنك و سددت من ميزانية البلدية ،التي كان أهم موردها المالية الضريبة العربية.[2] واشرف على بناء سوق " March é de la place

1 Morinaud Emile ,
2 Discours de Morinaud in Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du Département de constantine , 10ème volume de la quatrième serie ,quarante et unième de la collection , année 1907, Constantine ,Imprimerie :D.Braham, Alger ,imprimerie Jourdan, Paris :Imprimerie René Roger ,1908.pp :19-23.

des Galettes " ، اشرف على توسيع ثانوية قسنطينة ، وبناء مدرسة الذكور في شارع ما كان يطلق عليه شارع " دامريمون " كما شيد دار المسنين . وقد وجه مبلغ160000 فرنك لمد شبكة الصرف الصحي وترصيف شوارع المدينة ومد شبكة المياه، تخلص من قضية ما يعرف ب " دار الباي «، فتح طريق " تيير Thiers وطريق القنطرة.

انتهت عهدته البلدية الأولى بالاستقالة، لكن دعاه وانتخبه السكان الأوروبيون لعضوية مجلس مقاطعة قسنطينة سنة 1888، كي يدافع عن مصالحهم على هذا المستوى. كانت مدينة قسنطينة منقسمة سياسيا بين أنصار غمبيطا وعلى رأسهم الحزب الراديكالي وأنصار طومسون، ممثلا في حزب الديمقراطيين.

انتخب ارنست مرسييه لعضوية المجلس البلدي لقسنطينة سنة 1896، وبعد سنتين: أي 1898، انتخب لعضوية مجلس مقاطعة قسنطينة، حيث تدخل في مسألتي تقديم المساعدة للأهالي الجزائريين ومشروع سكة الحديد العابرة للصحراء، وقد كانت آراؤه ذات صيت نظرا لخبرته واطلاعه الواسع. أعيد انتخابه على رأس المجلس البلدي لقسنطينة سنة 1900، غير أن صحته قد اعتلت بفعل عمله الدؤوب والمتواصل، لذلك اضطر إلى الانسحاب بعد سبعة أشهر (جانفي 1901) وخلفه إميل مورينو، الذي سيظل على رأس البلدية على مدى قرابة نصف قرن. وخلال عضويته المجلس البلدي في الخمس سنين الأخيرة، كان مقترحات تجسدت في إنشاء بورصة العمل وهيئة العمل الخيري " Montde de piété، كما اقر يوم العمل بثماني ساعات لعمال البلدية الأوربيين ، كما انشأ مصلحة الطبية للمحتاجين في بيوتهم ، وشرع في أشغال سوق باردو، وأشغال الطراماواي الكهربائي ، و غراسة أشجار Esplanade valée ، توسعة

شارع سكوار ، إنشاء بريد القنطرة ، فتح شارع ساسي ، إقامة سلالم حجرية في طريق Bienfait وشارع فيكتور هيغو، شق طريق سطيف و طريق باتنة . افتتح أشغال بناء الجسر الثاني على وادي الرمال ،الذي تم بعد سنوات

L'Afrique française à travers ses fils .Ernest Mercier [1]. ,historien de l'Afrique septentrionale , Maire de constantine .préface de M.Jérome Carcopino.contributions de MM.E .Albertini,A.Bernard,O.Debanne,M.Gaudefroy-Demombynes,G.Esquer, F.Funck-Brentano.F.Gautier , Ibn Zekri,G.Marçais .R.Maunier.M.Mercier ,J.Toutain,E.Vallet .Un vol.in -8,268p ;paris,Geuthner , 1944.

يظهر مما تقدم ان ارنست مرسي قد كان مؤرخا ورجل سياسة ومستشرق ولوع بفكرة الاختراق الحضاري لهذا العالم الاسلامي، عن طريق الجيش اولا، اذ كان نقيبا يقود المليشيات سنة 1871، ثم كمترجم ودارس للغة العربية وباحث في التاريخ والتراث الإسلاميين[2]. ويظهر أن ارنست مرسييه لم يتابع دراسة أكاديمية جامعية في ميدان علم التاريخ و لا علم الانثربولوجيا، ومع ذلك يعتبره الفرنسيون كأحد أعمدة المدرسة التاريخية الكولونيالية، نظرا لإنتاجه الغزير

---

1 Discours de Morinaud in Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du Département de constantine , 10ème volume de la quatrième serie ,quarante et unième de la collection , année 1907, Constantine ,Imprimerie :D.Braham, Alger ,imprimerie Jourdan, Paris :Imprimerie René Roger ,1908.pp :19-26.

2 Jaques Zeiller , Un historien de l'Afrique du nord ,Ernest Ernest Mercier (compte –rendu) Journal des Savants Année 1945 .mars .pp : 166-170.

والموجه نحو فهم ماضي شمال إفريقيا، واستيعاب ثقافة الإنسان المستعمر، لأجل تحقيق ما يسمى بالغزو الفكري " La Conquête morale.

فهو ملم باللغة اللاتينية والدراسات الرومانية، وعارف باللهجة الامازيغية وتاريخ البربر ومتضلع باللغة العربية ومطلع على مصادر التاريخ الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس. فقد وظف معرفته الجيدة باللغة العربية في دراسة تاريخ الفتح الإسلامي ببلاد المغرب وهذا ما مكنه من الخوض في تاريخ الكاهنة وكسيلة، والوقوف عند انهزام المسلمين في بواتييه والكتابة عن الرباطات ووضعية المرأة المسلمة والحركة الصوفية وغيرها. ودراسة " الحبوس " ودراسة الفقه الاسلامي وفهم المذاهب ولاسيما المذهب المالكي.

3. تقديم الكتاب :

أصدر ارنست مرسييه كتابه " الملكية العقارية عند مسلمي الجزائر: القوانين العقارية تحت السيطرة الفرنسية وتشكيل الحالة المدنية " بدار نشر" ارنست لورو " في باريس سنة 1891 وهو من الحجم الصغير، إذ لا يتعدى خمسين صفحة (49 صفحة). وتضمن فهرست المحتوى ديباجة وعشرة عناوين أو مباحث كما يأتي:

مدخل

I- الملكية من وجهة شرعية

II- نظام الملكية في البلدان المحتلة (الجزائر)

III-الملكية الاقليمية في افريقيا الشمالية تحت سلطة العرب و البربر

IV-السيطرة التركية

V- حالة البلد سنة 1830

VI-الملكية العقارية الاهلية تحت الادارة الفرنسية

VII- قانون 26 جويلية 1873

VIII- قانون 28 افريل 1887 المعدل لقانون 1873

IX-استنتاج

X- الحالة المدنية للاهالي المسلمين قانون 23 مارس 1882 و مرسوم 13 مارس 1883.

وعلى صغر حجم الكتاب، ضمنه معلومات وأفكار، تدل على أن ارنست مارسييه، عارف وخبير بالتشريع العقاري، الذي ينظم الملكية في الجزائر عبر التاريخ، ولاسيما في الفترة السابقة للاحتلال الفرنسي. كما سجل فيه عصارة تجاربه، كمؤرخ ورئيس بلدية ومشرع.

وما يهمنا في هذه الورقة البحثية الجزء الثاني من كتابه المتعلق باقرار الحالة المدنية الخاصة بالجزائريين. لكن يظهر جليا وكأن المؤرخ ارنست مرسييه، يربط بين الملكية العقارية والحالة المدنية، وربما يطرح ذلك الأشكال الذي يفرض نفسه: لماذا أقرت القوانين العقارين في الحقبة الاستعمارية الفرنسية قبل إقرار قانون الحالة المدنية؟ وهذا الأشكال يظهر للباحث في تاريخ العقار بالجزائر كيف ان شراهة الإدارة الاستعمارية ومديرية الاستيطان والمستوطنين لأراضي الجزائريين، والتسرع في نقلها من يد أصحابها للوافدين الأوربيين الجدد، قد حالت دون رؤية الصعوبات القانونية، التي ستطرحها في المستقبل.

لقد اصبح الهم الاول للجميع بعد تفشي حمى الاستيطان ،هو ضبط التعاملات العقارية و تفادي التلاعب او بيع اراضي عدة مرات او مسحها عدة مرات . ومن المعلومات التي قدمها لنا ارنست مارسيه بخصوص قانون سناتوس كونسلت الصادر سنة 1863، أن ذلك القرار المشيخي " قد شمل سهول و اودية المنطقة التلية دون بلاد القبائل و تبين ان الملكية الخاصة تشكل ضعف

ملكية العرش الجماعية ."[1] "فعندما أعلنت حكومة الدفاع الفرنسية قرار التوقف عن العمل بسيناتوس كونسلت في شهر ديسمبر 1870 ، كان قد حقق النتائج الاتية :

المسح و تسجيل و التعرف على مساحة 6.883.71 هكتار

يسكنها 1.057.066 جزائري ،

تشكل 656 دوار .

وبناء على ذلك جرى تصنيف الاراضي على هذا النحو :

2.840.531 هكتار ا اراضي ملك.

1.523.013 هكتارا اراضي عرش .

1.336.492 هكتارا اراضي بلدية en Communaux .

180.643 هكتارا اراضي كأملاك عمومية .

1.003.072 هكتارا اراضي املاك دولة ."[2]

وقال مرسييه: " مثلما ارتكز قانون 26 جويلية 1873 على معلومات خاطئة ،فان قانون 23 مارس 1882 يستند على اسس خاطئة مفادها ان الاهالي لا يملكون اسماء عائلية « Les indigènes algériens n'ont pas de noms patronymiques .»

على هذه القاعدة الخاطئة ،كان من الصعب تشييد انجازا منطقيا و مفيدا [3] ،لان الاهالي الجزائريين يعتبرون كاسم ما نعتبره نحن كلقب ولكنهم

---

1 Ernest Mercier , La Propriété foncière chez les musulmans d'Algérie ses lois sous la domination française .constitution de l'Etat civil musulman .éd Ernest Leroux , paris , 1901,p :23.

2 Ernest Mercier ,

3 Ib id , p :42. « sur cette base fausse ,il était difficile d'édifier une œuvre logique et utile . »

يملكون" كنيات " "Kounia" وهوما يقابل ما كانت عليه اسماء الفرنسيين في الاصل .فهذه الكنيات تعبر شيئا فشيئا عن العائلات [1] وبهذا يتفادى الاهالي الخلط بين اسمائهم و بهذا فقط امكن خلال الثلاثة و الخمسين سنة التي سبقت صدور قانون 1882،أن نقيم معهم مختلف التعاملات العقارية. وما كان مطلوبا هو متابعة واستكمال وتحسين ما كان موجودا، دون عقبات او تكاليف " [2]

".لقد فضلوا الغاء كل شيئ و الغاء كل النتائج المحصل عليها من قبل موثقي سجلات الرهن العقاري واعوان الحالة المدنية و تعريض مصالح الاوربيين والاهالي، الذين قاموا بتعاملات عقارية الى الخطر و يسببون بذلك للجميع مضايقات وصعوبات غير محتملة تمنع في الغالب التعاملات و ترفع تكاليفها وتزيد الصعوبات الكثرة التي هم في غير حاجة اليها لصالح من عملنا ؟ من الذي يطالب بمثل هذه الإجراءات الراديكالية والمعقدة؟ فخارج إقامة السوابق العدلية و دفاتر السجلات الرهنية، لا أرى أن أحدا اخر سيستفيد من هذا القانون، كما فهمت و وضعت و طبقت " [3].

1Idem ." Les Indigènes algériens considèrent il est vrai , comme noms ,ce que nous considérons comme prénoms, mais ils ont des (*Kounia*)qui répondent à peu près à ce qu'ont été nos noms patronymique dans l'origine .Ces surnoms désignent peu à peu les familles ou les branches descendant de l'auteur auquel ils ont été appliqués .C'est grace à cela que les indigènes évitent des erreurs entre eux ,c'est grace à cela que , pendant les cinquante-trois années qui ont précédé l'application de la loi de 1882 , on a pu en Algérie faire avec eux toutes sortes d'affaires mobilières et immobilières .
Il n'y avait donc qu'a compléter et améliorer ce qui existait déjà :des instructions aux officiers de l'Etat civil et aux officiers ministériels auraient permis de réaliser ce progrès sans difficultés ni dépenses . ."

2 Mercier (Ernest) , Op cit , p : 42.

3 Mercier , Op ,cit , p : 42.« On a préféré faire table rase , tenir pour non avenus les résultats acquis par l'action des notaires des registres hypothécaires et des agents de l'Eta civil ; compromettre ,comme nous le démontrerons plus loin , les intérêts des Européens et des indigènes ayant

أما الاعتقاد بأننا سنتوصل إلى معرفة سهلة لهوية الأهالي فهو وهم ،لان الذين لهم مصلحة باخفاء هويتهم ، سيعملون على تفادي تقديم بطاقات هويتهم الحقيقية، الا يخفي الناس هوياتهم في البلدان المتحضرة ؟"[1].

"ان القانون الاداري المنظم الصادر في 13 مارس 1883 و التعليمات الكثيرة الصادرة عن المكاتب المركزية بمدينة الجزائر، تبين بجلاء ضيق افق اولئك الذين كانوا وراء هذه التدابير والهدف الثابت الذي يريدونه باقامة دفاتر الفبائية شبيهة لدفاترنا –وهو امر متعذر ماديا – دون أن يدركوا أنه بدلا من خدمتهم، فإن هذا التبسيط، قبل فترة طويلة، يجعل أي بحث غير مؤكد بل مستحيلا"[2].

---

fait des affaires ensemble et causer à tous une gène insupportable empêchant souvent les transactions et augmentent les frais et les difficultés déjà si considérables. Pour qui a-t-on travaillé ? Qui réclament des mesures aussi radicales et aussi compliquées ? En dehors de l'établissement des casiers judiciaires et des répertoires des sommiers des hypothèques , je ne vois pas à qui pourra profiter la loi .telle qu'elle a été comprise et mise en pratique. »

1 "Quant à croire qu'on arrivera a une constatation plus facile de l'identité des indigènes , c'est un leurre , car ceux qui auront intérêt à dissimuler la leur , s'arrangeront bien pour pas présenter leur vraie carte –ne dissimule-t- on pas son identité dans les pays les plus civilisés ? …

2 « Le règlement d'administration du 13 mars 1883 et les volumineuses instructions émanées des bureaux d'Alger , démontrent bien l'étroitesse de vues de ceux qui ont présidé à ces mesures et le but constant qu'ils ont poursuivi : arriver à pouvoir établir des répertoires alphabétiques comme les nôtres – ce qui était matériellement impossible – sans s'apercevoir qu'au lieu de leur servir , cette simplification rendrait , avant peu , toute recherche incertaine et même impossible . »

"لهذا السبب حاربت ضمن اللجنة المركزية لقسنطينة، تلك التعليمات الهادفة الى تفتيت العائلات واختزالها، بإعطاء أسماء مختلفة، حتى لأبناء العم الحقيقيين، لقد كان علينا خلاف ذلك، عدم إكثار الأسماء، كان علينا صلة الروابط التي توحد الأسر بدلا من كسرها. ندرك بسهولة الفائدة من هذه الطريقة من الإجراءات لكل ما تعلق بالنسب و الميراث و أصول الأفراد . وبعد كم هو سهل وبسيط عمليا، عندما نتفادى البحث عن أسماء جديدة لأولئك الذين يملكون أسماء "[1] .

ويعطي مرسييه امثلة عن العيوب المترتبة عن تطبيق ذلك القانون: انها ليست مزاعم بل حقائق. فمثلا " يشكل بن تهامي من الميلية عائلة كبيرة، غير ان الاسم لم يحتفظ به الا لفرع من العائلة ، وقد نصادف رجلا منهم قد حمل هذا الاسم على الدوام يجبر اليوم على التوقيع باسم " خوالدي مصطفى " Kroaledi Moustafa بدل من مصطفى بن تهامي [2] .

وهناك مثل اخر عن رجل كان اسمه مصطفى بن شيخ العلمي وهو اسم ممتاز و تاريخي، لكن سيطلق عليه مستقبلا مكرالفي مصطفى Makralfi Mustafa لان هناك اولاد مخلوف شكل عبارة مكرالفي حسب الصيغة التي

1 Mercier (E) , Op ci , p ; 43. « C’est pourquoi j’ai toujours combattu dans la commission centrale de Constantine les instructions de fractionner , de disloquer les familles , en donnant des noms différents , même aux cousins germains .On devait tendre, au contraire , à ne pas multiplier les noms ; il fallait relier les liens unissant les familles au lieu de les rompre .On sait facilement l’avantage de cette manière de procéder ,pour tout ce qui se rapporte aux filiations , aux héritages ,à l’origine d’un individu .Et puis quelle simplification dans le travail ; sans parler de l’avantage de ne pas chercher de nouveaux noms pour ceux qui en ont déjà . »

2 Idem.

نصت عليها التعليمات، اما اخته فاصبح اسمها مكرالفي فاطمة وهو اسم عائلي ذكوري.

وهناك ابنة من نفس العائلة تسمى فاطمة ستحمل نفس التسمية لكنها كانت سابقا تسمى فاطمة بنت علي بن شيخ العلمي .[1]فالحاق اسم ابيها" علي " كان يؤدي الى تفادي كل غموض ،بينما نرى المشرع يريد فرض اكراهات على الناس ،فعندما يتعلق بصالح عام يمكن فعل ذلك لكن هنا العكس تماما و اعتقد بان اسماء الاهالي تمنح ميزة كبيرة مثلما نستعملها في العقود ،لذلك فان التلاعب باسماء مشابهة او غير مكتملة في نادر جدا[2].

لنأخذ اسم السيدة فاطمة بنت محمد بن علي بن خالد العيدوني، نجد اسم الأب ;و السلف والذي اصبح اسما للعائلة " بن خالد " وأخيرا تسمية القبيلة " عيدون «، لكن بتطبيق القانون الجديد، يصبح اسم السيدة: خوالدي فاطمة،

---

1 Mercier (E) , Op cit , p : 44." Une nièce du même s’appelant aussi fatma , se trouvera désignée absolument comme la précédente , tandis qu’autre fois on l’appelait : Fatma bent Ali ben cheikh el Eulmi."
Ce qui avait l’avantage de donner le nom de son père : « Ali » et d’éviter toute confusion .On comprend que le législateur se décide a imposer bien des contraintes aux gens ,lorsqu’un intérêt général , certain doit etre obtenu :mais ici ,c’est tout le contraire , Je prétends en effet que les noms indigènes offrent un grand avantage ;tels qu’on les employait dans les actes , par exemple , et c’est ce qui explique que les erreurs ou tremperies fondées sur des noms identiques ou incomplets ont été aussi rares .Voici par exemple un nom de femme : » fatma bent Mohamed ben Ali ben khaled El Aidouni . » On y trouve le nom du père , de l’aieul , et celui qui est devenu en quelque sorte patronymique (Ben Khaled) et enfin l’indication de la tribu d’origine « Aidoun »
Par application de la loi ,voici comment cette femme sera désignée à l’avenir :Kroualedi fatma .Est ce un progrès ? et si d’autres femmes de la meme famille sont appel ées fatma , comment les distinguera - t- on ?

هل هذا تطور؟ وفرضا وجد سيدات أطلق عليهن اسم فاطمة كيف سنميزهم عن بعضهم البعض؟

لقد كان على المحافظين المحققين Commissaires enquêteurs، المكلفين بتطبيق قانون فارني لسنة 1973 ،الخاص بتشكيل الملكية العقارية، ان يعطوا اسما عائليا Nom patronymique للأهالي الذين لا يملكون اسما، وهذا الوضعية أسفرت عن أثار عجيبة لما طبقت من قبل موظفين غير مطلعين على الشؤون الأهلية ،لقد اطلقوا أسماء حيوانات على عائلات أهالي من قبيل الترويح عن النفس واحد هؤلاء أصبح شهيرا[1].

لقد أعطت تجربة أرنست مرسيه على راس المجلس البلدي لقسنطينة والصلاحيات التي تمتع بها كضابط للحالة المدنية، واطلاعه الواسع على الشؤون الأهلية باعتباره مؤرخ ومستشرق، قد أهلته كي يحكم بموضوعية في مسالة الحالة المدنية الخاصة بالأهالي ولاسيما منها، إعطاء الأسماء العائلية. فقد كان معارضا لإتلاف النسب واعتقد بان أول الأخطاء هو الاعتقاد بعدم وجود ألقاب عائلية عند الأهالي الجزائريين، بل أن الألقاب العائلية عند الأهالي أكثر دقة ووضوحا. لهذا فان قانون 1882 ومرسوم تنفيذه، قد كانت عبئا ماليا كبيرا دون أن تحقق التعبير الحقيقي عن هوية الإنسان الأهلي.

1 Mercier (E), op,cit , p :41.

موقف السلطات الفرنسية من عودة أحمد بومزراق المقراني إلى الجزائر سنة 1904 ، من خلال وثائق أرشيف ماوراء البحار بآكس أون بروفانس(ANOM)-

د/عمر بوضربة

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

تعتبر انتفاضة 1871 بقيادة محمد المقراني والشيخ الحداد من أبرز انتفاضات الجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك بالنظر إلى جملة من الاعتبارات أهمها توقيتها الحساس والذي أعقب بداية الحرب الفرنسية البروسية 1871/1870 ،وكذلك بالنظر لتميزها بطابع القيادة المزدوجة العسكرية والروحية،فمحمد المقراني ومن بعده أخوه أحمد بومزراق المقراني قادا الانتفاضة عسكريا أما الشيخ الحداد فقادها روحيا، وهو ما شكّل ميزة تفرّدت بها عن غيرها من انتفاضات القرن 19م،فحركات المقاومة كلّها باستثناء مقاومة الحاج أحمد باي كانت تحت إمرة قيادات دينية روحية جمعت بين الزعامتين الروحية والعسكرية.

وتعدّ انتفاضة المقراني من أكثر المقاومات العسكرية امتدادا بعد ثورة الأمير عبد القادر، فقد شملت مجالا جغرافيا واسعا، حيث امتدت وقائعها من شرشال غرب مدينة الجزائر إلى القل شرقا ،ومن البحر شمالا إلى عين الطيبة في أعماق الصحراء جنوبا[1].

---

1 يحي بوعزيز: ثورة 1871(دور عائلتي المقراني والحداد)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1978، ص 309.

1-نبذة عن أحمد بومزراق المقراني ودوره في انتفاضة 1871:

ولد أحمد بومزراق شقيق الباشاغا محمد المقراني بقلعة بني عباس اغيل اعلي ببجاية، ويعدّ ثالث رموز انتفاضة 1871، فقد تحمّل العبء الأكبر في الانتفاضة لأنّ أخاه استشهد بعد خمسين يوما فقط من اندلاعها، وعاش بومزراق أحداث الانتفاضة من بدايتها إلى نهايتها، وكان له الدور الكبير في وقائعها سواء في حياة أخيه محمد أو بعد استشهاده.

شارك في الثورة في منطقة سور الغزلان وونوغة ،فقد كلّفه أخوه محمد بقيادة المنتفضين هناك وحقّق انتصارات هامّة بدءا بيوم اندلاع الانتفاضة 16 مارس 1871،وحاول بومزراق بعد استشهاد أخيه ملء الفراغ الذي أحدثه تغييب الباشاغا عن قيادة المقاومة[1]،واستمر في مقاومته للاحتلال الفرنسي غير أنّه عجز في استمالة زعماء العائلات الكبيرة إلى الانتفاضة، كما فشل في خلق الانسجام بينه وبين قادة الإخوان الرحمانيين، ومع ذلك فقد استمات في مقاومة جيوش الغزو وإطالة عمر الانتفاضة إلى أوائل عام 1872 حيث سقط أسيرًا في 20 جانفي سنة 1872 م بالقرب من واحة الرويسات الواقعة على بعد كيلومترين من مدينة ورقلة[2]، ثم حكم عليه بالنفي إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة، التي عاش فيها إلى غاية العفو عنه سنة 1904 وعودته إلى الجزائر، فكيف كان موقف السلطات الفرنسية بالجزائر من عودته؟

---

1 نفسه: ص ص:273-284.

2 يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله أن بومزراق ارتكب خطأين استراتيجيين: الأول تمثّل في مدّ الثورة إلى الصحراء حيث النقص في السكان والعتاد والماء، والثاني كان استعمال طريقة الهجوم المباشر ضد القوات الفرنسية، وهو ما سمح بترجيح كفة الفرنسيين، للاستزادة حول الموضوع ينظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983، ص ص:54-55، وأيضا: يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص308.

2- محاكمة المقراني ونفيه إلى كاليدونيا الجديدة:

ترتّب عن انتفاضة 1871 مآسي جمّة لحقت بالمنتفضين معنويا وماديا والتي ترجمت في كثرة أعداد الضحايا من شهداء ومعدومين ومشرّدين إضافة إلى نفي العديد من قادة الانتفاضة إلى كاليدونيا وكان على رأس هؤلاء أحمد بومزراق المقراني. بعد حوالي أربعة عشر شهرا من اعتقال بومزراق حكم عليه بالإعدام يوم 27مارس 1873، خفف الحكم يوم 19 أوت 1873 بالنفي إلى الخارج بقرار من رئيس الجمهورية الفرنسية وهو ذات الحكم الذي صدر بحق الشيخ عزيز الحداد وعلي أوقاسي وغيرهما، وعلى إثرها نفي أحمد بومزراق إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة في المحيط الهادي رفقة حوالي مائة وأربعة من رفقاء السلاح في انتفاضة 1871[1].

3- قراءة في الوثائق الفرنسية:

أولا- مصدر هذه الوثائق:

هذه الوثائق التي اعتمدنا عليها مصورة من مركز الأرشيف الوطني الفرنسي لما ماوراء البحار CAOM أو ANOM الواقع بمدينة أكس –أون بروفانس

---

1 ذكر د.يحي بوعزيز بأنّ المقراني ورفقائه نفوا إلى عاصـــمة الإقليم نوميا،بينما أشـــارت إحدى وثائق الدراســـة(رقن 2)بأن المقراني كان يقيم منذ 1875 بجزيرة الصـــنوبر إلى غاية 1878،وهو مايطرح تســـاؤلا: هل نفي المقراني في بادئ الأمر إلى نوميا ثم تم تغيير مكان نفيه إلى جزيرة الصـــنوبر ليعود بعدها إلى نوميا بعد مشـــاركته رفقة قادة جزائريين في وقف انتفاضـــة الكاناك في ذات الســـنة؟،للمزيد ينظر:يحي بوعزيز: المرجع نفســـه،ص ص:329–333،و: ANOM: GGA,Boite*6H/37,document:Le Gouverneur de la Nouvelle Calédonie et Dépendances à Monsieur le Ministre des Colonies(Analyse:Départ pour al France du déporté Ahmed ben Mokrani),Nouméa Le18/05/1904,p1.

بالجنوب الفرنسي ،وبالضبط من رصيد الحكومة العامّة GGA(Le Gouvernement Général de L'Algérie)،رقم العلبة37 /H 6*.

ثانيا- تقديم الوثائق:

-الوثيقة الأولى:

- وهي عبارة عن مراسلة إدارية من حاكم مقاطعة كاليدونيا الجديدة الفرنسية إلى وزير المستعمرات الفرنسية وتتضمّن تحليلا حول مغادرة المنفي المفرج عنه أحمد بومزراق المقراني،ومؤرخة في1904/05/18 في عاصمة المقاطعة نوميا Nouméa [1].

ما يستخلص من الوثيقة بشكل مركز:

-تمّ العفو عن المقراني بموجب قرار رئاسي مؤرخ في1904/01/23.

- أن المقراني غادر كاليدونيا باتجاه مارسيليا الفرنسية يوم1904/05/18.

- أن المقراني عبر للسيد بيكانو حاكم كاليدونيا عن امتنانه وشكره للحكومة الفرنسية على قرار العفو عنه،و أعرب عن رغبته الاستقرار في ضواحي مدينة الجزائر.

- أن المقراني أقام في فترة نفيه في جزيرة الصنوبر L'ile des Pins من 1875 إلى1878.

- لعب المقراني دورا في بعض الأحداث التي شهدتها كاليدونيا مثل انتفاضة الكاناك Canaque سة 1878وساهم في عودة الهدوء وحسب الوثيقة فقد قدّم المقراني خدماته رفقة قادة جزائريين بصفة طوعية وساهم تدخلهم في توقيف الاضطرابات.

---

1 يُنظر الملحق رقم 01. ANOM: Analyse:Départ pour la France du déporté Ahmed ben Mokrani,ibid :

- أن المقراني مارس نشاطا تجاريا رائجا في جزيرة الصنوبر Ile des pins، لكنه مافتئ تراجع بسبب غيابه في نوميا بسبب تدخله لإخماد الانتفاضة، وهوما أثنى عليه حاكم المقاطعة.

- انتقل المقراني إلى نوميا حيث استقربها ومارس نشاطه التجاري منذ 1878، ولم يغادرها إلى غاية العفو عنه حيث أثبت انضباطه ولم يكن موضوع أي شكوى.

- أكد الحاكم اقتناعه بأن المنفى الطويل أثر في المقراني وجعهله أكثر تعقلا ولا يفكر حاليا إلى في حياة هادئة لذلك أسر للحاكم بأنه يريد أن يستقر في ضواحي مدينة الجزائر.

- ترجّى الحاكم وزير المستعمرات الفرنسي بأن يتدخّل لصالح بومزراق المقراني لدى الحاكم العام للجزائر،لأن المقراني غادر نوميا وهو قليل المال وبحاجّة ماسة للمساعدة المالية من طرف الحكومة،وهو ما يمكن اعتباره تصرف حكيم-أي لصالح فرنسا- وكذلك من باب فعل الخير.

-الوثيقة الثانية:

وهي عبارة عن مراسلة من وزير المستعمرات الفرنسي إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر بشأن الوصول المرتقب للمنفي المعفى عنه أحمد بومزراق المقراني،مؤرخة في 1904/05/24[1]. ويعلم فيها الوزيرُ الحاكمَ العام باستفادة المقراني من قرار العفو الرئاسي الصادر بتاريخ1904/01/23 والذي ألغى حكم

---

1 يُنظر الملحق رقم02، ANOM:Le Ministre des colonies à Monsieur le Gouverneur général de L'Algérie-de l'arrivée prochaine du déporté Ahmed bou Mezreg ben El Hadj ben Mokrani-Pqris24/05/1904.

النفي الصادر بحقه في 1873/03/27 من طرف محكمة قسنطينة الذي عوض قرار الإعدام الصادر ،وذلك بسبب أعماله التي مست الأمن الداخلي للدولة,

– أن المقراني من المرتقب أن يصل إلى ميناء مرسيليا بالجنوب الفرنسي يوم 1904/06/28.

–الوثيقة الثالثة:

الوثيقة الثالثة صادرة عن الحكومة العامة للجزائر Gouvernement Générale de L'Algérie مصلحة شؤون الأهالي Direction des Affaires Indigénes بعنوان: مدوّنة متعلّقة بأحمد بومزراق المقراني وعودته إلى الجزائر[1]،وأهم ما تضمّنته صفحاتها الأربع:

– الإشارة إلى العفو الذي استفاد منه أ.ب.المقراني وإمكانية عودته إلى الجزائر ،وطرح تساؤل:ما إذا كان سيسمح له بحرية اختيار مكان إقامته في المكان الذي يريده،و هل بالإمكان أن تخصص–أو بالأحرى– بتحدد له الإقامة ،وهو ما يبغي تناوله من وجهة نظر قانونية وسياسية.

– فمن الجانب القانوني المحض ورغم استفادة المقراني من إجراءات العفو إلا أنه ممنوع بموجب المادة 46 من قانون العقوبات من الإقامة في الجهات أو النواحي ككل الأهالي الجزائريين الذين سلطت عليه عقوبة النفي، مثلما نص عليه قانون 1885/05/27 كما حددت هذه المناطق الممنوعة بموجب قرار لوزير الداخلية و حددت أيضا من خلال مرسوم الحاكم العام بتاريخ 1894/10/17:و تتمثل هذه المناطق في:مدينة الجزائر والبلديات شبه

---

1 يُنظر الملحق رقم03، ANOM:Gouvérnement Général de l'Algérie,Direction Des Affaires Indigénes-Note relative à Ahmed Boumezrag El Moqrani et à son retour enAlgérie,Alger 1904.

الحضرية،وكذلك قسطينة وبرج بوعريريج،إذن فمن الناحية القانونية لا يحق للمقراني الإقامة في هذه الجهات،لكن في المقابل يمكنه ذلك بترخيص من الإدارة.

– من الجانب السياسي: لا يمكن إغفال مسألة اختيار مكان إقامة المقراني،فمن غير الممكن السماح له العودة للاستقرار ببرج بوعريريج ولا في منطقة سطيف وسور الغزلان،أين لعب دورا جد فعال في انتفاضة1871،أو أين توجد عطم ممتلكات عائلته وأتباعه التي صودرت ووضعت تحت تصرف الاستيطان،وتذكر المدونة بأن والي قسنطينة طلب منع المقراني من الغقامة في إقليمه Département وهو الطلب الذي من المفروض أن يقبل حسب التقرير.

وهنا يطرح التقرير إمكانية عدم تفضيل بومزراق المقراني الإقامة في إقليم مقاطعة قسنطينة، واحتمال طلبه الاستقرار بمدينة الجزائر أو بزاوية الهامل بالقرب من بوسعادة.

وحول هذا الاحتمال أشار تقرير الحكومة العامة بالجزائر إلى أنّ هذا الاختيار ينطوي على سلبيات؛ باعتبارأن بوسعادة شملتها أحداث انتفاضة 1871، بالإضافة إلى وضعية زاوية الهامل التي تتسم بعدم الوضوح،بسبب الصراع من أجل النفوذ بين زينب بنت محمد بن بلقاسم وعمّها سي محمد،فزينب آوت إبن بومزراق–الونوغي–وأفراد من عائلة المقراني الذين تربطهم علاقة غير حسنة مع سي محمد ،وباعتبار كذلك أن زاوية الهامل تشكل مركز تأثير روحي فهي مقصد لعدد معتبر من أتباع الطريقة الرحمانية، وفي ظل هذا الخلاف بين زينب وعمّها وإمكانية أن تهب هذه الأخيرة قسما من ثروتها ونفوذها لعائلة المقراني، مما يمكن أن يشكّل مخاطر بالنسبة للفرنسيين حسب السياق الذي ذكره التقرير.

أوصى التقرير الفرنسي بضرورة استشارة الوالي الفرنسي على قسنطينة ووالي الجزائر قبل إصدار أي قرار بهذا الشأن. كما لم يحبّذ التقرير أن يرخّص لبومزراق بالإقامة في مدينة الجزائر دون دراسة المسألة بعمق، فالمقراني بدون موارد سيجد نفسه بسهولة منقادا مع الناقمين على الأوضاع ومع كثير من الأهالي المتهمين في أحداث انتفاضة 1871. وأوصى التقرير بدفع المقراني للإقامة عند إبنه الونوغي الذي يشغل منصب إمام بمسجد القليعة القريبة من مدينة الجزائر، أو بإمكان الحاكم العام أن يخصص له إقامة هناك من أجل كسب الأهالي.

لم يُهوّل التقرير من مخاطر عودة المقراني مهما كانت وجهة إقامته بالنظر ربّما لسنه وطول فترة نفيه التي أثرت ولاريب في معنوياته وهو الشيخ المسن، ولكن ما يمكن أن يشكّل خطرا هو تأثير عودة المقراني على معنويات الأهالي وعلى الوضع الأمني العام الذي لم يكن في أحسن حال.

أشار التقرير كذلك إلى الصدى الذي أحدثه خبر قرب عودة المقراني في الشعب الجزائري؛ فحسب والي قسنطينة أنّ عديد القبائل جمعت أموالا واشتروا أراضي لفائدة بومزراق المقراني، فإذا كان هذا صحيحا حسب ذات التقرير فيمكن للمقراني أن يستفيد من إعانة هؤلاء لتوفير حاجياته اليومية، وبالتّالي يجنّب الحكومة العامّة في الجزائر تكاليف مالية من خزينة المستعمرة، وهو ما طالبت به بعض الصحف التي لم يذكرها التقرير بالاسم.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أؤكد على أهمية دراسة الوثائق الأرشيفية الموجودة في الأرشيف الفرنسي خاصّة في مركز الأرشيف لما وراء البحار، الذي يحوي كمّا هائلا من الوثائق الصادرة عن مصالح فرنسية مختلفة إضافة

إلى مراسلات لبومزراق وعائلته ومقربيه المنفيين بكاليدونيا الجديدة،علّها تضيف جديدا لما نشر من دراسات تاريخية بشأن أحمد بومزراق المقراني.

الملاحق:

ملحق رقم 1 ــ 1

Nouvelle-Calédonie
et
Dépendances

Cabinet du Gouverneur

N° 608

Nouméa, le I8 mai I904.

COPIE

Le Gouverneur de la Nouvelle-Calédonie et Dépendances,

à Monsieur le Ministre des Colonies,
(Cabinet du Ministre et 2e Direction,(3e Bureau)-
Services pénitentiaires).

Analyse:
Départ pour la France du déporté gracié Ahmed ben Mokrani.

Par télégramme en date du 26 mars dernier, N° I3, répondant à votre télégramme du I7 mars, N° 22, je vous ai fait connaître que le Déporté Ahmed ben Mokrani, gracié par décision présidentielle du 23 janvier, quitterait, par le courrier du mois de mai, la colonie, où le retenait, pour quelque temps, le règlement de ses affaires privées.

J'ai l'honneur de vous informer que Mokrani s'embarque aujourd'hui, I8 mai, à destination de Marseille, sur le paquebot "Pacifique".

Mokrani a le dessein de se retirer aux environs d'Alger. Je l'ai fait venir, il y a deux jours, à mon Cabinet. Il m'a témoigné la plus grande gratitude envers le Gouvernement, pour la mesure bienveillante dont il venait d'être l'objet.

En me priant de vous transmettre l'expression de sa vive reconnaissance, il m'a donné l'assurance de tout son entier dévouement à la France et au Gouvernement français.

Mokrani a, du reste, déjà donné des preuves certaines de son attachement à notre pays.

Il se trouvait à Nouméa, en I878, lors de l'éclosion de l'insurrection canaque; il y était venu, pour quelques jours, en permission de l'île des Pins, où il était interné, depuis I875. Dès l'annonce des premiers troubles, il offrit spontanément ses services au Gouverneur Olry, qui les accepta. Avec une petite troupe d'arabes, libérés, déportés ou condamnés, dont on lui donna le commandement, il ser- ... rendit dans plus d'une occasion

ملحق رقم 1ـــ 2

des services appréciables aux autorités militaires.

Mokrani eut d'autant plus de mérite à agir ainsi qu'il avait abandonné, à l'île des Pins, un commerce assez florissant que son absence fit péricliter, puis tomber entièrement.

A la fin de l'insurrection, Mokrani s'installa à Nouméa, où il se livra au commerce et à diverses entreprises, Il n'a quitté le Chef-lieu, depuis cette époque, que pour faire de courts séjours dans l'intérieur. Depuis son arrivée en Nouvelle-Calédonie, Mokrani n'a donné lieu à aucune plainte. Sa conduite a été absolument irréprochable et son attitude n'a jamais été de nature à inspirer la moindre méfiance à son égard. J'ai l'entière conviction que Mokrani, à l'heure présente, assagi par son long exil, n'a d'autre préoccupation que celle de mener dorénavant une vie calme et toute de repos. Il a déclaré, d'ailleurs, qu'il ne voulait se retirer aux environs d'Alger que pour éviter le plus possible d'exciter la curiosité de ses coréligionnaires et pour se soustraire, autant qu'il le pourrait, à leur importunité.

Peut-être, M. le Ministre, estimerez-vous devoir intervenir, auprès de M. le Gouverneur Général de l'Algérie, pour recommander Ahmed El Mokrani à son bienveillant intérêt.

Mokrani quitte la colonie avec de très faibles ressources. Il ne demande rien, mais l'aide matérielle du Gouvernement serait pour lui la bienvenue et je crois que la lui accorder serait un acte de bonne politique, en même temps que de bienveillance et d'équité.

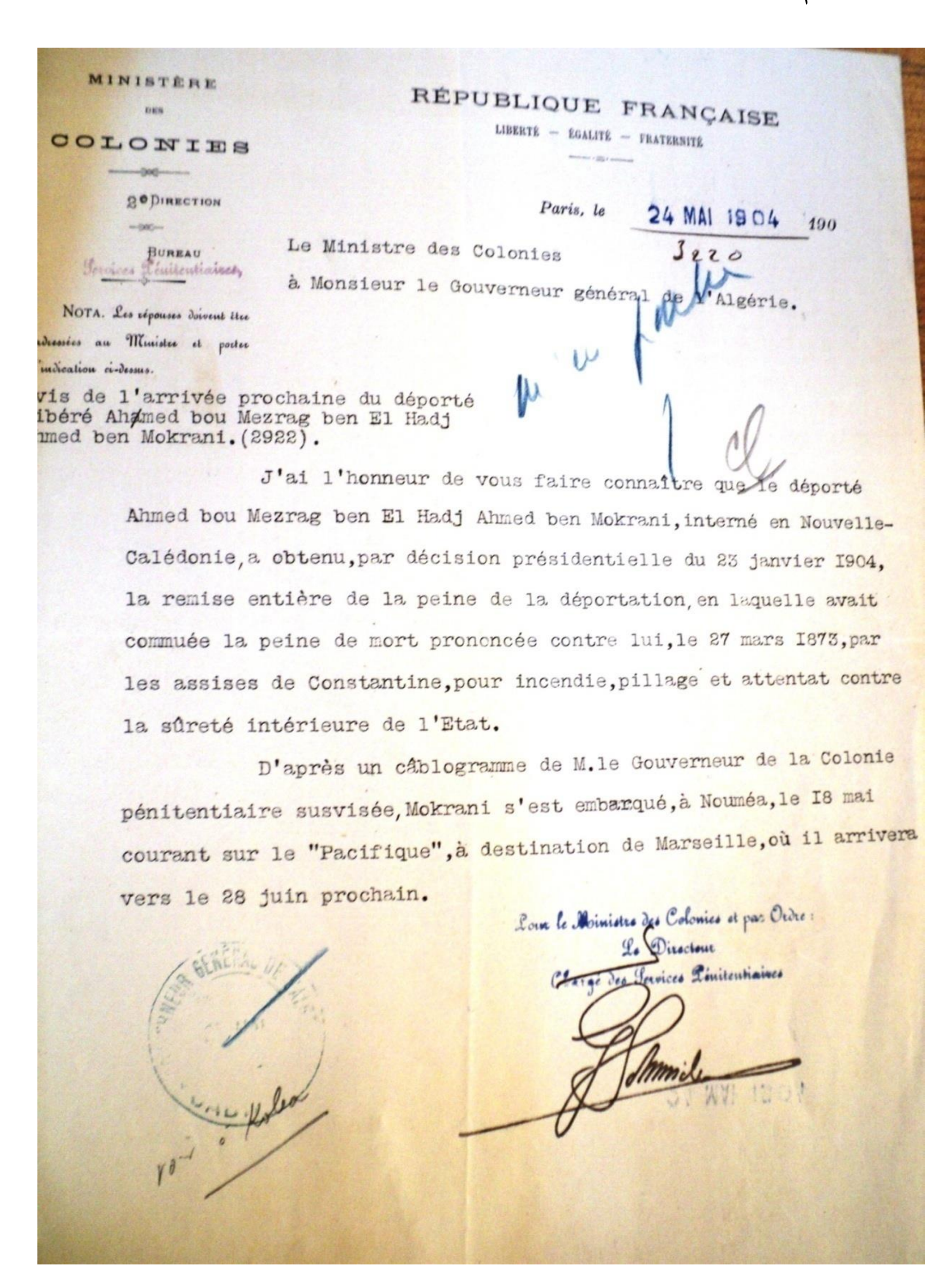
Signé: E. Picanon.

Pour copie conforme:

Le Sous-Chef du Bureau
des Services Pénitentiaires ffons

Farron

ملحق رقم 2



MINISTÈRE DES COLONIES

2e DIRECTION

BUREAU Services Pénitentiaires

NOTA. Les réponses doivent être adressées au Ministre et porter l'indication ci-dessus.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

LIBERTÉ – ÉGALITÉ – FRATERNITÉ

Paris, le 24 MAI 1904

3220

Le Ministre des Colonies

à Monsieur le Gouverneur général de l'Algérie.

Avis de l'arrivée prochaine du déporté libéré Ahmed bou Mezrag ben El Hadj Ahmed ben Mokrani.(2922).

J'ai l'honneur de vous faire connaître que le déporté Ahmed bou Mezrag ben El Hadj Ahmed ben Mokrani, interné en Nouvelle-Calédonie, a obtenu, par décision présidentielle du 23 janvier 1904, la remise entière de la peine de la déportation, en laquelle avait commuée la peine de mort prononcée contre lui, le 27 mars 1873, par les assises de Constantine, pour incendie, pillage et attentat contre la sûreté intérieure de l'Etat.

D'après un câblogramme de M. le Gouverneur de la Colonie pénitentiaire susvisée, Mokrani s'est embarqué, à Nouméa, le 18 mai courant sur le "Pacifique", à destination de Marseille, où il arrivera vers le 28 juin prochain.

Pour le Ministre des Colonies et par Ordre :
Le Directeur
Chargé des Services Pénitentiaires

ملحق رقم 3ـــ 1

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
de l'Algérie

DIRECTION
DES
AFFAIRES INDIGÈNES

N°

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le N° de la présente, ainsi que l'indication de la Direction.

République Française

Alger, le 1904

NOTE
relative à Ahmed Boumezrag El Mokrani et à son retour en Algérie.-

Ahmed Boumezrag ayant obtenu la remise entière de sa peine, et se trouvant ainsi autorisé à revenir en Algérie, la question se pose de savoir s'il devra être laissé libre de résider où il lui plaira, ou s'il est préférable de lui assigner une résidence. Cette question doit être envisagée au point de vue légal et au point de vue politique.

Au point de vue strictement légal, Ahmed Boumezrag, malgré la remise de sa peine, demeure soumis à l'interdiction de séjour en vertu de l'article 46 du Code pénal. Les localités interdites à titre général aux indigènes algériens atteints par cette disposition, comme par celles de la loi du 27 mai 1885, ont été déterminées par une décision du Ministre de l'Intérieur, et sont indiquées dans une circulaire du Gouverneur Général en date du 1er Octobre 1894: dans le nombre figurent Alger et les communes

ملحق رقم 3ـــ 2

suburbaines, ainsi que Constantine et Bordj-bou-Arréridj. Donc à s'en tenir aux textes en vigueur, Ahmed Boumezrag ne peut pas résider dans ces localités. Mais il est bien entendu que l'Administration peut l'y autoriser par décision spéciale.

Au point de vue politique, il semble qu'on ne p peut pas se désintéresser du choix de la résidence de ce personnage. Il ne saurait être question, je crois, de le laisser se réinstaller à Bordj-Bou-Arréridj, ni dans les régions de Sétif ou d'Aumale, où il a joué un rôle très actif pendant l'insurrection de 1871, et où d'ailleurs tous les biens de sa famille et de ses serviteurs ont été séquestrés et remis à la colonisation. Le Préfet de Constantine demande même que le territoire entier de son département lui soit interdit. Je pense que cette demande doit être accueillie.

Il est probable qu'Ahmed Boumezrag lui-même ne demandera pas à habiter la province de Constantine. Il voudra vraisemblablement se fixer soit à Alger, soit à la zaouia d'El Hamel, près Boussaada.

Il ne serait peut être pas sans inconvénients de le laisser se fixer à El Hamel. Outre que la région de Boussaada a été mêlée aux troubles de 1871, la situation actuelle de la zaouia ne semble pas bien nette, en raison des rivalités et de la lutte d'influence qui y existent entre Zineb, la fille du marabout Mohammed ben Bel-Kassem

ملحق رقم 3ــ 3

et son cousin Si Mohammed. Zineb paraît avoir toujours accueilli avec une faveur très marquée le fils de Boumezrag, El Ouannoughi. C'est du reste chez elle que résident et sont entretenus divers membres de la famille Mograni, qui portent déjà ombrage à Si Mohammed. El Hamel est déjà un centre d'influence religieuse, visité par un nombre très considérable d'affiliés de la confrèrie des Rahmania. On peut craindre qu'il ne devienne en outre, en raison de rivalités dont nous parlons, et par la présence de Boumezrag, un milieu politique et un centre d'intrigues. Enfin il n'est pas impossible que Zineb, qui a toujours refusé toute réconciliation avec son cousin et qui est infirme, ne lègue au moins une partie de sa fortune et même de son influence à la famille Mograni. Quelque peu probable qu'elle soit cette éventualité mérite d'être prévue.

Ce serait surtout à M. le Général Commandant la Division d'Alger, qu'il appartiendrait de se prononcer sur les inconvénients que pourrait offrir l'installation de Boumezrag à El Hamel. Mais il semble que les Préfets de Constantine et d'Alger devraient être consultés avant toute décision.

Alger ne semble pas non plus une résidence à autoriser sans examen. Ahmed Boumezrag n'y trouverait aucune ressource et s'y trouverait trop facilement en relation avec des mécontents, avec des gens préoccupés avant tout de réclame, et aussi avec tous les indigènes encore

ملحق رقم 3ـــ 4

très nombreux qui ont été compromis dans l'insurrection de 1871.

Le mieux serait je crois de l'engager à résider avec son fils, El Ouannoughi, qui est imam à la mosquée de Coléa, non loin d'Alger. On pourrait même l'y obliger, le Gouverneur Général ayant, en vertu de ses pouvoirs généraux à l'égard des indigènes, le droit de lui assigner une résidence.

Il n'y a pas à craindre, sans doute, que Boumezrag, quelle que soit sa résidence, devienne un danger politique. Mais il n'est pas bon non plus, au point de vue de l'état d'esprit des indigènes déjà impressionnés par l'affaire de Margueritte, et pour la sécurité générale, qui n'est pas très bonne en ce moment, de laisser cet ancien chef se poser en victime, volontairement ou involontairement, et dire ou faire dire que nous avons oublié ou méconnu les services rendus par sa famille.

Il restera encore à examiner la question de ses moyens d'existence. Je ne pense pas que l'on doive, comme l'ont demandé quelques journaux, lui accorder un subside sur le budget de la Colonie, ni des terres. Le Préfet de Constantine affirme que divers kabyles ont acheté des terres pour le compte d'Ahmed Boumezrag. Si cela est exact ces kabyles lui enverront sans doute de quoi subvenir à ses besoins. Dans le cas contraire qui paraît plus probable, Ahmed Boumezrag vivra des subsides que lui fourniront

إشكالية التوفيق بين مطلب الإدماج والحفاظ على الأحوال الشخصية في فكر التيار الاندماجي، فرحات عباس أنموذجا

د/ فتح الدين بن أزواو

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص:

عالجنا في هذه الورقة البحثية موقف التيار الاندماجي ـ ممثلا في زعيمه فرحات عباس ـ من مطلب الإدماج وعلاقته بالأحوال الشخصية، توقفنا عند الجذور الفكرية والسياسية لهذا التيار، ثم تناولنا بدايات معالجة الاندماجيين لهذه المسألة وانقسامهم حولها بين فريق مؤيد للإدماج التام دون الحفاظ على الأحوال الشخصية وفريق معارض، جسده الأمير خالد ومن بعده فرحات عباس، الذي خاض في هذه القضية وقدم مجموعة من الاقتراحات والأفكار، شكلت محور هذه الدراسة التي من خلالها حاولنا الإجابة على إشكالية رئيسة هي: كيف تمكن فرحات عباس ربط مطلب الإدماج بالحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامية وتجاوز التناقض الحاصل في هذه المسألة؟ .

1 – الجذور الفكرية والسياسية للتيار الاندماجي:

تعود أصول هذا التيار إلى عدد قليل من المثقفين الذين تعلموا بالفرنسية وحسب المؤرخ علي مراد، فإن جل هؤلاء ولدوا في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وتلقوا تعليما ثانويا أو جامعيا منح لهم مدخلا إلى الثقافة الأوربية ونتيجة لذلك تكونت مجموعة من المثقفين، بين صحافيين ومحامين وأطباء

وأساتذة وخريجي المدارس الرسمية[1]. وقد وصفوا أنفسهم بأنهم ذلك الشباب الناشئ في الجامعات الفرنسية الذين تمكنوا بفضل جهدهم أن يتميزوا عن العامة ويحتلوا مواقع في الجزائر ويحملوا مشعل الحضارة الذي ليس في متناول كل السكان المسلمين[2].

وبحكم تكوينهم فإن هؤلاء الشباب كانوا متأثرين بالثقافة الفرنسية وبمباهج الحضارة الغربية، جعلهم يطمحون لتحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوربي في أفكاره ووسائل عيشه وثقافته وتعليمه وطريقة عمله[3]. وقد لعب هؤلاء دورا في أوائل القرن العشرين من خلال صحافتهم ووفودهم وعرائضهم وهجومهم على الخرافات والظلم والاستغلال والدعوة إلى التعليم والتقدم والتسامح، أدى هذا – كما قال سعد الله – إلى << ظهور ضمير وطني جديد وطريقة جديدة للمقاومة >>[4].

وفي الواقع، فإن هؤلاء لم يشكلوا في هذه الفترة تنظيما سياسيا بقدر ما كانوا يشكلون تجمعا للالتفاف حول مطالب سياسة واجتماعية عرف هذا التجمع << بحركة الشباب الجزائري >> التي تزعمها الأمير خالد، كانت ناطقة باسمهم

---

(1) ـ علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، ترجمة محمد يحيا تين، دار الحكمة الجزائر 2007.، ص 53.

(2) ـ شريف بن حبيلس، الجزائر كما يراها أحد الأهالي، ترجمة عبد الله حمادي وفيصل الأحمر وسيلة بوسيس، ط1، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2009، ص 93.

(3) ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت لبنان، 1992. ص 161

(4) ـ المرجع نفسه، ص 172.

وسط الرأي العام الإسلامي ولدى الإدارة الاستعمارية ، وقد لعبت هذه الحركة دورا في إيقاظ الوعي السياسي للمسلمين الجزائريين والدفاع عن حقوقهم [1].

2- انقسام التيار الاندماجي حول مسألة الحفاظ على الأحوال الشخصية:

رغم التكوين المشترك لهؤلاء الشباب المثقف فإنهم لم يكونوا على قلب رجل واحد في الموقف من القيم العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري عند حديثهم عن الإدماج؛ بين فريق يطالب بالحفاظ على الأحوال الشخصية والتمسك بقيم الإسلام عند طلب الحقوق من فرنسا، وخاصة مطلب الجنسية، وفريق لا يمانع في التنازل عن هذه القيم حيث يدعوا إلى الاندماج التام في فرنسا ثقافيا وسياسيا، وحتى دينيا إذا كانت الضرورة تدعو لذلك، لأنهم يعتبرون أن الإسلام لا يشكل حاجزا أمام الحصول على المواطنة الفرنسية [2].

ويمثل الاتجاه الأول الأمير خالد بامتياز، أما الاتجاه الثاني فخير معبر عنه شريف بن حبيلس [3] . وجاءت إصلاحات 1919 لتضع إيديولوجية التيارين على المحك بخصوص هذه المسألة فقد اشترطت فيها فرنسا التنازل عن الأحوال الشخصية للحصول على الجنسية الفرنسية، قبل تلامذة بن حبيلس هذا القانون،

---

(1) - علي مراد، المرجع السابق، ص 57.

(2) - رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1954-1920)، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009، ص 447.

(3) - ولد في قسنطينة في نهاية القرن التاسع عشر، تعود أصوله إلى إحدى العائلات الأرستقراطية الموالية لفرنسا اشتهر بكتابه << الجزائر كما يراها أحد الأهالي >>، الذي دعا فيه صراحة إلى الاندماج والذوبان الكامل في فرنسا أمة وحضارة. أنظر: شريف من حبيلس، المصدر السابق، ص ص 18-62،31،19. كذلك: حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر ،2007، ص 34.

كبوضربة وبن التهامي وصويلح، في حين عارضه فريق الأمير خالد وفرحات عباس [1].

وقد خاض الأمير خالد نضالا وطنيا بخصوص هذه المسألة، وسطع نجمه في الأوساط الشعبية، جعل فرنسا تقوم بنفيه، لذلك فإن بقايا فريق الاندماجيين ممثلا في فرحات عباس وبن جلول[2] سوف يستلهمون هذه التجربة، بعكس الفريق الآخر الذين بحكم توجههم لم يجسدوا طموحات الجزائريين لأنهم – كما يقول البعض– كانوا << يعتبرون أنفسهم فرنسيين بأتم معنى الكلمة >>[3] . لذلك فهم لم يفكروا في إنشاء أحزاب سياسية تعبر باسم الجزائريين، بل اكتفوا بالنضال داخل الإطار الفرنسي الذي يضمن لهم تحقيق الاندماج التام في فرنسا وتحسين وضعهم الاجتماعي[4] . وبسبب هذه المواقف وقعوا في عزلة حقيقية ، فقد رفضهم المجتمع الجزائري والأوروبي على حد سواء[5]، وتراجعوا

---

(1) ـ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر، 1994، ص ص 181-182 .

كذلك: محمد عباس، محمد عباس، الاندماجيون الجدد دحلب الجزائر، دت، ص 98.

(2) ـ ولد عام 1896، تزعم فدرالية المنتخبين المسلمين، شغل مستشارا عاما (1931)، إشتهر خلال الثلاثينيات بنضاله للحصول على الحقوق والمواطنة الفرنسية. بعد هجومات 20 أوت 1955 كان ضمن مجموعة الواحد والستين التي اعتبرت سياسة الادماج قد تجاوزها الزمن. قضى بقية حياته في فرنسا. أنظر: محمد حربي الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عباد وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 1994، ص 179.

(3) ـ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 47.

(4) ـ المرجع نفسه.

(5) ـ ذكرت صحيفة << الميدان >> أن أحد المتجنسين وهو << طاهرات >> قد فاضت عيناه بالدموع لما أخبره زملاؤه بأن المسلم المتجنس لا قيمة له عند الجزائريين ولو << شوى لهم اللحم على يده >>، لتصف الجريدة وضعية هؤلاء بأنهم لا مسلمين يحترمهم إخوانهم المسلمين ولا=

سياسيا فاسحين المجال لتيار الأمير خالد ، الذي رغم إخفاق حركته فإنها ستتواصل سياسيا في إطار فدرالية المنتخبين المسلمين (1927)[1]، التي كان يقودها الدكتور بن جلول وفرحات عباس.

3 – الجنسية الفرنسية وعلاقتها بحفظ الأحوال الشخصية في فكر فرحات عباس:

لتحليل هذا العنصر يتحتم علينا توضيح طبيعة الإدماج الذي يطالب فرحات عباس، هذا يقودنا إلى معالجة مسألة هامة تتعلق بموقفه من الجنسية الفرنسية وموقع الأحوال الشخصية من هذه المسألة، ولعل هذا ما جعله يطرح سؤالا كبيرا حول الموضوع قائلا: << كيف هو هذا التجنيس؟ الجزائر فرنسية ونحن فرنسيون مع احتفاظنا بقانون الأحوال الشخصية كمسلمين؟ >>[2] و في إجابته وضح بأن قانون الأحوال الشخصية لم تطبقه فرنسا على المتجنس الجزائري وأحلت محله النظم الفرنسية في القوانين التجارية والاجتماعية والمالية والقضائية وحتى المدرسية والعسكرية، جعلت في النهاية من المتجنس الجزائري

=فرنسيين ينتخبهم الفرنسيون . أنظر: الميدان، الصادرة بقسنطينة، عدد 02 (04 جويلية 1937)، ص 06.

(1) ـ تتكون فدرالية المنتخبين المسلمين من النواب الذين فازوا في انتخابات الهيئات والمجالس المالية، الذين يؤمنون بنفس الأفكار التي كان ينادي بها فرحات عباس، ويعتبر ابن جلول مؤسسها الحقيقي، وقد نشطت هذه الهيئة في العمل السياسي منذ 1934 عندما فاز كثير من اتباعها في الانتخابات البلدية والعمالات وحصلت على أغلبية المقاعد. أنظر: محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، المصدر السابق، ص ص 108–109. كذلك: يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912–1984) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص 47.

(2) ـ فرحات عباس، الشاب الجزائري، ترجمة أحمد منور، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار المسك الجزائر 2010، ص 116.

كأنه يخضع لقانون خاص يتميز به عن إخوانه المسلمين غير المتجنسين ، ليخلص إلى رفضه هذا النوع من التجنيس لأنه يعمق الانقسامات داخل المجتمع الإسلامي ويؤدي إلى الفوضى(1).

فالجزائري – حسب عباس – هو فرنسي يتمتع بحقوق المواطنة فكيف إذا طلب الجنسية أخضع لقوانين خاصة تتعارض مع أحواله الشخصية(2)؟ لذلك عارض التجنيس الفردي معارضة شديدة، وفي المقابل دعا إلى الإدماج الجماعي للمجتمع الجزائري في ظل قانون يشمل جميع الجزائريين، يحترم التشريع الإسلامي ويحفظ الأحوال الشخصية (3). فالمواطنة عن طريق الحفاظ على الأحوال الشخصية هي الصيغة المفضلة لديه عن التجنيس الفردي(4). وبذلك فإن عباس وأنصاره كما يقول سعد الله(5) كانوا يرحبون بفكرة الاندماج عن طريق الحقوق الذي يجعل منهم فرنسيين مسلمين ولم يكونوا يفضلون الاندماج عن طريق التجنيس(6) الذي يجعل منهم فرنسيين مسيحيين لا دين لهم، وهو ما

---

(1) ـ المصدر نفسه، ص 117.

(2) ـ المصدر نفسه.

(3) ـ المصدر نفسه، ص ص 116–117.

(4) ـ غي برفيليي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880–1962، ترجمة محمد حاج مسعود، دار القصبة الجزائر، 2007، ص ص 441–442.

(5) ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1992، ص 63.

(6) ـ هذا ما نلاحظه مثلا على مطالب فدرالية النواب المسلمين لسنة 1935، التي دعت إلى إلحاق الجزائر بفرنسا وإعطاء الحقوق المدنية والسياسية للجزائريين في إطار خصوصياتهم العربية الإسلامية والتي حددتها في ضمان التعليم العربي وفصل الدين عن الدولة وإصلاح القضاء الإسلامي. أنظر:

يفسر – حسب قول الكاتب– المأزق الذي وضعهم فيه القانون الفرنسي بخصوص هذه المسألة[1]، حيث أن الجزائر كانت قد مازالت تحت وطأة قانون السيناتوس كونسلت (14 جويلية 1865) فرغم بعض التعديلات الطفيفة التي أحدثت عليه في إصلاحات 1919 ، فإن شرط التنازل عن الأحوال الشخصية للحصول على الجنسية الفرنسية كان لا يزال ساري المفعول[2]، لذلك فإن أنصار ابن جلول وفرحات عباس في اتحادية النواب كانوا يرفضون شرط التنازل عن القيم الإسلامية ويطالبون في المقابل بالحصول على المواطنة الفرنسية في إطار حفظ عوائدهم الإسلامية.

فالإسلام في منظورهم لا يشكل عائقا أمام الحصول على الجنسية الفرنسية يقول عباس في هذا الشأن : << لا شيء في قرآننا يمنع جزائريا مسلما أن يكون من حيث جنسيته فرنسيا قوي الساعدين متيقظ الذهن طيب القول >>[3]. وهي إشارة ضمنية منه إلى أن قيم الإسلام لا تتناقض مع المبادئ الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للحضارة الغربية ، لأن الإسلام – حسب عباس – هو دين عمل وعلم وعدالة اجتماعية وأخلاق ومساواة[4]. وكأنه يريد إحداث مقاربة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية للظفر بالمواطنة الفرنسية ضمن المبادئ الجمهورية التي لا تتناقض مبادئها مطلقا مع المبادئ الإسلامية.

Claude Collot-Jean Robert Henry , Le Mouvement Nationale Algérien. Texte (1919-1954) , Opu , Alger , SD, pp 61-62.

(1) ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج03، المرجع السابق، ص 63.

(2) ـ يعتبر هذا القانون أول تشريع للتجنيس وقد بقي ساري المفعول إلى سنة 1947. أنظر: أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية، ج 02، المرجع السابق، ص ص 24 – 25.

(3) ـ فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق، ص 161 .

(4) ـ المصدر نفسه، ص ص 101–102.

إلا أنه في هذه النقطة بالذات يتوقف فرحات عباس ليبين حدود التواصل والانصهار والاندماج بين المجتمعين المنتمين لحضارتين مختلفتين: بأن يحتفظ كل مجتمع بنظمه وعاداته وتقاليده، وبالنسبة للجزائريين الذين يطمحون للاندماج فإن القانون الإسلامي هو الذي يلائمهم ولا يعرقل تقدمهم أو اندماجهم، لذلك نجده يقول:<< إن لكل شعب ولكل أرض قوانينه التي تنبثق منها مثل ما تنبثق الثمرة من الشجرة وحيث أن هذا البلد لم يتخل عن الإسلام فهذا معناه أن الإسلام يلائمه فهل يعطل تقدمه من أجل هذا ويرفض أن يعطى وسائل العمل من أجل رفاهيته وازدهاره >>[1] .

4- آلية تطبيق المقاربة (الإدماج في ظل حفظ الأحوال الشخصية)عند عباس:

إن تشبث فرحات عباس بالحضارة الغربية ونظمها وإلحاحه على الإدماج قابله تمسك بعوائد الإسلام التي كان يستمد منها قوته في رفض الانصهار التام داخل تلك الحضارة الغربية رغم إعجابه بها، لذلك حاول عباس وأنصاره طيلة نضالهم << مقاومة المغريات التي تعدهم وتمنيهم بكافة الحقوق الدينية والسياسية لو تخلوا عن أحوالهم الشخصية >>[2] وظلوا يعلقون الأمل على حل هذه المعادلة ويحلمون بتحقيق تعاون فرنسي إسلامي في ظل حوار ومصالحة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية [3] .

هذا الإيمان الصادق بمثل الحضارتين هو منطلق رغبتهم في تحقيق العيش المشترك بين المجتمعين الجزائري والفرنسي، أو ما يمكن أن نسميه إدماج المجتمعين في ظل حفظ المميزات الحضارية لكل مجتمع، لأن النظم الإسلامية

---

(1) ـ المصدر نفسه ، ص 159 .

(2) ـ أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 03 ، المرجع السابق ، ص 60 .

(3) ـ فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق، ص 124 .

حسب فرحات عباس لا تتعارض مع مبادئ الجمهورية الفرنسية[1] ، وكون هذه الأخيرة لا ترفض كذلك فكرة << التعايش المشترك في ظل حفظ المميزات >> مستندا في ذلك إلى النظرية القومية الفرنسية <<لارنست رينان>> التي تنطلق من أن مبدأ الرغبة في العيش المشترك بين أفراد مجتمع معين هي الأساس لتكوين أية أمة[2]، وكأن فرحات عباس يستشهد بهذه النظرية لتبرير حججه الداعية إلى الإدماج والعيش المشترك للمجتمعين في ظل حفظ عوائد كل مجتمع، هذا ما أشار إليه في النداء الذي وجهه للشباب الفرنسي المسلم (ماي 1946) حيث قال << أهدي كلمات رينان إلى شباب وطننا المسلم والفرنسي ... يجب تحرير الجزائر من الهيمنة الاستعمارية القديمة مهما كان نوع هذه الهيمنة مع احترام مبدأ الجنسيات...يجب بناء مستقبل بلدنا المشترك على قواعد واقعية وتاريخية لا إدماجية ضمن الديمقراطية العالمية >>[3].

فالتيار الاندماجي بقيادة فرحات عباس كان يستلهم مثله من الإسلام ومن الثقافة الفرنسية على حد سوء في الدعوة للإدماج، مع حفظ عوائد المجتمع، وهو

---

(1) ـ هذا ما ذهب إليه فرحات عباس عندما قال إن القرآن الكريم لا يمنع الجزائري من أن يكون فرنسيا. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 101-161،102.

(2) ـ هذه النظرية تجعل من العناصر التقليدية لتكوين أمة – كالعرق واللغة والدين والجغرافيا والتاريخ – عناصر أقل أهمية مقارنة بعنصر الرغبة في العيش المشترك حيث يقول << رينان >> : إن القومية هي << مبدأ روحي لذكريات غنية والرغبة في العيش المشترك، والاستمرار في إغناء تراثنا الذي تلقيناه >> . أنظر: رابح لونيسي المرجع السابق، ص ص 353- 354. نقلا عن: Reanan Ernest ,Quares Complètes ,Tome 01 , Edition Calmant Lévg, paris , 1982, pp 895 - 905.

(3) ـ يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق ، ص 109 . نقلا عن:

Le courrier Algérien (07 Mai 1946).

ما عبر عنه صراحة عباس عندما قال : << إن الإسلام هو وطن روحي بلا حدود يوجهنا من المهد إلى اللحد إذ يتمثل الثقافات الأجنبية دون أن يذوب فيها وحتى أن يتشوه أو يضعف ، وبناء عليه فقد بقيت مسلما بكل شعيرات روحي ولكن الثقافة الفرنسية أعطتني حسا رفيعا في الحياة وجعلتني أقدر قيم الديمقراطية والإنسانية الحقيقية وقد كنت وفيا لها وبفضل هذه الثقافة حاربت إقطاعات المال التي استحوذت على السلطة في الجزائر ووقفت موقف العداء من شعبنا والإسلام >> [1].

فهذا الإيمان << بالوطن الروحي >> الذي يمثله الإسلام و<< الوطن الفكري >> الذي تجسده الثقافة الفرنسية [2] جعل من فرحات عباس يسعى لصياغة روح مشتركة لفرنسا الجزائرية ويأمل كمواطن فرنسي الحفاظ على شخصيته الإسلامية في فرنسا المشرقية التي سوف تكون ممثلة في الجزائر المندمجة [3]. أما شكلها السياسي فهم لا يتصوروه إلا في الشكل الذي تمثله فرنسا[4]، لأنه يرى أن انتمائه للإسلام كدين وعقيدة لا يتناقض مع انتمائه السياسي لفرنسا[5] .

---

(1) ـ فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق، ص 29.

(2) ـ هذا الموقف الذي تبناه فرحات عباس يتوافق مع كثير من زعماء هذا التيار، فحسب سعد الله أن بعضهم كان يعتبر الثقافة الفرنسية قد قدمت لهم التفسير العلمي والعقلي لتراثهم الحضاري الذي ما فتئوا متمسكين به. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص 60.

(3) ـ شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954 المجلد 02 دار الأمة، الجزائر، 2008، ص ص 508-522.

(4) ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص 61.

(5) ـ هذا بناء على مقولة فرحات عباس: << لا شيء في قرآننا يمنع جزائريا من حيث أن يكون من حيث جنسيته فرنسيا >>. أنظر: فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق، ص 161.

هذا النوع من الإدماج يبقى ناقصا – حسب عباس – إذا لم تقابله رغبة متبادلة من المجتمعين في العيش المشترك بناء على مبدأ القومية الرينانية، لذلك كان يحث المسلمين والأوربيين على تجاوز كل التناقضات الموجودة بينهما خاصة الاختلاف الديني[1] وفي هذا الإطار نجد الدعوة التي وجها فرحات عباس للشباب الجزائري المسلم، طالبهم فيها بتجاوز التعصب الفكري والعرقي [2].

ولكي يتفادى العائق الذي تشكله المسألة الدينية بالنسبة للمسلمين والأوربيين في العيش وتحقيق المواطنة الفرنسية للجميع طالب بتطبيق مبدأ العلمانية، أي فصل الدين الإسلامي عن الدولة[3]، وهذا لتجنب الذرائع الفرنسية التي كانت تتذرع بها في اعتبار الإسلام يشكل عائقا أمام تحقيق الاندماج[4]، خاصة وأنها كانت تطبق مبدأ العلمانية على الديانتين المسيحية واليهودية، ومن جهة أخرى فإنه كان يريد ضمان عدم تدخل الإدارة الاستعمارية في شؤون الدين

---

(1) ـ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص ص 353– 354.

(2) ـ من ضمن ما قاله فرحات عباس في هذا المجال: << إذا لم تتجاوز شبيبتنا الجزائرية اختلافاتها الأصولية إذا لم تبعد عنها المخالفين الذين يستلهمون أفكارهم الغامضة من المفاهيم الدينية، وإذا لم تتخل عن الأكاذيب والحقد والاحتقار ...فإن مآلها الانتحار الروحي الثقيل العواقب...وإذا لم يتجرد كل أوروبي الجزائر من هذه العقدة الاستعمارية ومن افتخار المنتصر ...فإنه لا يمكن قيام أية جماعة جزائرية >>. أنظر: يحي بوعزيز الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص ص 109– 110. نقلا عن: .La Courrier Algérien (07 Mai 1946)

(3) ـ ورد هذا في مطالب فدرالية النواب المسلمين (1935) . أنظر:

Claude Collot-Jean Robert Henry, op.cit, pp 61.

(4) ـ هذا ما عبر عنه صراحة وزير الداخلة الفرنسي عندما قال لفرحات عباس: << إن فرنسا ترفض منح المواطنة للجزائريين لأنها لا تريد المساس بالدين الإسلامي >>. أنظر: حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 66.

الإسلامي، وهو ما يوفر أحسن الضمانات لاحتفاظ الجزائريين بأحوالهم الشخصية التي رفضوا التنازل عنها مقابل الحصول على الجنسية.

وبذلك فان عباس وجد حلا ملائما للاختلاف الديني الذي كانت تعتبره فرنسا يشكل عائقا في الاندماج بين المجتمعين، كما استطاع التغلب على التناقض الموجود بين مطلب الإدماج من جهة، والحفاظ على الأحوال الشخصية من جهة ثانية، وتعتبر كل هذه الحلول المقدمة حلولا توفيقية لضمان التعايش المشترك بين المسلمين والأوربيين في إطار حفظ المميزات الحضارية للمجتمع الجزائري .

4- موقع اللغة العربية والدين الإسلامي من النظام الفدرالي العلماني في فكر فرحات عباس :

بعد مجازر 08 ماي 1945 ترسخت قناعة فرحات عباس بالفدرالية ، فقد زادت هذه المجازر الهوة عمقا بينه وبين فرنسا أدت به إلى تنظيم أنصاره في منظمة سياسية جديدة (1946) أطلق عليها الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري[1]، الذي بقي من خلاله مدافعا عن فكرة الفدرالية [2].

CAD , Boite N° 05 , Direction des Renseinements (Section Afrique du Nord) (1)
Abbas Ferhat et Le l'Union Démocratique de Manifeste Algérien (Leur Action Leur Doctrine).

(2) ـ كانت رؤية الإتحاد الديمقراطي للنظام الفدرالي تتمثل في الاستقلال الذاتي للجزائر عن طريق اعتراف فرنسا بالسيادة الداخلية المطلقة للحكومة الجزائرية، على أن تكون هذه الحكومة التي تمثل الجمهورية الجزائرية عضوا في الاتحاد الفرنسي ، تشترك مع فرنسا في العلاقات الخارجية والدفاع ، أما بخصوص الرعايا الفرنسيين والجزائريين المقيمين في الدولتين فيتمتع كل منهما بالجنسية الجزائرية في الجزائر والجنسية الفرنسية في فرنسا .أنظر: فرحات عباس ليل الاستعمار ، ليل الاستعمار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 2005 ، ص ص 203-204 .

هذه الرؤية السياسية لنوع العلاقة مع فرنسا قابلتها رؤية كذلك في الموقف من اللغة العربية[1] والدين الإسلامي، من حيث موقعهما من النظام الفدرالي؛ في هذا الإطار أكدت برامج ونصوص الإتحاد الديمقراطي على أن اللغة العربية ستكون لغة رسمية في الجمهورية الجزائرية، وأن هذه الجمهورية ستعيد للجزائريين شخصيتهم الإسلامية التي ظلوا متمسكين بها. وعن علاقة الإسلام بالمؤسسات السياسية للفدرالية رفض الإتحاد الديمقراطي – بشدة – قيام << سلطة إسلامية >>[2] ودعا في مقابل ذلك إلى << جمهورية ديمقراطية اجتماعية على أساس إتحاد أخوي بين جميع الجزائريين مهما كانت جنسياتهم ودياناتهم >>[3]. ما يوحي إلى الرغبة في انتهاج النظام العلماني.

هذا الموقف ينطلق – في الواقع– من نظرته لمسألة المواطنة، التي كان يدعو فيها طوال نضاله السياسي إلى إقامة مجتمع مشترك جزائري أوروبي تسوده حرية الاعتقاد الديني، فتطبيق << السلطة الإسلامية >> في الدولة الجزائرية الجديدة (المستقلة ذاتيا) هو حسب رأيه يتناقض مع مفهوم المواطنة

---

(1) ـ في الواقع إن هؤلاء– حتى قبل هذا التاريخ– كانت لهم مواقف حازمة من الإدارة الاستعمارية تجاه ممارساتها ضد اللغة العربية، لدرجة أن صحيفة الوفاق اعتبرت هذه الممارسات نوعا من الحرب الصليبية .

-(4) CAOM , Boite N°12H/14, Une Veritable Croiasade Contre la Lange Arabe , l'Entente (03 Février 1938).

(2) ـ ورد هذا الموقف في التقرير الذي قدمه فرحات عباس إلى المؤتمر الوطني الأول لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (سبتمبر 1948) بعنوان << نظرات في حاضر الجزائر ومستقبلها >>. وقد نشر يحي بوعزيز نصه كاملا أنظر: يحي بوعزيز، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 51.

(3) ـ المرجع نفسه.

الأروبي[1] ، لذلك تشبث بجمهورية جزائرية مفتوحة لكل الأقليات دون تمييز عرقي أو ديني[2]، هذا ما يفسر قول عباس: << إن الوطنية الإسلامية غلطة تاريخية، إذ ليس من المفروض على أبناء البلد الواحد أن يكونوا من دين واحد، يجب على الجزائري المسيحي أو الإسرائيلي أن يكون أخا للجزائري المسلم >>[3].

والموقف نفسه تبناه فرحات عباس من التوظيف السياسي للدين الإسلامي؛ فقد انتقد الذين يتخذون من الإسلام غطاء لتحقيق مطامح سلطوية، ودعا إلى إبعاد مؤسسات العبادة عن الجدل السياسي والحزبي: << نحن ننزه المساجد عن الصلوات لغير الله، بل للناس للتغرير بهم، إن المسجد بيت الله وليس هو ميدانا للمناورات الانتخابية، ولا مكتبا تعطى فيه شهادة استحسان الإدارة >> [4].

هذا الموقف العلماني من الدين الإسلامي لا يعتبر موقفا عدائيا بقدر ما يعبر عن رؤية سياسية ناتجة عن الرغبة في حماية الأقليات الدينية، بناء على فكرة رفض ربط المواطنة بالدين، وما عدا ذلك فهو يعطي للدين الإسلامي دورا تربويا

---

(1) ـ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 190.

(2) ـ هذا ما أكد عليه تقرير المؤتمر الوطني الأول لحزب الإتحاد الديمقراطي (سبتمبر 1948). أنظر: يحي بوعزيز الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 51.

(3) ـ ورد هذا القول في النداء الذي وجهه فرحات عباس للشباب الجزائري الفرنسي والمسلم. وقد أعاد يحي بوعزيز نشر هذا النداء كاملا نقلا عن صحيفة البريد الجزائري الأسبوعية عدد (07 ماي 1945). أنظر: يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 110.

(4) ـ من تقرير فرحات عباس للمؤتمر الوطني الأول للإتحاد الديمقراطي (سبتمبر 1948). أنظر: يحي بوعزيز الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 60.

وأخلاقيا وروحيا حتى يؤثر في المجتمع. هذا ما يفسر تعاطفه مع جمعية العلماء وثنائه على مجهوداتها التعليمية والتربوية والإصلاحية[1]، وحتى صاحب السلطة السياسية في نظر فرحات عباس << يجب عليه أن تكون له مدرسة وفكرة دينية، إن لم نقل شخصية دينية يستنير بها في حياته >>[2]. لذلك وكما يقول الدكتور رابح لونيسي إن لائكيه جماعة عباس لها موقف إيجابي من الدين، تحتضنه وتشجع انتشاره في المجتمع، وتستعمله لإذكاء المجالات التربوية والخلقية والروحية وتستخدم أحكامه الشرعية للحفاظ على الأحوال الشخصية[3]. ما يجعل الإسلام عندهم عبارة عن عقيدة وشريعة، تحدد العلاقة بين أفراد المجتمع وبين الحاكم والمحكومين وليس بين العبد وربه، فقط، كما يراها العلمانيون المتشددون[4] .

---

(1) ـ فرحات عباس ، ليل الاستعمار ، المصدر السابق ، ص 150.

(2) ـ رابح لونيسي ، المرجع السابق ، ص 442 . نقلا عن:.(L'Entente , N° (04 Mai 1939

(3) ـ المرجع نفسه، ص ص 442 – 444.

(4) ـ المرجع نفسه، ص 245.

الكشافة الإسلامية الجزائرية بسطيف، نشاط فوج الحياة أنموذجا (1938-1954)

أ/ خليل كمال

جامعة سطيف 02

ملخص:

لعبت الكشافة الإسلامية الجزائرية دورا بارزا في الاهتمام بالشباب الجزائري وتأطيره، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية حيث عرفت انتشارا واسعا، ساعدها على التغلغل سريعا داخل المجتمع. وقد أدى فوج الحياة بمدينة سطيف دورا أساسيا في مختلف المناسبات الدينية والوطنية، وساهم مساهمة فعالة في تنشيط الحركة الوطنية سواء عبر الندوات والمحاضرات التي ينظمها، أو التي يعكف على تأطيرها وإنجاحها، وكذلك انتماء أطفاله إلى مدرسة الفتح ساهم في التكوين العلمي والكشفي. وقد تزامن ظهور هذا الفوج بالمدينة وجود شخصيات وطنية هامة كان لها الدور في احتواءه، وتوجيهه مثل: فرحات عباس، والشيخ: عبد الرحمن يحي الشريف، وكذلك قائده الفذ حسان بلكيرد، وهو ما جعل المجتمع يحتضن هذه المدرسة التي بحق هي مدرسة للوطنية. متى ظهر هذا الفوج في مدينة سطيف؟ وماهي مساهماته المختلفة سواء في المجال التربوي والثقافي أو السياسي؟

Abstract:

Algerian Islamic Scouts played a prominent role in the attention and development of Algerian youth, especially after the second word war , where it become widely known , which helped it to penetrate quickly into society . the life group of setif has played an important role in the varows religions and national

events and has contributed effectively to the revitalization of the Algerian national movement , whether through semunars of lectures organized by it ,or in the process of managing and managing its success .

The emergence of this group in the city coincided with the presence of important national figures who had a great deal of containment and direction , such as Farhat Abbas , sheikh Abdul Rahman Yahya sharif ,and his commander Hassan Belkaird ,

Which makes society embrace this school which is really a school of patriotism , when this group appeared in the city of Setif ? and what his contributions are different ,whether in the field , whether in the educational cultural of political ?

مقدمة:

مع نهاية الحرب العالمية الأولى (1914–1918)، تجددت وسائل النضال لدى الشعب الجزائري، بظهور الأحزاب السياسية والنوادي أو الجمعيات المختلفة التي تباينت أفكارها ووسائلها لكنها إشتركت في الدفاع عن مصالح الأهالي المتنوعة. ومن هذه الجمعيات **الكشافة الإسلامية الجزائرية** التي إختارت أن تكون إلى جانب المدرسة للنهوض بالمجتمع عبر تشجيع مظاهر التكافل الاجتماعي والعمل والتوعية حتى عدت بحق مدرسة للوطنية وللأفكار والبرامج التي حملتها منذ ظهورها إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية وقد مدتها برصيد هام من الإطارات والتجارب الشبه العسكرية التي تحصلوا عليها. وفي مدينة سطيف شكل فوج **الحياة** تحت قيادة بلكيرد حسان العنصر النشيط إلى جانب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وعباس فرحات، حتى لانجد يوما يمر إلا ونلمس له فيه نشاط. من هنا تأتي إشكالية الموضوع في التعريف بهذا الفوج، وتحديد نشاطاته المختلفة في المنطقة كلها.

أولا: ظهور الكشافة الإسلامية الجزائرية:

لقد كان للسياسية الاستعمارية في الجزائر دور كبير في ظهور هذه المدرسة التربوية التي أطرت أجيالا كثيرة، وساهمت في تنظيم المجتمع الجزائري إلى غاية اندلاع الثورة المجيدة عام 1954، وخاصة بعد الاحتفالات المئوية عام 1930(مرور قرن على احتلال الجزائر) وما صاحبها من مظاهر ضخمة دامت 6 أشهر حضرها العالم كله ليرى سيطرة فرنسا على الجزائر، وسيادة العنصر الأوربي على الأهلي. وكان رد فعل الشعب الجزائري حول هذه الاستفزازات الصريحة لمشاعره تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 5 ماي 1931 والتي حملت مشروعا نهضويا حضاريا لإعادة بعث هذا المجتمع من جديد عبر النشاط العلمي والتربوي وخدمة الإسلام والهوية الجزائرية تحت قيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، من خلال فتح المدارس وإنشاء النوادي ، ونشر المعرفة وتوزيع الصحافة(1).

ويعتبر صادق الفول(*) (1911-1995) أن سنة 1930 منعرجا هاما في ظهور هذه المدرسة التربوية لأنها عاصرت هذه الاحتفالات ، وكذلك لقاءه بصديقه محمد بوراس(**) (1908-1941) بمدينة الجزائر، حيث لفت انتباههما

---

(1)- محمد جيجلي وآخر: الكشافة الإسلامية الجزائرية(1935-1955)، دار الأمة، الجزائر ،2008، ص : 15 .

(*)-صادق الفول: ولد بمليانة في 20 ديسمبر 1911، هو أحد مؤسسي الكشافة الإسلامية رفقة محمد بوراس، أسس فوج إبن خلدون، وشارك في المخيم الفيدرالي بالحراش عام 1939، خلف بوراس بعد وفاته عام 1941، توفي 1995.

(**)-محمد بوراس: ولد بمليانة في 26أفريل 1908، أسس فوج الفلاح عام 1936، يعتبر أول قائد وطني للكشافة الإسلامية، أعدم يوم 27ماي 1941، بعد اتهامه بالتخابر مع القوات النازية في فرنسا.

حشد كبير من الأوروبيين يفوق عددهم حوالي 3000كشاف (مشارك) اجتمعوا لأحياء الاحتفالات، وما أثارهما هو تلك الألبسة التي يلبسونها والنياشين التي يحملونها وألوانها المختلفة والمتنوعة ، ولما استفسروا عن الأمر أدركوا وللمرة الأولى هذه المؤسسة الخيرية والتربوية التي تدعى الكشافة[1].

من هنا جاءت الفكرة قصد إنشاء منظمة كشفية خاصة بالأهالي على غرار باقي المجتمعات الأوربية أو اليهودية التي كانت تنشط بالجزائر، وهذا قصد تبليغ أفكار المجتمع الجزائري، وتدافع عن هويته العربية والإسلامية. ومن هنا بدأ العمل المباشر قصد إنشاء الكشافة الإسلامية.

وفي هذا الجو والحماس الذي يعيشه هؤلاء الشباب ، يؤكد مرشد الكشافة الإسلامية الحاج عبد الرحمن السعدي بقوله :" في يوم الخميس من ماي كان هناك نقاش وتبادل الحديث في قضايا مختلفة ، وكان معنا محمد بوراس واحتدم النقاش، ولغلق هذا النقاش، اقترح أحدهم الخروج للسينما ولم نكن نعرف بان الشيخ عبد الحميد بن باديس في الغرفة المجاورة فخرج لنا وقال : لا تدخلوا السينما إنها تطفئ عقولكم البصيرة بل اذهبوا إلى الطبيعة ، وروحوا على أنفسكم في أحضانها ، فانصرفنا في طريقنا وجدنا فرق كشافة تحيط بمرشدها ، وكان يوصيهم بالتعاون والتقارب وهذه الكلمات أثرت في محمد بوراس كثيرا، فقال ما رأيكم في تكوين كشافة جزائرية مسلمة "[2] .

---

(1)–العبد اللآوي شافية وأخر : دور الكشافة الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (الكشافة الإسلامية الجزائرية)، دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول الكشافة الإسلامية الجزائرية – سلسلة الندوات– ص :32 .

(2)–محمد صالح : المصلح المجدد الإمام إبن باديس ، د.م.ج، الجزائر ، 2006، ص ،ص : 99–100.

ويعتبر محمد بوراس هو المهندس الحقيقي والعقل المدبر لإنشاء الكشافة الإسلامية الجزائرية، حيث أنه اتصل بالشيخ عبد الحميد بن باديس والذي طالما حضر دروسه في نادي الترقي رفقة الشيخ محمد العربي التبسي، وقد وافق الشيخ على الفكرة ودعا التبسي إلى مساعدته في ذلك. ومن هنا استوحت اسمها النابع من الدين الإسلامي، والوطن الجزائري على غرار الجمعية التي ضبطت ذلك المفهوم مسبقا وجعلته شعارها ومبدئها الذي تدافع عليه. وكذلك لكي تتميز الكشافة الإسلامية الجزائرية عما هو موجود في الساحة كالكشافة الفرنسية الكاثوليكية، والإسرائيلية واللآئكية والبروتستانتية. وبذلك أعد قانونها الأساسي الذي قدمه إلى الإدارة الاستعمارية التي رفضته بسبب الطابع الإسلامي والجزائري للجمعية(1). ومن هنا انتظر إلى غاية وصول الجبهة الشعبية إلى حكم فرنسا عام 1936 وأعاد الكرة وقدم التعديلات المطلوبة وهنا حصل على الموافقة وبذلك بدأ العمل الكشفي في الجزائر بتأسيس فيدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية التي ترأسها بنفسه رفقة صادق الفول، والطاهر تيجيني، وحسان بلكيرد...

وبدأت الأفواج الكشفية في الظهور عبر مختلف مناطق القطر الجزائري، فبعدما أسس بوراس فوج الفلاح بمدينة الجزائر عام 1935، ظهر فوجا الرجاء والصباح في قسنطينة في السنة الموالية أي عام 1936، وفوج الفلاح بمستغانم والإقبال بالبليدة دائما في نفس السنة أي عام 1936، ثم لحق بالركب فوج القطب بمدينة الجزائر عام 1937، وآخرها فوج الحياة عام 1938 تحت قيادة حسان بلكيرد.

---

(1)–العبد اللآوي شافية وآخر : المرجع السابق ، ص : 32 .

ثانيا: تأسيس فوج الحياة بمدينة سطيف.

بعد اللقاءات المتعددة التي عقدها حسان بلكيرد مع مسؤولي الكشافة الإسلامية الجزائرية وخاصة محمد بوراس، رجع إلى مدينة سطيف قصد تنفيذ المشروع فيها، ثم توسيعه في كامل الشرق الجزائري، حيث إن اسمه تداولته العديد من الأفواج سواء في عنابة وقالمة أو برج بوعريريج. بدأ اتصالاته المختلفة والمتعددة مع أعيان المدينة ومثقفيها وسياسييها وكل من يجد فيه آذانا صاغية لهذا المشروع الطموح لاحتواء الشباب وانتشالهم من الشارع بتعليمهم وتوعيتهم وتربيتهم التربية الصحيحة.

كما اتصل ببعض شخصيات وأعضاء الجمعية الخيرية ، التي أسسها قبل ذلك فرحات عباس ومن أعضاءها : المطاعي مزعاش ، وعاشوري بوزيدي، وأحمد رزوق، ولخضر نويوات ، وفاضلي حسين ، وعبد الحميد صرموك ، ولخضر دومي ، وعبد القادر يعلى...[1] . وبذلك أصبح أعضاء هذه الجمعية هم نواة هذا الفوج الذي حمل اسم **فوج الحياة**. ويوحي اسمه إلى الأمل في الحياة الذي يجب أن يتحلى به الشباب الجزائري حتى يستطيع مواصلة النضال ضد المستعمر. وكان مقره في شارع أومال أو زقاق التمارة ويعرف حاليا بنهج بوطالب. وقدم طلب الاعتماد يوم 8 جوان 1936 قصد الترخيص له بالنشاط، لكن الإدارة ماطلت وتأخر الإعلان عنه والاعتماد الرسمي إلى غاية يوم 7 جويلية 1938.

ومن هنا ظهر أول مكتب لفوج الحياة يتكون رسميا من:

حسان بلكيرد – رئيسا.

---

(1)– الربيع غرزولي ، كتاب الكشافة ، ط1 ، دار النور للطباعة، سطيف ، الجزائر ، 2013 ، ص : 25

الطيب مقراش – نائب أول للرئيس.

رشيد إبن حملاوي – نائب ثاني للرئيس.

محمد بعطة – أمين عام.

أحمد مسعودي – نائب الأمين العام.

عبد الحميد صرموك – أمين المال.

إبراهيم صحراوي – نائب أمين المال.

الحضور : العمري العشاب ، محمد وادي ، الخير نكاس[1] .

كما شهد الفوج فيما بعد المزيد من الإنخراطات للعديد القادة الذين ساهموا في تسييره مستقبلا وأغلبهم كان ضمن فيدرلية النواب المسلمين ، والمتعاطفين مع فرحات عباس ، وهو ماسيعكس توجه الفوج مستقبلا مثل: بوزيدي عاشور ، دومي عيسى ، شقران الطيب أحمد ، قارة بلقاسم ، يوسفي الطاهر ، نابتي السعيد ... وبذلك تم تقسيم المهام بين أعضاء الفوج (الأشبال ، الفتيان ، والجوالة)[2] .

وهنا بدأ الفوج نشاطه الرسمي بالإتصال مع مختلف شرائح المجتمع، قصد إرسال أبناءهم إلى هذه المدرسة التهذيبية التي ترقى بسلوك الأفراد. وتعلمهم الإعتماد على النفس وتبث فيهم روح الأمل والحياة . وكان أول إتصال أجراه بلكيرد مع فرحات عباس لما له من دور ونشاط في المدينة، والمكانة التي يحتلها والثقافة العليا التي تسمح له بالتخاطب مع الناس في مختلف الإجتماعات أو التجمعات التي يعقدها لصالح نشر أفكاره، وكذلك لعلاقته بجمعية العلماء المسلمين وشيخها المطاعي مزعاش ، وهو عضو مؤسس في الفوج .

L Entente : 19 September 1938 – (1).

(2)– الربيع غرزولي ، المرجع السابق ، ص : 27 .

ومنذ تأسيسه رصدت الإدارة الإستعمارية عدد منخرطيه بحوالي 60 شخصا، هؤلاء الذي يتابعون ويحضرون جلساته بإستمرار، وكذلك ضبطت أهدافه التي تمثلت في:

أ- جمع الشباب المسلم، وتلقينه التعاليم والأفكار الوطنية.

ب-نقل سياسية فيدرالية النواب المسلمين إلى جموع الشباب،بعدما شهدت عزلتها منذ البداية[1].

لكن الحقيقة أن الفوج ضبط أهدافه الحقيقية لخدمة المشروع الوطني في الإعلان الذي تم نشره وتوزيعه على سكان المدينة في شهر نوفمبر 1938، حيث حدد الخطوط العريضة للعمل الكشفي والذي يقوم على:

1- التربية البدنية والفكرية، وممارسة الكشافة التطبيقية في شكل حصص أو دروس والتي تكون خارج أوقات الدرس.

2- الإبتعاد عن الأمكنة السيئة وعدم التردد عليها.

3- ممارسة النشاطات والدروس في الهواء الطلق، وهو شيء مفيد للصحة، وكذلك تذوق جمال الطبيعة.

4- توطين النفس على الصداقة في مجملها، أي التعلم على تقديم الخدمة إلى الأقرب بإخلاص، وتعويدها على التضامن الذي تؤدي إلى الأخوة.

5- التأكيد على الانضباط الذي يتطور ويشجع مفهوم المسؤولية الشخصية، وتعلم مواجهة المصاعب بفضل روح المبادرة والقرار.

6- دور الكشافة ومساهمتها في تقديم الخصائص الجسدية والفكرية (العقلية) التي تعطى للطفل، لكي يكون رجلا في المقام الأول.

---

(1)- 93/4435 : تقرير رقم . 1.805، الجزائر 15نوفمبر 1938.

ولم يعرف الفوج نشاطا واضحا عشية الحرب العالمية الثانية، بسبب الرقابة الشديدة على الجمعيات، ماعدا المشاركة في مؤتمر الحراش في 23 جويلية 1939 والذي سعى توسيع نشاط في كامل القطر الجزائري، وهذا بتقديم عروض مسرحية، ونشاطات محتلفة. وكان من الذين حضروا

وشاركوا في هذا المؤتمر القادة : بلكيرد حسان ونابتي السعيد ، أما الكشافون: شوقي العياشي ، الشريف محمد الهادي ، بسكري الهادي ، صفيح بغدادي، عمارجية كريم ، عطافي عيسى[1]...

وبذلك خيم السكون على نشاطه إلى غاية مجازر 8 ماي 1945، والتي دفع الفوج فيها وكل المنظمة الكشفية في الجزائر ثمنا باهضا إلى جانب تضحيات الشعب الجزائري الكثيرة.

ثالثا: فوج الحياة بسطيف ومجازر 8 ماي 1945.

بإنتهاء الحرب العالمية الثانية، خرج الجزائريون في مظاهرات سلمية للإحتفال بإنتصار الديموقراطية على الديكتاتورية، والحرية على الفاشية والنازية، وفوز الحلفاء على ألمانيا الهتلرية . وكذلك إستغل الشعب هذه المناسبة لمطالبة فرنسا بتطبيق وعودها في الإعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.

ومن هنا أعطيت التعليمات لمناضلي حركة أحباب البيان والحرية بضرورة حشد جميع القوى الحية في المجتمع ، من أحزاب سياسية ونوادي ثقافية وجمعيات مختلفة وكذلك الكشافة الإسلامية للمشاركة بفعالية كبيرة في هذه الإحتفالات ، ولكن دون عنف أو إستفزاز للقوى الاستعمارية التي تتحين الفرصة للإصطدام بالشعب الجزائري ، وهذا مايؤكده شوقي مصطفاي قائلا :"... أنا

---

(1)- الربيع غرزولي : المرجع السابق ، ص : 27 .

شخصيا الذي حررت التعليمات التي أرسلت إلى المناضلين في جميع أنحاء الوطن، وأكدت على الطابع السلمي للمظاهرات ..."[1].

وشهدت مدينة سطيف تلك الإحتفالات على غرار باقي مناطق ومدن المستعمرة، وخرج الشعب الجزائري لكي يشاطر العالم فرحته بإنتهاء الحرب والفوضى التي عرفها العالم طيلة ست سنوات (1945-1939) . وكذلك تذكر الشعب الجزائري هؤلاء الأبرياء من الشعوب المقهورة التي شاركت في الحرب وكذلك النساء والأطفال وكل شعوب المعمورة التي عرفت ويلات الحرب وسنوات الخراب. ولما كان يوم الثلاثاء 8 ماي 1945 بمدينة سطيف (الثلاثاء الأسود)، خرج الشعب رافعا أعلاما متنوعة للحلفاء، ونظمت مسيرة سلمية تعبر عن تنظيم الشعب الجزائري وحسن انضباطه، وكان على رأسها الكشافة ثم بقية التشكيلات السياسية المختلفة. وقد أعطيت التعليمات مسبقا من مسجد المحطة (مسجد أبو ذر الغفاري) بعدم حمل أي نوع من الأسلحة أو العصي والهراوات حتى لا تستفز قوات حفظ النظام والشرطة وتخرج الأمور عن السيطرة. ومن هنا إنتظمت هذه المظاهرة التي كان على رأسها أكثر من 200 كشافا بالزي الرسمي.

وحسب المجاهد ساعد سعادنة ، فإن المسيرة إنطلقت من مسجد المحطة عبر الطريق الرئيسي تقودها الكشافة بزيها الرسمي مقسمة إلى تشكيلاتها المختلفة (أشبال ، جوالة وكشافون)، وكان هو مسؤول عن الأشبال ، ولما وصلوا إلى مقهى فرنسا (مقهى 8 ماي 1945 حاليا)، ردد الجميع أناشيد وطنية حماسية خاصة (حيو إفريقيا ، من جبالنا...)[2].

---

(1)- خامس سامية : معضلة كتابة تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية ، ودورها في إنتفاضة الثامن ماي 1945 ، مجلة المصادر ، العدد 12 ، السداسي الثاني ، 2005، ص : 243 .

(2)- حوار مع المجاهد ساعد سعادنة ببيته بمدينة سطيف يوم 25 فيفري 2017 .

وهنا إعترضتهم الشرطة بقيادة المحافظ أوليفيري الذي أكد على رفضه حمل الشعارات الوطنية، أو حتى مجرد الحديث بها أو الهتاف ضد فرنسا مثل (يسقط الاستعمار)، (عاشت الجزائر المستقلة). أو (أطلقوا سراح مصالي). كما تبين وجود العلم الجزائري رفقة أعلام الحلفاء. وهنا أوقف المسيرة نهائيا وتدخل لانتزاع العلم من أحد الشبان وهو الكشاف سعال بوزيد، ولما رفض المتظاهرون ذلك استنجد بزملائه وعلى رأسهم المفتش لافونت الذي بذل جهودا لانتزاعه من يد الشاب، وهنا قام المفتش بإطلاق النار على الشاب (يبلغ 22 سنة) وأراده قتيلا، وبذلك حدث الهرج والمرج وساد الهلع وسط الجميع بين الشرطة والمتظاهرين. وقامت الشرطة بإطلاق النار بشكل عشوائي على الجميع، وعرفت التظاهرة منحى آخر انتهى بالقتل والترويع حيث امتد القمع ليشمل كل منطقة سطيف نحو عين الكبيرة وعموشة وبني عزيز، ثم عم عمالة قسنطينة بين سطيف وخراطة وقالمة، وانتهى الجرم الاستعماري بقتل 45 ألف شهيد جزائري، دفعت الكشافة الإسلامية الثمن غاليا فيه.

- **أهم رواد فوج الحياة بسطيف:** منذ تأسيس هذا الفوج في أواخر الثلاثينات، عرف تعاقب العديد من القادة الذين مروا على رئاسته، وشهد عهدهم حركة وحيوية، ويعود الفضل إليهم جميعا في الحفاظ على مسيرته ورسالته السامية التي تتمثل في تربية وتنظيم النشء الجزائري وخاصة أبناء مدينة سطيف.

ولكن يعتبر المؤسس الأول هو الشخصية التي ألقت البذرة الصالحة ليستمر العطاء فيما بعد، ويمكن أن نرتب الرواد وقادة هذا الفوج من:

1- بلكيرد حسان : ولد بابا حسان كما يسميه أبناء الكشافة يوم 22 نوفمبر 1905 بقسنطينة من أبوين كريمين ، اشتغل والده يوسف قاضيا في العديد من المناطق بين عين ولمان، والحروش وتبسة، إنتهاءا بقسنطينة. وقد سمح له

مركزه ومنصبه أن يدخل ابنه إلى المدارس الحرة حيف تلقى العلوم العربية والشرعية المختلفة التي خلقت في نفسه حب الوطن وغرست فيه المبادئ الحسنة. وهو لم يدخل المدرسة الفرنسية لكنه تعلم اللغة الأجنبية بمفرده وعصاميته حيث أصبح يجيدها نطقا وكتابة [(1)] .

وبوفاة والده عام 1918، بدأ في الاعتماد على نفسه، حيث واصل دراسته بقسنطينة ثم شد الرحال نحو جامع الزيتونة المعمور بتونس الذي أنظم إلى طلبته يدرس ويعمل معتمدا على نفسه في تلبية حاجياته وتسديد مصاريفه. فدرس الأدب وكل فنونه لكن نفسه كانت تعشق المسرح الذي قرأ عنه كثيرا وأراد التخصص فيه. فانتقل من تونس نحو قاهرة المعز بمصر، وهنا انظم غلى المعهد العالي للفنون الدرامية وواصل دراسته بشغف كبير والتقى بالعديد من الشخصيات الفنية والمسرحية العربية المشهورة مثل: الفنان يوسف وهبي، والممثل نبيل شكوك، والممثلة القديرة أمينة رزق وغيرهم كثير . وسيؤسس معهم صداقة متينة ستتوج بزيارة احمد وهبي إلى مدينة سطيف لاحقا[(*)] .

ومن القاهرة التي استقر بها طويلا، واصل رحلته إلى تركيا للدراسة وتعلم الموسيقى الشرقية على أسس علمية ومبادئ صحيحة، وهناك تعرف على فن الأوبرات الذي أحبه وسيحاول نقله إلى أبناءه الكشافة عبر مسرحيات غنائية لها أهداف سامية كمحاربة الظلم والاستعمار، والدعوة غلى العلم، والابتعاد عن الانحراف ...

وبعد هذه الرحلة المشرقية الطويلة عاد حسان بلكيرد إلى مدينة سطيف التي أحبها وفتح بها مكتبته قرب باب بسكرة عام 1936 وسماها (الترقي

---

(1)- ذويبي خثير الزبير : المسرحي الشهيد حسان بلكيرد ، مطبعة الضحى ، سطيف ، الجزائر، 2013 ، ص : 16 .

الصغير)[1]، وكان أول من باع الكتاب العربي في المدينة.كما كان المعتمد الخاص لشركة باستوس لبيع التبغ . أسس فوج الحياة رسميا في 7 جويلية 1938، وقد بلغ عدد أعضاءه 97 كشافا من فئاته المختلفة (أشبال، فتيان، جوالة)

ورد اسم حسان بلكيرد في أرشيف الشرطة الفرنسية منذ 1943 ، وذكر انه ينتمي إلى فيدرالية المنتخبين ، وكثيرا ما لازم فرحات عباس ، وعندما أنشأ هذا الفوج سخر له كل وقته لسنوات طويلة ، وكذلك هو عضو شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كما تم رصده رفقة الزعيم الوطني مصالي الحاج أثناء مروره بمدينة سطيف في شهر نوفمبر 1943[2] .

وبنهاية الحرب العالمية الثانية، كان حسان بلكيرد رفقة المنظمين لاحتفالات 8ماي 1945 والمشرفين على الكشافة، وقبل الأحداث بيوم أو يومين استدعي من طرف رئيس الدائرة وبعض الشخصيات الأخرى للتأكيد على سلمية الاحتفالات. ومنذ تلك الأحداث المشئومة بقي بلكيرد يواصل نشاطه الثقافي والمسرحي، لكنه عاد إلى تجارته وبيع الصحف العربية والكتب المختلفة حيث أضحى محله مكانا لتجمع ولقاء العديد من المثقفين والوطنيين. وقد شارك في إضراب 1نوفمبر 1956 بمدينة سطيف، وتم غلق محله نهائيا من طرف الإدارة العسكرية للمدينة، اختطف واغتيل عام 1957. ترك بلكيرد رصيدا لا بأس به من الأعمال المسرحية المختلفة منها: مسرحية الزواج المغصوب، اليتيمان، أصحاب الحرف، هارون الرشيد، المشعوذون، مصائب الدهر ... إضافة إلى العديد من الأناشيد الكشفية والوطنية.

---

(1)ذويبي خثير الزبير: المرجع السابق، ص : 21 .

(2)– 93/4242 ، تقرير بتاريخ 27 نوفمبر 1956 .

2- بن محمود محمود: ولد بسطيف يوم 2أفريل 1927، درس في المدارس الابتدائية ثم واصل دراسته الثانوية بمسقط رأسه، شارك في مظاهرات 8 ماي 1945 رفقة فوج الحياة، وبذلك طرد من المدرسة وهنا انتسب إلى التدريس كمعلم وبقي يزاول مهنته للعديد من السنوات، ثم أعاد التقدم لنيل شهادة الباكالوريا التي تحصل عليها سنة 1950 . وواصل تدريسه ونشاطه التربوي في المسيلة إلى غاية نجاحه في مسابقة التفتيش التربوي.

كان بن محمود محمود قائدا كشفيا بارزا حيث تقلد العديد من الوظائف في الفوج بعد المؤسس بلكيرد حسان، وقد مثل العديد من الأعمال المسرحية، وشارك في المخيمات المختلفة الوطنية والدولية منها جمبوري النمسا، وقافلة القاهرة، حيث التقى كبار قادة الثورة المثرية وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب، والعقيد جمال عبد الناصر. توفي بعد استقلال الجزائر في حادث مرور في شهر فيفري 1969 [(1)] .

رابعا: نشاط فوج الحياة:

لقد تعددت نشاطات هذا الفوج منذ تأسيسه، من تعليم وتربية الأطفال على حب الوطن إلى الأعمال التطوعية المختلفة، وكذلك المشاركة في مختلف التظاهرات شواء الفنية أو السياسية بتأطيرها ومراقبتها وضمان سيرها الحسن.

كما نجد أن الفوج يوسع من أعماله وجهوده خلال المناسبات المختلفة سواء في العيدين، أو شهر رمضان حتى يؤدي واجباته المختلفة، وينتشر حقيقة وسط الشعب. ومن أم واجباته:

---

(1)- محمد جيجلي وآخر: المرجع السابق ، ص :418 .

1- إحياء أمجاد وبطولات الشعب الجزائري:

وذلك من خلال تمجيد شخصيات هذا الشعب ورموزه وأبطاله حتى يشعر أن له جذور يفتخر بها مثل: الأمير عبد القادر، أو الشيخ عبد الحميد بن باديس. ففي يوم 24 ديسمبر 1947 شارك الفوج في إحياء ذكرى الأميرين عبد القادر وحفيده الأمير خالد عبر الخروج إلى الشارع بشكل منظم وفي صفوف متناسقة، حيث مر الكشافون بشارع كليمونصو تحت إشراف القائد عبد القادر يعلى وعددهم أكثر من 33 كشاف وهم ينشدون الأغاني الوطنية والأناشيد الحماسية ، ثم توجهوا مباشرة إلى نادي التربية قصد المشاركة في فعاليات هذا الاحتفال الذي حضره أزيد من 150 شخصا تحت رئاسة القائد حسان بلكيرد الذي قدم تعريفا بالأميرين وأعمالهما الجليلة لصالح الأمة والشعب الجزائري ، ودعا الشباب إلى ضرورة الاقتداء بهما وعدم نسيان أعمالهما وأنهما يمثلان رموز الجزائر وشعبها[1].

كما دأب الفوج منذ تأسيسه على الاحتفال والاعتزاز بالشخصيات الوطنية وخاصة العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث لا يمر تاريخ وفاته إلا وأحتفل به الفوج، ذلك انه في يوم 25 أفريل 1947 احتفل بالذكرى السابعة لرحيله بإقامة حفلة وسهرة تحت رئاسة السيد مصطفى سماتي – قائد الفوج – وحضور أعيان المدينة مثل: الشيخ عبد الرحمن يحي الشريف (بن بيبي) – رئيس شعبة جمعية العلماء المسلمين بسطيف – وسيدي موسى محفوظ عن الحزب الشيوعي الجزائري، وثوابتي حسين، وجكطة إبراهيم وكلاهما من الكشافة. وتم الإحتفال في قاعة حفلات البلدية، حيث قدمت فيها دروس ومحاضرات عن سيرة العلامة، فقد قدم الشيخ عبد الرحمن يحي الشريف كلمة عن الحياة السياسية

---

(1)- 93/4435 ، تقرير 24 ديسمبر 1947 .

للشيخ إبن باديس، أما السيد عيدل امحمد – مدرس بمدرسة الفتح – فقد استعرض أعماله الجليلة في التربية والتعليم والإصلاح. أما السيد بن حالة عبد الحميد – مدرس أيضا بمدرسة الفتح – فقدم شعرا في مدح الشيخ بعنوان (شاب جزائري)، واتفق الجميع على الدعوة إلى الأخوة والإتحاد والسير على نهج العلامة إبن باديس.

كما تجددت تلك الاحتفالات، وإحياء ذكرى الشيخ خلال السنة الموالية، قصد الإحتفال بالذكرى الثامنة لوفاته يوم 23 أفريل 1948 بقاعة الأفراح البلدية –سطيف– تحت رئاسة القائد

بلكيرد حسان ، وحضور العديد من الشخصيات مثل : سماتي مصطفى – قائد الفوج– وسيدي موسى محفوظ ، والطبيب بوعتورة ، وأحمد معيزة – قاضي متقاعد – وقد قدمت العديد من المحاضرات في سيرة وشخصية العلامة من تقديم أساتذة وشيوخ مدرسة الفتح مثل : السيد بن حالة عبد الحميد ، وعيدل امحمد ، والشيخ بن يحي بشير (مدير سابق للمدرسة) ، والقائد بن محمود محمود[1] .

كما تجدد الإحتفال بالذكرى التاسعة لوفاة الشيخ العلامة من طرف الفوج يوم 18 أفريل 1949 بنادي التربية وبالتعاون مع مدرسة الفتح ، حيث قدم أحد مدرسيها وهو بن يحي بشير – مدير سابق للمدرسة) عرضا عن حياة الشيخ ، وتناول مراحل تعليمه في قسنطينة وتونس ، كما نوه القائد بن محمود محمود بخصال الشيخ حيث اعتبره " أول من أنشأ الكشافة الإسلامية الجزائرية، وكذلك

---

(1)–93/4435 ، تقرير رقم 418 بتاريخ 26 أفريل 1948 .

أكبر معلم للشباب..."[1]. وخلال هذه المداخلات تقوم الكشافة بتقديم أغاني وطنية وأناشيد إسلامية مثل: شعب الجزائر مسلم.

2-النشاط التربوي والتثقيفي:

لقد تجلى دور الكشافة التربوي في مبادئها التأسيسية التي تقوم عليها كمدرسة ثانية، إلى جانب المدارس الحرة التي تلقي الشباب المبادئ الوطنية وشروط التربية الصحيحة. وهذا ما تنبه إليه مؤسسوها الأوائل حيث نجد في سطيف بعد تأسيس الفوج مباشرة يرسل حسان بلكيرد رسالة يوم 17 أوت 1938 إلى صديق له في قسنطينة ويدعى محمود نسيم – صاحب مكتبة عربية- يطلب منه تأمين منشورات باللغة العربية قصد تقديمها للفوج قصد الاستفادة منها ، ويؤكد في رسالته أن هذه المجلات هي بقصد تكوين المربين وهي موجودة في القاهرة وبيروت ، وأنها مفيدة لتعليم الكشافة ويجب تأمينها مهما كانت الظروف[2].

ونظرا لهذا النشاط الذي يعرفه الفوج، خشيت الإدارة من هذا الدور حيث ورد في أحد تقارير الشرطة يوم 18 مارس 1941 أن هذه الجمعية هي تحت غطاء تربوي وفكري وبدني، ولكن في الحقيقة هي تجميع الشباب المسلم وتقوية لديهم الروح الوطنية (الاستقلال). كما يضيف التقرير إن جدران المؤسسة مغطاة بصور الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهو ما يبين هويتها واتجاهها العملي. ولهذا أوصت مدراء المؤسسات المدرسية بضرورة القيام بمراقبة التلاميذ الداخليين، لأن الخارجيين هم تحت رعاية الوالدين ومحاطون بالعائلة[3] .

---

(1)-93/4435، تقرير بتاريخ 22 أفريل 1949 .

(2)- 93/4435 ، تقرير رقم 1805 بتاريخ 15 نوفمبر 1938 .

(3)- 93/4435، تقرير رقم 4593 بتاريخ 18 مارس 1941 .

ومن بين الأنشطة الهادفة التي عكفت الكشافة على تقديمها، القيام بمسرحيات وتمثيليات غايتها توعية الشعب الجزائري وتثقيفه، حيث قدم الفوج سهرة مسرحية يوم 16 ماي 1948 بالمسرح البلدي، ويبدو إنها في إطار الاحتفالات بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. قدمت فيها عروض مسرحية وأناشيد وطنية وأغاني مختلفة، وقد اختار مسؤولوا الفوج بعناية ما يقدم تلك الليلة حيث قدموا مسرحية من التراص العربي وهي مسرحية " علي بابا واللصوص الأربعون "، ومسرحية أخرى بعنوان " مصائب الدهر " وهي من تأليف وإنتاج حسان بلكيرد، وقد حضرها حشد كبير يفوق 300 شخص . ومن أبرز من حضروا الشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ العربي التبسي ، والسيد أحمد معيزة ، كثير من أعيان المدينة ومثقفيها من الأطباء والصيادلة والمحامين[1].

كما لم يقتصر النشاط المسرحي فقط للفوج على مدينة سطيف فقط، بل سرعان ما نظم سهرات فنية وأعمالا مسرحية في مناطق آخرى مثل برج بوعريرج أو مسيلة وحتى بجاية التي احتضن مسرحها البلدي فوج الحياة يوم 19 جوان 1948 لتقديم سهرة مسرحية عرفت حضورا قويا للجمهور المتعطش للأعمال الأدبية والثقافية والتي كثيرا ما حملت رسائل مشفرة تدعو إلى الوحدة، وحب الوطن والدعوة إلى اليقظة والنهوض ضد المستعمر.

كما لم يهمل قادة الفوج دورهم التربوي والتوعوي في صفوف أبناءهم أو داخل المجتمع الجزائري، حيث قدم أحد المدرسين وهو شرقي محمود – مدير مدرسة الفتح – محاضرة تربوية يوم 11 جانفي 1949 بنادي التربية لتلاميذ المدرسة وأشبال فوج الحياة دعا فيها إلى التمسك بعادات وآداب المجتمع الجزائري

(1)– 93/4435 ، تقرير رقم 6017، بتاريخ 18 ماي 1948 .

كما قدم هؤلاء الأشبال العديد من الأغاني والأناشيد التربوية الهادفة التي تخدم تلك المناسبة (مخاطر الكحول).

كما قدم القائد الكشفي بن محمود محمود لقاءا كشفيا يوم 12 فيفري 1949 قصد تنظيم الفوج وتجديده والدعوة إلى إنشاء مكتبة خاصة به، وهذا لاستقطاب العديد من الشباب وانتشالهم من الشارع، وتوفير لهم الكتب باللغة العربية وكل ما يساعد على ترقيتهم المعرفية والعلمية. وهو جزء مهم من نشاط الكشافة التي هي عبارة عن جمعية ثقافية وتربوية لها مقر مزود بمكتبة[1] .

كما قام نفش القائد بتقديم محاضرة يوم 12 مارس 1950 بنادي التربية حول دور الكشافة في تربية النشء، وبين أهمية هذا التنظيم بالنسبة لجميع تلاميذ المدارس باعتباره (مكملا لتربيتهم). كما عدد أهم المواد التي يجب تقديمهالهم وتكون قاعدة لتربيتهم وحسب السن، حيث ركز بالنسبة للأطفال (12-8 سنة) على تطوير ذكاءهم وتفكيرهم لقصص الصغار. أما الشباب الذين هم بين (12-18سنة) فقد أكد بالدرجة الأولى على تعليم تاريخ بلدهم وحبه واحترامه. أما الرجال بين (18- 30 سنة) على تلقينهم السياسية عن طريق القيام بالاجتماعات المختلفة، مثل مشاركتهم في الحوارات والنقاشات، والمقارنة بين عمل مختلف الشخصيات. كما عرج بالحديث على تاريخ الجزائر وكيف لعب الشعب الجزائري دوره في مقاومة الاستعمار الغاشم، وانه حان الوقت لضرورة التنظيم والعودة من جديد. كما توسع في تاريخ البلدان العربية من مصر وفلسطين وسورية، وأكد أن جميع زعماء العرب هم عسكريون قد بدؤوا حياتهم ككشافين وهو ما سمح لهم بالنجاح والتفوق على أقرانهم. كما دعا إلى ضرورة تجند الجميع للاهتمام

---

(1)- 93/4435 ، تقرير رقم 135 بتاريخ 14 فيفري 1949 .

بالشباب والعناية بهم ، ودور الأولياء في الدفع بأبنائهم ودون تأخير إلى هذه " المدرسة الجميلة وهي الكشافة "[1] .

كما قدم الفوج يوم السبت 10 مارس 1951 سهرة فنية بالمسرح البلدي، قدمت خلالها عروض مسرحية هادفة، وقد حضرها أزيد من 150 شخصا، فيهم عشرات النساء المسلمات،

والعديد من الشخصيات المحلية مثل السيد: ثوابتي حسين –عضو مكتب الإتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري – ومتعهد مؤسسة التبغ – باستوس–، وكذلك السيد علاق عبد الرحمن –طبيب يقطن بباريس –، والسيد سيدي موسى محفوظ. ويقدم الحفل القائد دومي لخضر الذي ذكر أن القطعة المسرحية الأولى هي (إنتصار العدل[*]) وهي من تأليف الشيخ تركي – أستاذ بمدرسة الفتح – وهي قطعة درامية من أربعة فصول جسد أدوارها كل من القائد الكشفي بن محمود محمود (الملك) ، والقائد دومي لخضر (وزير الإعلام) ، وشاب كشفي (وزير الخزينة) ، ومعيزة محمد (وزير الحربية) . ويبدو أنها عالجت موضوع نفي السلطان المغربي محمد الخامس المدافع عن الشعب، والواقف إلى جانب الحق ومحاولة تعويضه بباشا مراكش (الجلاوي) الذي خان وطنه وإتبع مصالحه على حساب الشعب. وأثناء فصول هذه المسرحية كان أشبال الفوج يقدمون أغاني وأناشيد مختلفة وهادفة تدعو إلى الاعتناء بالصحة الجسدية والعقلية (الفكرية).

---

(1)–93/4435 . تقرير رقم 306 بتاريخ 13 مارس 1950.

(*)يذكر الباحث ذويبي خثير الزبير أنها من تأليف أحمد بن معيزة، وقد أعيد تمثيلها بعد ذلك أثناء الثورة التحريرية في سجن تازولت بباتنة أيام 6–7–8 أوت 1961. أرجع كتاب: أحمد بن معيزة. ص: 59.

ثم تواصل العرض بتقديم مسرحية ثانية هي (الزواج المغصوب) ، وتدعو إلى عدم الضغط على البنات للزواج من أي كان ، وانه يجب على الوالدين اختيار أحسن الأزواج لبناتهم ، وأخذ رأيهن حول الموضوع حتى لا يقع الطلاق مستقبلا[1] .

كما قام الفوج يوم 30 ماي 1953 بتنظيم سهرة مسرحية بالمسرح البلدي بمناسبة منتصف شهر رمضان المعظم، حيث حضر الحفل حوالي 400 شخص، فيهم حوالي أكثر من 20 امرأة مسلمة وأروبية. وقبل الذهاب إلى المسرح إنقسم الفوج إلى ثلاثة مجموعات من 15 شابا (كشافا)، إتجهوا إليه عبر شوارع المدينة في الأمام نجد القادة المحليون دومي لخضر وبن محمود محمود، وقد تم وضع جدول للنشاط يتمثل في :

1- قراءة آيات من القران الكريم.

2- تقديم الكشافة لأغاني وأناشيد من أشعار الشيخ عبد الحميد إبن باديس – رحمه الله –، وكذلك أناشيد أخرى مثل (جزائرنا، تحيا الشباب، بلادنا ....).

خطاب السيد سالم العبيدي– ممرن وقائد كشفي – والذي شكر فيه الجميع لحضورهم، وأكد أن ريع هذا الحفل سيوجه إلى المخيمات الصيفية، وإلى علاج بعض الشباب الكشفيين الذين لايستطيعون التنقل.

4- تقديم حركات ورقصات كشفية تدل على الحياة في الطبيعة، وأجواء التخييم في الغابة.

---

(1)- 93/4435، تقرير رقم 70 بتاريخ 7مارس 1951، وتقرير رقم 73 بتاريخ 9مارس1951 ،وتقرير رقم 77 بتاريخ 11مارس1951 ، وتقرير رقم 283 بتاريخ 12مارس 1951 .

5- تقديم الفوج لمسرحية بعنوان (المغامرون)، وهي عبارة عن نصيحة أحد الأهالي رجع من الغربة بعدما صوروا له الحياة هناك بأنها سهلة ومريحة. القصة لجزائريان ذهبا إلى فرنسا وقد عاشا في بؤس وفقر شديد، أحدهما تزوج من أوربية وقد إختلف معها بسبب تسمية إبنه بيير أو علي؟ ولهذا لما عاد إلى وطنه قال: " أفضل أن آكل الخبز وحده جافا في بلدي على أن أعيش بعيدا عن عائلتي بلا عمل و بلا رعاية "[1].

6-وكما قام الشيخ عبد الحميد بن حالة بقراءة أشعار وقصائد يدعو فيها إلى ضرورة تغيير النظام السائد، ويدعو إلى الوحدة لأنها السبيل الوحيد لذلك. وكذلك لأنها مستقبل الأجيال القادمة التي يجب الدفاع عنها[2]. وإنتهى الحفل بتقديم وعرض مسرحية (انتصار العدل).

3- تنظيم المخيمات المختلفة: تعتبر حياة التخييم هي الطريق الذي تسلكه الكشافة الإسلامية الجزائرية لإيصال رسالتها إلى الشباب والمنخرطين، لأنها تعلمهم بواسطتها الإعتماد على النفس في الحقول والغابات، وكذلك تنمي فيهم روح التضامن لأن الفرد وحده لا يستطيع التغلب على الطبيعة إلا إذا تعاون مع غيره. والمؤمن ضعيف بنفسه قوي بأهله، ولهذا كثيرا ما بادر فوج الحياة إلى تنظيم هذه المخيمات لتدريب الشباب على مختلف الحيل للنهوض بأنفسهم والاعتماد على طاقاتهم سواء البدنية أو الفكرية.

ولهذا نظم هذا الفوج مخيما يظم 50 كشافا من مختلف مناطق القطر مثل: المسيلة وبسكرة، وسطيف وبرج بوعريرج يوم 31 مارس 1945 وتم إستقبال

---

(1)-93/4435 ، تقرير رقم 80 بتاريخ 2 جوان 1953 .

(2)- نفسه .

الوفود من طرف فرحات عباس بنادي التربية وحضور العديد من الشخصيات واعيان المدينة.

مثل: سيدي موسى محفوظ ، وسماتي مصطفى ، والقائد بلكيرد حسان الذي رحب بالجميع وتمنى لهم إقامة طبية ، وان يكون المخيم ناجحا وشجع الشباب، ثم خرج الكشافون إلى المدينة يتظاهرون في مختلف أحيائها الرئيسية وهم ينشدون ويغنون تحت تصفيقات الجمهور المسلم ، ثم توجهوا نحو المخيم الذي كان في منطقة بوسلام على طريق بجاية .

كما نظم الفوج مخينا للعطلة الصيفية يوم 1 سبتمبر 1948، بعدما تأخر عن أوقاته المعهودة خلال السنوات الماضية (جويلية – أوت)، بشاطىء رأس أوقاس بسبب عدم الحجز مبكرا .شارك في هذا المخيم حوالي 70 شابا من فوج الكشافة الإسلامية منهم 30 تلميذا من مدرسة الفتح بسطيف . وقد حرص المسؤولون على توفير جميع أشكال الراحة للأطفال، وكذلك تزويد الأولياء بكل المعلومات عن أبناءهم، حيث شكلت لجنة لمراقبة ذلك من مقر الفوج وكذلك في نادي الخيرية ومقهى المسرح تحت رئاسة رئيس الفوج القائد مصطفى سماتي.

كما نظم الفوج يوم 9 جويلية 1949 نار مخيم بالملعب البلدي جيرو وبمناسبة الذكرى الحادية عشرة لتأسيسه (1949–1938)، حيث بدأ التحضير له من قبل عن طريق تنظيم إجتماع يوم 3 جويلية 1949 بمقر الفوج والتمرين على الأغاني والمسرحيات التي ستقدم، وكذلك إعداد بطاقات الدعوات لدخول الجمهور . كما تواصلت التمرينات والعمل تحت إشراف القادة خاصة بن محمود محمود ، ويعلى عبد القادر بالذهاب إلى الملعب والوقوف على آخر التحضيرات رفقة الأطفال، وقد سلكوا جميع الطرق والأحياء التي سينطلقون منها يوم 9

جويلية إلى الملعب وهي نهج دوليكا ، وشارع جورج كليمونصو، ونهج جون جوريس ، وهم يرددون الأغاني والأناشيد الوطنية مثل (موطني)[1] .

لقد شهد هذا المخيم حضور السلطات المحلية المختلفة (المدنية والعسكرية) وعلى رأسها السيد : برينكا وحرمه – رئيس بلدية سطيف –، ونائبه السيد : لاسيس هكتور ، والطبيب سماتي مصطفى –رئيس الفوج– والسيد : عطار بوحجار – رئيس الصليب الأحمر –وقاضي محكمة سطيف ، والعديد من الشخصيات وأعيان المدينة وفرحات عباس ، والمحافظ العام للكشافة السيد: تجيبني الطاهر ، وممثلين عن مختلف المكاتب والشعب لبجاية ، وسانت آرنو، وبرج بوعريرج ، وقنزات . وأهم ماشهده هذا الحفل هو رفع الراية الوطنية إلى جانب الأعلام العالمية للكشافة وكانت عبارة عن راية بخط أبيض اخضر وفي مركزها هلال أخضر .

لقد قدم أفراد الفوج الكشفي مسرحيتين هزليتين، الأولى بعنوان (التقدم الكاذب)، والثانية (الزواج المغصوب)، ويبدو أن مواضيع المسرحيات هي نقد صريح للعادات البالية والقديمة التي مازال المجتمع الجزائري يتخبط فيها، وهي مستوحاة من برنامج التربية والنهوض بالمجتمع المسلم الذي إنتهجته جمعية العلماء المسلمين. كما أكد السيد: الطاهر تجيبني على أن الكشافة مدرسة للوعي الفكري والثقافي للشباب، وهي مدرسة للصحة والجسم السليم .

كما عرفت مدينة سطيف في السنة الموالية تنظيم نار مخيم منظم من طرف الفوج يوم 8 جويلية 1950 بالملعب البلدي ، وذلك بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتأسيسه ، وكذا الإحتفال بقدوم سهر رمضان المعظم ، وبمساهمة فتيات الشعبة

---

(1)–93/4435 ، تقرير رقم 82 بتاريخ 11 جويلية 1949 .

النسوية للكشافة الإسلامية لقسنطينة . وقد كان هذا المخيم تحت اشراف القائد الشرفي للفوج بلكيرد حسان، وعرف الحفل حضور العديد من الشخصيات المحلية الأهلية والأوربية مثل: السيد مصباح صالح، وقارة عبد الباقي (مستشاران عامان عن مدينة سانت ارنو)، والطبيب بن سالم (برج بوعريرج)، والطبيب سماتي مصطفى. أما عن الإدارة فقد حضر السيد فيوريني – ممثل رئيس البلدية– والسيد الإداري – ممثلا عن رئيس الدائرة – ، والسيد الرائد كور – ممثلا للعقيد قائد المنطقة – .

تدخل القائد بن محمود محمود ورحب بالجميع، وبين أن ريع هذا الحفل سيوجه إلى تغطية نفقات المخيمات الصيفية القادمة ، ثم أعطى الكلمة إلى المحافظ الوطني السيد : جيجلي محمد الذي طالب بمواصلة الجهود والنشاط ، كما إعتبر مدرسة الكشافة رائدة في بعث النشاط النسوي والتي " ستكون منتشرة في كامل الجزائر" ، وشرح دور المرأة في الكشافة وأنهى بملاحظة أن سطيف تقوم بالكثير من أجل الشباب. وبذلك أعطى الإنطلاقة لهذا المخيم والذي حدد نشاطاته المختلفة في:

1– نار مخيم –عرض كشفي – وتقديم أغاني وأناشيد ومدائح دينية في مدح النبي ﷺ، وفي الإحتفال بشهر رمضان المعظم .

2– تقديم أغنية عن أرض الجزائر من تقديم فوج الإناث لقسنطينة .

3– تقديم عرض مسرحي (دور الكشافة النسوية) من تقديم الفتيات .

4– سكاتش أو عرض مسرحي ، ثم مقابلة كروية بين فريق رأس أوقاس وفريق قرية مجاورة .

5- أغنية ختامية بعنوان " مع السلامة أو أبقاو على خير "من تقديم الفوج الكشفي للإناث والفتايات[1].

وتواصلت سلسلة الاحتفالات النسوية ، وإقامة المخيمات المختلفة من طرف الفوج ، حث نظم نار مخيم بالملعب البلدي يوم 17 جويلية 1954 ، وحضور 1200 شخص منهم مئات النساء المسلمات منهن السيدة : عباس إلى جانب زوجها، والسيدة سيدي موسى إلى جانب زوجها ، والسيد : بن عبد المؤمن علي - محام- والسيد : بوسديرة الطاهر - جراح أسنان -وكذلك المحافظ الوطني للكشافة الإسلامية السيد : تجيني الطاهر ، وأكثر من 40 فتاة من الكشافة لمدينة قسنطينة[2].

لقد وضع الحفل تحت الرئاسة الشرفية للمحافظ العام للكشافة الإسلامية السيد: تجيني الطاهر ونائبه السيد: جيجلي محمد القادمين خصيصا لهذا الحدث من العاصمة وقسنطينة. وقدم المحافظ العام تدخلا بسيطا وخطابا مقتضبا شكر الحضور الذين لبوا دعوة الفوج ، ثم أعلن عن الإفتتاح الرسمي للإحتفال[3].

ثم تناول الكلمة القائد المحلي دومي لحضر الذي قدم الأفواج المشاركة التي أدت مسرحيات وسكاتشات هادفة مثل مسرحية (الساحر)، وهي تتناول موضوع الدروشة والدجل وإنتشاره في الجزائر بسبب التخلف ونتائجه على المجتمع والأفراد، والمسرحية الثانية تعالج موضوع الهجرة في عنوان (المهاجرون)، وتعرض مغامرة مهاجر مسلم نحو فرنسا قصد الزواج بفرنسية أو أجنبية، وحسبه سيعود إلى الجزائر من الأثرياء وكبار الملاك، ولكن أمثاله أصيبوا بخيبة أمل

---

(1)-93/4435 ، تقرير رقم 847 بتاريخ 10جويلية 1950 .

(2)-93/4435، تقرير 194 بتاريخ 19 جويلية 1954 .

(3)- Alger Républicaine, 5avril 1954

وبعودتهم لم يجدوا أمامهم الفقر والقربي الذي سيواصلون حياتهم فيه. كما تم ضبط ثمن تذكرة الدخول ب 200 فرنك ، وهي عائدات ستعود إلى الكشافة والشباب لتغطية نفقات مخيم رأس أوقاس لهذه السنة[1].

4- المشاركة في التجمعات والاحتفالات المختلفة : منذ تأسيس فوج الحياة عطف حسان بلكيرد على تنظيمه وقسمته بين الأشبال والفتيان والجوالة ، ثم وضع له مجموعة من النشاطات الاجتماعية والمسرحية التي يقوم بها ، ويذكر الربيع غرزولي انه أول فوج يحضر مؤتمر الحراش في 23 جويلية 1939 وقد تكون الوغد من : القادة حسان بلكيرد ، والملازم السعيد نابتي ، والكشافة العياشي شوقي، ومحمد الهادي الشريف ، محمد زلاقي ، الخير ذيب ، وبغدادي صفيح، وكريم عمارجية ، ومصطفى صرموك ، وعيسى عطافي ...[2] حيث ساهم في تأسيس إتحاد الكشافة الإسلامية الجزائرية التي ضبطت أهدافها وصاغت قانونها الأساسي[3] .

وأثناء الحرب العالمية الثانية شارك الفوج في المؤتمر الفيدرالي بمدينة الجزائر يوم 24 ديسمبر 1943، والذي عقد بمقر مولودية نادي الجزائر، وقد ضم العديد من المسؤولين والقادة من كافة أنحاء الوطن مثل: تجيني الطاهر، وبوكردنة، ومشاركة قائد الفوج بلكيرد حسان الذي قدم مداخلة باللغة العربية طالب فيها الشباب بضرورة الالتفاف حول الكشافة ومساندتها، كما دعا إلى الإتحاد الذي يعطي القوة.

---

(1)- 93/4435 ، تقرير رقم 635 بتاريخ 19 جويلية 1954 .

(2)- غرزولي الربيع : المرجع السابق ، ص : 27.

(3)- محمد جيجلي وآخر : المرجع السابق ، ص : 17 .

أما على الصعيد العربي والعالمي فقد شارك الفوج في الاحتفالات بالذكرى الأولى لإنتصار الثورة المصرية يوم 23 جويلية 1953، حيث تلقى دعوة رسمية من الحكومة المصرية، والتي كانت أرسلت إلى خمسة (5) من القادة غادروا يوم 21 جويلية 1953 على أمل العودة يوم 19 أوت 1953. وقد شملت الدعوات كل من: إيلمان عبد الحميد ، بن محمود محمود ، وباديس عبد الرحمن، وزرقيني عبد العزيز، وبسكر محمد[1]. وعند عودة الوفد الذي ترأسه القائد الجهوي بن محمود محمود عقد إجتماع يوم 3 سبتمبر 1953 بنادي التربية قصد تقديم تقرير الرحلة، وكان الإجتماع تحت رئاسة السيد: سالم العبيدي وحضور حوالي 100 شخص من الكشافة. وقد تناول الكلمة كل من باديس عبد الرحمن الذي إستعرض مسار الرحلة والدول التي مروا بها والصعوبات التي واجهتهم وفي الأغلب (جمركية فقط)، ثم تناول الكلمة بن محمود محمود الذي تحدث عن الجو في القاهرة والزيارات التي قام بها الفوج سواء إلى المصانع المختلفة أو الحياء الشعبية والتاريخية، ومختلف الاتصالات التي أجريت مع بقية الفروع الكشفية العربية.

كما عرج على مختلف القضايا الراهنة مع الشباب المصري، وكذلك مع جماعة الإخوان المسلمين وعلماء الأزهر الشريف، وأكد على إستقبال الفوج من طرف اللواء محمد نجيب في ملعب الإسكندرية، وطلب من الحضور التمسك بالدين الإسلامي لأنه هو أساس نجاح المجتمع المصري ونهضته الحالية، ثم إنتهى الإجتماع الكشفي بتقديم أشبال الفوج أناشيد مختلفة مثل (الوطن، الاتحاد، شباب الجزائر...).

(1)- 93/4435 ، تقرير من 11 إلى 14 حويلية 1953 ، وتقرير 24 أوت 1953 .

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة المتواضعة لمسار **فوج الحياة** ونشاطه بمدينة سطيف، نخلص إلى جملة من الملاحظات التي تلخص حقيقة حجم الجهود والتضحيات التي ساهم بها الشعب الجزائري بمختلف أطيافه وفعالياته، وأن وعيه لم يأت من حركة واحدة، أو حزب معين، لكن هو نضال متكامل كان نتيجته الحرية والاستقلال.

1- يعتبر **فوج الحياة** من أقدم الأفواج الكشفية في الجزائر (منذ 1936)، التي وضعت اللبنة الحقيقية للعمل الكشفي في الشرق الجزائري، حيث ظهرت بعده بقية الأفواج والتي شكلت مدرسة حقيقية للتربية وإدماج الشباب الجزائري في الأعمال الخيرية والتطوعية المختلفة.

2- احتضان المجتمع المحلي لهذه المدرسة الجديدة ، خاصة النخبة السطيفية وعلى رأسها :فرحات عباس، والشيخ عبد الرحمن يحي الشريف ووفروا لها كل الإمكانيات لتقديم رسالتها في أحسن شكل ، فكان الفوج دائم الحضور في جميع المناسبات المختلفة سواء الدينية (كالإحتفال بالعيدين ، أو شهر رمضان المعظم ، و المولد النبوي الشريف ...) ، أو الوطنية (كإحياء ذكرى زعماء الجزائر مثل : الإحتفال بذكرى الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية، أو رائد النهضة العربية والإسلامية العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، أو الأمير خالد باعث النشاط السياسي والمنافح عن مطالب الشعب الجزائري المشروعة).

3- دور حسان بلكيرد أو بابا حسان كما يعرف في أوساط الكشافة ، في إرساء قواعد هذه المدرسة الجديدة والعمل على غرس الأفكار الوطنية ، والتضحية في سبيل إنجاح هذا المشروع التربوي الهادف ، ولهذا تفطن الإستعمار

لهذه النوايا الطيبة وأراد وأدها من خلال اغتياله عام 1957 ، مثلما قام قبل ذلك بإعدام محمد بوراس عام 1941 .

4- دور فوج الحياة في تربية وتهذيب الشباب السطيفي ، من خلال الأعمال التطوعية المختلفة والتي تنمي فيهم روح التعاون والإخاء ، وذلك عند زيارة المستشفيات والإطلاع على أحوالهم ، أو المساجين وتقديم الهدايا المختلفة ، والتعرف عن قرب على مأساة الشعب الجزائري ومطالبه الوطنية .

5- مشاركة الفوج في إحتفالات 8 ماي 1945 بمدينة سطيف، والتضحيات الجسيمة التي قدموها إلى جانب الشعب الجزائري، ووقوفهم على حجم القمع الذي تعرض له، وهذا مادفعهم إلى مواصلة النشاط والعمل والتجند في صفوف الثورة الجزائرية لاحقا .

- قائمة المصادر والمراجع:

أ- الأرشيفات:

الأرشيف الفرنسي ماوراء البحار بأكس بروفنس - مرسيليا - العلب: 93/4435 - كشافة الحياة (سطيف). 93/4242 - حسان بلكيرد .

ب- المصادر:

1-جيجلي محمد وأبوعمران الشيخ: الكشافة الإسلامية الجزائرية (1955-1935)، دار الأمة، الجزائر، 2009.

2-صالح محمد : المصلح المجدد الإمام ابن باديس ، د،م،ج .الجزائر ، 2006 .

3- غرزولي الربيع : كتاب الكشافة ، ط1 ، دار النور للطباعة، سطيف ، الجزائر ، 2013 .

ت- المراجع:

1- العبد اللاوي شافية وخامس سامية: دور الكشافة الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (الكشافة الإسلامية الجزائرية)، دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول الكشافة الإسلامية الجزائرية - سلسلة الندوات -منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. طبعة 2010.

2– ذويبي الخثير الزبير : المسرحي الشهيد حسان بلكيرد ، مطبعة الضحى ، سطيف ، الجزائر، 2013 .

3– خامس سامية : معضلة كتابة تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية ، دورها في انتفاضة الثامن ماي 1945 ، مجلة المصادر ، العدد 12 ، السداسي الثاني ، 2005 .

ث– الحوارات:

– حوار مع المجاهد وعضو المنظمة الخاصة بمدينة سطيف المجاهد ساعد سعادنة ببيته بمدينة سطيف يوم 25 فيفري 2017.

ج– الجرائد باللغة الفرنسية:

1- Alger Republicane , 5 avril 1954.

2- L Entente, 19 September 1938.

المـلاحق:



1- نار مخيم بسطيف عام 1953 .



2- حسان بلكيرد رفقة اطفال فوج الحياة .

الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني

د/ حميدي أبوبكر الصديق

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

يعتبر احمد توفيق المدني من الشخصيات الإصلاحية والعلمية التي اهتمت بكتابة تاريخ الجزائر وقدم عدة مؤلفات في زمن الاستعمار وندرة الكتابات التاريخية. ومن أهمها: حياة كفاح في ثلاثة أجزاء، وكتاب الجزائر، وقرطاجنة في أربعة عصور، وكتاب محمد عثمان باشا داي الجزائر، إضافة إلى العديد من المقالات المتنوعة في الصحف التونسية والجزائرية.

وفي آخر حياته اصدر كتابه ردا على الشبهات الكثيرة التي أثيرت حول ما صدر عنه من كتابات وتصريحات سماه : رد أديب على حملة أكاذيب [1] .

وقد أنجزت عدة دراسات حوله منها ما خصصت في أعماله ونشاطه مثل دراسة الأستاذ خليفي عبد القادر، أو دراسات أخرى موضوعاتية . وهدفنا في هذه الدراسة قراءة في كتاباته التاريخية بروح نقدية: من حيث الموضوعية وحضور الذاتية!، وأهداف هذه الكتابات في تلك المرحلة من تاريخ الجزائر. ومدى مساهماتها في مجال النضال من أجل الهوية والوطن؟، وموقع هذه الأعمال من القواعد الأكاديمية؟

---

1 ـ عندي نسخة مخطوطة منه، وهو مطبوع حاليا مع وجود بعض التغييرات البسيطة التي لا تؤثر على المحتوى.

1- المدني ونفيه إلى الحدود الجزائرية

هو شخص معروف بأصوله الجزائرية، ولد بتونس، وعرف بنشاطه السياسي هناك وبإنتاجه الأدبي والصحفي وتفاعله مع قضايا المغرب العربي، وعرف بقلمه المعادي لفرنسا، وقيل أن سبب نفيه باتجاه الجزائر في 1925 يعود إلى مقال كتبه عن حرب الريف بالمغرب. ولم يكن هذا السبب الظاهر يمس المدني وحده لأن فرنسا في هذه المرحلة أقدمت على نفي عدد من الزعماء الذين شكلوا عليها خطرا بحكم نشاطهم السياسي في تونس والجزائر.

ولكن هذا الرجل بقي في تواصل مع مسقط رأسه ، بل ربطته علاقات مع رجال المغرب العربي كله ، وفي إحدى كتاباته يقول أنه كان في تونس يعمل بروح جزائرية وهو الآن في الجزائر يعمل بروح تونسية وقد ساعدته وضعيته في الجمعية أن يوسع من علاقاته الصحفية والعلاقات الشخصية إلى الديار المغربية.

وذكر أحمد توفيق المدني أنه نفي إلى الحدود الجزائرية إثر مقالات نشرها في 25 ماي 1925 وخاصة" مقالة" حقائق عن أحداث الريف" عاش الريف حرا مستقلا" ومن ضمن ما ذكره لقد نصحنا عبد الكريم بعدم اللجوء للسلاح وكنا نفضل أن يهتم بتنظيم بلده وتدعيم استقلاله [1].

2- نشاط المدني وانصهاره في الحركة الإصلاحية الجزائرية

وكان لنشاط المدني وانصهاره في الحركة الإصلاحية الجزائرية أن جعل منه عنصرا فعالا في الجزائر ولم يكن غريبا عنها بل ساهم في الربط بين تونس والجزائر وقد قال فيه الشاعر مفدي زكريا في الذكرى الثلاثين لمنفاه:

---

(1). نفسه، ص132 .

لستم اليوم تكـــرموا نزيلا   بعد منفاه ففي البلاد استقرا
فهو من صلبها و إن تحسبوا   تونسيا أن الجزائر خضــراء
أبعدوه فقربوه وبعد الدار   قـــربه مذ أصبح الذل كفرا [1]

وأقرض سعدا الله بنفس المناسبة شعرا حرا:

وارتضى الإبعاد عن بيع الضمير * ليضيء الحالكات * في المصير المغربي[2]

هذا فضلا عن كتاباته الصحفية الغزيرة في الصحافة الإصلاحية ففتح المجال لزيارات تونسية نحو الجزائر وخاصة التي كانت تتردد على نادي الترقي بالجزائر العاصمة. وكذلك الأهمية التي أبرزها من خلال نشاطه الثقافي وكتاباته ومنها تقويم المنصور الذي كان في 05 أجزاء وفي آخر المرحلة من الكتاب سنة 1930 أصدر جائزة سماها جائزة المنصور تعطى لأحسن كتاب عربي يصدر في المغرب العربي في نهاية كل سنة هجرية[3]. وكذلك كتابه قرطاجنة في أربعة عصور الذي أبعد فيه الطرح الاستعماري والبعد اللاتيني وحقيقة الاستعمار الروماني، ليخلص إلى انصهار العنصر البربري والعربي في المنطقة.

3- المدني وحضور الذاتية

في معرض الحديث عن كتابات المدني وحضور الذاتية فيها. استوقفنا الكثير منها وخاصة إكثاره من كونه فاعلا أو شاهدا أو عنصرا محوريا. ونستعرض بعضا منها:

---

1 . حياة كفاح، ج 3، مصدر سابق، ص 97.

2 . نفسه، ص 100.

3 – معمر العايب، «التوجّه المغاربي في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية، حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء نموذجا" المجلة التاريخية المغاربية، ع119 س 32 جوان، 2005 مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تونس، ص ص 67 - 82.

4–في معرض حديثه حول إمكانية حدوث مظاهرة ومجزرة بتونس

كتب يقول: " لقد كان الأرجاس الأدناس المستعمرون يريدون أن يوقعوا مثل ذلك بتونس خلال إقامتي بها ، وراجت إشاعات عن اعتزام التونسيين القيام بمظاهرات صاخبة، فأعدت السلطة جيشها وسلاحها ،ورأيت بعيني رأسي الدبابات الصغيرة تحوم حول الديار، فيما بين باب البنات وساحة رمضان باي في المدينة العربية، وكان الشر يتجلى ظاهرا فوق العيون ، أما الإشاعات فكانت تصنع في معامل المستعمرين الخفية ، وكانت تروج بواسطة أعوانهم ، وبواسطة البعض من رجال الحكومة"[1].

وفي معرض حديثه أنه توجه للحزبين (الدستوري القديم والجديد) في تونس للاستفسار عن الأمر فأنكروا علمهم بذلك وقال أنه حثهم على تجنب ما حدث مثله في الجزائر (مجازر 8 ماي) فكان سكوت رجال اللجنة التنفيذية، أما أعضاء الديوان السياسي (الحزب الدستوري الجديد) فقالوا سنسعى لتحطيم هذه المؤامرة. وبعدها جاء رجل فرنسي (مسيو سيمون)[2]. إلى شقيق المدني (الهادي المدني) في مهمة إدارية متعلقة بالمحاكم ، ثم ذكر أنه طلب مقابلتي وبعد كلام مجاملة قال لي أعرف أنك رجل صراحة وإخلاص وأسألك الآن، بل أستحلفك أن تقول لي ماهي حقيقة المظاهرة التي ستقوم يوم 18 ماي (بعد يومين) والتي تستعد السلطة لقمعها بكل شدة ،وكان رده لا وجود لهذه المظاهرة وسيتصل برجال الحزبين ومختلف طبقات الشعب .وكان من ذلك الرجل الفرنسي أنه عزم على الاتصال برجال السفارة (عله يقصد أدارة الحماية)لإطلاعهم على الحقيقة،

1 . نفسه، ص 79.

2 – يشغل منصبا في الكتابة العامة للدولة.

كما أن الديوان السياسي للحزب قام بواجبه ، وتم سحب الجند والسلاح يوم 17 ماي 1945 من المدينة العربية ، وتم تجنب الكارثة.

وبغض النظر عن الانتقادات التي وجهت للمدني حول هذه الحادثة (بأنه منع التونسيين من إظهار عواطفهم نحو الشعب الجزائري).[1]فإن التساؤل يبقى قائما حول المهمة السرية التي ذهب من أجلها على حد قوله مع أننا لم نعثر عن كلام يتعلق بهذه المهمة من طرف أبي اليقظان ؟ كما أن المصطلح الموجه من قبل(سيمون) للمدني– أستحلفك– في العادة لا يكون إلا من المسلمين المثقفين،اللهم إذا كان هذا الرجل كثير الخلطة بالعرب أو مستشرقا. ثم كيف يتصل المدني بمختلف طبقات الشعب،وهو الغريب عن الوطن منذ أمد بعيد ويتصل بزعماء الحركة الوطنية في هذا الظرف الوجيز.

5- المدني وقدوم أرسلان

ذكر توفيق المدني أنه هو الذي أخبر رجال الإصلاح في المغرب بزيارة أرسلان لطنجة حسب مراسلة بعث بها إلى محمد داود في 21،07، 1930[2]. وقد انتقل أرسلان إلى المغرب سنة 1930 (إلى طنجة ومنها إلى تطوان والتقى بعبد السلام بنونة وقدم محاضرة انتقد فيها السياسة الفرنسية، وكانت فرصة لإظهار غضبه على الظهير البربري وطرح هذه القضية أيضا في المؤتمر الإسلامي بالقدس (ديسمبر 1931) الذي حضره عن المغرب (محمد المكي الناصري ، ومحمد بن عبد السلام بنونة اللذين كانا طالبين في نابلس[3] ،وعن

---

1 – انتقاد من قبل محمد الصالح رمضان ردا على ما ورد في كتاب " حياة كفاح للمدني "

2 . محمد بلقاسم، بلقاسم محمد، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي , 1954 1910 ,ج 1, ج2 ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر1994، ص 179.

3 نفسه، ص 34.

الجزائر إبراهيم أطفيش، والثعالبي عن تونس.

6-رسالة محمد الفاضل بن عاشور

وهي رسالة يبدو أنها كانت بعد زيارة محمد الفاضل بن عاشور للجزائر ورجوعه لتونس، وفي هذه الزيارة التقى بالمدني. كما عبر له في هذه الرسالة عن ثناء كل من محمد الهادي، والمختار بن محمود والشاذلي خزندار [1] ، ولكن الرسالة مؤرخة في (1387 هـ أي ما يقابلها 1967 م) وهذا يعني أن المدني بقي في تواصل مع هذه الشخصيات [2].

7-المراسلات

والمتتبع لمراسلات المدني التي ذكرها في كتاباته أو هذا المخطوط نجد أنها دائما تحوم حول المدح والثناء عليه من نثر أو شعر، ومعظم ما يدور حول الحالة في القطرين التونسي والجزائري يرجئه إلى صدور الديوان أو إلى مناسبة أخرى. وهو ما أضفى عليها الطابع الشخصي أكثر من الاهتمام بالقضايا المشتركة أو تبادل آراء حول قضايا مطروحة، وفي نفس الوقت أن المتتبع لخط المدني في علاقته بين رجال الدستور القديم والجديد يجد شيئا من الغموض، فهو يثني على الزعيم الثعالبي وأنصاره، ثم القليبي ويبادلهم شعورا العناء والبناء الأول للنهضة التونسية كما ورد ذلك في مراسلته مع الثعالبي، ومن جهة أخرى يُظهر جدارة الدستوريين الجدد ومواكبتهم للأحداث، ويصف تقدمهم بالانتصار العظيم على منافسيهم. ويتجلى أن المدني يساير الظروف، فهو لم يتخل عن

---

1 - رد أديب على حملة أكاذيب، مخطوط سابق، ص 176 – 177. والحقيقة أن هذه الرسالة مؤرخة في (1387 هـ أي ما يقابلها 1967 م) وهذا يعني أن المدني بقي في تواصل مع هذه الشخصيات. أنظر ملحق 22 ص:176. 177.

2 - رد أديب على حملة أكاذيب، مخطوط سابق، ص 176 – 177.

توجهه العروبي الإسلامي الذي ناضل فيه مع الثعالبي وجيله، ولكنه يحاول أن يكسب ود التيار الجديد الذي اكتسح الساحة التونسية سياسيا رغم الخلاف الفكري بينهما سابقا.

8-علاقة المدني بالمنظمات والهيئات والشخصيات

أ-المدني ومنظمة شمال إفريقيا

هذه المنظمة التي اختلف في تاريخ إنشائها ، حيث أخذت اسم واسطة الطلبة الأهالي منذ 1919 ثم اسم جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في 1926 ،وهناك من أرجع ذلك إلى 1927 في باريس[1] ، والذي يهمنا في هذا البحث هو ما ذكره الدكتور سعد الله أنه كان ضمن هذه المنظمة أعضاء من رجال الإصلاح أمثال توفيق المدني ، وكان مقرها في نادي الترقي حيث يتردد الإصلاحيون[2]، كما كانت لها روابط و قواسم مشتركة مع الإصلاحيين وخاصة ما تعلق بالجنسية واللغة والتعليم

ب-المدني وجريدة العلم المغربية

تجسد هذا الموقف في رسالة توفيق المدني لجريدة العلم في أعتاب سنتها السادسة ويعترف بجلائل أعمالها وسمو روحها وكفاحها المتواصل ونضالها في سبيل نهضة الأمة وتحريرها من قيود الرجعية والاستبداد والظلم الاستعماري، والسير بها نحو الحرية والاستقلال. ويقول:" إنني لأشهد الله وأشهد الوطن وأشهد الصادقين من هذه الأمة الحرة الكريمة أن الجماعة التي التقت حول(العلم) الأشم منذ بزوغ نجمه الوضاء إلى يومنا هذا، فقد كانت جماعة

---

1 - كانت لها نشريه «التلميذ» سنة 1931.

2 - أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1992، ص108، 109.

صدق وإخلاص وعزيمة، وفتحت المغرب فتحا جديدا. تقف الموقف الثابت المحمود في وجه الاستعمار... وتحت طائلة رقابة سوداء، أنهم قاموا بالواجب في ساعة الضيق والعسرة فاستحقوا تقدير الوطن وليسجل لهم تاريخ النظام التحرري صفحة رائعة...".[1]

ج- المدني ومحمد الخامس

وكان أهم اجتماع عقد في مدينة الجزائر العاصمة بقاعة دنيا زاد برئاسة أحمد توفيق المدني الكاتب العام لجمعية العلماء، شرح فيه للجمهور وقفة الشعب والملك الأمين وحكومته تجسد الوحدة والثبات وهو ما أثار خوف وهلع الحماية[2].

د- المدني والعلاقة مع الفاسي ومحمد الخامس

وضمن هذه المنافسة بينهما،وعلاقة أحمد توفيق المدني بعلال الفاسي ومناصرته في مواقفه تعرض المدني إلى عتاب من قبل حزب الشورى والاستقلال وعلى لسان رئيسه شخصيا محمد حسن الوزاني مبديا نوعا من الاحتجاج، فكان رد المدني " أننا نخوض حربا استعمارية طاحنة ولا نتدخل في الخصوصيات الداخلية للأحزاب ..فليعلم إخواننا وأصدقاؤنا في مشرق الوطن الكبير وفي مغربه، أنه ليس في هذا الوطن الكبير من عدو نقاتله إلا النظام الاستعماري "[3].

---

1 – أحمد توفيق المدنــــي، " تحية وإلى الأمام «، العلم، ع1556، س6، 10 ذي الحجة 1350 هـ ،13، 09، 1951، ص 1.

2 – " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية، "، مصدر سابق، 01.

3 ـــ أبو محمد، "في الشمال الإفريقي"، البصائر، ع 145، س4 ،27جمادي الأولى 1370، 4 مارس 1951، ص 6.

9- ومن مواقف المتذبذبة

أ- المدني والإخوان بمصر

والملاحظ أن موقف توفيق المدني كان متذبذبا في هذا الصراع حيث صرح أن الهضيبي[1] كان يقود معارضة ولكنها مرنة ويعمل على المحافظة على الأوضاع،[2] ومن جهة أخرى كتب حول حادث محاولة اغتيال عبد الناصر" ويقول البحث الرسمي أنه من الذين هيأتهم دائرة خاصة في جماعة الإخوان المسلمين المتأثرة بسياسة الهضيبي...ومن عجب الإخوان ، وهم نخبة النخبة في بلاد مصر من حيث الإيمان والحمية والإخلاص والانقطاع لدعوة الحق، لم يستطيعوا قبل فوات الوقت التغلب على هذه النزعة الغريبة التي بدت من الأستاذ الهضيبي"[3].

الخاتمة

ربما كان المدني من الشخصيات التي كانت لها محطات كبيرة في مسيرة الحياة بين الجزائر وتونس ومصر، والعمل ضمن الحركة الإصلاحية في خضم الحركة الوطنية ثم الثورة، وعايش مرحلة الاستعمار والاستقلال. مما يجعله أكثر تكيفا مع التغيرات الجديدة من جهة، فضلا على الميادين المختلفة التي كتب فيها عبر مراحله التاريخية. وخاصة أنه كان يكتب أحيانا عن شخصيات وهيئات عاصرته أو تربطه بها علاقة صداقة فتكون كتاباته فيها نوع من المجاملة أو تخضع للمراجعة بعد فترة.

---

(1) –المرشد الثاني بعد حسن البنا لجماعة الإخوان

(2) –بدون كاتب "الإخوان المسلمون" **البصائر**.العدد 280 ، السنة 7, 23 ذي القعدة 1373 هـ ،23 جويلية 1954م .ص 8 .

(3) –"منبر ...." **البصائر**، العدد 355، مصدر سابق، ص 4.

إن قلمه الصحفي الذي كان يشرف على " منبر السياسة العالمية و " "في الشمال الإفريقي " ضمن جريدة البصائر جعله يخوض في الكثير من المواضيع ويتكلم عن شخصيات عدة، وهو ما جعله يجمع بين العمل الصحفي والكتابة التاريخية وشاهدا على العديد من القضايا التي كتب فيها ومن ثم هي جزء من مذكراته في الحياة مما انتابها نوع من الحضور الذاتي في التدوين.

ومن القضايا التي جلبت له الكثير من التهم في ميدان الكتابة: من عدم الدقة أو التحريف، أو كونه طرفا في حادثة معينة فكان كتابه: رد أديب على حملة أكاذيب. وحتى هذا الكتاب حذف منه بيت بعد الطبع من وثيقته الأصلية التي وجد بها البيت التالي مشطوب:

وربـ الشيوخ وأهل الزوايا   براء بجهل من المسلمين

والملاحظ أن المدني ربطته العلاقات الكبيرة والمتنوعة من رجال إصلاح وثورة وسياسة ومسؤولين وشيوخ زوايا وطرقية مثل (سكيرج المغربي) [1]. زمن الاستعمار والاستقلال مما شعب علاقاته وانعكست على كتاباته.

---

1 ـ المدني أحمد توفيق، مخطوط تحت عنوان: **رد أديب على حملة أكاذيب**، ص 179. حسب المقدمة كتب في الجزائر، أكتوبر 1982.

التعليم العربي الحر بدوار أولاد فايد بعموشة بين سنتي: 1954م–1964م

د/ بشير فايد

جامعة سطيف02

مقدمة:

يعد دوار أولاد فايد، التابع حاليا لبلدية و دائرة **عموشة**، الواقعة شمال سطيف، من أقدم دواوير المنطقة، حيث تشير الوثائق الأرشيفية الاستعمارية المتوفرة لدينا، والمتمثلة في جدول التنظيم الإداري، لمقاطعة قسنطينة لسنة 1864م، إلى أنه كان قسما أو فرقة[1]، تحت رئاسة الشيخ **لعبيدي بن سي سليمان**، تابعا لقيادة(تضم قبيلة أو أكثر)عموشة، التابعة لملحقة تاقيطونت، وقد كان على رأس القيادة آنذاك، القايد **تركي بن عواد**[2]، أما في سنة 1869م، فكان يشرف عليه الشيخ **سي علي أو محمد**، و تحت إدارة شيخ القبيلة **سي عزيز ابن الحداد**[3]، هذا و يشكل قسم أولاد فايد، بالإضافة إلى أربعة أقسام أخرى هي:**أولاد مرغم، لعوامر، الزمالة، أولاد مخلوف**، وحدة إدارية أكبر، هي دوار **ثنية الطين**[4].

---

1 Fraction.

2 Tableau d'organisatoin 1ER janvier et 21 décembre 1864, Division de Constantine, Subdivision de Sétif, de Sétif, Annexe de Takitount, Archives Outre Mer, Aix-En Provence.

3 Tableau d'organisatoin 1ER janvier 1869, division de Constantine, subdivision de Sétif, Cercle de Sétif, Annexe de Takitount, Archives Outre Mer, Aix-En Provence.

4 Manuel Bugeja : Monographie de la commune de Takitount, Extrait du Bulletin de la Société de Géographie d'Alger, 1926 et 1927, p 472

ووفقا لكتاب:**مونوغرافية بلدية تاقيطونت**، لمؤلفه **ايمانويل بوقجة**، فإن أولاد فايد كانت تضم عائلات:أولاد البركة الذين ينحدرون من أصول صحراوية أو على الأقل حسب زعمهم، و الحابسة(ربما الحباسة)، وأولاد سي هون وبني بويوسف الذين يعتبرون من أصول قبائلية، و القرفة الذين جاؤوا من الغرابة القبالة[1].

وبخصوص النشاط التعليمي الرسمي، فإنه لم يكن يوجد سنة 1946م، سوى قسم واحد بمركز عموشة، يستقبل عددا من التلاميذ الذكور و الإناث، من الأوروبيين و المسلمين، أما دوار ثنية الطين، فكان به قسم واحد مغلق[2].

أما المعلومات حول التعليم العربي الحر(تعليم المبادئ الأولية للغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم) بأولاد فايد، خلال فترة الأربعينات، فهي قليلة جدا وغير مؤكدة، وكل ما استطعنا الحصول عليه، هو أنه كان تحت إشراف المعلم **الذوادي زيغمي**، ثم خلفه معلم آخر هو **محمد بوسماطة**[3]، وبحسب إحدى الشهادات، فإن الكتّاب(الجامع) القديم الذي احتضن التعليم، خلال الثورة التحريرية، كان موجودا قبل اندلاعها، لكن التعليم فيه ظل متذبذبا[4].

---

1 Manuel Bugeja, op-cit , p 472

2 Plan d'action de la commune mixte de Takitount, Gouvernement General de l'Algerie, direction des reformes, service du plan des reformes, 1 y 242, Archives Outre Mer, Aix-En Provence.

3 شهادة السيد **يوسف كبور**، المولود بدوار المشتة، المجاور لدوار أولاد فايد، سجلها معه الدكتور سفيان لوصيف، في3

مسكنه العائلي، ببلدية أوريسيا ولاية سطيف، بتاريخ 21 أفريل 2017م

4 مقابلة مع السيد **علي بوطالبي**، المدعو رابح، المولود سنة 1946م، بمقر إقامته بقرية أولاد فايد، بتاريخ 03 فيفري208م.

1- مفهوم التعليم العربي الحر:

المقصود بالتعليم العربي الحر:"ذلك التعليم الذي لا تتبناه السلطات الرسمية و لا تتولاه الإدارة من حيث الإشراف ولا من حيث التمويل و العناية بل تحاربه و تعاديه كما في العهد الفرنسي، وإنما يقوم بالدرجة الأولى على مساندة الجماهير الشعبية المؤيدة له وعلى التبرعات التي تقدمها للقائمين عليه"[1].

أما المقصود بالمدرس أو المعلم الحر، وفقا لتعريف مدير مدرسة إصلاحية حوالي سنة 1949م، بأنه:"ذلك الجندي الذي عاهد الله على أداء الأمانة و تبليغ الرسالة التي نيطت بعهدته غير هياب و وجل...هو ذلك الطبيب الذي يبحث عن أمراض الأمة المعنوية ويعالجها في شفقة وحب"[2].

ومن المعلوم، أن النشاط التعليمي في الجزائر، عبر العصور، وأثناء الاحتلال الفرنسي، وعلى اختلاف مستوياته، كان يزاول في الكتاتيب والزوايا والمساجد الكثيرة، المنتشرة في ربوع البلاد، مستهدفا فئة الصغار، دون إهمال الكبار، من خلال الوعظ و الإرشاد والتهذيب، خاصة في فترة الاحتلال، في المؤسسات التي لم تمتد إليها يده، هدما وحجزا وحجرا، هذا وقد ارتبط التعليم العربي الحر في هذه الفترة بالحركة الإصلاحية، التي قادها علماء مصلحون، امتازوا بقدر عال من الوعي:"برسالتهم كعلماء ونخبة عارفة بدورها وبدور التعليم كأساس لليقظة والنهضة في محيط غلب عليه الجمود والخمول والخنوع"[3].

---

1 عبد الحميد زوزو: **الثقافة والتعليمان الحر والرسمي في العهد الفرنسي**، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر:2017م، ص71.

2 المرجع نفسه، ص71

3 عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص3.71

والكتّاب(المدرسة القرآنية)هو:المكان الذي يتلقى فيه الأطفال التعليم القرآني، وبفضل هذا الأخير لم يندثر التعليم الإسلامي في البلاد خلال فترة الاحتلال، وقد لفت نشاطها أنظار سلطات الاحتلال، فراحت تضيق عليها الخناق، بشتى الطرق، ومنها اشتراط الحصول على رخصة من الإدارة لفتحها، وفقا لشروط قاسية وتعجيزية، مما ساهم في تراجع هذا النوع من التعليم، وأضحى عدد الشيوخ الذين ترضى عنهم الإدارة قليلا جدا، ولم تكتف بذلك، بل راحت تضطهدهم في أماكن عملهم، فلجأ بعضهم إلى مزاولة نشاطهم بشكل سري في بيوتهم أو محلاتهم، في حين تحدت قلة منهم الوضع، ففرضت وجودها واستمرت في أداء رسالتها، المتمثلة في تعليم و تحفيظ كتاب الله عز وجل لأبناء الشعب الجزائري[1].

وقد بين المؤرخ **شارل روبير آجرون**، أهمية تلك المدارس القرآنية، بالنسبة لسكان الأرياف البسطاء، فقال:"مما لا شك فيه، أن مجرد وجود مدرسة قرآنية واحدة، كان يعتبر بالنسبة للفلاحين التقاة مثل منبع الرحمة، كانت تنير كافة أرجاء الدوار" و تساءل في المقابل عن قدرة التعليم القرآن وحده، على تمكين الجزائريين المسلمين على مواجهة التحديات التي فرضها الوضع الكولونيالي؟[2].

وفي المقابل، شرعت فرنسا في عهد الجمهورية الثانية(1848م-1852م)في إنشاء مدارس ابتدائية، تدرس اللغتين العربية والفرنسية، عرفت بالمدارس العربية الفرنسية، في المناطق الكثيرة السكان، لتكوين جيل من

---

1 نصيرة زميرلين: **التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي 1830م- 1 1962م**، د ط، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر:2013م، ص103-104.

2 شارل روبير أجررن:**المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية**، ترجمة و تقديم و تعليق محمد العربي 2 ولد خليفة، ط2، دار ثالة، الجزائر:2013م، ص141

الجزائريين، يتميز بتفتحه على ثقافتها و حضارتها، اضطرت إلى غلقها تدريجيا نظرا لنفور الجزائريين منها، ورفضهم التحاق أبنائهم بها، لأنها بنظرهم تقدم تعليما يتسم بالضعف بالمقارنة مع الزوايا، و لخشيتهم من تأثيرها على شخصية أبنائهم، خصوصا وأنها تفتقد إلى معلمين جزائريين، بسبب رفض البلديات المشرفة عليها، دفع مستحقاتهم، بحجة شح النفقات المخصصة لتلك المدارس[1].

وبطبيعة الحال، سعت فرنسا من خلال النهج السالف الذكر، إلى تحقيق أحد أهدافها الأساسية، من وراء حملتها العسكرية على الجزائر وهو:"تدمير بنية المجتمع الجزائري وتحطيم ركائزه الأساسية من عادات وتقاليد ولغة بصفة عامة، والدين الإسلامي بصفة خاصة، باعتباره العمود الفقري لبنية هذا المجتمع، وذلك عن طريق محاولات القضاء عليه من جهة، و محاولات تمسيح المجتمع الجزائري من جهة أخرى"[2].

2- بناء الكتّاب وبداية النشاط التعليمي:

هناك عدة روايات متضاربة، حول فكرة وتاريخ بناء الكتّاب، فالرواية الأولى تذكر أن ذلك كان في بداية الثورة التحريرية، حيث اجتمع السكان من تلقاء أنفسهم، أو بطلب من مسؤولي الثورة التحريرية، وقرروا انجاز المشروع، فتمت العملية عن طريق التطوع (التويزة) في مكان وسط الدوار تعود ملكيته لأملاك الدومين، أما الحجارة فجلبت من جبل العسل المجاور، أما في ما يخص

---

1 للمزيد أنظر: كمال خليل: **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر-التأسيس والتطور 1850م-1951م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور لأحمد صاري، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 20007م/2008م.

2 ابراهيم لونيسي: **بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي**، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر:2009م، ص.209.

مستلزمات السقف، من قرميد و أخشاب، فاشتريت من مدينة سطيف، بأموال تبرعات السكان[1]، أما البنّاء فربما كان **السعيد أمرور**، المعروف باحترافه لمهنة البناء، و لجوء السكان إلى خدماته، كلما احتاجوا إلى تشييد مساكن جديدة لهم[2]. في حين ذهبت رواية أخرى، إلى أن الفكرة بدأت، لما قام مسؤولو جيش التحرير في الدوار، بالطلب من السكان، ببناء كتّاب(جامع) لتحفيظ القرآن الكريم، دون أن يعلم متى كان ذلك بالضبط، وبسرعة تجند سكان الدوار، وجمعوا المساهمات وبنوا الكتّاب، و قاموا باستقدام أول معلم للقرآن الكريم هو **رابح لعور** المدعو سي رابح[3].

أما الرواية الثالثة، فتؤكد أن الكتّاب بني في نهاية سنة 1957م، في أرض ملك **للدراجي إبراهيمي**، و صاحب الفكرة، هو الشهيد **الكتفي طابوش**، الذي طلب من الأول، منحهم قطعة أرض فلبى الطلب، كان **الكتفي** المسؤول الأول للثورة التحريرية في الدوار، يتميز بحماس ثوري و ديني كبير، هو من يجمع اشتراكات الثورة والكتّاب، هذه الأخيرة يقوم بتسليمها للمعلم مسبقا[4].

---

1 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**، المولود سنة 1950م بدوار أولاد فايد، تمكن من حفظ عشرة أحزاب من القرآن الكريم، في مدة زمنية قاربت ثلاث سنوات، ثم التحق بعدها بمدرسة عموشة الابتدائية، بعد افتتاحها عند الاستقلال، جرت بتاريخ 08 فيفري 2018م، بعموشة مركز

2 مقابلة مع السيد **العمري زيغمي**، في 13 فيفري 2018م، بمقر إقامته بأولاد فايد، المولود سنة 1929م، لم نستطع أن نحصل منه على الكثير من المعلومات، بسبب تقدمه في السن، وذاكرته المشوشة.

3 مقابلة مع السيد **الربيع فايد**، المدعو **عبد المجيد**، بمقر سكنه بأولاد فايد، بتاريخ 18 جانفي 2018م، والذي درس بالكتّاب لعدة أيام فقط، ثم انقطع بطلب والدته، التي أمرته بالذهاب للعمل في حقول المستوطنين بالمنطقة، لغياب المعيل لهم، بسبب وفاة والده.

4 مقابلة مع السيد **مبروك طابوش**، المدعو **المختار**، في 13 فيفري 2018م بمدينة عموشة، من موالد سنة 1950م، هو

يقع الكتّاب وسط الدوار، و هو عبارة عن غرفة واحدة، كبيرة نوعا ما، مفروشة بالسجاد المصنوع من مادة الحلفاء[1]، وكان **الكتفي طابوش**[2] و**أحمد زيغمي**[3]،

1 شقيق الشهيد **الكتفي طابوش مسؤول** الكتّاب، درس لحوالي ثلاثة أشهر، ولم يحفظ إلا القليل من السور، حيث توقف بسبب الفقر. 4 مقابلة مع السيد **عمار فايد**، المولود عام 1951م، بمقر سكنه بأولاد فايد، بتاريخ 19 جانفي 2018م، والذي درس لمدة قصيرة بجامع أولاد فايد.

2 **الكتفي طابوش:** ابن عمر و مباركة كبور، ولد في 12 جوان 1935م بثنية الطين، التحق بالمدرسة القرآنية حيث تعلم مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ جانبا من القرآن الكريم، امتهن بعدها النشاط الفلاحي، التحق بصفوف الثورة التحريرية سنة 1957م بالقسم الثالث الناحية الأولى المنطقة الأولى الولاية الثانية، بصفة مسبل، مكلف بالاتصالات ما بين الكتائب التي تعبر الناحية من الشرق إلى الغرب و من الغرب إلى الشرق، و علاوة على ذلك كان مسؤولا مكلفا بجمع الأموال و تنظيم الحراسة و الاتصال، استشهد في شهر جويلية 1958م، إثر قيام الجيش الفرنسي بتطويق دوار أولاد فايد، و إلقاء القبض على 28 شخصا من سكانه، من بينهم الكتفي، ونقلهم إلى معسكر الجيش الفرنسي بعموشة، فعذب إلى أن استشهد. معلومات أفادنا بها الدكتور **سفيان لوصيف،** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة محمد لمين دباغين سطيف2، نقلا عن المنظمة الوطنية للمجاهدين، قسمة بلدية عموشة.

3 **أحمد زيغمي:** ابن الذوادي و زينب نجمة، ولد سنة 1927م بثنية الطين، مارس الفلاحة مع أبيه ليساعده، وكان ينشط قبل الثورة بحزب الشعب الجزائري، و قبض عليه أثناء الانتفاضة في سنة 1954م، وزج به في السجن و أطلق سراحه سنة 1948م، بعدها هاجر إلى فرنسا للعمل، ومكث هناك إلى غاية 1955م، ثم رجع إلى أرض الوطن، التحق بالثورة سنة 1956م بالقسم الثالث الناحية الأولى المنطقة الأولى الولاية الثانية، عمل مسؤولا للمسبلين تحت قيادة الشهيد مسعود بويوسف و عبد القادر كبور و الكتفي طابوش، استشهد في أوت 1958م، حيث طوق العدو المكان بأولاد فايد وعن طريق وشاية من أحد الخونة، حيث أوشى هذا الأخير بوجود خلايا كانت تنشط في جيش التحرير، ومن بينهم الشهيد فقبض عليهم وأخذوهم إلى مركز التعذيب بعموشة، وبعدما ذاقوا أبشع صور التعذيب من طرف الجلادين، ولما لم ينالوا أية معلومة منهم أخذوهم إلى القليعة وأطلقوا عليهم الرصاص فسقطوا شهداء. معلومات أفادنا بها الدكتور **سفيان لوصيف**، نقلا عن المنظمة الوطنية للمجاهدين، قسمة بلدية عموشة.

المسؤولان عن كل شؤون الكتّاب، ومنها جلب المعلمين، وتدبر أمور إيوائهم وأجورهم، و ربما كان يساعدهما كل من: **علي سوالم**[1] المدعو **علاوة** و **محمد صابر**[2].

كان **الكتفي طابوش**، و **أحمد زيغمي** هما المكلفان بالإشراف على كتّاب أولاد فايد، يراهم التلاميذ يأتون إلى الكتّاب من حين لآخر، و يتحدثون جانبا مع المعلمين، دون أن يعلموا ما يدور بينهم من حديث[3].

و هنا تجدر الإشارة، إلى أن المسؤول الأول عن الكتّاب، الشهيد **الكتفي طابوش**، كان شخصية محبوبة جدا، من طرف كل أطفال الدوار، إذ يملأ جيوبه

1**علي سوالم**: ابن الطيب ومسعودة صابر، من مواليد سنة 1930م بثنية الطين، من أسرة متوسطة الحال، تعلم حرفة البناء واشتغل بها فيما بعد، وبقي على ذلك إلى غاية التحاقه بالثورة المسلحة سنة 1956م بالقسم الثالث، عمل مسبلا تحت قيادة الكتفي طابوش، وفي سنة 1959م حينما كان يقوم بأعمال بالثنية مع رفيقه الكتفي طابوش ومجموعة أخرى، وعن طريق وشاية أحد الخونة، طوق العدو المنطقة فتم القبض عليهم، وأخذوهم إلى السجن بمركز عموشة، وأدخل إلى زنزانة بها الماء حيث بقي بداخلها مدة أسبوع، وبعد ذلك تم قتله بكرنيلة قرب عموشة. معلومات أفادنا بها الدكتور **سفيان لوصيف**، نقلا عن المنظمة الوطنية للمجاهدين، قسمة بلدية عموشة.

2 **محمد صابر**: من مواليد سنة 1932م، بتاقيطونت، والده الحسين، وأمه قرمية لعور، نشأ بدوار أولاد فايد، انضم سنة 1957م إلى صفوف الثورة التحريرية، بصفة مسبل بالدوار ذاته، يقوم بأعمال الحراسة، ألقي عليه القبض سنة 1958م بدوار أولاد فايد، إثر محاصرته بمعية عدد من رفقائه، ثم أخذ إلى معسكر الجيش الفرنسي، وتم إعدامه ذبحا، بعد أن سلطت عليه مختلف أنواع التعذيب بكرنيلة بعموشة. معلومات أفادنا بها الدكتور **سفيان لوصيف**، نقلا عن المنظمة الوطنية للمجاهدين، قسمة بلدية عموشة.

3 مقابلة مع السيد **عمر لعور**، المدعو **عمار**، بقرية أولاد فايد، في يوم لجمعة 16 مارس 2018م، المولود سنة 1948م، سائق سيارة أجرة متقاعد، نجل المعلم سي رابح لعور، حفظ حوالي سبعة أحزاب من كتاب الله تعالى

.

بالحلوى، و يوزعها عليهم، بعد أن يختبر قدراتهم، في أداء بعض الحركات الرياضية[1].

كان الكتّاب، نقطة تجمع للسكان، في كل مساء، من أجل تبادل أطراف الحديث و التشاور، في كل ما يخص مستجدات حياتهم اليومية، ماعدا السياسة، لأنهم كان يخشون من العواقب، سواء من مسؤولي الثورة التحريرية، أو من سلطات الاحتلال، المنبثة عيونها وآذانها في كل مكان، و لحل النزاعات التي تنشأ من حين لآخر، بين الأفراد أو العائلات[2]، كانت تؤدى فيه الصلوات اليومية، إذا حضر المعلم، لكن بشكل غير منتظم، حيث أنه إذا غاب تؤدى بصورة فردية[3]، في حين نفت رواية أخرى تأدية الصلوات اليومية المفروضة ولا صلاة الجمعة فيه، بسبب ظروف الاستعمار الذي تمنع إدارته التجمعات، وربما لضعف الثقافة الفقهية لدى السكان، الذين يفضلون أداء صلواتهم في منازلهم[4].

2- المعلمون:

ذكرت الشهادات التي جمعناها، ستة معلمين، زاولوا النشاط التعليمي بكتّاب أولاد فايد، لفترات زمنية مختلفة، يأتي في مقدمتهم **رابح لعور** المدعو **سي رابح**، الذي كان أول معلم، تم استقدامه مباشرة بعد بناء الكتّاب، و هو من مواليد سنة 1920م، حكم سنة 1935م، حفظ القرآن الكريم كاملا، في زاوية

1 مقابلة مع السيد **رابح لويز**، المولود في 1952م، متقاعد من بلدية سطيف، درس لمدة سنتين، حفظ حزبا واحدا، جرت بتاريخ 2018م، بمقر سكنه بأولاد فايد

2 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**

3 مقابلة مع السيد **الطاهر سوالم**، بتاريخ 13 فيفري 2018م، في مقره سكنه بأولاد فايد، المولود سنة 1947م، والذين تمكن من حفظ 16 حزبا من القرآن الكريم.

4 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

سيدي موسى بسيدي عيش ببجاية[1]، أو في إحدى الزوايا في الغرب الجزائري، حسب شهادة أخرى، درس **سي رابح** في البداية، في كتّاب دوار **صرفدة** المجاور، رفقة **أحمد لعليوي**[2]، توفي في 11 فيفري2011م[3].

عرف المعلم **سي رابح**، بطيبته و أخلاقه العالية، و بالتزامه الديني التام، حيث كان من القلائل، بين صفوف المهاجرين الجزائريين في فرنسا، الذين لا يتعاطون الخمر، أو يأكلون الأكل غير الحلال، أو يمارسون المحرمات، والكل يشهد له بذلك، حيث يحضى بتقدير الجميع، وحتى من الفرنسيين أنفسهم[4]، يحفّظ القرآن الكريم، بطريقة جيدة، ومحببة لدى التلاميذ، لا يتسامح أبدا مع التلاميذ الكسالى أو المشوشين، فقد كانوا يخشون عصاه التي تنزل عليهم بسرعة، التنافس كان كبيرا بين التلاميذ، كل مساء عند الساعة الرابعة، حول من يستظهر بشكل جيد ما حفظه أمس[5]، وعلاوة على التعليم، كان سي رابح، يكتب و يحرر لمسؤولي جيش التحرير الوطني، ما يطلبونه من الرسائل ورخص العبور[6].

كان راضيا بالأجرة الزهيدة، التي تقدم له، لينا في تعامله مع التلاميذ، لكنه لا يتسامح في مسألة الانضباط مع جميع التلاميذ، فيقوم بتأديب ابنه

---

1 معلومات أفادنا بها نجله الأستاذ **عبد الوهاب لعور**، بتاريخ 04 فيفري 2018م.

2 مقابلة مع السيد **عمر لعور**، المدعو **عمار**.

3 معلومات أفادنا بها نجله الأستاذ **عبد الوهاب لعور**، بتاريخ 04 فيفري 2018م.

4 مقابلة مع السيد **مسعود شريطي**، موظف إداري متقاعد عن بلدية عموشة، بتاريخ 20 فيفري 2018م، في مدينة عموشة، والذي كان مقربا منه في المهجر، ويقوم بزيارته في كتّاب أولاد فايد في فترة الاستقلال، للتقدير الخاص الذي كان يكنه له.

5 مقابلة مع السيد **عبد الحميد بويوسف**، المدعو **حيدر**، بقرية أولاد فايد، بتاريخ 23 مارس 2018م، والذي درس بكتّاب أولاد فايد، عند المعلم سي رابح، لفترة قصيرة جدا بعد الاستقلال.

6 مقابلة مع السيد **عمر لعور** المدعو **عمار**.

عمر(عمار) الذي يأتي معه، مثله مثل بقية التلاميذ، استمر في التدريس بعد الاستقلال، ربما إلى غاية سنة 1964م، و واصل رسالته في مدينة تيير [1] بفرنسا، التي التحق بها للعمل، فقد كان أول من تبرع لبناء أول مسجد بها، بمبلغ 500 فرنك فرنسي، يقدم دروسا مسائية، للعمال الجزائريين وأبنائهم، مجانا لحوالي ساعتين كل يوم[2].

وبالإضافة إلى **سي رابح،** الذي كان أكثر المعلمين، بقاء في منصب عمله، تولى التدريس أيضا المعلم **سي أحمد بن منصور** المدعو **سي أحمد الحساني،** ابن **محمد** و **زوينة قاروش،** وابنه **محمد الطيب** من دوار **منتانو**[3]، سليلا عائلة **بن منصور،** التي عرفت بكونها عائلة محافظة مشهورة بامتهانها لتعليم اللغة العربية، و تحفيظ القرآن الكريم، أبا عن جد، في ناحية **منتانو،** أسفل جبال البابور، في أقصى شمال سطيف، أو في غيرها من المناطق المجاورة، درس الأول في زاوية **سيدي موسى(تنيبدار)** ببجاية، وقد تميز بحفظه الجيد للقرآن الكريم، و تحكمه في ناصية اللغة العربية، وأسلوبه التقليدي الجذاب، أما ابنه **محمد الطيب** فدرس على يد شيوخ دوار منتانو، من أمثال:**سي العربي** و **سي محمد** خرف الله(معطي) و**سي عاشور قواسي،** وكذلك على يد والده **سي أحمد الحسّاني** في كتّاب أولاد فايد، و قد تمكن من حفظ القرآن الكريم كاملا[4]، كانا فقيران جدا، يسترزقان من ما يجود به عليهما أهل دوار أولاد فايد، من قمح

---

1 Thiers.

2 مقابلة مع السيد **عمر لعور**، المدعو **عمار**.

3 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

4 مقابلة مع السيد **ساعد بن منصور**، ابن شقيق المعلم سي أحمد بن منصور، بتاريخ 07 أفريل 2018م، بوسط مدينة عموشة.

بشكل أساسي، و بعض النقود، التي تجمع في نهاية كل شهر[1]، كان **سي أحمد**، يتناوب على الحضور مع **سي رابح لعور**، و في بعض الأحيان يحضران معا[2]، وبعد الاستقلال، واصل **سي أحمد** مهنة التدريس في قرية **تيزي أورناس** بمنتانو، ثم في قرية **مردوز** القريبة، التي تبعد عنها بحوالي 1 كلم (تقع بين الماعلي والقرقور)التي انتقل إليها، إلى غاية وفاته في أواخر السبعينات من القرن العشرين، أما ابنه **محمد الطيب**، فواصل هو أيضا مهنة التدريس في مناطق:**اعمرانن**، و **المان يوسف** بدوار منتانو، لفترة وجيزة، ثم غيّر النشاط تماما، و أصبح يحترف حرفة البناء، توفي منذ أكثر من شهر بمدينة الجزائر، عند أحد أبنائه، و دفن في مسقط رأسه بدوار منتانو[3].

كما جلب معلم آخر من الدهامشة، لم نفلح في التعرف على هويته، لأنه لم يمكث سوى لفترة قصيرة، هاجر بعدها إلى فرنسا للعمل، و استقر بالتحديد في العاصمة باريس، و خصص له بيت كان شاغرا، مملوكا للسيد **لعريبي بوزيد**، الذي انتقل إلى مدينة سطيف، و قد انتقلت ملكية المسكن فيما بعد، إلى المدعو **السعيد بحري**[4].

كما تم الاستنجاد بمعلم تونسي، من منطقة الكاف، بعد استشهاد **الكتفي طابوش**، صاحب بنية جسدية قوية، و مستوى جيد في اللغة العربية، حيث أنه لما كان مارا بالدوار، شاهد الكتّاب فطلب ممن وجدهم من السكان، إن كانوا في حاجة إلى مدرس للغة العربية، مقابل أجرة شهرية، فأجابوه بالإيجاب، عندئذ

---

1 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

2 مقابلة مع السيد **عمر لعور** المدعو **عمار**.

3 مقابلة مع السيد **ساعد بن منصور**.

4 مقابلة مع السيد **الربيع فايد** المدعو **عبد المجيد**.

أصبح مدرسا لأبنائهم، و مقيما في مسكن **عمر طابوش** والد **الكتفي**، لكنه لم يمكث أكثر من شهرين، لغياب التكفل به، بسبب استشهاد **الكتفي** الذي ترك فراغا كبيرا[1].

أما المعلم السادس، فكان **حمو قادري** المدعو **سي مبارك**، المولود سنة 1909م بدوار منتانو، ابن مسعود و حليمة بولخراص، خريج زاوية **سيدي موسى(تنيبدار)** ببجاية، يجيد اللغة العربية و جانبا من الفقه و يحفظ القرآن الكريم كاملا، توفي في أوت 1992م[2]، باشر نشاطه التعليمي بأولاد فايد لفترة قصيرة، مع نهاية الثورة و مطلع الاستقلال، استمر في التدريس لمدة قاربت ثلاث سنوات، ميزته أنه كان في فترة الاستقلال، يحفظ التلاميذ الأناشيد الوطنية، ويقوم معهم بالتغني بها بحماس كبير، حتى خارج الكتاب في المروج و الأماكن الخالية[3].

وبصورة عامة، كان المعلمون يتغيرون باستمرار، لأسباب عدة منها، الخشية من الجيش الفرنسي، و ظروف الثورة التحريرية[4] و لذلك لم يتمكن و لو تلميذ واحد من حفظ القرآن الكريم كاملا و لا حتى نصفه [5].

3- التلاميذ:

كان التعليم متاحا لجميع الأطفال، من دون استثناء، أما الأسر التي كانت تعيش فقرا مدقعا، فتفضل إرسال عدد من أبنائها، إلى العائلات الغنية

---

1 مقابلة مع السيد **مبروك طابوش** المدعو **المختار**.

2 معلومات أفادنا به نجله **مصطفى قادري**، معلم متقاعد، بتاريخ 10 أفريل 2018.

3 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

4 مقابلة مع السيد **العمري لعريبي**.

5 مقابلة مع السيد **الحميد بوطالبي**، المولود سنة 1952م، في أواخر مارس 2018م بمدينة عموشة.

لتشغيلهم في الرعي، مقابل أجر زهيد، لا يغني و لا يسمن من جوع، لتخفيف أعباء الحياة القاسية، التي كانوا يحيونها، على إرسالهم إلى الكتّاب لتعلم اللغة العربية، وحفظ القران الكريم[1].

وفي السياق ذاته، وبسبب الحاجة، قد تلجأ بعض العائلات، إلى اختيار محظوظ أو محظوظين من أبنائها، على أقصى تقدير، للالتحاق بالكتّاب، والبقية يوجهون للممارسة نشاط الرعي، وقضاء الحاجات اليومية للعائلة، أما الإناث فلا حديث عنهن، بسبب نظرة المجتمع للمرأة، على أنها خلقت لتتزوج و تنجب الأبناء، والقيام بالأعمال الشاقة، أما الأهالي الذين كانوا يسمحون لبناتهم بمزاولة الدراسة، فيتميزون بانفتاحهم الاجتماعي نوعا ما، و ربما لقرب مكان الكتّاب من مقر سكنهم، فلا يخشون من خروج بناتهم[2]. ومع ذلك، كان الإقبال كبيرا، وتقريبا كل صغار السن، كانوا يتعلمون، رغبة في التعلم و حفظ القرآن الكريم من جهة، ولأنهم يجدون في ذلك فرصة للتملص من مهنة رعي المواشي الشاقة، التي يجبرون عليها من طرف الأهل من جهة أخرى، فقد يصل عددهم حوالي 30 تلميذ، أثناء الحصة الواحدة، مناصفة بين الذكور والإناث، يأتون من دوار أولاد فايد و **صرفدة** و **المشتة**[3].

وعلاوة على ذلك، فالتلميذ الدارس للقرآن الكريم، مميز في أخلاقه، و هندامه في حدود أوضاع عائلته الاجتماعية و الاقتصادية، التي كانت متشابهة بصورة عامة، المعلم أيضا كان مميزا في هندامه، بجبته البيضاء

1 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

2 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

3 مقابلة مع السيد **العمري لعريبي**، المولود عام 1948م، بمقر سكنه بأولاد فايد، والذي درس بجامع أولاد فاد، في السابعة أو الثامنة من عمره، لحوالي سنتين، وحفظ حزبين من القرآن الكريم، ثم انقطع بعدها.

وعمامته(الشاش)[1]. و من بين التلاميذ الذكور، نذكر :حميدة عباوي، الربيع هندة، النواري هندة، مختار طابوش، السعيد بحري، رابح جلاس، العمري لعريبي، قاسه عبدون، عبد المجيد حامدي، عمار فايد، الربيع(عبد المجيد) فايد، عبد الحميد بوطالبي[2]، أحمد فايد، إسماعيل فايد، محمد لعريبي، محمد دعاسي، عبد الله هندة، عمار لعور، عبد الحميد لعور، لحسن عباوي[3]، محمد لعور، الطاهر سوالم، الزايدي قرفي، صالح بويوسف، و عمار طابوش شقيق الكتفي، الذي كان الأكثر براعة في الحفظ، يدرس في المدرسة الابتدائية الفرنسية في عموشة، و في نهاية الأسبوع(السبت و الأحد) يلتحق بالكتّاب لحفظ القرآن الكريم[4]، رشيد طابوش، صالح لعور، ملوك لعور[5]. و من التلميذات:ربيحة بويوسف بنت صالح، عائشة دعاسي بنت علاوة المدعو بوترعة، مليكة لعور بنت سليمان زوجة يحياوي[6]، جميلة لعور بنت سليمان، خضرة بيفوح زوجة دعاشي، ربيحة سوالم،[7] لالاهم عباوي[8]، حسينة لعور بنت سي رابح، لويزة لعور بنت أحمد زوجة سمشة، الياقوت لعور بنت العلمي زوجة لعور[9]

---

1 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

2 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

3 مقابلة مع السيد **عمر لعور** المدعو **عمار**.

4 مقابلة مع السيد **مبروك طابوش** المدعو **المختار**.

5 مقابلة مع السيد **عمر لعور** المدعو **عمار**.

6 مقابلة مع السيد **العمري لعريبي**.

7 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

8 مقابلة مع السيد **مبروك طابوش** المدعو **المختار**.

9 مقابلة مع السيد **عمر لعور** المدعو **عمار**.

4- إيواء ومستحقات المعلمين:

ماعدا المعلم **سي رابح،** الذي لم يكن في حاجة إلى مسكن، أو تكفل من أي نوع كان، بحكم قرب مسكنه، الكائن بدوا **أولاد مسعود** المجاور، فإن الأمر اختلف بالنسبة لبقية المعلمين، الذين استوجب إيوائهم و التكفل بهم تكفلا تاما، حيث خصصت لهذا الغرض ثلاث مساكن لإيواء المعلمين في فترات مختلفة و هي:مسكن السيد **عمر طابوش** والد **الكتفي طابوش** المسؤول عن شؤون الكتّاب، مع التكفل بكل مستلزماته من إطعام و راحة[1]، و مسكنان شاغران، الأول مملوك للسيد **دحمان براهيمي** المدعو **دحمان الدراجي**[2]، و الثاني مملوك للسيد **بوزيد لعريبي**[3].

المستحقات المالية يتم الاتفاق عليها مسبقا، بين المعلم و القائمين على الكتاب[4] تقدر بخمسة فرنكات فرنسية[5]، ثم ارتفعت فبلغت 15 فرنكا تدفع شهريا من قبل الأولياء[6] مباشرة للمعلم، لأن غالبيتهم لا تعرف المسؤول الحقيقي للكتّاب، بسبب التكتم الشديد، الناجم عن ظروف الثورة التحريرية، و الذي لا يدفع لا يطلب منه ذلك[7]. و زيادة على ذلك، يكلف التلاميذ في الأيام، التي لا يدرسون فيها، بالتنقل في مجموعة صغيرة، تتألف من 10 إلى 20 تلميذا، إلى

---

1 مقابلة مع السيد **مبروك طابوش** المدعو **المختار**.

2 مقابلة مع السيد **رابح لويز**.

3 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

4 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

5 مقابلة مع السيد **رشيد بوطالبي**، المولود سنة 1950م، يوم 12 مارس 2018م، بدوار أولاد فايد، تمكن من حفظ خمسة أحزاب من القرآن الكريم.

6 مقابلة مع السيد **رشيد بوطالبي**.

7 مقابلة مع السيد **رابح لويز**.

الدواوير المجاورة(صرفدة، طانجة، أولاد عدوان، المناصرة، أولاد العياضي، أولاد الزاوي،أولاد مسعود...)لطلب المساعدات(الشحت باللهجة العامية)المختلفة(نقود، زيت، بيض، زبدة، دقيق، قمح....)رافعين الألواح حتى يعرف الناس أنهم حفظة القرآن الكريم، يطلبون المساعدات و الصدقات، من أجل دفعها لمعلميهم[1]، يرددون بعض العبارات التي تستعطف البيوت، التي يمرون بها، مطلعها "جئناكم زيار... "فيغدقون عليهم بالتبرعات العينية، بشكل خاص، أما النقود فبصورة قليلة جدا، فيأتون بالقمح و الدقيق و الزيت و خاصة البيض و الزبدة، حيث يجلبون منها كميات كبيرة، و عندما يذهبون إلى منزل المعلم لتسليمها له، يستضيفهم و يكرمهم بأطعمة مختلفة، تقديرا لما بذلوه من جهد و تضحيات في سبيل ذلك، حيث يقطعون مسافات طويلة إلى مناطق جبلية وعرة في بن علاق و أولاد مرغم و لعوامر و الضيافات، و غيرها[2]، فلا يعودون إلا في المساء، بعد أن يجمعوا ما يفي بالغرض[3]، و الأمر ذاته، كانوا يقومون به في المناسبات الدينية، المتمثلة في عيدي الفطر و الأضحى، حيث يجمعون ما تقدمه يمين الأهالي، من زبدة و زيت و دقيق[4].

5- ظروف و وسائل التمدرس:

التلاميذ هم من يتولون، جلب الحطب، و الأحراش مثل القندول للتدفئة[5]، أما الإنارة فكانت غائبة تماما، الأفرشة المصنوعة من الحلفاء قليلة، ولا تغطي كامل القاعة، فيضطر التلاميذ إلى الجلوس على الأرضية الترابية، ولا وجود

---

1 مقابلة مع السيد **العمري لعريبي**.

2 مقابلة مع السيد **الطاهر سوالم**.

3 مقابلة مع السيد **العمري لعريبي**.

4 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

5 مقابلة مع السيد **الطاهر سوالم**.

لمن يقوم بالسهر على نظافة المكان و ترتيبه، حيث يقوم التلاميذ بذلك بأنفسهم، الأقلام مصنوعة من القصب، والمداد(الصمغ) يصنع من الصوف المحروق، حيث يؤتى بالصوف المجزوز على حاله، ثم يحرق على الطاجين حتى يصبح رمادا معسولا، يوضع بعدها كمادة خام في قوارير أو أواني صغيرة، و يضاف لها بعض الماء، وتغطى بالصوف، التي تحافظ على المداد لمدة أطول، و كل طالب يأتي بمداده الخاص من بيته، حيث تقوم الأمهات بتحضيره بأنفسهن، أما مادة الصلصال التي تطلى بها الألواح لمسح الكتابة، فيشتريها الآباء من مدينة سطيف[1].

كما توضع في آخر القاعة، قدر بها ماء لمسح الألواح، و بعد أن تمسح بقطع الصلصال التي تشترى من عموشة، ثم تجفف خارجا، فتصبح بيضاء اللون صالحة للكتابة من جديد[2].

6- طرق التعليم و التحفيظ:

يجلس التلاميذ في شكل حلقة كبيرة، مستندين على طول الجدران، حول المعلم الجالس في المنتصف، كل واحد منهم، مزود بلوحة خشبية ونسخة من القرآن الكريم، يشتريهما الأهل أو التلاميذ بأنفسهم من الأسواق، يدرسون طيلة أيام الأسبوع من الصباح وإلى المساء، وعقب انتهاء الفترة الصباحية، يعودون إلى منازلهم لتناول وجبة الغداء، ثم يعودون لاستئناف الدراسة في الفترة المسائية[3]. وبعد أن يلقن التلاميذ، المبادئ الأولية في القراءة و الكتابة، ويظهرون تحكما فيهما، ينتقلون إلى المرحلة الموالية، وهي حفظ القرآن الكريم، إذ يقوم

1 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

2 مقابلة مع السيد **رابح لويز**.

3 مقابلة مع السيد **العمري لعريبي**.

المعلم بإملاء السور، وعددها في العادة أربع أو ست آيات حسب كفاءة التلميذ، وبعد الانتهاء من الكتابة، ينصرف التلميذ إلى زاوية من زوايا القاعة، ليشرع في الحفظ، و هكذا يتم الأمر مع بقية التلاميذ، ويختتم اليوم بتلاوة جماعية لبعض آيات القرآن الكريم، تحت إشراف المعلم، وهذا قصد الترسيخ الجيد، وربط الآيات ببعضها البعض، لتكتمل السورة سليمة والسور ترتيبا، وتسمى هذه الطريقة بالتكرار، وسط انضباط تام للتلاميذ، واحترام كبير للمعلم، يصل إلى حد التقديس، هذا وتجدر الإشارة إلى أن حضور التلاميذ لا يقيد[1]. وبعد التمكن من الحفظ الجيد، للسور المكتوبة على اللوحة، يأمر المعلم التلميذ بمحوها بمادة الصلصال، التي تطلى بها الألواح لهذا الغرض، باستعمال الماء النقي، وتجفيفها تحت أشعة الشمس، لتكون جاهزة لكتابة الآيات الكريمة الجديدة التي سيقوم بحفظها وهكذا[2].

وهي الطريقة التقليدية، المتبعة في الكتّاب منذ عدة قرون، حيث كان والاقتصار على حفظ القرآن الكريم فقط، وتلاوته بالاعتماد على الذاكرة من البداية إلى النهاية، من دون اللجوء إلى شرح مفرداته أو تحليل معانيه، أو تفسير مقاصده المختلفة:الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، والتربوية، كما أن تعليم القراءة و الكتابة للأطفال، لم يكن هدفا في حد ذاته، وإنما وسيلة تمكنهم من قراءة القرآن الكريم من المصحف، و كتابته على اللوح، من دون ارتكاب أخطاء املائية[3]. وكل تلميذ يختم حزبا، أو مجموعة من الأحزاب، من القرآن الكريم، يحضر له أهله إكراميات(الغريف...) كتحفيز يأخذها إلى زملائه، ولمن كان

---

1 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

2 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

3 رابح تركي: **التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931م-1956م**، ط2، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1981م، ص230.

موجودا في عين المكان، فيقام له شبه احتفال، يتناولها الجميع، في جو من البهجة والسرور [1]، أما حصة المعلم، فترسل مباشرة إلى مسكنه[2].

التأديب كان بالفلقة، حيث يكون الضرب على أسفل الأرجل، وإذا تعب المعلم يطلب من أحد التلاميذ، أن يقوم بالعملية مكانه، فيضرب زميله، دون أن ينتقم منه بعد الخروج، بسبب الخوف من المعلم، وفي هذا الصدد كانت إحدى التلميذ، تهرب من نافذة صغيرة، كلما فشلت في الحفظ، و لكسر الملل لدى التلاميذ، كان المعلم **رابح لعور**، يخرجهم في الأحيان في نزهة قصيرة، يعلمهم خلالها السير في صف منتظم، مع ترديد عبارة"حدّ، اثنين" مثل عناصر الكشافة، فيفعلون ذلك صعودا، حتى إلى أعلى قمة جبل العسل المجاور[3]. و زيادة على ذلك، كان المعلمون، يعلمون التلاميذ الأناشيد الوطنية، و كيفية الصلاة، و النظافة و اللباس و غيرها، و قد كان لهم وقار و هيبة كبيرة لدى الجميع، كيف لا و هم الذين يحفظون كلام الله[4]. وكانت الصرامة، و عدم التساهل في الأمور الانضباطية، قضية في غاية الأهمية عند المعلمين، و في هذا روى لنا السيد **محمد لعريبي**، حادثة جرت له، حيث أنه و في أحد الأيام، و بينما كان يلعب مع زملائه الذين كانوا يكبرونه سنا، خارج الكتّاب في فترة الراحة، قاموا بوضع تبغ الفم(الشمّة) في عينه، حتى أصبح لا يرى شيئا، فاشتكاهم إلى المعلم **سي رابح**، فقام هذا الأخير بمعاقبته بشدة بواسطة الفلقة، قائلا له: أن الشمّة دواء جيد للعيون[5].

---

1 مقابلة مع السيد **العمري لعريبي**.

2 مقابلة مع السيد **رابح جلاس**.

3 مقابلة مع السيد **رابح لويز**.

4 مقابلة مع السيد **الطاهر سوالم**.

5 مقابلة مع السيد **محمد لعريبي**، المولود سنة 1952م، يوم 12 مارس 2018م، بدوار أولاد فايد.

7- موقف سلطات الاحتلال من نشاط الكتّاب:

لا شك أن سلطات الاحتلال، كانت على علم بالنشاط التعليمي للكتّاب، لكنها ومع ذلك لم تتدخل يوما ما للتضييق عليه أو لإيقافه، بأي شكل من الإشكال[1]، كما أن لم يحدث أبدا، وأن داهمت أو دخلت قوات الاحتلال الكتّاب، أو قامت بمضايقة نشاطه، وحتى المركز العسكري المقام في الدوار، المؤلف من الجنود السنغاليين، لم يفعل ذلك[2].

ومع ذلك، كانت العملية تتم بحذر شديد، تحت الحراسة المستمرة لتحركات عناصر الجيش الفرنسي وأعوانه، إذ يكلف تلميذ أو شخص ما بالحراسة، فيقوم بإخبار الشيخ و التلاميذ، في حال رؤيته للعساكر الفرنسيين فيتفرق الجميع بسرعة[3] فما أن يصلوا، حتى يجدوا الباب موصدا، والمعلم والتلاميذ قد انصرفوا، ولم يحدث أبدا و أن وجدوهم داخل الكتّاب[4] والأمر ذاته يقوم به بقية أهل الدوار، بمجرد العلم بمجيء جنود الاحتلال على مسافة بعيدة،

---

1 مقابلة مع السيد **عمار فايد**.

2 مقابلة مع السيد **رابح لويز**.

3 مقابلة مع السيد بوزيد طابوش، المولود سنة 1946م بأولاد فايد، والذي يشتغل سائق سيارة أجرة، درس بالكتّاب لمدة قاربت سنة ونصف، حيث لم يحفظ سوى حزب واحد، ثم أكمل تعليمه بكتّاب دوار المشتة طانجة حاليا، بعد انتقال أسرته للسكن هنالك، جرت بتاريخ 07 فيفري 2018م بمدينة سطيف.

4 مقابلة مع السيد بوزيد طابوش، المولود سنة 1946م بأولاد فايد، والذي يشتغل سائق سيارة أجرة، درس بالكتّاب لمدة قاربت سنة ونصف، حيث لم يحفظ سوى حزب واحد، ثم أكمل تعليمه بكتّاب دوار المشتة طانجة حاليا، بعد انتقال أسرته للسكن هنالك، جرت بتاريخ 07 فيفري 2018م بمدينة سطيف.

يتم إعلام المعلم على جناح السرعة، فيما يشبه حالة الطوارئ، فيأمر التلاميذ مباشرة بالانصراف[1] و ينصرف هو بدوره إلى مسكنه[2].

كان تأتي **سي رابح،** توصيات في بعدم الأحيان، بعدم الالتحاق بمقر عمله، يجهل مصدرها، كما يأتيه أشخاص إلى مكان العمل، من المحتمل أن يكونوا من مسؤولي الثورة التحريرية، يتحدث معهم خارجا بعيدا عن التلاميذ[3]. و بناء على إحدى الشهادات، فإنه حدث و أن اتصل، أحد المتعاونين مع جيش الاحتلال بالمعلم **سي رابح،** و أخبره بأنهم قادمون لقتله ربما في الصباح، و طلب منه التوقف فورا و الاختفاء عن الأنظار، فتوقف بالفعل و هاجر إلى فرنسا للعمل[4].

مع العلم أن المعلم **سي رابح،** قد استهدف في إحدى المرات، من قبل المتعاونين مع الاحتلال، حين كان معلما بكتّاب دوار **صرفدة** المجاور، لما داهمت مجموعة من الحركى، القادمين من عين الكبيرة الدوار، و قبل أن يصلوا إلى عين المكان، سارع أحد الحركى و طلب من **سي رابح،** صرف التلاميذ بسرعة ففعل، لكنه لم يتمكن من النجاة بنفسه فوقع في أيدي بقية الحركى، فوضعوه جانبا، و بقية سكان الدوار في جانب آخر، لكنه استطاع أن يتسلل وسط الحشد فنسوا أمره، لكنه انقطع منذ ذلك التاريخ، عن التدريس في كتّاب الدوار[5].

---

1 مقابلة مع السيد **الطاهر سوالم.**

2 مقابلة مع السيد **رابح جلاس.**

3 مقابلة مع السيد **عمر لعور** المدعو **عمار.**

4 مقابلة مع السيد **العمري زيغمي.**

5 مقابلة مع السيد **عمر لعور** المدعو **عمار.**

و قد فسّر الدكتور رابح تركي، تساهل سلطات الاحتلال نوعا، ما مع نشاط الكتاتيب القرآنية، بالمقارنة مع المدارس الحديثة، خاصة تلك التي كانت تديرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بسعيها لإظهار تسامحها الديني و الثقافي من ناحية أولى، و لعدم خشيتها من تلك الكتاتيب، بالنظر إلى حالها الذي لا يسر أحدا، فقد يقضي حسبه بها الأطفال سنوات، و يتخرجون منها، دون أن يكون في إمكانهم، قراءة جريدة أو مجلة، و إن استطاعوا ذلك، عجزوا عن فهم مضمونها[1].

خاتمة:

نستخلص من خلال ما سلف، تمسك الجزائريين في الأرياف والمناطق المعزولة، بتلقين المبادئ الأولية للغة العربية، وتحفيظ كتاب الله عز وجل لأبنائهم، متحدّين كل الظروف والعقبات، التي ظل يضعها في سبيل ذلك، مستدمر فاجر من شرّ أنواع الاستدمار، لا يفرق بين المعلم ومن يحمل السلاح، شعاره الأزلي أنشروا الجهل والأمية في كل مكان، حتى يطمئن على مصيره في البلاد، التي أخذها عنوة في غفلة وتخاذل من أهلها، وربما بتواطؤ من البعض. وكاد مخططه أن يكلل بالنجاح، فتندثر اللغة العربية ومعها الدين الإسلامي الحنيف إلى الأبد، فيصبحا نسيا منسيا، أو أثرا بعد عين، لو لا أن تصدى له معلمون، آمنوا بأن تعليم ولو النزر القليل، من الحروف الهجائية وقواعد اللغة العربية البسيطة، وبضع آيات أو سور القرآن الكريم، من شأنه أن يحصن البلاد من الوقوع في المصير التعيس، الذي دبر لها بليل، فكانت النتائج عكس ما تشتهيه الدوائر الاستدمارية وأعوانها، فيئسوا وخاب أملهم.

---

1 رابح تركي، المرجع السابق، ص257.

جهود علماء الاصلاح في محاربة سياسة الفرنسة والتنصير بالجزائر المُستَعمَرة

1925– 1940

د/ محمد مرغيت

جامعة أدرار

مقدمة

لم تكن الحملة الفرنسية على الجزائر حملة تأديبية على الإهانة التي تعرض لها قنصلها المقيم بالجزائر، ولم يكن منها تأديب الداي أو الثأر للكرامة، كما تعَودَ أن يكتب معظم المؤرخين الفرنسيين، ولكنها فكرة اختمرت في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا، حيث شرعوا في التخطيط لها واستهدافها من قبل، بغية تأسيس إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف، واسعة الأرجاء هذا من جهة، ومن جهة أخرى رغبة الكنيسة في القيام بحرب صليبية جديدة وإعادة الكرة بحملة ثانية على بلاد الإسلام، التي بدأ الضعف يسرى إلى جسمها[1]، واتضحت نوايا الاستعمار الصليببي منذ البداية، وكشف عن سياستة البعيدة، وأهم معالم هذه السياسة التي أرادها كوسيلة لبلوغ غايته سياسة الفرنسة والتنصير كمشروع ديني ثقافي هدفه تحقيق حلم الكنيسة البابوية، وفي المقابل ظهرت مقاومة شرسة من قبل النخب المثقفة ممثلة في علماء الاصلاح الذين قاوموا هذا المشروع بمشروع مضاد، الغاية منه إفشاله وحماية الأمة من المؤامرة الصليبية الاستعمارية

---

[1]- ينظر: محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ش.و.ن.ت، الجزائر 1973، ص.129، وكذلك: سليمان الصيد، الشخصية الجزائرية عبر التاريخ، دار البعث، الجزائر 1979، ص.55. وينظر: أيضا ما كتبه: إحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح، ط.1، منشورات المكتب التجاري، بيروت 1961، ص-ص. 137،136.

الحديثة، حيث هبوا فرادى وجماعات متسلحين بمختلف الوسائل: من كتابات صحفية ووعظ وإرشاد ومحاضرات ودروس مسجدية، ونشاطات ثقافية في النوادي والجمعيات.

01- سياسة الفرنسة:

لقد كانت سياسةالفرنسة[1]شاملة لجميع مناحي الحياة الجزائرية الدينية والاجتماعية، والثقافية...وكان الهدف منها هو صبغ الجزائر بصبغة فرنسية بحتة، محاولة منها لقطع كل ما يتصل ويرتبط بمقوماتها الشخصية الوطنية؛ أي قطع جميع روابط الجزائر بثقافتها ولغتها القومية وتاريخها الإسلامي وانتمائها الحضاري، وبالتالي فإن الهدف الذي سعت إليه، هو تكوين جيل جديد ممسوخ من كل شيء ومقطوع عن جذوره الأصلية[2]،وانتماءاته الحضارية، فلا هو عربي مسلم ولا هو فرنسي خالص؛ أي أنها كانت تسعى إلى تجريدهم من بعض الخصائص الإنسانية التي هي حق لكل واحد في العالم، لكن ما هي المعالم الكبرى لهذه السياسة؟ وما هي مظاهر هذه الفرنسة وفيما تجلت؟

من الممكن أن نلخص هذه السياسة ومظاهرها في النقاط التالية:

- تحطيم المؤسسات الثقافية العربية الإسلامية، والقضاء على القاعدة الأساسية للتعليم الإسلامي العربي ويتجلى ذلك في:

---

1 - الفرنسة: معناها إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها في الجزائر في إطار غزو ثقافي مركز وموجه نحو تحطيم مقومات شخصيتها العربية الإسلامية بهدف الاستعمار والتنصير. ينظر: سعيد عليوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية في الجزائر، ج.2، دكتوراه، دكتوراه، الأمير عبد القادر، 2000، ص.944. وكذلك: رابح تركي،"الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925- 1939) دورها في نهضة الجزائر الحديثة"، الثقافة، عدد81، يونيو 1984م. ص. 188.

2 - سعيد عليوان، المرجع السابق، ص. 944.

* إقصاء اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها، واعتبار العربية لغة أجنبية لا يجوز أن تعتمد في تحرير الوثائق الرسمية.

* سد أبواب التعليم العربي الذي كانت فيه العربية هي اللغة السيّدة بالاستيلاء على موارد الأوقاف التي كانت مصدرا للإنفاق على التعليم.

* تضييق الخناق على تعليم اللغة العربية ومطاردتها حتى خارج المدرسة الفرنسية.

– نهج سياسة التجهيل والتفقير منذ البداية كأسلوب من أساليب الفرنسة بعد أن خربت مؤسسات التعليم، وصادرت الأوقاف التي تمولها[1].

– إنشاء مدارس خاصة ووضع برامج معينة ومحددة المناهج والاهداف، وهي أهداف استعمارية واضحة، حرصت على أن يكون التعليم بالفرنسية، واعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية، ومنعتها في اوقات معينة من أن تدرس في المدارس الحرة كالزوايا والمساجد والكتاتيب..

وكان من نتائج هذه السياسة:

* بروز طوائف معادية للعربية تعمل على محاربتها، وظهور دعاة الاندماج والتجنيس الذين أنكروا وانسلخوا من مقوما تهم الشخصية والتحقوا بركب الحضارة الغربية، وناصبوا العداء لدعاة الوطنية والإصلاح، كما انتشرت ظاهرة التفرنج والتحدث باللغة الفرنسية بين الجزائريين أنفسهم، أدى هذا إلى ضعف اللغة العربية، وطغيان اللهجات المحلية على اللسان الفصيح، كالعامية، والامازيغية، أضف إلى هذا فإن الإدارة الفرنسية فرضت حصارا عاما على اللغة العربية سواء

---

1 – ينظر: عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط.1، دار الأمة، الجزائر 1980م.ص. 78، 79، وكذلك: سعيد عليوان، مرجع سابق، ص. 1017

كان في التعليم أو في استعمالها في المجالات الرسمية، باستثناء المصالح الخاصة بالتوثيق الشرعي لأحكام الزواج والطلاق والميراث؛ أي أنه حصار محكم ومقصود، كما شددت الرقابة على جميع المنافذ التي تربط الجزائر بالمشرق[1].

وإذا كانت الإدارة الفرنسية قد انتهجت هذه السياسة لتحطيم الوحدة الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري وتفكيكه بنيويا، فما هو موقف الحركة الإصلاحية عموما وعلمائها على وجه الخصوص من هذه السياسة؟ وما هي الوسائل التي استخدموها لصد مثل هذه الأساليب الاستعمارية، وكيف كان رد الفعل عليها؟ وهل اختاروا طريقة المواجهة العلنية أم طريق العمل الموازي والمناقض لهذه السياسة؟

02- موقف علماء الاصلاح من سياسة الفرنسة:

لعلّه من الضروري الإشارة إلى أن العلماء لم يكونوا السّباقين في اتخاذ موقف واضح تجاه سياسة الفرنسة، وإنما الشيء المؤكد أنها جاءت ضمن القوى الفاعلة في المجتمع التي حملت راية الدفاع عن الوطن وصد سياسة الاستعمار،" فالمجتمع الجزائري قاوم طيلة الاحتلال سياسة الفرنسة، وكان سبيله إلى ذلك هو الرفض الكامل لكل ما يأتيه من الإدارة الفرنسية، حتى ولو كان يخدم مصالحه"[2] بحكم النظرة العدائية لوجوده في الوطن الجزائري، وسياسته الإرهابية التي أثقلت كاهل المجتمع بمختلف طبقاته، وعن رفض المجتمع الجزائري للفرنسة تقول إحدى الفرنسيات" وبدأ الصراع يوم بدأ المحتل يفرض لسانه وتفكيره

---

1 - سعيد عليوان، مرجع نفسه، ص. نفسها

2- أحمد بن نعمان، "مقاومة المجتمع الجزائري لسياسة الفرنسة"، الثقافة، عدد 58، شعبان، رمضان 1399 هـ الموافق لـ: يوليو، أغسطس 1979م، ص. 59.

وأسلوبه في الحياة مستعملا المدرسة والمستشفى، المعلم والطبيب...إلى أن تقول: ورد المسلمون الهداية المسمومة لصاحبها الذي قضى حوالي عشرين سنة(1830-1850)يحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ وينشئ المستشفيات فلا يتردد عليها المريض،وتعددت الصعوبات، في وجه المحتل وكثرت، وأصبح الدين الإسلامي كالإسمنت المسلح يحمي من التفكك والاندماج"[1].

وهكذا عبر المجتمع الجزائري في جميع مراحله عن الرفض الكلي لهذه السياسة بمختلف طبقاته، إلاّ أن المقاومة الشديدة لهذه السياسة إنما تمثلت في الحركة الإصلاحية، ورجال الإصلاح الذين وقفوا كرجل واحد ضدها، وكانت الصحافة الاصلاحية من الوسائل الاولى التي قاومتها وخاصة (الشهاب) بحكم أنها تعد اللبنة الأولى في ظهور الشكل الحديث للحركة الإصلاحية، وتجمعها فيما بعد تحت لواء جمعية العلماء.

أ- مقاومة العلماء للفرنسة:

لقد عمل العلماء منذ البداية كغيرهم من القوى والنخب الوطنية على مجابهة النفوذ الاستعماري وإضعاف سياسته، وإحباط المحاولات التي تهدف إلى إخضاع الأمةالجزائرية بشكل عام،على أن الملاحظ في هذه المقاومة أنها لم تتخذ شكل المجابهة والصراع الصريح،بل فضلت العمل المضاد والموازي للسياسة الفرنسية، وذلك من خلال قيام ان باديس وجماعته بالدعوة إلى التعلم والتعليم، وفتح مراكز التعليم في المدارس والكتاتيب، ونشر العلوم الإسلامية وتبصير الناس بدينهم الحق. وبالأضداد تتمايز الأشياء وتجلو الحقائق يقول أبو يعلى الزواوي: " فتطهير المجتمع من كل ما نشكوه الآن من هذه الجذور السامة

1- Yvonne turin, Affrontement culturel dans L'Algerie, colonial, Francois maspero,paris,1971, p, 36

وتلك السوائل السارية المهلكة يتوقف كل شيء على بث التعليم الإسلامي الصحيح الذي يزف إلى عقول الناشئة الإسلامية تعاليم الإسلام ومحاسنه السامية في صوره الجميلة الحقيقية ويمتزجها بأرواحهم وأنفسهم مزجا يشعرهم دوما بالعزة الإسلامية حيثما حلوا وارتحلوا"[1].

ورغم المحاولات الاستعمارية في اتباع "سياسة فرق تسد" من خلال استمالة بعض الطرق الصوفية وتسخيرها في إحداث تصدع وشقاق في صفوف الحركة الإصلاحية، حيث أخذت تنشر الخرافات والأباطيل وتشجيع الفكر السكوني الطرقي في نشر مبادئها وعقائدها الباطلة، وذلك بعد أن فشلت في القضاء على الروح الإسلامية في نفوس الجزائريين بواسطة سياسة التضليل والتجهيل من جهة، ومن جهة أخرى فشلها في سياسة الترهيب والقوة، ومن ثم اضطرت إلى ضرب المسلمين من الداخل وبأيديهم، وذلك بالقضاء على العقيدة الاسلامية الصحيحة الصافية، التي ظلت فترة طويلة صامدة في وجه كل المحاولات الرامية إلى مسخها وإفسادها، ومن ثم وجد العلماء أنفسهم أمام قوتين كبيرتين: فكانت تقاوم سياسة الفرنسة من جهة، وتحارب الطرقية من جهة أخرى.

وهكذا ظل علماء الاصلاح حاملين راية الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية، واقفين أمام كل محاولة تسعى للنيل من دين الامة وهويتها.

ولعل ابن باديس ومكانته العالية وموقعه في قلوب الجزائريين، وشخصيته الفذة،هي التي زادت في تشبث أغلب الجزائريين بمبادئهم ومقوماتهم، إضافة إلى المنهج الإصلاحي الذي اتخذه طريقا له في الاصلاح والتهذيب، ونكاد نجزم أن ابن باديس قد استطاع أن يحدّ من سياسة الفرنسة إلى حد كبير، تجلى ذلك في

---

1 – أبو يعلى الزواوي، "إلى الأستاذ الشيخ محمد الزرقي"، الشهاب، ج.9، م.11، رمضان 1354 الموافق لـ: ديسمبر 1935.

مقالاته القوية والشديدة في بعض الأحيان، حيث استطاع أن يوجه الفكر الجزائري ضمن الأطر والمبادئ الإسلامية وأن يبصر المجتمع الجزائري بواقعه المزري، والخطر المحدق به في دينه ودنياه.

ومن الأساليب القوية التي اعتمدها العلماء في صد الفرنسة، ومجابهتها بالمثل، إحياء اللغة العربية والمحافظة عليها بتعلُّمها وتعليمها.

ب- المحافظة على اللغة العربية:

وذلك أن المحافظة عليها هو المحافظة على أعز المقومات الأساسية التي تبنى عليها الشخصية الوطنية، وهي إحدى الدعائم الرئيسية التي تربط بين الأجيال المسلمة، بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولهذا نلحظ أن العلماء قد سخروا كل ما يملكون لإحياء اللغة العربية تعلما وتعليما، ولا أدل من تأسيس الزوايا والمدارس والكتاتيب القرآنية التي تلقن فيها الدروس والعلوم بالعربية، وكذا تدريسها كفن مستقل بذاته، حفاظا على اللسان العربي الذي به يدرس ويفهم الدين الإسلامي، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض بيان أهمية اللغة العربية والنطق بها وكراهية النطق بغيرها: "واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا"،[1] وقال: "وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار-وللرجال مع صاحبه... فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم، وهذا مكروه"[2].

1- أحمد ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، (د. ط)، المطبعة الجزائرية، الجزائر، 1994، ص.185.

2- المصدر نفسه، ص. 184.

وبهذا ما فتئ ابن باديس وجماعته في التنويه بشأن العربية وأهميتها في الحفاظ على الشخصية الوطنية الإسلامية، والوقوف أما التيارات التغريبية التي أرادت فرنسة اللسان العربي و القضاء على اللغة العربية، والتفكير، والثقافة، والذوق العام، والملابس، والمفاهيم الحضارية، والسلوك الاجتماعي،[1] وذلك في إطار مشروع يهدف إلى تحطيم الشخصية الوطنية بهدف الفرنسة والتنصير وبالتالي يسهل عليها إدماج المجتمع الجزائري بطريق أيسر.

ومن هذا المنطلق جعل ابن باديس اللغة العربية" رديفة الإسلام وخصص لها مكانة في مشروعه الإصلاحي، وإعطائها المرتبة الثانية ضمن شعاره الوطني الثلاثي الأبعاد، الشعار الذي جعلته الحركة الإصلاحية دليلا موجها لنشاطها"[2]، وكذلك لمشروعها الإصلاحي الهادف إلى الوقوف أمام كل محاولة تهدف إلى تحطيم المجتمع الجزائري وإخضاعه بطريقة أو بأخرى.

ج-لماذا العربية أو العروبة*؟

لعل اهتمام علماء الاصلاح باللغة العربية، يرجع إلى إدراكهم ما للغة من تأثير في الفكر ومسـخ له "فالعربية هي إحدى الدعائم الثلاث التي

1-ينظر: رابح تركي، مرجع سابق، ص.118.

2- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص.75.

*- العربية من الوجهة القومية هي الرابطة الشعورية والفكرية التي تربطنا بجنسنا، وبقومنا، وثقافة هذا الجنس، والجنس هنا هو العروبة: "وهي شـعور وجداني وكيان ثقافي واتجاه حضـاري،واللغة هي التعبير عن هذا الشـعور"وهي كما وصـفها(أي اللغة) محمود قاسـم "الترجمان الذي يعبر عما في القلب من عقائد وعما في العقل من أفكار وعما في النفس من الآم وآمال،"ينظر: المرجع نفسه، ص.76، وكذلك: محمود قاسم،" مناهج الإصلاح في الشرق مند أواخر القرن التاسع عشر في عصـر النهضـة فكرة جمال الدين لأفغاني في الإصـلاح" الثقافة عدد 81 شـعبان، رمضـان 1404هـ مايو يونيو 1984م،ص.64، نقلا عن التقرير الأدبي الذي ألقاه ابن باديس بجمعية التربية والتعليم 1358هـ ماي 1939، في البصائر السنة الرابعة العدد.171.

تقوم عليها شخصية المجتمع الجزائري، ولا يمكن أن تحدد معالم هذه الشخصية وتزدهر من غير أن تكون العربية الدعامة الأساسية لها، والروح النابضة بحقيقتها والرمز المعبر عنها"[1]، ومن جهة أخرى فإنها رابطة بين الأجيال في الماضي والحاضر" فهي التاريخ الذي يربط بين ماضي الجزائر بحاضرها ومستقبلها، وأجداد أبنائها بأحفادهم، والتاريخ الذي نسج حياتها الثقافية، ومزج بين عناصرها كل الامتزاج التام بين السكان الأصليين والعرب الفاتحين..، والاتحاد الحاصل في العقيدة واللسان يقطع الطريق على متقول أو شاك في عروبة الجزائر ووحدتها اللغوية"[2]،وفي هذا السياق أورد ابن باديس أثرا نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم مضمونه"ليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي" [3]، يقول ابن باديس تعليقا :"تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته، كما الشأن في الأفراد،فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات، وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعّرب بها ويتأدب بآدابها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها، وينظر لمستقبله من خلالها، والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات"[4].

والكلام بالعربية والدعوة إليها لأنها لغة القرآن والسنة، ولغة التخاطب والشعور بالروابط الفكرية والحضارية التي تجمع بين الأفراد والمجتمعات العربية

1 - عبد القادر فضيل، ومحمد الصالح رمضان، المرجع السابق، ص.75.

2 - المرجع نفسه، ص. نفسها.

3 - لم أقف عليه.

4 - ابن باديس، " الجنسية القومية والجنسية السياسية،" "، الشهاب، ج12، م12، ذو الحجة1355هـ، فيفري1937م، ص.504.

الإسلامية، ولعله من الأسباب التي أدت بانحطاط المستوى التعليمي والعلمي للجزائريين، وسيطرة اللسان الفرنسي على النخب الجزائرية خاصة، ابتعادهم عن المدارس العربية الحرة، والاستغناء عنها في كثير من الأحيان، بل ونبذوها وراء ظهورهم وجعلوها لغة تخلف وانحطاط، يقول أحد كتاب صحيفة الشهاب: "فاللغة العربية لغة الجزائريين القطرية عليها مدار حياتهم ...في دينهم، في قوميتهم، في آدابهم، في وطنيتهم، وفي تاريخهم... وهي اللغة التي يتمسك بها وبأهدابها، ولو تعلقوا بأذيالها وكفاها شرفا أن تكون لغة القرآن، بها قامت الفصاحة والبلاغة في أسواق الأدب"[1].

هذا وقد عاتب بعض علماء الاصلاح الأدباء والمفكرين على استعمال اللغة الفرنسية في خطبهم ومحاضراتهم، حتى في مخاطبة أبناء جنسهم، وحذروا من التأثير السلبي الذي ينجم عن هذا السلوك ومنها: "فقد العصبية والجهل بالتعاليم الدينية، واحتقار بني جنسهم ونسيان تاريخ الآباء والأجداد، وسوق الأبناء إلى حيث يتشكلون بالأشكال والأزياء غير العربية ..."[2]، بل وتنبأت بعضهم أن العاقبة لكثير من الجزائريين بعد حين من الدهر – وهو قريب – ستكون نتيجتها استبدال جنسية جزائرية بجنسية أخرى[3]، وقد تحقق هذا الظن، وأقدم بعض الجزائريين على التجنس بالجنسية الفرنسية والتخلي عن جنسيتهم، وهذه إحدى أهداف سياسة الفرنسة والتي كانت تسعى إليها الإدارة الاستعمارية.

---

1 – مجهول، "حول كلمة من وزير الداخلية للوفد الجزائري"، الشـــهاب، عدد 43، 23، محرم 1345 الموافق لـ: 13 أوت 1926 ص. 3.

2 – المصدر نفسه، ص. نفسها.

3 – ينظر: المصدر نفسه.

هذا ولم يمنع دعاة الاصلاح من تعلم اللغات الأخرى، بل دعوا إلى تعلم الفرنسية وغيرها من اللغات الحية، وذلك إلى جنب اللغة العربية الفصيحة لا العامية، وذلك للمحافظة على التعاليم الدينية، والإرث الحضاري من أدب وتاريخ وثقافة، وبذلك يكون جانب الأمن من الانسلاخ والانحلال من الجنسية العربية الإسلامية أقوى وأضمن، كما دعوا إلى المحافظة عليها"كمحافظة المصريين على لغتهم العربية والزيادة عليها باللغات الأجنبية التي أخذوا منافعها دون قشورها، فنظموا حياتهم الاجتماعية على النمط العصري من تأليف المحاكم، وترتيب دواوين الحكومة، ومصلحة السكة الحديدية والتلغراف ... والغرفة التجارية، كل ذلك باللسان العربي فضلا عن الطب والهندسة والعلوم الرياضية"[1].

وأنجع طريق كان المصلحون يرونه نافعا ومجديا للحفاظ على العربية من الفرنسة هو "وجود صحافة عربية بين الوطنيين بلغتهم الأصلية ترشدهم إلى ما فيه صلاحهم في الدارين"[2]، بل إن من يرى خلاف ذلك – حسب بعض العلماء – "فرأيه وفكره عقيم وذاكرته الفكرية ضعيفة وهو إلى الأمية أقرب منه إلى العلم"[3].

ونظرا لهذه الأهمية التي يكتسيها عنصر اللغة في الحفاظ على مقومات الأمة، والوقوف أمام سياسة الفرنسة، فقد أعطاها العلماء اهتماما بالغا، ورأوا أن أكبر بلية نزلت بالأمة الجزائرية، هو تفريطها في لغة دينها[4]، ولهذا دعوا إلى

---

1 – المصدر نفسه، ص. 1بتصرف.

2 – مصطفى بن شعبان، "الحياة الجديدة"، الشهاب، عدد 62، 6 ربيع الثاني 1345 الموافق لـ: 14 أكتوبر 1926، ص. 1.

3 – المصدر نفسه، ص. نفسها.

4 – ينظر: العربي التبسي، "أزفت ساعة الجماعة"، الشهاب، عدد 31، ذو القعدة 1344، الموافق لـ: حوان 1926، ص. 3.

العضِّ عليها بالنواجذ، والاهتمام بها "فما علينا إلاّ المحافظة على لغتنا الشريفة لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لغة الآباء والأجداد... لغة العز والفخار والمجد والحضارة... لغة مكارم الأخلاق والفضيلة... لغة الشرف والحياة..."[1]، وما ذلك إلا للحفاظ على كيانها وصد سياسة الفرنسة التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية بهدف إحلال اللغة الفرنسية محلها وجعلها لغة ثانية أجنبية، وقد وقف المصلحون في صد هذه السياسة ونشر العربية الفصحى وتعليمها للأجيال الناهضة وإحباط المشروع الفرنسي الذي كان يستهدف مقومات الأمة الجزائرية.

03- محاربة التنصير:

لقد كشف الواقع الجزائري نوايا الاحتلال منذ بدأ حركته الاستعمارية، وهو إخضاع المجتمع الجزائري بأي طريق، وبأي والوسائل متخذا قاعدة" الغاية تبرر الوسيلة "[*]،وكان من الوسائل التي استخدمها، **التنصير**، كإحدى الأسلحة الفتاكة في تطبيق وتحقيق أهدافه الصليبية، وذلك ليسهل عليه إخضاع المجتمع بأقصر طريق وأيسر سبيل، وكانت هذه السياسية تحمل الطابع الإنساني، وخدمة الإنسانية، والحقيقة خلاف ذلك، بل أصدق وصف يمكن إطلاقه عليه ما قاله- محمد ناصر- في شأن هذه السياسة" واتخذ لباسا ملائكيا ظاهره التطبيب

---

1 - مصطفى بن شعبان، "اللغة العربية والمحافظة عليها،" الشهاب، عدد 66، 4 جمادى الأولى 1345، الموافق لـ: 3 نوفمبر 1926، ص. 3

*- وهي قاعدة ميكيافيلية وضعها (ميكيافلى) من أجل بلوغ السلطة والحكم بأي طريق، وأن الغاية الوحيدة هي تحقيق الوصول إلى الحكم دون الالتفات إلى الوسيلة المستعملة.

والمواساة والتعليم، وأخفى تحت مسوحه دسائس شيطانية تستهدف تحرير المسلمين من مقوماتهم الشخصية المقدسة"[1].

ولا ريب أن الباعث الحقيقي الأول في رأى القائمين على التنصير إنما هو"القضاء على الأديان غير النصرانية"[2]، وذلك أنهم رأوا من أمر الإسلام وانتشاره حول العالم، وأفزعتهم شدة تأثيره في النفوس، فأولوا جلساتهم ومؤتمراتهم للمؤامرة ضد تلك الشمس المشرقة وإطفائها بأفواههم: حيث عقدوا الجلسات والمؤتمرات للمداولة والتفكير في الطرق التي توصلهم إلى نفوس المسلمين[3]، وكان من أبرز مؤتمراتهم التي عقدوها بشأن دراسة حال" التبشير العالمي" مؤتمر القدس[4] سنة 1924.

---

1 – محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعلامها)، من 1903 إلى 1931، ج.2، (د.ط)، ش.و.ن.ت، الجزائر 1978م، ج1، ص،137.

2 – مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت 1986، ص.45، نقلا عن كتاب:

The missuinmary out houk en the light af war and the religions out look, n, y, 1920, p,35.

3– الفرقد،"الضمير"، وادي ميزاب، العدد، 84، ذي الحجة 1446، الموافق لـ: 25، ماي،1928، ص2.

4– ومن أشهر المؤتمرات النصرانية التي عقدت لدراسة أساليب التنصير قبل مؤتمر القدس، مؤتمر القاهرة سنة1906، ومؤتمر (لكنو) بالهند سنة 1911، وهو امتداد لمؤتمر القاهرة. ومنذ سنة 1912 قامت سلسلة من المؤتمرات بلغت 21 مؤتمرا للإرساليات وقادة الكنائس، وكان الغرض منها هو التركيز على التعاون بين الكنائس، ينظر: عبد الجليل شلبي، معركة التبشير والإسلام، ط.1، مؤسسة الخليج العربي،1409، هـ 1989مـ، ص–ص،287، 306، وكذلك: إبراهيم سليمان الجبهان، معاول الهدم في النصرانية والتبشير، ط.1، دار الفتح، الشارقة،1415–1995، ص–ص. 43،50.

وأحسن طريق سهّل على هؤلاء تنفيذ مشروعهم هو طريق الاستعمار، فالعلاقة بينهما علاقة وطيدة، وكل منهما يعتمد على الآخر ويكمله، كما أن آباء التنصير كلهم ركزوا على الفرنسة –كما سبق– بغرض التنصير والتمكين للاستعمار، كما ركز رجال فرنسا من الساسة والعسكريين على التنصير بغية الفرنسة والإدماج والتمكين للاستعمار[1].

وكان أول من دعا إلى التنصير بصفة رسمية، وبطريقة منظمة، وأسس المراكز التنصيرية هو (الكاردينال لافيجري) سنة 1867، وهذه السنة من أشد السنوات هولاً على المسلمين الجزائريين ولا سيما في الجنوب، فقد التهمت الزرع ونشرت الوباء والمجاعة والموت في كل بيت جزائري[2]، وحينها وجد **لافيجري** الفرصة ليعلن عن دعوته ومشروعه التنصيري الذي طالما تحين الفرصة المواتية للصدع به، يقول أحمد توفيق المدني "فكان يطوف بالأنحاء التي فتك بها الجوع والمرض، ويحمل الصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله"[3]، وإنما لخطة تجعل العاقل حيران، والمتدين في شك من أمره، وصدق من قال: "كاد الفقر أن يكون كفرا"[4].

---

1 – سعيد عليوان، مرجع سابق، ص. 997.

2– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط.2، دار الكتاب البليدة، 1382هـ–1963م.ص. 61.

3– ينظر: المدني المصدر السابق، ص. 61. ويذكر المدني أن" الكاردينال لا فيجري"، جمع طائفة من الأيتام واليتيمات يبلغ عددهم حوالي 1500 شخصا، فرباهم في ظل الكنيسة، وعلى دين المسيح. ينظر: المدني، المصدر نفسه، ص.61. وتذكر بعض المصادر أن هذه الفئة بعد أن تقدم بهم السن، رجعوا إلى دينهم وتحلوا عمّا كانوا عليه من قبل، ولم يبقى إلا حوالي 41 شخصا. ينظر: محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية والتبشير، ط.2، مطبعة الاعتدال، دمشق 1352 هـ 1934م، ص. 79، 80.

4 – وهو إن كان لا يثبت سندا، فإننا أتينا به لصحة معناه، وشهادة الواقع بذلك.

وقد استخدم المنصّرون مختلف الطرق والوسائل في سبيل تحقيق أهدافهم وتجسيدها في الواقع، فلم يكتفوا بالدعوة النظرية من الكتابة في المجلات والصحف والنشرات، كما أنهم لم يسلكوا طريق القهر والاكراه، لكنهم استغلوا جميع المناسبات وترقبوا جميع الفرص "فصناعة التعليم والتطبيب والوعظ، ونقل الكتب من لغة إلى لغة"[1] والإغراءات المادية، والدعوة المعسولة وإنشاء المدارس والكليات التنصيرية... كلها كانت خير عون لهم، ومعول هدم لغيرهم.

والمنصّرون مجمعون على استخدام جميع الوسائل، مؤكدين على استغلالها جميعا، تجلى ذلك في نشر "العقيدة النصرانية" في نفوس البشر غير النصرانيين، على أن المسلمين هم أولى بهذا من غيرهم لأن الإسلام في نظرهم أشد الأديان حرسا في رفض الاستعباد، لذلك يسعى كل "المبشرين" في أن ينصروا جميع المسلمين ويردوهم عن دينهم وعن عقيدتهم من عقيدة التوحيد إلى عقيدة التثليث.

وأما تصريحات زعمائهم وساساتهم من أصحاب الفكر السانسيموني غداة لاحتلال، أن من جملة أهدافهم الأساسية من غزو الجزائر، نشر النصرانية والقضاء على الإسلام، وفي سبيل ذلك ومن أجل تحقيق غاياتهم، توصلوا حقيقة إلى تنصير بعض أبناء المسلمين بوسائل التمويه والتضليل، وتذرّعوا للوصول إلى عقيدة الناشئة: بالتعليم ومواساة الفقراء والمساكين والأيتام، وإيواء من لا ملجأ لهم كالبغايا الذين يطردون من المجتمع، وكان تركيزهم على النساء والشباب لسهولة تقليدهم هذه التعاليم وتقبلها[2].

---

1 – مصطفى خالدي، عمر فروخ، مرجع سابق، ص. 48. نقلا عن كتاب: Julins Rivheter, Ahistory of the protestant missions in the near (Englih translation adapted by the Author), N,Y 1910, p80.

2 – ينظر: محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 139.

وإذا كانت حركة التنصير قد استطاعت أن تجد لنفسها مكانا داخل بنية المجتمع الجزائري، وأن تحقق بعض أهدافها، فما هو رد الفعل الجزائري على هذه السياسة التنصيرية عموما والحركة الإصلاحية خصوصا وكيف تعامل دعاة الاصلاح مع هذه الحركة التنصيرية التي وضعت الدين الإسلامي في المساومة؟وما هو موقفهم؟ وما هي الوسائل التي سخرت لوقف الزحف الصليبي التنصيري؟

04- موقف العلماء من التنصير:

لعله من الصعب إطلاق القول بأن علماء الاصلاح كان لهم موقف صريح ضد عملية التنصير التي اجتاحت المجتمع الجزائري في فترات ماضية، بحكم أن حركة التنصير بدأت في التلاشي والضعف أمام المحاولات الإصلاحية التي بدأها نخبة من العلماء والمصلحين في بداية القرن العشرين، والتي تُوّجت بانطلاق الحركة التعليمية الباديسية هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما خلفته الحرب العالمية الأولى من آثار واضحة المعالم في الحياة الفكرية والسياسية، وظهور الحركة الوطنية في شكلها الجديد المنظم بشقيها السياسي والإصلاحي، كل هذه الأسباب وغيرها أضعف من نفوذ الحركة التنصيرية ونشاط المنصرين، إلاّ أن بعض آثار هذه الحركة بقيت تسري في بعض طبقات المجتمع، إضافة إلى بقاء بعض الاعمال التنصيرية في بعض أنحاء الوطن الجزائري خاصة منها بلاد القبائل.

ولقد أدرك العلماء خطورة هذه الفئات التي احتلت احتلالا واسعا ومنظما لبعض مدن الوطن، فهم يهاجمون الإسلام وتعاليمه في كل لحظة، ويتذرعون إلى ذلك بكل وسيلة، ويرسمون خطط مهاجمة الإسلام في عقر داره وفي صدور أهله، وهم إذ ذاك طائفتان: الطائفة البروتستانتية والطائفة

الكاثوليكية، وهذه الأخيرة تمثلها بعثات الآباء البيض "الذين استعذبوا كل كريهة وركبوا كل صعب لخدمة أمتهم في رابطتهم المذهبية، وهم في جهودهم وأساليبهم ونظمهم ومقاصدهم يعملون ويسيرون مع ضياء التجارب ليبني الآخر منهم على أساس السابق"[1].

والذي يلاحظ أن علماء الاصلاح قد سلكوا في مكافحة هذه الطائفة التنصيرية مسلكين أساسيين: مسلك التحذير وبيان خطر هؤلاء على عقيدة المسلم ودينه، والمسلك الثاني اهتموا ببيان حقيقة الإسلام وقواعده الصحيحة وما يضاده من الملل والنحل المختلفة.

أ- مسلك التحذير:

لم يكن خطر هؤلاء المنصِّرين يخفى على العلماء المصلحين، بل أدركوا حقيقتهم وحقيقة ما يهدفون إليه، ولهذا راحوا يحذرون من أعمالهم ومن نشاطهم الذي يهدف إلى القضاء على الإسلام وإحلال دينهم النصراني محله، وقد أرعبهم الموقف عندما رأووا اعتناق الشباب للصليب وحمله معهم وتلاوتهم الإنجيل... فما كان في وسعهم إلاّ أن دعوا إلى وجوب الأخذ بشيء من نظم العصر لمقاومة وصد أعمال هذه الجاليات، وكذلك بتأليف الجمعيات الدينية لبيان حقيقة الإسلام، وإقامته على قواعده الصحيحة إقامة مبنية على علوم القرآن والسنة وفقه السلف الصالح[2].

ومن المواقف المشهودة للعلماء كشفهم لنشاط جماعة من "المبشرين" الأمريكيين (ميتوديست) ببلاد القبائل، الذين ما برحوا يتجرءون أمام الأهالي

1- العربي التبسي، "كلمة دينية إلى دوي الأحكام والنهي،" الشهاب، ج.9، م.8، جمادى الأولى 1351 الموافق لـ: سبتمبر 1932، ص.479.

2 – المصدر نفسه، ص. 480.

على القدح والطعن العنيف في الإسلام وعلى صد هؤلاء الأهالي من آداء واجباتهم الدينية. ومن وسائلهم في ذلك إكراههم على الإفطار في شهر رمضان، وإعطاءهم الخمر، والمأكولات المحرمة عليهم دينا كالخنزير وغيره[1]. كما نبه العلماء من خلال صحيفة (الشهاب) الشعب الجزائري خطورة هؤلاء، ببيان حقيقة تاريخية قد يتجاهلها أكثر المجتمع الجزائري آنذاك، بحكم جهله بتاريخه القريب والبعيد، وهو أن هؤلاء الآباء البيض رجالهم ونساؤهم أول من مهّد ومكّن للاستعمار الفرنسي في الاستيلاء على الوطن[2].

ونظرا لتفاقم أمر هؤلاء القساوسة، واستفحال أمرهم، فقد دعت صحيفة (الشهاب) المسلمين إلى النهوض من هذه الكبوة وهذا التخاذل المميت بقولها "فالواجب علينا –معشر المسلمين– أن نطرح التخاذل والتكاسل ونتحد جميعا، أمام هذا الخطر الأجنبي المراد منه محو ما نعدُّه أنفس شيء لدينا ألا وهو ديننا"[3].

ومما يؤكد خطر النصرانية وعداءها للمسلمين تلك الحملات الشرسة على الإسلام وتصويره بالصورة المنفرة المبغضة المثيرة للأحقاد والحاملة على التعصب، حتى أنهم جعلوا لأتباعهم دعوات تكرر في أوقات مخصوصة ضد الإسلام والمسلمين، والدليل على هذا ما وضعه الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة (عنابة) لأتباعهم من دعوات في صلاتهم اليومية تُكرر في أوقات مخصوصة ضد الإسلام والمسلمين، وهذا نص الصلاة اليومية: "**يا قلب يسوع الإلهي أتقدم**

---

1 – مجهول، "جماعة المبشرين"، الشهاب، ج.5، م.5، محرم 1348 الموافق لـ: جوان 1929، ص.13.

2 – المقال نفسه، الشهاب، ج.6، م.5، صفر 1348 الموافق لـ: جويلية 1929، ص.13.

3 – مجهول، "جماعة المبشرين"، الشهاب، ج.7، م.5، ربيع الأول 1348 الموافق لـ: أوت 1929، ص.14.

إليك بقلب مريم الدامي بصلواتي وأعمالي وآلامي في هذا النهار... وأقدم إليك صلواتي بصفة أخص من أجل اتحاد كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الإسلام"[1]، هذه هي نظرتهم إلى الإسلام نظرة حاقد متعصب...

ولقد أقدم أحد المتعصبين بالتشكيك في الإسلام والطعن فيه والنيل من أهله ورميهم بأقبح الصفات، وأشنع الأسماء، وهو بدعوته يدعو "عيسى ومريم" لمحو الإسلام –حسب زعمه– وما حملته هذه إلاّ لجهله بالإسلام وتعاليمه، وبالطبع من جهل شيئا عاداه، قامت (الشهاب) بالرد عليه والتحذير من كيده، يقول أبو يعلى الزواوي: "وبالجملة فإن هذا الداعي ضعيف العقل... إلى أن قال... وأبعد الناس عن دين المسيح الإفرنج–أمثال هؤلاء المتعصبين الذين بذلوا الملايين من الدنانير لتنصير البشر كلهم باسم المسيح وغرضهم من ذلك استعباد البشر بإزالة ملكهم وسلب أموالهم لتكون جميع لذات الدنيا وشهواتها خالصة لهم فهل جاء المسيح لهذا أو بضده؟"[2].

ولم يكونوا دعاةُ التنصير وحدهم يعملون على تنصير الجزائريين، وردهم عن دينهم، وإنما كانوا مؤيدين من طرف الاستعمار ماديا ومعنويا، وفي هذا السياق يقول الزاهري وهو يتحدث عن التنصير وخطره وأشكاله: "والأمر الثالث الذي لا ريب فيه أيضا أن الاستعمار يعين الملحدين على نشر الإلحاد بين المسلمين، ويحمي أيضا جمعيات المبشرين، ويعاونها بالمال وربما أمدها بإعانات مالية من أوقاف المسلمين"[3]، والتنصير إنما هو مشروع صليبي محدد

---

1 – مجهول، "عن الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة"، الشهاب، ج.2، م.12، صفر 1355 الموافق لـ: ماي 1936، ص.55.

2– أبو يعلى الزواوي، "كاثوليكي يدعو عيسى ومريم لمحو الإسلام"، الشهاب، ج.4، م.12، ربيع الثاني 1355 الموافق لـ: جويلية 1936، ص.178.

3 – محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ص. 113.

الأهداف لا يتوان في القيام بالهجمات الشرسة على الإسلام والمسلمين، باسم الإنسانية والمدنية والبحث العلمي، وهم بذلك يهدمون كل يوم صرحا من أصول الإسلام وقواعده بمختلف الطرق والوسائل، يقول الزاهري" وفي كل يوم تصدر آلف من الصحف والمجلات والخطب والمحاضرات وكلها مطاعن ومفتريات على الإسلام، وفي كل لغة من اللغات، ومع ذلك فإن المسلمين مازالوا طوائف وشيعا منقسمين على أنفسهم، متفرقين على دينهم ولم يشعروا بما حاق بهم جميعا من الخطر العظيم"[1]، ولهذا رأت العلماء أن أنجع وسيلة لصد هذا التيار الجارف هو:

ب- الدعوة إلى الإسلام الصحيح:

لاشك أن الخطة التي سار عليها علماء الاصلاح في الجزائر منذ تكتلهم تحت جمعية العلماء، إنما هو خدمة الإسلام وتبصير الجزائريين بدينهم الصحيح، وبيان ما يناقضه من الدعايات المغرضة، والتيارات الإلحادية المعادية للإسلام، ولهذا ما برح ابن باديس في دروسه العلمية، وتفسيره للآيات القرآنية من بيان الإسلام الصحيح، وشموليته، وأنه قاض وناسخ للأديان السابقة يقول:" الإسلام دين الله الذي شرعه وارتضاه...وهو تشريع عام لجميع أعمال الإنسان..وهو الحق والعدل والخير والإحسان...وقد وضع عقلاء الأمم شرائع في بعض نواحي أعمال الإنسان، ولكنها بإجماع المشرعين لا تخلو من نقص واعوجاج واضطراب..."[2]،ولابن باديس وقفات كثيرة في بيان الإسلام وحقيقته من خلال خطبه ومحاضراته وتفسيره.

---

1 - المصدر نفسه، ص.114، 115.

2 - ابن باديس،" الرسل والرسالة والرسول والمرسل إليهم"، الشهاب، ج.2، م.10، شوال 1352 الموافق لـ: جانفي 1934.

والإسلام الذي يراه ابن باديس هداية للمسلمين وطريقا للخلاص من الأوضاع المتردية هو الإسلام الذاتي المبني على التفكير والبحث لا الإسلام الوراثي المبني على التقليد والجمود[1]، ولهذا كان كتاب (الشهاب) من العلماء يدافعون عن الإسلام دفاعا مستميتا، ويذبون عنه وعن كل ما يشوبه من الأخطار التي كان يواجهها آنذاك والمتمثلة أساسا في الضربات التي كان يتلقاها على يد حكام الاستعمار، وكذلك خطر المستشرقين ودعاة التنصير ومن والاهم من الشيوخ المؤيدين لمؤامرات الاستعمار، إضافة إلى الطرقية التي شوهت جمال الإسلام ووقفت حجر عثرة في طريق التقدم، وذلك بشبهاتهم التي يلقونها على الأذهان الساذجة والاعتقادات الباطلة والفاسدة، وكذا علماء الدين الذين اشتهروا بالإخلاد والركون إلى الخمول والجمود[2]، إضافة إلى البدع والمنكرات التي غيرت وبدلت معاني الإسلام الصحيح، وجعلته شبحا مخيفا حمل رايته بعض المشايخ الذين اتخذوا الجمود والتقليد شعارا لهم، وكل هذه العوامل كانت في صالح الاستعمار وأذنابه من المنصرين لِبثِّ ونشر أفكارهم وتنفيذ مشاريعهم.

ولهذا تصدت العلماء المصلحون لإفشال كل محاولة أو سياسة تهدف إلى تنصير الجزائريين وفرنستهم، وبالتالي إفشال مشروع الإدماج، ووقفوا بكل إخلاص لرد هذا العدوان، وهذه الأخطار المتكاثرة، كما أكدت الكيان الروحي للأمة الجزائرية ووضعته في سياقه التاريخي، وردت على كل مشكك في هذا الكيان، وفي مقومات الأمة التي تتكون منه وتستمد روحها منه كما قدمت خدمة

---

1 – ابن باديس "الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي" الشهاب، ج.3، م.14، ربيع الأول 1357، الموافق لـ: ماي 1938.

2 – ينظر: محمد الصالح خبشاس، "عوائق تقدم الجزائريين"، المنتقد، عدد 04، 3 محرم 1343 الموافق لـ 23 جويلية 1925، ص.2.

للإنسانية من خلال خدمة الإسلام، لأن الإسلام كما يقول ابن باديس "دين الإنسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلاّ به، وأن خدمتها لا تكون إلاّ على أصول"[1].

كما عملت على تحرير العقول والنفوس من براثن الجمود والتقليد والتعصب للأفكار والآراء، ودعت إلى إطلاق العنان للعقل كي يسبح في بحر المعرفة، وينظر كيف يستنبط الأفكار ويسايرها وفق متطلبات العصر، وهذا ضمن الإطار الإسلامي الصحيح ؛ لأن العقل الصريح لا يناقض –بتاتا– النقل الصحيح، وهذا كله من أجل تكوين وإعداد جيل عصري يتماشى ومتطلبات العصر، بعيدا عن الركود والجمود والجهل والتقليد، حتى يتمكن من صد الهجمات التنصيرية والوقوف أمام الزحف الصليبي...ولا يمكن ذلك إلاّ بالتعليم والتثقيف والتربية الصحيحة وإيقاظ الهمم والنفوس.

وبهذا فإذا تتبعنا كتابات العلماء المصلحين، وعلى رأسهم ابن باديس الذي نجده مرتبطا بالإسلام إرتباطا شديدا وعلاقاته مع الناس "فلا تخلو كلمة من كلماته أو درسا من دروسه من التعليق على الإسلام وعلى أحوال المسلمين في الجزائر وفي غيرها من البلدان الإسلامية، والأخطار التي تحيط بهم، ومن التذكير بالحقيقة القرآنية، والعقيدة الإسلامية المبنية على التصور الصحيح وفق الآيات والأحاديث النبوية التي يرى فيها المخرج من دائرة الإفلاس التي تتعرض لها الشعوب الإسلامية والعربية، وكأنه يقول لا يستقيم أمر المسلمين ولا يصلح حالهم إلاّ إذا رجعوا إلى دينهم الصحيح الذي ابتعدوا عنه بسبب ظروف

---

1 – ينظر: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج.4، ط.1، دار البعث الجزائر 1425هـ، 1984، ص. 112.

الاستعمار، ورواسب عصور الانحطاط من جهة أخرى"[1]، وفي هذا الصدد لو نظر المتأمل إلى مجلة (الشهاب) نظرة متأنية، وقرأ واجهة المجلة، أدرك ذلك السر العظيم والمغزى الوفير من أهداف ابن باديس وصحبه وغاياتهم وتصوراتهم لأسباب صلاح الأمة وسعادتها، وذلك من خلال شعار المجلة المثبت في الواجهة "لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها".

والحاصل أن العلماء قد وضعوا برنامجا محددا للوقوف أمام سياسة الفرنسة والتنصير اللذان يعتبران من الأهداف الكبرى للإدارة الاستعمارية، ولا يتم ذلك إلاّ بالرجوع إلى الإسلام وإلى منابعه الصافية، ومصادره الصحيحة الثابتة، وقد نجح علماء الاصلاح أيما توفيق واستطاعوا أن يسهموا مع القوى الأخرى في إحباط المشروع الاستعماري الصليبي الذي كان يهدف إدماج الجزائر في فرنسا، والقضاء على الإرث الحضاري للأمة الجزائرية.

الخاتمة:

من خلال ماسبق يمكن القول أن علماء الاصلاح أضافوا إلى جانب الإصلاح الديني إصلاح المجتمع الذي هو أساس الإصلاح ومحله، ويتجلى ذلك في المجهودات التي بذلوها في إصلاح المجتمع من كل ما يدنسه، ويجعله مجتمعا ساكنا يتخبط في ظلمات التخلف والفقر ونحوهما من جهة، ومن جهة أخرى السعي لإفشال المخططات الإستعمارية الهادفة إلى القضاء وإخضاع المجتمع الجزائري عن طريق المشاريع الصليبية والسياسات الإضطهادية، وفي هذا السياق فإن المصلحين جعلوا قضايا المجتمع الكبرى من أولويات العمل الإصلاحي التهذيبي، حيث وقفوا ضد سياسة الفرنسة والتنصير التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية محاولة منها لدمج المجتمع الجزائري وصبغه صبغة فرنسية

---

1 – عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص. 67 بتصرف كامل.

بحتة، حيث عملوا على إفشال كل محاولة تسعى من خلالها فرنسا لتحقيق أهدافها، وذلك بنشر التعليم باللغة العربية وتعلمها حفاظا على المقومات الشخصية وصيانة لها، كما رفعت لواء الدفاع عن مذهب السلف والرجوع إليه.

من رواد النخبة الجزائرية: محمد صوالح أنموذجا

د/ لهلالي سلوى

و. د/ لهلالي اسعد –جامعة سطيف02–

ملخص

تتناول هذه الدراسة موضوعا مهما يتعلق برائد من رواد النخبة الجزائرية المفرنسة التي تكونت في الفترة الاستعمارية وتخرجت من المدرسة الفرنسية ألا وهو؛ محمد صوالح الذي يعتبر من أبرز المفرنسين الذين كانوا متعلقين بضرورة تغيير الذهنيات داخل المجتمع الجزائري، والتركيز على نشر التعليم للتأثير على فئات المجتمع، وقد عرف محمد صوالح بإنتاجه في مجال التعليم ومؤلفاته حول المجتمع الأهلي.

الكلمات المفتاحية: النخبة الجزائرية المفرنسة، المجتمع الأهلي، المدرسة الفرنسية، المشكلة اللغوية، المرأة.

Sammary:

This study deals with an important subject concerning the pioneer of the Algerian elite of France, which was formed during the colonial period and graduated from the French school, namely: Mohammed Soalh, who was one of the most prominent interpreters who were concerned with the need to change mindsets within Algerian society, and focus on the dissemination of education to influence the community groups. Mohammed Soalh was known for his work in the field of education and his writings on civil society.

Key words: Algerian elite, civil society, French school, language problem, women.

مقدمة

يعكس محمد صوالح صورة نخبة جزائرية مفرنسة تعود مرجعياتها إلى المدرسة الفرنسية التي تعتبر المسألة الحقيقية في ظهور التوجه الفرنكفوني/ الفرونكوفيلي بالجزائر ورغم اعتباره خريج هذه المدرسة إلا أنه حاول من خلال أعماله العلمية الموجهة لخدمة العلم والمدرسة خلافا لما قام به بعض المفرنسين الذين قصدوا من أعمالهم إبراز القدرة على التماهي.

في الآخر فإن محمد صوالح حاول المساهمة في المنظومة التعليمية المؤطرة التعليم الأهلي بتأليف بالدارجة والفرنسية لتعليم الأطفال الجزائريين وكانت له مواقف وآراء حول مستقبل الجزائريين صاغها في شكل حداثي لميلاد مجتمع جديد، فما مضمون هذا المشروع الحداثي؟، وما هي أهم القضايا التي تناولها؟

- **التعريف به:**

هو صوالح بن محمد بن معمر، طالب قديم بمدرسة المعلمين حصل على شهادة الباكالوريا سنة 1884، حامل دبلوم من المدرسة العليا للآداب سنة 1898 ثم مترجم قضائي سنة 1898 حاصل على دكتوراه الآداب أستاذ في الثانوية والمدرسة العليا للتجارة والمعهد الزراعي بالجزائر.

* تعاون في وقت مبكر مع فريق نشرية التعليم الأهلي ومن المؤسسين للتعليم الفرنسي العربي للتجارة بالمدرسة العليا للتجارة.

* ألف حوالي 22 كتابا باللغة العربية النظامية والعربية الشفاهية وباللغة الفرنسية ومن بين هذه المؤلفات:

* تمارين وطرق تدريس العربية النظامية سنة 1900.

* اللغة العربية الشفاهية مع السيد فلوري.

*الملحق المعرب سنة 1903.

*دروس تحضيرية للعربية الشفاهية (خاصة بالمعلمين) 1905.

*المجتمع الجزائري الأهلي في جزئين (1937).

كما انه نال عضوية في أنشطة كثيرة نذكرها منها:

*عضو لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان في ال جزائر1

*عضو قيادي في حركة الشبان الجزائريين في الجزائر العاصمة.

مؤسس جرائد منها:

*المستقبل الجزائري 1920/04/29 بالجزائر واختفت في 1920/04/23.

*مستقبل الجزائر ظهرت سنة 1921 بالجزائر واختفت في 1921/02/04.

*لنصيح، ظهرت في الجزائر في 1921/7/8 واختفت في 1922/10/27 وهي جرائد ناطقة باسم الاتجاه الإدماجي.

كما انه شارك في تأسيس بعض الجمعيات الثقافية والخيرية منها:

*جمعية الطليعة وتأسست سنة 1895 بالجزائر العاصمة أسسها رفقة ابن تامي.

* الجمعية التوفيقية (1908ثم 1911) بالجزائر، لذلك أسسها مع ابن تامي وكان لها فروع في جيجل ومعسكر[2] .

هذا ويذكر أبو القاسم سعد الله بأن المعلومات المتعلقة بصوالح قليلة جدا، حتى فيما يتعلق بتجنسه من عدمه، ويذكر بأن أول إشارة حوله تعود إلى 1907 حيث كتب مقالا في المجلة الإفريقية عن الصوم عند المالكية مستخرجا ذلك من رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ثم إشارة أخرى في 1915 عندما كان في بوردو وحسب سعد الله فإنه قد يكون مجند في الحرب وقد يكون اشتغل

مترجما أو ملحقا بالجنود الجزائريين لرفع معنوياتهم والتأثير عليهم حتى لا ينضموا للألمان والعثمانيين3

- كتاب" المجتمع الأهلي في شمال إفريقيا 1937":

رغم أنه يصب في تعريف الفرنسيين بخواص المجتمع في البلدان الثلاث من تقاليد ودين وعقائد وتاريخ وفلكلور، إلا أن في طياته ملمح مشروع تحديث يظهر في إشارته للتأثير الأوربي على الأهالي ثم دور الحكومة الفرنسية من خلال أعمالها في الجزائر (مدارس، مؤسسات، ...) ثم نتيجة هذا التطور على مستوى حياة الجزائريين، وكانت لصوالح اقتراحات تغيير في حياة المجتمع بنوع من النقد لإحداث التطور في الجزائر مركزا على التعليم.

1-حول المدرسة:

يؤمن صوالح بأن المدرسة الفرنسية استطاعت أن تحدث تغييرا جذريا في الذهنيات داخل المجتمع الجزائري ، كما يرى بأن الاحتكاك لفترة طويلة مع الأوروبيين أنتج في حياة الأهالي تحولات هامة و يذكر أن هذه التحولات كانت تلاحظ أكثر من المدن و في منطقة القبائل أين كان عدد المدارس الفرنسية أكثر بالنسبة إلى المناطق الأخرى[4]، ويضيف :<< المدرسة الفرنسية قد أحدثت تغييرا جذريا في عقلية و مجتمع الأهالي، أثرت بالإيجاب على إنتاج الأهالي في كل ميادين الحياة الاجتماعية ... نسبة حضور المسلمين إلى المدرسة يفوق 90 بالمئة ...>> ، كما أنه يعطي مثالا عن بعض المبادرات الفردية في المدن حيث كان بعض الأشخاص يهبون بيوتهم لتحول غلى مدارس بنفقاتهم الخاصة،

كما أنهم خصصوا مساعدين لتعليم الفرنسية لأبنائهم ، وكان هذا المثال – حسب صوالح– ناجحا في القبائل أحسن منه في المناطق العربية [5]

2- التعليم المهني:

نال هذا الموضوع نصيبا وافرا من التحليل والنقاش عند الليبراليين باعتبار هذا النوع من التعليم بإمكانه إعطاء نوع من التعليم المتوسط للجزائريين في حدود الكتابة والقراءة كمبادئ أولية إلى جانب مبادئ الفلاحة والمهن الأساسية والتجارة والحدادة والبناء مرفقة طبعا بورشات خاصة مع تعليم القرآن الكريم والفرنسية واستخدام اللغة العربية لتوصيل المعارف لأبناء الريف والمناطق النائية وقد راهن صوالح وزملاءه كثيرا على هذا المشروع وسبق الإشارة إلى نفس النظرة عند عباس.

يتصور محمد صوالح أن المشكل الاجتماعي الذي سماه (الياولاد) ويعني بالمصطلح الأولاد الذين لم يزاولوا التعليم في المدرسة بسبب الظروف الاجتماعي أو بسبب طردهم أو توقفهم عن المدرسة وتجمعهم في حرفة مسح الأحذية في الشوارع وهو يرمي بالاهتمام على المرأة (الأم) لأنها لو كانت تمتهن حرفة في المدارس التعليمية المهنية الفرنسية لحالت دون هذه الوضعية حث يقول:<<(...) يبيتون على عتبة أبواب المطاعم ، على أسطح المقاهي عددهم كبير، هم يتامى ، متخلى عنهم ، أمهاتهم سيئات ليس لهم أية حرفة، تفرض عليهن التقاليد المكوث في البيت (...) ما داموا بعيدين عن المدرسة يتلقون دروس الشارع الأليمة...>>[6].

إنه يحاول في هذا المثال اقتراح حل لمشكلة التشرد بتشجيع الأولاد على التوجه للمراكز المهنية ويشيد من جهة أخرى بالمدرسة الفرنسية ونظامها ومن ثم فائدتها في المجتمع مركزا على عنصر المرأة محاولا إخراجها من قوقعة

التقاليد والأعراف الاجتماعية مقترحا إدماجها في التعليم المهني بما أن هذه المرأة ستكون يوما ما ربة منزل وعنصرا فعالا في المجتمع وحسب رأيه فمن لعصرنة القيام بالأعمال المنزلية ورعاية العائلة، وبالتالي يقدم لها تعليما مهنيا خاصا يقوم على تعليمها الأفعال، والنظافة، الخياطة والطرز والنسيج الأهلي، وبالنسبة للتلاميذ الكبار فإنهم يزاولون الدروس التكميلية للتعليم المهني والمسمى بالمدارس اليدوية، حيث يقول : تؤخذ أعمال الفتيات من كل منطقة خاصة ما تعلق بالزرابي والنسيج : زربية قرقور، قسنطينة، سطيف وبجاية، زربية القيروان ،...، لتشارك في معارض بباريس[7] .

3- المدرسة وتكوين المرأة:

يشير صوالح مشيدا بالمدرسة الفرنسية إلى أن تطور وضعية المجتمع الأهلي منوطة بمدى نشر التعليم وهو الذي يؤثر على المطور المرأة لأنها أساس تربية الأولاد وهي المسؤولة عن نوعيتهم الاجتماعية والثقافية وقد قدم صوالح مثالا يقارن فيه بين تونس و الجزائر في مجال تعليم وتحظى المرة معتبرا أن نسبته كانت أكبر في تونس عنها في الجزائر، كما أنه ألح على ضرورة نشر مدارس البنات في كل المناطق بالجزائر توضع على رأس المدارس معلمات لا يختلفن في تفانيهن عن المعلمين الأوربيين ، وقد حدد صوالح النتائج الإيجابية لهذا التعليم قائلا :<< عندما تتخرج البنت من المدرسة تقوم، هي نفسها بممارسة تأثير داخل وسطها العائلي ، ولا يخفى أنه لكي يحدث التطور الحقيقي والنهائي في الظروف المادية والمعنوية للحياة الاجتماعية لابد من قيام المرأة ، مثلها مثل الرجل بدور الريادة ، لأن المرأة في النهاية هي السيدة في المنزل، وطالما لم تقم

المدرسة بتنوير عقل المرأة الأهلية ، ولم تقم بتهذيب سلوكها وعواطفها ، فإن عملنا و اتجاه الحضارة سيبقى في السطح و ليس في الأعماق>>

4- اقتراحاته حول اللغة:

رغم التكوين الثقافي الفرنسي لصوالح وأمثاله ورغم عدم وجود كتابات له باللغة العربية عدى الموجهة للتعليم بالعامية، إلا أنه قدم مواقف مؤيدة لتعلم اللغة العربية حيث طالب بتدريس اللغة العربية بغير المعربين لأن المسلمين ينظرون نظرة تعاطف مع من يحاول الحديث بالعربية وخصوصا من يحاول كتابتها من الأجانب ويرى أنه مادام التعليم الفرنسي لم يصل إلى كل السكان من الجزائريين فإن تعليم العربية يظل ضروريا حتى بالنسبة للأوربيين الذين يحاولون أن يقيموا علاقات الأهالي لأنه كلما كان هناك فهم صار هناك تفاهم[9].

كما أنه عند تناوله للمشكلة اللغوية في الجزائر و بطرح تساؤلا حول أهداف الحكومة الفرنسية من السعي إلى تهميش اللغة العربية و المساهمة في تخلفها ، وقد أرجح ذلك إلى الأطروحات ذات الاستلهام السياسي و الديني و التي جاءت من باريس ووجدت آذانا صاغية بين الأوروبيين في شمال إفريقيا ، حيث أنه يرى بأن هناك محاولة لفصل الجماهير البربرية عن الكتلة الإسلامية من اجل تنصيرهم أو لأجل وضعهم في مواجهة صريحة مع العرب ، وحيث فشلت هذه إلا بمحاولات – حسب صوالح- صاروا يتهمون اللغة العربية لغة القرآن بالعجز ، وبالعائق أمام تطور الأهالي و أمام التقدم الحضاري :<< لقد كان الحقد على هذه اللغة دفينا إلى درجة أن بعضهم استنكر على الحكومة الفرنسية اعتمادها على العربية في التعامل مع الأهالي>>[10] .

خاتمة

يمكن القول أن محمد صوالح يعتبر من رواد النخبة الجزائرية المفرنسة في الفترة الاستعمارية والمعروفة بفئة المطورين الذين كانوا نتاجا للمدرسة الفرنسية (المشتلة الحقيقية)، وهو احد خريجي مدرسة المعلمين ببوزريعة، حاصل على شهادات عليا في تخصصات عديدة، عرف بإنتاجه الكبير خاصة في مجال التعليم إلى جانب مؤلفاته حول المجتمع الأهلي و قد عكست هذه المؤلفات نظرته للمشكل الجزائري خاصة ما تعلق بالمسائل الثقافية، و كانت إسهاماته غزيرة بالعربية و الدارجة و الفرنسية.

والواضح أن محمد صوالح يرى أن المدرسة الفرنسية استطاعت إحداث تغيير جذري في الذهنيات داخل المجتمع الجزائري خاصة في المدن، كما تصور حلولا لمختلف المشاكل الاجتماعية والتي حصرها في التعليم المهني (التشرد مثلا)، كما يرى بأن تطور وضعية المجتمع الأهلي (الجزائري) منوطة بمدى نشر التعليم الذي يؤثر بدوره على مختلف فئات المجتمع.

وقد أولى اهتماما بالمرأة الجزائرية و نادى إلى تعليمها و تحريرها ثقافيا، وألح على ضرورة نشر مدارس البنات في كل المناطق بالجزائر، تضع على رأس المدارس معلمات لا يختلفن في تفانيهن عن المعلمين الأوربيين وفي إطار اهتمامه البالغ بالتعليم فقد أيد تعليم اللغة العربية لغير العرب مشيرا إلى المشكلة اللغوية في الجزائر و مسؤولية الإدارة الاستعمارية في تهميشها وقد أوعز ذلك إلى الطروحات ذات الاستلهام السياسي والديني القادمة من باريس والتي حاولت

فصل الكتلة البربرية عن الكتلة الإسلامية من اجل تنصيرها أو وضعها في مواجهة ضد العرب.

هوامش:

1- حول مؤلفاته بالتفصيل عد إلى تقديمه لمؤلفه حول المجتمع الأهلي.

2- عد إلى خمري : حركة الشبان ،ج2، المرجع السابق ، ص ص 507-508.

3- أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)** ج 6، دار الغرب الإسلامي ، 1998 ، ص 261.

4- Mohammed Soaleh **: la société indigène de l Afrique du nord(،Algérie،Tunisie ،Maroc، Sahara)**،3 eme partie ،Alger la typo-litho et gules carbonel editeurs،1937 ، p 382 et p 484.

5-ibid : p 382.

6-soaleh, op-cit،pp 365-366.

7-soaleh, op-cit، p 383.

8-soaleh op-cit، p 384.

9-soaleh ,op-cit، p 468.

10-ibid، p 472.

علاقات مصر بالجزائر وموقفها من اندلاع الثورة التحريرية عام 1954

أ. د/صالح لميش

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

ارتبطت مصر بالجزائر خلال الفترة المعاصرة بعلاقات وثيقة، وكان للجزائر علاقات سياسية وحضارية ممتدة في الزمن، وخاصة خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي، حيث سعت الحركة الوطنية وبعدها جبهة التحرير الوطنية إلى بناء علاقات وثيقة والاستفادة من مكانة مصر في العالم العربي والإسلامي، وفي هذا البحث نحاول رصد تطور هذه العلاقات وموقف مصر من دعم مشروع الثورة الجزائرية.

أولا: صلات الجزائر بمصر قبل ثورة أول نوفمبر 1954م .

عمدت فرنسا منذ احتلالها للجزائر عام 1830م ، إلى قطع الصلة بين الجزائر والوطن العربي والإسلامي كجزء من سياستها الاستعمارية الهادفة إلى الاحتفاظ بهذا القطر، والقضاء على كل مقومات شعبه الدينية والفكرية والحضارية والتاريخية 1، إلا أن سياستها هذه قد أدت إلى نتائج عكسية ، ذلك أن الشعب الجزائري كان مدركا لحقيقة انتمائه وانتسابه إلى الوطن العربي والإسلامي.

ورغم التباعد والظروف التاريخية التي مر بها العالم العربي والإسلامي إلا أن الروابط الروحية والقومية بين الجزائر وبقية الأقطار العربية والإسلامية لم تنقطع منذ دخول الإسلام إلى الجزائر، ولئن كانت بعض الأحداث وعلى فترات متوالية قد باعدت بين الجانبين، إلا أن ذلك لم يؤثر على جوهر الروابط [2]. حيث

أن الجزائر كانت قبل احتلال الفرنسيين لها عام 1830م خير نصير للعرب، وكان موقفها من شقيقاتها العربيات موقف المساند والمساعد ولم تبق مكتوفة الأيدي إذا ما تعرضت دولة ترتبط معها بروابط الدين واللغة للخطر، فكانت الجزائر هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي أعلنت الحرب على فرنسا عام 1798م، وقامت بقطع العلاقات معها عندما قام(نابليونNAPOLION) بحملته على مصر [3]، كما كانت الدولة الوحيدة التي هب الأسطول العثماني والمصري في معركة " نافرين عام 1827م[4].

وقد تنبهت فرنسا لهذا الترابط بين الجزائر وبقية الأقطار العربية والإسلامية خصوصا مع مصر قبل غزوها الجزائر عام 1830م، حيث لجأت إلى محاولة إقامة تحالف مصري فرنسي وطرحت على " محمد علي" والي مصر آنذاك مشروع احتلال الجزائر نظير مساعدة مالية، وضمان حمايتها لقواته ضد أي تدخل أوربي[5]. وقدمت له أكثر من عشرة ملايين من الفرنكات ترغيبا له في حملته على الجزائر، الا أن هذا التحالف لم ينجح لأن والي مصر في تلك الفترة كان مشغولا عن هذه الإعتب ارات6. وإذا ما حاولنا رصد العلاقات المصرية الجزائرية قبل ثورة أول نوفمبر 1954م فإننا نلاحظ أن الجهد الشعبي قصد سبق الجهد الرسمي بسنين طويلة وبقيت سياسة مصر سياسة تعاطف مع العرب، ذلك أن مشكلات مصر مع بريطانيا جعلتها تركز جل جهدها على استقلال مصر، ولم تتمكن من القيام بجهد فعلي وعملي تجاه الدول العربية[7].

ومن هنا فإننا نجد أن التعبير عن الإتجاه الشعبي قد اتخذ مسارا تصاعديا، حيث كان للمؤشرات المصرية من زيارات وصحف وأفكار وعلاقات شخصية وآثار إيجابية.

وقد لعبت هذه المؤشرات دورا بارزا في بلورة التقارب المصري الجزائري وإزالة الحاجز الذي أقامته فرنسا بغية عزل الجزائر عن محيطها العربي والإسلامي، وفي الوقت نفسه فقد ساعد الرحالة والصحفيون من مصر إلى الجزائر على توضيح الحالة السياسية إلى قرائهم، حيث كان هؤلاء ينتقدون أساليب سلطات فرنسا وما كانت تمارسه من ظلم وتعسف ضد الشعب الجزائري.

وقد كان لزيارات بعض الشخصيات المصرية للجزائر دور مهم في إيقاظ الشعور القومي لدى الجزائريين، خصوصا النخبة المثقفة ثقافة عربية إسلامية، ومن الشخصيات التي زارت الجزائر نذكر منها (محمد عبده) الذي زارها عام 1903م والتفاف النخبة المثقفة ثقافة عربية إسلامية حوله وحضورهم بعض دروسه التي ألقاها بمساجد قسنطينة والجزائر [8].

وعندما نشير إلى هذه الزيارة فإننا نعبر عن رؤية زعماء الإصلاح وأفكار الجامعة الإسلامية كقوة مؤثرة ظهر أثرها فيما بعد ظهور "جمعية العلماء المسلمين" التي قدمت للحركة الوطنية الجزائرية أفكار جديدة تعبر عن أصالة المجتمع الجزائري وانتمائه العربي الإسلامي[9]، وقد كانت هذه الزيارة في حد ذاتها تعبيرا عن استمرار الصلات بين الجزائر ومصر ودعم الأفكار التي سادت في تلك الفترة والهادفة إلى عزل الجزائر عن محيطها العربي والإسلامي، ولقد تركت هذه الزيارة في الجزائر أثار ايجابية حيث انتشرت أفكار (محمد عبده) عن الإصلاح الديني والجامعة الإسلامية في المجتمع الجزائري وتناقلتها الجرائد مثل (المغرب عام 1903م) و(ذو الفقار بالجزائر العاصمة 1913-1914م)[10]

وإلى جانب زيارة (محمد عبده) زار (أحمد شوقي) الجزائر للإستفادة، وكتب عنها فيما يقول :"... ولا عيب فيما سوى أنها مسخت مسخا ، فقد عهدت ما سح الأحذية فيما يستنكف النطق بالعربية ، وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنسية[11].

وعلى الرغم من أن زيارته كانت مبكرة إذا قام بها في أوائل هذا القرن ، إلا أن مقامه بالجزائر لم يسمح له بالتعرف عن كثب بمفكريها وعلمائها ، وقد تكون ظروفه الصحية هي التي حالت بينه وبين هذا الإتصال فظل فيما يبدو معزولا ، لذلك اتهمه الأدباء الجزائريون فيما بعد بأنه تسرع في حكمه إذا استدل على الشعب الجزائري بماسحي الأحذية [12].

ولم تتوقف الزيارات على الشخصيات الأدبية والفكرية، بل تواصلت واستمرت على مستوى الفرق الموسيقية والتمثيلية والوفود الصحفية ، لذلك لابد من الوقوف عند بعض هذه الرحلات والزيارات لكي ندرك بعض صور التلاحم بين الشعبين المصري والجزائري ، وأثرت ذلك على إيقاظ الشعور القومي لدى الشعب الجزائري ونذكر من هذه الزيارات الزيارة الفنية التي قامت بها (فاطمة رشدي) وفرقتها التمثيلية عام 1932م، حيث احتفل بها الأدباء الجزائريون وأقاموا لها استقبالا بنادي (الترقي)، وقد مثلت هذه الفرقة ثلاثة روايات بالعربية هي " كليوباترا"و"مجنون ليلى" و" العباسة أخت الرشيد [13]". وهناك نقطتان لابد من الوقوف عندهما:

الأولى: وهي أن الفرقة قد وجدت احتفاء كبيرا من الجزائريين لا من الناحية الفنية فقط ولكن من الناحية القومية أيضا، وفي طليعة الذين احتفوا بها النخبة الجزائرية من المتخرجين من المدارس الفرنسية بالإضافة إلى المثقفين بالعربية، وكان مكان الاحتفال بها هو (النادي الترقي) بالعاصمة، الذي تأسس عام 1926م ولعب دورا بارزا في استقطابه للتيار العربي الإسلامي الحديث [14].

الثانية: هي أن المتكلمين في الحفل قد خاطبوا بعضهم البعض على أنهم قائمون بنهضة عربية إسلامية، فالجزائريون طلبوا من الضيوف أن ينقلوا إلى مصر وإلى دول المشرق العربي مظاهر هذه النهضة ، أما المصريون فقد خاطبوا الجزائريين

على أنهم حملة شموع عربية إلى الجزائر، بل أن السيدة فاطمة رشدي [15] التي كانت سافرة الوجه قد طرحت موضوع دور المرأة في المجتمع الجزائري، عندما ردت على الذين اعترضوا على سفورها بوجوب تعليم العلم والفضيلة، وقالت أنها محجبة القلب وإن بدت سافرة الوجه.[16] تبعت زيارة فاطمة رشدي وفرقتها التمثيلية عدة زيارات لفرقة موسيقية وشخصيات فنية، نذكر منها زيارة عازف الكمان ورئيس الفرقة الموسيقية (سامي شوا) عام 1930م [17] والفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى بقيادة (يوسف وهبي) وعدد ضخم من الممثلين بلغ أربعين شخصا وذلك في عام 1950م، ويبدو أنه لأول مرة تزور الجزائر فرقة مسرحية موفدة من الحكومة المصرية [18] ابتغاء وصل العلاقات الثقافية والأدبية بين مصر والجزائر.

ولعل أهم الوفود التي زارت الجزائر في تلك الفترة، الوفد الصحفي المصري عام 1950 م والذي تكون من أحد عشر صحفيا، ومن أهم الشخصيات التي رافقت الوفد (عزيز ميرزا) رئيس تحرير صحيفة الأهرام، و(حبيب جاماتي) ممثلا لدار الهلال، والدكتور(عبد الحميد يونس) من كلية الآداب بجامعة القاهرة، و(أنطوان نجيب) رئيس تحرير جريدة المقطم[19].

ولقد لقي هذا الوفد ترحيبا من قبل بعض الزعماء الجزائريين، حيث كرمت (جمعية العلماء الجزائريين) ومعها (حزب انتصار الحريات الديمقراطية) و(حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) الوفد المصري في حفل استقبال [20]، القي فيه الشيخ(البشير الإبراهيمي) أحد أعضاء جمعية العلماء البارزين كلمة جاء فيها :"إننا مازلنا نحفظ شيئا كثيرا عن تاريخ مصر وأدبها وحوادثها، وفيمن ترون من هؤلاء من يلوكون ألسنتهم بالعربية ويتبدخون بالتحدث بها عن مصر وأحوال نهضتها، ولا أكون مغاليا إذا قلت: إن كل هؤلاء يحفظون قصائد لشعراء مصر

والشرق كشوقي وحافظ وغيرهما ويعرفون ما وقع بين طه حسين والرافعي والعقاد نوفيهم من ينظم الشعر على طريقة البارودي"21، ثم أضاف مخاطبا الوفد الصحفي المصري" إن الإستعمار أراد ان يجوع عقولنا بنزع العلم من صدورنا فلم يفلح، سلوه فهو أخبث وأخبر بكل هذا...فمهما جاعت البطون وحفيت الأرجل ... فإننا مازلنا نحتفظ بعربيتنا" [22]. ثم قال: "إن كل هؤلاء يمثلون الشعب الجزائري بجميع طبقاته فيهم المعلم المجاهد ، والسياسي المحنك، والتاجر المقتصد، وفيهم...وفيهم... واكتبوا عنا، وأصغوا إلينا."[23]

وكان لهذه الزيارة دون شك آثار سياسية، ذلك أن هؤلاء الصحفيين قد وعدوا الجزائريين بأنهم سيكتبون عن الجزائر بمجرد عودتهم إلى مصر، وأنهم ما جاءوا إلا ليروا ويسمعوا ويفهموا، وأن القيود التي كانت تحدق برحلتهم إلى الجزائر ما زاد تهم إلا شوقا لما كانوا يريدون أن يعرفوه [24]. لذلك ماكاد هؤلاء الصحفيون يعودون إلى مصر حتى شرعوا يكتبون المقالات التي تصور ما يعانيه الشعب الجزائري من ظلم واضطهاد في ظل الإدارة الفرنسية[25]، وقد نشأت هذه الرحلات الثقافية المختلفة ردود فعل من بعض الشخصيات الجزائرية التي بدأت تتوافد إلى مصر، فمنهم من زار مصر أثناء طريقة إلى الحج، ومنهم من جاء إليها لطلب العلم والاستفادة، والحقيقة أن هذه الرحلات المتعددة كان لها دور ايجابي في التعريف بالقضية الجزائرية وما يعانيه الشعب الجزائري، ومن أشهر الشخصيات الجزائرية التي وفدت على مصر الشيخ (عبد الحميد بن باديس) مؤسس(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) والذي زار مصر وهو في طريقه إلى الحج، حيث التقى ببعض علمائها ومفكريها، ونذكر منهم الشيخ (بخيت) الذي رحب به وتبادل معه الرأي، ثم أجازه في القاهرة لما عرف من عمله واجتهاده بخط يديه ، كما اعتاد العلماء تقدير بعضهم في ذلك الوقت[26].

وإلى جانب زيارة (ابن باديس) نجد أن الشيخ (البشير الإبراهيمي) هو الآخر قد تردد على مصر عدة مرات، ومكث بها مدة طويلة، وكتب عنها عدة مقالات في الجرائد الجزائرية ،نذكر منها مقالين ،احدهما بعنوان " يا مصر " [27]، والثاني " أثر الأزهر في النهضة المصرية "[28]وقد لعب الإبراهيمي دورا بارزا في التعريف بالقضية الجزائرية في دول المشرق عامة ومصر بصورة خاصة[29] .

وبإضافة إلى الرحلتين السابقتين هناك رحلة (الفضيل الورتلاتي) الذي يعتبر أحد الشخصيات الجزائرية المثقفة ثقافة عربية إسلامية، وقد حل بالقاهرة عام 1937م وامتازت رحلته عن الرحلات السابقة بأنه مكث بمصر مدة طويلة وساهم بنشاط سياسي بارز، حيث انظم إلى الأخوان المسلمين عام 1943م[30]، ولعب دورا بارزا في تأسيس (جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا)[31]، وقد نشرت له جريدة "مصر الفتاة" ثماني عشرة رسالة وجهها في صورة خطابات مفتوحة إلى سفير فرنسا في القاهرة إثر حوادث 8ماي 1945م في الجزائر [32]. والحقيقة أن الاتصالات بين مصر والجزائر لم تنقطع، وقد اتخذت أساليب وطرقا مختلفة ومتعددة، وإن كان يغلب عليها الطابع الثقافي إلا أنها بدون شك قد تركت صدى عميقا لدى الدوائر العربية والإسلامية، بالإضافة إلى الرأي العام المصري.

وإن كانت هذه الاتصالات محدودة وغلب عليها الطابع الفكري والأدبي فقد اتخذت أشكال أخرى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وذلك اثر تأسيس جامعة الدول العربية في 22 مارس عام 1945م[33]. والتي استقطبت اهتمام قادة الأحزاب السياسية الجزائرية، فقد هاجرت بعض الشخصيات الجزائرية إلى مصر مثل (الشاذلي المكي) عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية (حزب الشعب سابقا)، (وأحمد بيوض) ممثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعض الشخصيات

الأخرى التي استقرت بالقاهرة وبدأت التنسيق والإتصال بقادة الأحزاب المغربية (تونس) و (مراكش) لشرح القضية الجزائرية والإتجاه نحو العمل الجاد والمنظم [34]

وقد أدرك قادة الأحزاب السياسية المغربية في القاهرة (تونس والجزائر ومراكش) أنهم لا يمكن أن يكونوا بعيدين عما يحدث في دول المشرق عامة ومصر على الخصوص، وأن عليهم أن يوحدوا وينسقوا عملهم في إطار منظم[35]، والوصول إلى صيغة عمل موحدة فيما بينهم تمكنهم من نيل استقلالهم وتوحيد أقطارهم، لذلك نجد أن قادة هذه الأقطار يعقدون مؤتمرا بالقاهرة استمرت أعماله من يوم 15 فيفري 1947 مالى يوم 22 من الشهر نفسه ، وقد روعي أن يكون المؤتمرون ممثلين عن الحركات السياسية القائمة في شمال افريقيا، حيث مثل في هذا المؤتمر على الجانب الجزائري(الشاذلي المكي) ممثل حزب الشعب الجزائري، ومثلت مراكش بواسطة (رابطة الدفاع عن مراكش)، ومثلت تونس بواسطة (مكتب الحزب الحر الدستوري)، وانبثق عن هذا المؤتمر لجنة سميت(لجنة تحرير المغرب العربي) [36] ، وقد اتخذ المؤتمر قرارات منها:

1- أحكام الروابط بين الحركات الوطنية في أقطار المغرب العربي.
2- الاتفاق على غاية الاستقلال التام.
3- تكوين لجنة من قادة الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل والكفاح المشترك.
4- العمل على توحيد المنظمات العمالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في إطار المغرب العربي وتوجيهها توجيها قوميا.
5- ضرورة وقوف أقطار المغرب العربي جبهة واحدة عند حدوث الأزمات في أي قطر منها.
6- تأييد فلسطين العربية والمطالبة بدعمها وتحريرها.

7- تأييد وحدة مصر والسودان.

8- عرض الحالة الثقافية في المغرب العربي على الجامعة العربية ومطالبتها بنشر الثقافة العربية في كل بلاد المغرب العربي، وحل مشاكل الطلاب الذين يلجأون إلى المشرق العربي.

9- تنسيق الأعمال السياسية بين أحزاب المغرب العرب ي37. ولتنسيق النشاط السياسي وتوحيده، تم إنشاء مكتب موحد سمي " مكتب المغرب العربي" وكان من نشاط هذا المكتب إنشاء مكتب صحفي مهمته توحيد النشرات الإخبارية، واستقصاء الأنباء الصحفية عن أقطار المغرب العربي، وإمداد الصحافة العربية في المشرق العربي بأهم الأنباء والحوادث السياسية والاقتصادية والثقافية في المغرب العربي، وعن طريق هذا المكتب أعلنت أسرار تزوير الانتخابات الجزائرية والاضطرابات التي أعقبتها، كما أقام المكتب عدة احتفالات وندوات ومؤتمرات صحفية كانت ميدانا للتعارف بين رجال السياسة والفكر في الوطن العربي [38].

وقد أجرى المكتب عدة اتصالات مع مختلف الهيئات والمنظمات السياسية والثقافية، وذلك لإبراز ما كان يعانيه شعب المغرب العربي من ويلات الاستعمار، وكانت قرارات لجنة تحرير المغرب العربي تعبيرا صادقا عن عزيمة قادة الأحزاب السياسية في المغرب العربي على العمل الموحد فيما بينهم من أجل الاستقلال.

وواصل مكتب المغرب العربي نشاطه بالقاهرة، إلا انه لم يحقق الأهداف والنتائج التي انعقدت من أجلها، ذلك أن بعض قادة الأحزاب المغربية خرجوا عن هذه المقررات وعملوا بصورة منفردة، ومع ذلك فقد واصل أعضاء المكتب

نشاطهم الذي اتفقوا عليه، حيث توج عملهم بتشكيل "جيش تحرير المغرب العربي" عام 1952 [39].

واستمر المكتب في نشاطه على الساحة السياسية حتى استقلال كل من تونس والمغرب عام 1956م عندها تصدع المكتب وقل تأثيره [40]، وأصبحت الجزائر أخيرا الوحيدة في ساحة المعركة، ولقد كان للاستعمار دورا بارزا في فشل وحدة المغرب العربي، حيث أنه كان يخشى مجابهة قوة موزعة على ثلاثة جبهات تقف أمام تحقيق مطامعه وأهدافه.

وإذا كان مكتب المغرب العربي قد ساهم في إبراز قضايا المغرب العربي وإخراجها من محيطها الضيق إلى المحيط العربي والدولي، فإنه كذلك قد ساهم فغي تشجيع هجرة بعض رجال السياسة في المغرب العربي إلى مصر ، وارتباطها بالقادة فيها، ذلك أن مصر كانت أسبق الدول العربية تحررا من الناحية السياسية، وكانت بحكم موقعها ووزنها قاعدة الإنطلاق السياسي لمختلف حركات التحرر في المغرب العربي التي تكافح من أجل حريتها واستقلالها.

ثانيا: موقف ثورة 23 جويلية 1952 من الثورة الجزائرية:

إذا كانت مصر قدمت الكثير إلى الحركات السياسية في المغرب العربي فإن دورها لم يبرز بوضوح إلا بعد قيام ثورة 23 فيفري عام 1952م، والتي أخذت على عاتقها مسؤولية مساعدة حركات التحرر منذ البداية، لذلك لم تبخل بتقديم المساندة والتأييد لكافة حركات التحرر في المغرب العربي وإفريقيا.[41] وإذا ما حولنا معرفة البدايات الأولى للاتصالات الرسمية بالحكومة المصرية وقادة الحركة الوطنية، فلا بد من استعراض عدة أقوال عن هذه الاتصالات حيث يذكر (أحمد توفيق المدني) في مذكراته (حياة فلاح) أن جماعة (المنظمة الخاصة) قد أرسلت وفدا يتكون من "أحمد بن بلا" و(محمد خيضر). و(محمد

يزيد)[42] و(حسين الأحول)[43]، وقابلت بواسطة فتحى الديب من إدارة المخابرات المصرية الرئيس جمال عبد الناصر، فأطلعته على مناهجها الثوري، وعزمها على القيام بالثورة في أقرب وقت ممكن [44].

وقد صرح جمال عبد الناصر بذلك لأحمد توفيق المدني خلال شهر أكتوبر عام 1956م أثناء لقاء شخصي معه، حينما قال له:"إنه درس بعناية واهتمام ما عرضه عليه الوفد الجزائري، وإنه طلب منه مهلة تفكير ثلاثة أيام، ثم قال: "وبعد اطلاعي على منهاج الوفد، وتأملي العميق في طريقة عمله، وتهيئة مراحله، ارتحت له وطمأنت نفس لنتائجه، وعملت أنها عملية ناجحة لا محالة وعند إمكانيات ، ووعدتهم أنني أكون معهم إلى الناهية وأمدهم حالا بما يمكن من سلاح خفيف، وأنني أسعى شخصيا إلى الدول العربية وخاصة السعودية لكي تمد الحركة بالمال، وهكذا أمرت (فتحى الديب) و(عزت سليمان) بأن يكونا مع الوفد دوما ممثلين لي شخصيا، وكنت أكتم السر على عدد من الوزراء الذين حولي خوفا من تسرب السر وإسراع فرنسا لضري الحركة قبل بروزها، ثم أن السعودية لبت الاستجابة بدفع مئة ألف جنيه (100 مليون فرنك) فأمرنا أن نرسلها إلى اسبانيا حيث (محمد بوضياف)[45] ، أحد أعضاء ممثلي الثورة الجزائرية، وأعطيت الأمر للمحلقين العسكريين المصريين يكونوا في خدمة الحركة الجزائرية"[46].

وحول نفس الموضوع يشير أحمد بن بلا بأنه وصل إلى القاهرة بعد هروبه من السجن في الجزائر عام 1953م، وهو لا يعرف كيف جاءته فكرة الذهاب إلى القاهرة، غير أنه كان يرى ضرورة الذهاب إليها والاتصال بمناضلي شمال إفريقيا في (مكتب المغرب العربي)، وأنه عند وصوله على القاهرة ومن

معه من الشباب وجدانهم كانوا مجهولين لدى الأوساط المصرية، وكان متحمسا لاتجاه الضباط الأحرار[47] .

ويضيف ابن بلا قائلا: "أما قادة الأحزاب السياسة في مكتب (مكتب المغرب العربي) فكانت أفاقهم لا تتعدى التعامل مع بعض التنظيمات"[48]

وجذب انتباه بن بلة وأصحابه الاتجاه الجديد الذي وجدوه في مصر وعبر عنه الضباط الأحرار، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا على حد قوله، لأن ذلك سيدخلهم في صراع مع ممثلي أحزاب المغرب العربي السياسية وهم الأقدم في القاهرة، ومن السهل عليهم مضايقة هؤلاء الشباب بل حتى إبعادهم، لأن قادة الأحزاب التقليدية كانوا يرون أن هؤلاء شبان متحمسون وذوو نية حسنة ولكن ليس في مقدورهم القيام بالأعمال الكبرى[49]

ويشير ابن بلا إلى حدوث اختلافات في وجهات النظر بين رفاقه والمسئولين المصريين حول بعض القضايا وكيفية معالجتها، ذلك أن المسئولين المصريين كانوا يعتبرون ابن بلا ورفاقه جزءا من الحركة الوطنية يفي المغرب العربي، ومن هذا المنطلق حاولوا إقناع بن بلال ورفاقه بالاندماج مع السياسيين المغاربة من أجل تنسيق العمل على مستوى الحركات السياسية في المغرب العربية، وخلق حركة ثورية موحدة [50]. أما بن بلال ورفاقه فكانوا ينظرون إلى الأمور من زاوية أخرى انطلاقا من كونهم شبابا يمثلون اتجاها جديدا يتجاوز اللغة البرلمانية التي كانت تتوخاها الأحزاب السياسية في المغرب العربي في ذلك الوقت، وهذا ما حالوا أن ينقلوه إلى المسئولين المصريين[51] .

وفي هذا الصدد يذكر بن بلا أن النضال في سبيل البلاد هو نضال وطني بلا جدال، ولا أحد منا يرفض وحدة المغرب العربي بأقطاره الثلاثة المستعمرة، فالوحدة ستكون وحدة قيادية غير أنه إذا ما حاولنا التفاوض في شأن توحيد القيادة، فإن الأمر سيصبح معك آمال وأهداف البعض ولا يصنع أي شيء من هذا الاستقلال، إن خليطا من رجال السياسية والأفكار والمبادئ والأعمار لا يصنع سوى خليطا من المصاعب والاختلافات[52] .

أما (فتحي الديب) المسئول عن الشؤون العربية بالمخابرات المصرية منذ عام 1953م، والمكلف من قبل (جمال عبد الناصر) بمتابعة تطورات الثورة الجزائرية والعمل على تلبية احتياجاتها فيشير إلى بدايات اتصال الجزائريين بالحكومة المصرية، ويذكر :"أن تطور الأحداق بالمغرب العربي دفع المسؤولين في مصر بعد ثورة 23 فيفري، إلى إعطاء أولوية لهذه المنطقة لما تتطلبه أمور الكفاح بها ، وتنظيم وتوحيد الجهود بقصد تحقيق الأهداف ، وتجاوز الاصطدام بين القوى الوطنية"[53]، ويضيف أنه نظرا لتعذر القيام بأي استطلاع ميداني بسبب سيطرة الاستعمار الفرنسي على المواقف بدول المغرب العربي ثلاثة، فإنه ومن هذا المنطلق توجب القيام بعملية التقييم في القاهرة، وذلك بالاتصال برؤساء الأحزاب والتنظيمات السياسية المغربية الموجودة فيها"[54]. وهذا ما دعا إلى عقد مؤتمر بالتنسيق مع الجامعة العربية، ضم كافة أحزاب المغرب العربي بتاريخ 3 أبريل 1954 م حضره قادة الأحزاب وممثليها عن المغرب والجزائر وتونس، وترأس هذا الاجتماع بمقر الجامعة العربية (عبد المنعم مصطفى) الأمين العام المساعد للشؤون السياسية[55] .

وقد تبلورت في هذا الاجتماع الأفكار الجزائرية الثورية[56] التي كانت تدعوا إلى الابتعاد عن (التقليدية) في الكفاح والإصرار على الكفاح المسلح كطريق

ايجابي لتحرير الوطن، وكان المطلب الأساسي للوفد الجزائري هو الحصول على السلاح فقط[57] .

وبعد انتهاء هذا الاجتماع قدم (فتحي الديب) تقريرا مفصلا إلى الرئيس (جمال عبد الناصر) الذي وافق على مبدأ دعم حركة النضال المسلحة في الجزائر، وطلب من فتحي الديب متابعة تطوراتها بدقة[58] .

وقد أبلغ بن بلا المناضلين الذين يعدون للثورة بموافقة الرئيس (جمال عبد الناصر) المبدئية على دعم كفاح الجزائر، وذلك في الاجتماع الذي عقده في مدينة (برن) السويسرية في أوائل أكتوبر عام 1954م، وناقش فيه الحاضرون أسس بدء الكفاح المسلح على ضوء دراستهم للوضع في الجزائر[59].

ومع بداية نوفمبر عام 1954م كان العالم على موعد مع قيام الثورة الجزائرية. وقد كان قيام ثورة 23 يوليو محور التحول الرئيسي لسياسية مصر العربية، حيث أظهرت هذه الثورة كل الإخلاص والعطاء الجزائرية بعد ثورة 23 يوليو 1954م طابعا متميزا تماشى مع طموحات المناضلين الجزائريين الذين قاموا بإجراء اتصالات مع قادة الثورة المصرية لكسب التأييد والمساندة لدعم نضالهم.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الجزائر ارتبطت بمصر بعلاقات وثيقة أكدت تلاحم الشعبين في المحن، وخاصة مرحلة الاحتلال الفرنسي وويلاتها السياسية والثقافية، حيث وقف المصريون الى جانب الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، وإذا ما حاولنا تقويم موقف مصر من بدايات التحضير الأول للثورة الجزائرية حتى اندلاعها فإننا نقول أنه كان موقفا مشجعا وداعما للقيام بهذه الثورة عام 1954م.

هوامش الفصل الأول :

1- فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها ، ليل الإستعمار، ترجمة أبي بكر رحال ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب، ص24،25.

2- حسين مؤنس، مصر ورسالتها، ط5، دار الشعب، القاهرة 1976.

3- أرجمند كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر،(1827-1848)،ترجمة:عبد الجليب التميمي، منشورات الجامعة التونسية ، تونس 1970، ص70.

4- علي ابراهيم عبده، مصر وافريقيا في العصر الحديث، ط1، دار القلم، القاهرة ،1962، ص177.

5- أبو القاسم سعد الله،محاضرات في تاريخ الجزائر ، بداية الإحتلال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1982، ص30، انظر كذلك: JULIEN CHERLES ANDRE :HISTOIRE D'ALGERIE CONTEMPORAINE P.35.

6- LE MARCHAND .E :L'EUROPE ET LA CONQUETE D'ALGER LIB.ACAD.PERIN ET CIE.PARIS 1913.P.160.

7- محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية(1937-1921)،ج2 القاهرة، 1951،ص431-433.

8- عبد الرحمان الجيلالي،مجلة الأصالة،العدد 13،عام 1973.

9- MERAD.ALI : LE REFORMISME MUSULMAN EN ALGERIE DE 1925 A MARTON.PARIS 1967.P.32

10- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1930-1900) ج1-ط1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، 1977م، ص126-127.

11- عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر ، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق1981،ص17.

12- نفس المرجع، ص131.

13- ابو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية ،ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982،ص131.

14- نفس المرجع، ص131.

15- يذكر ابو القاسم سعد الله في كتابه منطلقات فكرية،ص131 أنه يوجد محضر هذه الحفلة في مجلة التلميذ الجزائرية في عدد جويلية 1932 وفيه صولرة لفاطمة رشدي وهي تتوسط المحتفين بها في نادي الترقي وعلى غلاف المجلة علم بهلال وثلاث نجوم، ويرجع ابو القاسم انه ربما مستوحي من العلم المصري في تلك الفترة ، والواقع انه كان هو العلم المصري بعينه.

16- ابو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص131.

17- عبد المالك مرتاض، المرجع السابق،ص104.

18- نفس المرجع، ص127.

19- نفس المرجع، ص134.

20- نفس المرجع، ص135.

21- جريدة البصائر ، السلسلة الثانية، الجزائر ،11 ديسمبر 1950.عدد 134،ص2.

22- جريدة البصائر الثانية، الجزائر ،المصدر السابق، ص2.

23- نفس المصدر، ص2

24- نفس المصدر، ص2.

25- عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص138.

26- نفس المرجع، ص108.

27- عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص140.

28- نفس المرجع، ص140.

29- نفس المرجع، ص110.

30- نفس المرجع، ص113.

31- جبهة الدفاع عن شمال افريقيا:تأسست في 18 فيفري 1944 في القاهرة تحت رئاسة الشيخ(محمد الأخضر حسين) شيخ الأزهر سابقا، وسكرتارية الفضيل الورتلاتي،وضمت أعضاء من جميع أقطار المغرب العربي ومن جميع الهيئات والأحزاب ،ووضعت لها قانون تضمن:
-السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية واستقلال شعوب افريقيا (تونس-الجزائر-مراكش)، وتسعى الجبهة لتحقيق أغراضها بجميع الوسائل المشروعة كإنشاء صحف وفتح اندية ورفع المذكرات الى الهيئات الدولية والإقليمية المدافعة عن شمال افريقيا أنظر:الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، بيروت، 1963، ص175.

32- الفضيل الورتلاتي، نفس المصدر، ص248-261.

33- خيرية عبد الصاحب وادي: الفكر القومي العربي في المغرب العربي، منشورات وزارة الثقافة ووالإعلام العراقية ،دار الرشيد للنشر، 1982، ص175.

34- مقابلة شخصية مع أحمد بيوض ممثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة،اثناء ثورة التحرير ،تمت المقابلة بتاريخ 16 نوفمبر 1986 في القاهرة.

35- خيرية عبد الصاحب وادي، المرجع السابق، ص177.

36- مكتب المغرب العربي في ثلاث سنوات، ط1، مطبعة الرسالة القاهرة، 1950، ص . ص4-10.

37- علال الفارسي،المصدر السابق، ص . ص378-379. أنظر كذلك ،المجلة التاريخية المغربية ،العدد 15-16، السنة6، جويلية 1979، ص106-111.

38- مكتب المغرب العربي، المصدر السابق، ص7.

39- علال الفاسي،المصدر السابق، ص387.

40- خيرية عبد الصاحب وادي، المرجع السابق، ص189.

41- عبد الله عبد الرزاق، مصر والثورة الجزائرية، بحث مقدم لندوة مصر وعالم البحر الأبيض المتوسط، القاهرة، 1988 ، ص 5.

42- أحمد بن بلا يعتبر من ضمن قواد جبهة التحرير الوطني تعرض لمحاولات اغتيال عديدة، ألقي القبض عليه عام 1956م ضمن الزعماء الخمسة وأودع السجن، عين نائب الرئيس في الحكومة المؤقتة الأولى، أصبح أول رئيس للجمهورية الجزائرية المستقلة عام 1962، أطاح به هواري بومدين في 19 يونيو 1965 .

-43HARBI,MOUHAMED,LA GUERRE COMNCE EN ALGERIE P . 191.

أنظر : جريدة المجاهد، عدد 19 سبتمبر 1958 م ، ص 3 .

44- محمد يزيد : عضو في اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية ، مثل الثورة في الخارج، ثم مثل الجبهة في هيئة الأمم المتحدة، وزير الأخبار في الحكومة المؤقتة، تقلد عدة مناصب بعد الاستقلال ، يشغل حاليا منصب رئيس مجلس الصداقة والتضامن مع الشعوب.

أنظر : جريدة المجاهد، المصدر السابق

45- حسين الأحول : من مواليد سكيكدة بالشرق الجزائري، من رواد حزب الشعب وسكرتير عام له حتى عام 1951م ، التحق بالقاهرة قبل اندلاع الثورة عام 1954 وبقي عضوا بالوفد الخارجي الجزائري بالقهرة حتى عام 1956 .

انظرHARBI MOHAMED, op cit , p 187

46- أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، مع ركب الثورة التحررية ، ج 3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982 ، ص 18.

47 – محمد بوضياف : من اوائل مؤسسي "جبهة التحرير الوطني" إنظم إلى الثورة منذ اندلاعها ، اختطف ضمن الزعماء الخمسة عام 1956م، عضو في المجلس الوطني للثورة من 1956 حتى 1962 ، وزير دولة في الحكومة المؤقتة الأولى، نائب للرئيس في الحكومة المؤقتة الثانية ، اعزل السياسة بعد الاستقلال.

انظر HARBI MOHAMED , op cit ; p 189

48- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق ، ص 19.

49- روبير ميرل ، مذكرات احمد بن بلا، دار الاداب، بيروت، 1970، ص 94.

50 - نفس المصدر ، ص 94.

51– روبير ميرل: مذكرات أحمد بن بلا، المصر السابق ،ص 94.

52 – نفس المصدر، ص 94

53 - نفس المصدر،ص 95

54 - نفس المصدر، ص 95.

55 - فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر ، ط1 ، دار المستقبل العربي ، القاهرة 1984 ، ص 21.

56 - نفس المصدر، ص 21 .

57- نفس المصدر، ص 25

58 - نفس المصدر، ص 26

59 - نفس المصدر، ص41.

خلية معهد ابن باديس بقسنطينة الثورية ودورها في دعم الثورة التحريرية

أ. د/عبد الله مقلاتي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

لقد أولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التعليم أهمية قصوى في مشروعها الإصلاحي، فأنشأت مدارسا حرة عبر كافة أنحاء القطر تقريبا، كانت تتكفل بالتعليم الابتدائي، وأتبعت هذه الخطوة بإنشاء معهد ابن باديس، الذي كان انجازا علميا ووطنيا هاما، والمعهد الذي عمر لعشر سنوات (1947-1957) ما زال الى اليوم لم يكشف عن أهميته ودوره، وتعد مدارس الجمعية ومعهدها بقسنطينة نموذجا صادقا في التأكيد على انخراط الجمعية في دعم الثورة منذ اندلاعها، حيث تجند معلموها وشيوخها وطلابها في إسناد ودعم الثورة، وهو ما نستشفه من خلال استعراضنا لمساهمة خلية معهد ابن باديس الثورية ودور أساتذته في دعم الثورة التحريرية.

أولا - مدير المعهد يربط الاتصال بالثورة وينشأ خلية لدعمها:

كان الشيخ العربي التبسي يدير المعهد عندما اندلعت شرارة ثورة الفاتح نوفمبر 1954، وقد عرف عن الشيخ وطنيته الصادقة وأفكاره الثورية، تلك الأفكار التي نشرها على نطاق واسع في بلدته تبسة وعبر الوطن، ومما يؤثر عنه أنه عندما كان يلقي دروسه الوعضية اليومية في تبسة سأله أحد المستمعين عن قصة أهل الكهف السبعة الواردة في القرآن الكريم هل هي حقيقة؟، فما كان من الشيخ سوى أن أجابه جوابا سياسيا رمزيا بالقول، " ما نعرف غير سبع ملايين رقود في الجزائر أنت واحد منهم، ورسالة التبسي المشفرة واضحة، وهي إشعار

الجزائريين بواقعهم الاستعماري المرير وبضرورة تفطنهم لتغييره أكثر من اهتمامهم بالقصص التي تتحول في مخيلتهم إلى أساطير[1]، كما تدل وقائع أخرى كثيرة أوردها مقربون منه عن ثورية التبسي الجامحة، ومنها أنه وخلال الحرب العالمية الثانية ألقى الألمان بالمضلات أسلحة في جبال النمامشة بقصد استعمالها ضد فرنسا، لكن الإدارة الفرنسية طالبت السكان بتسليمها لها، فتوجه السكان لسؤال التبسي في الأمر، فقال لهم: أرجعوا قليلا منها واحتفظوا بأكثرها، سوف يأتي يوم استعمالها، ولما بلغ ما قاله الشيخ للإدارة الفرنسية لفقت له تهمة التعاون مع الألمان وسجنته بسجن "لامبيز" ثم أطلقت سراحه لعدم ثبوت التهمة، وقد نقل عنه المقربون منه أنه عندما زار مصر في جولته المشرقية والتقى عبدالناصر في سبتمبر 1954 طالب منه صراحة أن يساعد الجزائريين بالسلاح، وهو ما ترك انطباعا جيدا لدى عبدالناصر الذي كان الداعم الأساسي للثورة وهي في مهدها[2].

وفي اليوم الثاني لاندلاع ثورة 1954 خرج التبسي من منزله بتبسة فلقي شخصين مناضلين يعرفهما، فدعا أحدهما وسلمه مبلغ خمسمائة ألف فرنك طالبا منه إيصالها للجماعة بعد أن أبلغه أنها من حر ماله وليست من مال الجمعية[3].

وقد كشفت شهادة مساعده ابراهيم مزهودي اليتيمة حقائق أخرى عن مساهمة التبسي وجمعية العلماء في الثورة، حيث يذكر مزهودي أن تشجيع الشيخ التبسي كان يقف وراء التحاقه بصفوف الثورة، ويورد حادثة وقعت في بداية الثورة، إذ اتصل بعض قادة الثورة ومنهم شيحاني بشير بالشيخ العربي في تبسة، وطلبوا

---

1 محمد الميلي: ذكريات زمن البراءة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص ص 267. 268

2 المصدر نفسه، ص ص 268. 271.

3 المصدر نفسه، ص 269.

منه مساعدة الجمعية في توفير الألبسة والأغطية لمواجهة برد الشتاء القارس، وأعربوا عن رغبتهم في لقاء الشيخ العربي خارج المدينة وفي مكان قريب من الجبل الأبيض، فاتصل الشيخ العربي بمزهودي وأعلمه باتصال الجماعة، وبعد التشاور تبين أن خروج الشيخ يثير الشبهات ويمكن اكتشافه من قبل الإدارة الفرنسية وعيونها، وتقرر أن يقوم بالمهمة مساعده مزهودي، وتم إرساء اتصال وثيق بين الجمعية وقيادة الأوراس النمامشة انطلاقا من جبل تازينت[1]، وامتد الاتصال بعدها الى قيادة الشمال القسنطيني وعبان بالعاصمة، حيث طلب عبان من الشيخ التبسي تجند الجمعية لربط الاتصال بين قيادات الثورة وتقديم الدعم للثورة، وهي مهمة كلف بها التبسي مساعده مزهودي، وذلك بحكم وظيفة هذا الأخير مفتشا للتعليم وعلاقاته بمعلمي المدارس الحرة في كامل الشرق الجزائري، وهكذا نهض التبسي ومزهودي بمهام جسورة في بداية الثورة، وجعلا من خلية الدعم الأساسية تتخذ من معهد ابن باديس مقرا[2].

وقد كان التبسي يتعهد نشاط هذه الخلية ويؤدي بعض المهمات والرسائل التي يكلفه بها عبان، وقد بدأ يظهر للعيان حماس التبسي في دعم الثورة، وعندما نفذت خلايا الثورة حكم الإعدام على محافظ الشرطة المركزية بالمدينة المسمى "سان مارسيلي" في مارس 1956 فقد اتجهت الأنظار أولا الى قادة الجمعية وشيوخ المعهد.

---

1 شهادة مزهودي، محمد عباس: رواد الوطنية، دار هومة، الجزائر، 2004، ص ص 396. 397.

2 المصدر نفسه، ص 397.

ووضع غلاة المستوطنين قائمة من خمسين شخصا يطالهم الإعدام انتقاما من مقتل المحافظ، كان التبسي على رأس القائمة، وقد جاءه محمد الميلي طالبا منه الخروج من الوطن، ولكنه رفض ذلك مفضلا الاستشهاد في أرض الوطن[1]، وهو ما تحقق له فعلا بعد سنة من هذه الحادثة، حيث كتب له أن يعيش معركة الجزائر بمأساتها الكبيرة، وأن يعتقل لمرات عدة، الى أن أختطف من بيته وقتل غدرا من قبل عصابة اليد الحمراء الفرنسية في أفريل 1957.

ثانيا . معهد ابن باديس وخلايا دعم الثورة السرية:

لقد تسلم مزهودي مهمته منذ أفريل 1955، حيث بدأ عبان ينشط بالعاصمة، وظل يؤدي مهمته السرية في ربط الاتصالات بين قادة الثورة نحو عام كامل، وفي فيفري 1956 اكتشف أمره، حيث علم عبان عن طريق عيونه في الإدارة العامة الفرنسية أن رأس مزهودي مطلوب في قسنطينة، وبعد مشاورات بين عبان والتبسي ومزهودي تقرر التحاق هذا الأخير بقيادة زيغود يوسف في أوائل مارس 1956[2].

وقد كانت الخلية الأم تضم في عضويتها كل من بوغابة مصطفى ومحمد الميلي ، وقد أنشأت فروعا تابعة لها في مدن الشرق الجزائري، وكانت تنسق عملها مع خلايا الفداء المشكلة بمدينة قسنطينة ومنها الخلايا التي يتولاها

---

1 محمد الميلي: المصدر السابق، ص 270.

2 المصدر نفسه، ص 397.

كل من: مصطفى عواطي[1]، وصالح بوذراع[2]، ومسعود بوجريو[3]، ولما التحق مزهودي بالجبل استخلف بوغابة في تولي مسؤولية خلية المعهد، وفي بداية

---

1 ولد الشهيد في بداية الثلاثينات من عائلة متوسطة الحال، زاول تعليمه بمسقط رأسه إلى أن تحصل على الشهادة الابتدائية، غادر أرض الوطن متوجها إلى فرنسا حيث مكث بها عامين ونصفا، عاد إلى أرض الوطن لمواصلة نضاله في إطار حزب حركة الانتصار.ح. د. والتحق بالثورة التحريرية بعد أربع أشهر من اندلاعها، وكان له فضل إرساء نظام الفداء بمدينة قسنطينة، وقد أسندت له مسؤوليات الإشراف على النظام المدني بقسنطينة، واستطاع في مدة قصيرة أن يلعب دورا مهما في تعبئة الجماهير الشعبية وبخاصة الشباب لخدمة الثورة، ظل يقوم بدوره الفعال إلى أن اكتشفت خليته النضالية وألقي عليه القبض، عذب لمدة خمسة عشر يوما ثم سجن بالكدية، قدم هو ورفاقه للمحاكمة يوم 24 فيفيري1957، وقضت المحكمة العسكرية بإعدامه رفقة أربعة من أفراد مجموعته الفدائية.

2 أحد أبطال الثورة التحريرية الذين بذلوا جهودا كبرى في خدمة الثورة التحريرية. ولد بمدينة قسنطينة سنة 1920، درس على يد ابن باديس، وانخرط في النشاط السياسي منذ الصغر وناضل في صفوف حزب الشعب، وعمل مدرسا بناحية برج منايل، وعندما اندلعت ثورة التحرير كان في طليعة من آزروها، وأشرف على تنظيم خلايا الفداء بمدينة قسنطينة مع رفيقه عبد المالك قيطوني، ولما اكتشف التنظيم في خريف 1955 التحق بالجبل وتجند بمنطقة الشمال القسنطيني، كلف مع الشهيد بوجريو بمسؤولية الفداء بمدينة قسنطينة، واصل نشاطه بإخلاص الى أن سقط شهيدا في معركة قرب الميلية في 10 جانفي 1961.

3 بطل الفداء بمدينة قسنطينة، وأحد قادة الولاية الثانية المشهود لهم بالكفاءة والإخلاص. ولد عام 1930 ببلدية عين الكرمة بقسنطينة، تلقى تعليما مزدوجا في المدارس العربية الحرة والمدرسة الفرنسية، وأشرف على الأفواج الكشفية بمدينة قسنطينة، انخرط في حركة الانتصار ح، د، وأصبح في سنة 1948 مسؤولا عن خلية سيدى مبروك، التحق مبكرا بصفوف الثورة وكلف بمهمة حساسة وشاقة هي إرساء النظام المدني للجبهة بمدينة قسنطينة، أدى مهمته بكل تفان وأنشأ عددا كبيرا من الخلايا الفدائية، وأشرف بنفسه في يوم 30 أفريل 1955 على تنفيذ عملية فدائية جريئة، عين بعد مؤتمر الصومام مسؤولا على خلايا مدينة قسنطينة الفدائية، وفي أواخر عام 1958 رقي بوجريو ليصبح نقيبا مسؤولا على المنطقة الخامسة (مدينة قسنطينة)، فاستمر في تنظيم شبكة الفداء التي=

نوفمبر 1956 اضطر بوغابة للالتحاق بالجبل إثر محاولة اعتقاله، وترك المسؤولية للطاهر سعدي حراث الأستاذ بالمعهد، وذلك الى غاية جوان 1957، حيث انتقل متخفيا الى تونس واستخلف الشيخ الصادق مخلوف في قيادة الخلية، فواصل مهمته الى غاية اعتقاله إثر أسر مساعده أحمد حماني متلبسا في أواسط أوت 1957، وفي الوقت ذاته أسر مساعده حمادي الهاشمي وتمكن محمد كحلوش من الفرار للجبل(1).

وخلال السنة التي نشط فيها مزهودي الخلية، قدمت للثورة خدمات جليلة لم ينفض عنها الغبار، ولم يكن معروفا منها سوى أن مرسولي عبان، عمارة رشيد(2) وسعد دحلب(3) اتصلا بقيادة الشمال القسنطيني عن طريق خلية المعهد التي

=أربكت السياسة الفرنسية، اعتقل البطل في بداية عام 1960، وتمكن من الفرار بأعجوبة، واستشهد رحمه الله في كمين للقوات الفرنسية بمدينة قسنطينة نهاية عام 1960 .

1 شهادة مصطفى بوغابة، مخطوطة بخط يده قدمت للباحث، واحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس، قصر الكتاب، الجزائر، 2004، ص 51.

2 ولد بجرجرة سنة 1934، وانتقل مع عائلته للعيش بوادي الزناتي، درس المرحلة الابتدائية بعزازقة وبرج منايل، وأكمل دراسته الثانوية بالعاصمة ودخل جامعة الجزائر، عرف بنشاطه السياسي والطلابي المبكر، حيث ساهم في إنشاء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، سخر نفسه وماله لخدمة الثورة، فكانت قيادة الثورة تعقد اجتماعاتها في بيته، وتكلفه بمهام التنسيق والتموين، وقد عمل طبيباً بالمنطقة الرابعة إلى إن سقط شهيداً في 13 جويلية 1956.

3 مناضل وطني ودبلوماسي محنك قام بدور فعال في المفاوضات التي أفضت إلى استقلال الجزائر وهو على رأس وزارة الخارجية. ولد عام 1919 بقصر الشلالة، وانخرط في حزب الشعب أثناء الحرب العالمية الثانية، التحق بصفوف الثورة التحريرية رفقه قدامى حركة الانتصار المركزيين، وعمل مساعداً لعبان رمضان في مدينة الجزائر، وقد أرسله هذا الأخير في مهمة للتنسيق مع قيادة منطقة الشمال القسنطيني، عين عضواً في لجنة التنسيق والتنفيذ، ووزيراً للشؤون الخارجية عام 1961، توفي في ديسمبر 2000.

يديرها مزهودي، ولكن نشاط الخلية كان واسعا وثريا، وإن كان أهمه ربط الاتصال بين قيادة الثورة في العاصمة والمناطق الأولى والثانية والثالثة.

لم يتذكر دحلب من شبكة الاتصالات التي نقلته الى قسنطينة ثم سكيكدة أحدا، وذلك لطبيعة المهمة السرية، ولكنه يذكر أن مزهودي وصل الى مقر قيادة زيغود في الوقت ذاته والتمس منه إبقائه في الجبل لأن العودة الى مدينة قسنطينة أصبحت محفوفة بالمخاطر[1]، لقد كانت مهمة نقل دحلب للقاء زيغود على عاتق شبكة مزهودي بقسنطينة، فهي التي استقبلته ونقلته الى سكيكدة بواسطة المناضل السعيد حمروش الذي كان يعرف زيغود[2]، وهو أمر تكشف عنه شهادة خليفة مزهودي على رأس الخلية المجاهد مصطفى بوغابة، والذي يورد تفاصيل الظروف الصعبة لايصال دحلب الى زيغود، حيث يذكر أن نقطة الاتصال الأولى حددت في جبال سيدي مزغيش ولكن خروج القوات الفرنسية في ذلك اليوم حالت دون إجراء الاتصال، فتمت العودة إلى قسنطينة وترتيب اتصال ثان

1 DAHLAB Saad ;Pour l' Indépendance de l'Algérie ;mission accomplie ed, Dahlab, Alger, 1990, p50.

2 قائد الولاية الثانية التاريخية ، ولد سنة 1921 ببلدة السمندو ولاية سكيكدة ، ناضل في صفوف الكشافة وحزب الشعب، وكلف بالإشراف على المنظمة الخاصة بسكيكدة، اعتقل إثر اكتشاف التنظيم، حوكم وسجن بعنابة، وتمكن من الفرار، عاش متخفيا في الأوراس، حضر اجتماع الاثنين والعشرين وكلف بالاستعداد للثورة بمنطقة السمندو، وفي فاتح نوفمبر 1954 شن عمليات جريئة على جندرمة السمندو، وأخذ بعدها بيد ديدوش في زرع خلايا الثورة وتكوين المجموعات المسلحة، وقد خلفه على قيادة الشمال القسنطيني، هندس هجمات العشرين أوت 1955 التي ضربت المستعمر في العمق، كما اجتهد في التنسيق مع المناطق الأخرى ومع الوفد الخارجي معتمدا على رجال جمعية العلماء، وكان من الداعين إلى عقد مؤتمر الصومام، واثر انفضاضه سقط شهيدا في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر 1956.

عبر مزرعة السمندو، حيث نقل المجاهد حمروش دحلب الى مقر زيغود مشيا على الأقدام[1].

إن خلية الدعم التي أنشأها مزهودي من معلمي المدارس الحرة[2] لعبت الدور الأساسي في ربط الاتصالات بين قيادة الثورة، وكان هدفها الأولي تقديم الدعم والمساندة للثورة، اتخذت من معهد ابن باديس مقرا رئيسيا، وبه مكتب مسؤول الخلية مزهودي وأساتذة وطلاب المعهد، وأنشأت فروعا لها في مدن الشرق الجزائري الكبرى اعتمادا على سواعد معلمي المدارس الحرة وأعضاء جمعية العلماء ومحبيها، وبواسطة شبكة فروعها مكنت الخلية أساتذة المعهد وطلابه من لعب دور طلائعي هام في دعم الثورة، كما أنها قامت بأدوار هامة في دعم ومساندة الثورة في وقت مبكر من اندلاعها، ومن تلك لأدوار نذكر:

ثالثا . مهمة الاتصالات:

قامت الخلية بمهمة تجديد وإحياء قنوات الاتصال المنقطعة بين مسؤولي الجبهة في العاصمة وقادة الثورة في المناطق بالداخل وفي الخارج عبر تونس، وذلك في ظروف صعبة تميزت بازدياد حجم الضغط العسكري الفرنسي واستشهاد أو اعتقال بعض قادة المناطق، فكان على عبان أن يتواصل مع القيادة التي

---

1 شهادة مصطفى بوغابة، سبق ذكرها.

2 بصفته مفتشا لإدارة التعليم الحر بالشرق الجزائري كون شبكة متماسكة وفاعلة، تمتد من برج بوعريريج الى عنابة وتبسة، ومركزها الرئيسي مدينة قسنطينة، وفروعها هي: خلية مدرة برج بوعريريج ومسؤولها العربي سعدوني، خلية مدرسة سطيف ومن مسؤوليها بوعلام عبدالباقي، والحفناوي زاغر ومحمد الصالح بن الطامة، خلية مدرسة شلغوم العيد، ومن مسؤوليها الاستاذ سليمان بشلول، خلية مدرسة عنابة ومسؤولها مديرها الحملاوي بوالزرد، وبن الذيب سلطان وحمودة عاشوري، خلية مدرسة سكيكدة، ومسؤولها محمد الصغير قارة ومحمود بورزامة، شهادة مصطفى بوغابة، سبق ذكرها.

خلفت ابن بوالعيد في الأوراس وديدوش في الشمال القسنطيني وأن يربط الاتصال بتونس، واهتدى الى شبكة الدعم بمعهد ابن باديس، حيث تكفل الشيخ التبسي وابراهيم مزهودي بأداء المهمة، وتجند أساتذة المعهد وطلابه لإنجاحها، وبذلك أعادت الخلية ربط الاتصالات المقطوعة ومد قنوات جديدة، وأسهمت في ربط الاتصالات وبعث الحيوية المطلوبة لتواصل قيادات الثورة، فبخصوص منطقة الأوراس كلفت الخلية الشيخ الطاهر حراث الأستاذ بالمعهد محاولة ربط الاتصال في منطقة تبسة بواسطة الأستاذين العيد مطروح ومحمد الشبوكي، وكلفت الخلية تلميذي المعهد عالية بلقاسم والهاشمي حمادي إيجاد اتصال مع قيادة الأوراس عن طريق خنشلة، ثم كلفت أستاذي المعهد أحمد السرحاني وابراهيم مازوزي، والشيخ محمود الواعي الذي كان يتردد على قسنطينة، ومدير مدرسة عين التوتة محمد درنوني بالسعي لربط الاتصال بقيادة الثورة في باتنة، وبواسطة هذه القنوات استطاع قادة الثورة في العاصمة من الاطلاع على أوضاع منطقة الأوراس التي كانت متردية عقب استشهاد ابن بوالعيد، وتصدوا لمعالجة مشاكلها وأزمتها الحادة[1].

وفي منطقة الشمال القسنطيني كانت مهمة الاتصال بخليفة ديدوش سهلة نوعا ما، وقد طلب عبان ربط اتصالات سريعة مع زيغود ومساعديه ابن طوبال وابن عودة، وقد كلفت الخلية الأخ صالح كحلوش الذي كان يعمل مراقبا بالمعهد الاتصال بزيغود، وبواسطة مخلوف علي وابنه محمد تم مد قناة اتصال أولى، كما كلف الشيخ الحملاوي بوالزرد المدرس بعنابة والمتردد على موطنه قرب القرارم الاتصال بابن طوبال وابن عودة، وعندما اعتقل واصل المهمة محمود بالنمر وسلطان ابن الديب وحمودة عاشوري، كما عززت الاتصالات بمركز

1 شهادة بوغابة، سبق ذكرها.

قيادة كل من بني صبيح وقالمة، ويذكر مصطفى بوغابة أن هذه الشبكة كانت فاعلة وحيوية ونجحت في أداء مهامها، ومنها تسهيل مهمة لقاء عمارة رشيد ثم دحلب بزيغود، " وقد أثمرت هذه الاتصالات مع الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) تنظيم زيارة أولى قام بها الأخ الشهيد أعمارة رشيد، اتصل فيها بقائد الولاية الشهيد زيغود يوسف ومساعديه، ثم بتنظيم زيارة ثانية قام بها الأخ سعد دحلب حفظه الله عن طريق مدرسة سكيكدة وصولا الى جبال سيدي مزغيش"[1]، هذا وقد أصبحت خلية المعهد مع مرور الوقت عين الولاية الثانية وأداتها في توفير الدعم والمساندة في مدينة قسنطينة.

وبخصوص ربط الاتصال بقيادة الخارج عبر تونس فقد كانت المهمة دقيقة وحيوية، وخاصة في ظل عسر الاتصالات وأهمية تونس كقاعدة دعم استراتيجية، وكانت المهمة الأساسية حسب توجيهات عبان تتمثل في تبليغ أو تلقي بعض الرسائل المكتوبة أو الشفهية بواسطة المسافرين خصوصا، وتؤكد شهادة مصطفى بوغابة أن جوهر المهمة كان ينحصر في أمرين: طلب تزويد الثورة بما تحتاجه من سلاح وعتاد، وإبلاغ قيادة الخارج دعوة المشاركة في مؤتمر الصومام، وقد أخذ الأمر الثاني المشار إليه طابع السرية التامة، حيث يذكر بوغابة أن " آخر مبعوث لنا في هذه المهمة الى تونس في ربيع سنة 1956 . أثناء التحضير لمؤتمر الصومام . الأخ الشاب عبدالحميد الابراهيمي حفظه الله..."[2]، وسجل هذا الأخير فعلا في شهادة حديثة أنه كلف بمهمة إلى تونس في هذا الوقت من قبل مصطفى بوغابة، حيث قال: "كنت مسؤولا عن الطلبة الداخليين في المدرسة الفرنسية للمسلمين بقسنطينة، وفي عام 1955

1 شهادة بوغابة، سبق ذكرها

2 شهادة بوغابة، سبق ذكرها.

التحقت عن عمر يناهز 19 عاما، بجبهة التحرير الوطني في ظل قيادة الأخ مصطفى بوغابة، الذي لا يزال حيا. وفي عام 1956، انضممت إلى الولاية الثانية لجيش التحرير الوطني"[1].

رابعا. تقديم الدعم لقيادة الشمال القسنطيني:

لقد تعززت علاقة زيغود بخلية المعهد من خلال روابط الثقة التي مدها مسؤول الخلية مزهودي، والذي تحول من مساعد للتبسي وعبان إلى مساعد لزيغود، وخاصة بعد النجاح في ربط الاتصالين الأولين مع مرسولي عبان، حيث أصبحت خلية المعهد وأساتذة وطلبة المعهد مسخرون في خدمة الثورة، يقدمون مختلف المساعدات للولاية الثانية، ويمثلون خلية الإسناد الخلفية للولاية بعاصمة العمالة قسنطينة.

كما تحملت خلية المعهد مسؤولية الدعاية وطبع وتوزيع المناشير الثورية، ومنها المنشور الداعي إلى إضراب فاتح نوفمبر 1955، والذي استلمته الخلية عبر شبكتها لتبلغه لقيادة الشمال القسنطيني، ولكن ضيق الوقت دفعها لتبادر إلى طبعه وتوزيعه في قسنطينة قبل فوات الأوان، حيث طبع المنشور بالساحبة اليدوية الموجودة بالمعهد ووزع سرا على التجار والموظفين وعامة الشعب في المدن والأرياف، وهو ما سمح بتنفيذ الإضراب وإنجاحه في موعده[2]، كما كان للمطبعة العربية التي يتولاها الشهيد أحمد بوشمال شرف طباعة بطاقات جيش التحرير الوطني ووثائقه الخاصة.

---

1 رد عبد الحميد الابراهيمي على خالد نزال، على موقع بلا جدود
http://www.bilahoudoud.net/showthrea

2 شهادة بوغابة، سبق ذكرها.

وأقدمت الخلية بالتنسيق مع خلايا الفداء الأخرى بمدينة قسنطينة على مبادرة شن إضراب عام، وذلك احتجاجا على اعتقال الدكتور التيجاني هدام[1] بشبهة التعامل مع الثوار، تم طبع المنشور على أوراق الستانسيل وسحب بالمعهد، ووزع على نطاق واسع، حيث تولت خلية مصطفى عواطي، وخلية طلبة المعهد برئاسة الهاشمي هجرس توزيعه في أحياء المدينة، وأدى نجاح الإضراب إلى إطلاق سراح التيجاني وتسفيره إلى الخارج للعمل مع الوفد الخارجي[2].

ومن المهام الأساسية التي نهضت بها خلية المعهد جعل المعهد ودار الطلبة محطتين لإيواء وعبور المجاهدين والمناضلين، حيث تكتسي مدينة قسنطينة موقعا استراتيجيا بالنسبة للثورة، ومنها يجند الطلاب الملتحقين بالثورة وغيهم، ومنهم علاوة ابن بعطوش والطاهر ابن امهيدي، وقد ذكر عبدالرزاق بوحارة ومصطفى بوغابة أن شبكة التجنيد بالمدينة جندت عشرات الطلبة بعد الإضراب

---

1 شخصية سياسية وتاريخية مرموقة، ولد في جانفي 1921 بتلمسان، واصل دراسته العليا في الطب وشارك في النضال الطلابي، التحق بصفوف الثورة التحريرية بداية سنة 1955، وقدم في عيادته بقسنطينة عدة مساعدات للثوار، أثار شبهات الإدارة الفرنسية واضطر للفرار الى الخارج، كان مقربا من ابن بلة وعمل مساعدا له في الوفد الخارجي بالقاهرة، وبعد اعتقال ابن بلة شارك في تأدية عدة مهام سياسية وعسكرية، بعد الاستقلال تولى عدة مسؤوليات عليا: منها وزيرا للشؤون الدينية سنة 1964، ثم وزيرا للصحة سنة 1965، وعميدا لمسجد باريس، عاد إلى أرض الوطن واشتغل أستاذا للطب بجامعة الجزائر، عين في جانفي سنة 1992 عضوا في المجلس الأعلى للدولة، انظر مقلاتي عبدالله: قاموس أعلام شهداء وابطال الثورة الجزائرية، منشورات بلوتو، الجزائر، 2009، ص194 .

2 عبد الله مقلاتي: اسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة التحريرية، دار الهدى، عين مليلة، 2014، ص، 60.

الطلابي في ماي 1956[1]، وصرح العديد من الطلاب الذين أصبح لهم شأن في الثورة أنهم جندوا على يد مسؤول خلية معهد قسنطينة مصطفى بوغابة[2]، كما كانت خلية المعهد تأوي المناضلين القادمين للمدينة في مهمات مختلفة، والفدائيين الذين يلجأون للتخفي، والمعطوبين الذين يتطلب علاجهم بالمدينة[3].

وواجهت خلية المعهد كذلك الفتنة التي أثيرت بالمدينة، حيث صدرت الدعوة الى مقاطعة الإخوان الميزابيين باسم الثورة، وحركها بعض المغرضين من اليهود والتجار بغرض إثارة الفتنة بين صفوف الإخوة الجزائريين، وتدخل مسؤولوا الخلية سريعا لمواجهة الموقف، معتمدين على أساتذة المعهد وأعيان المدينة لنزع فتيل الفتنة، ومسترشدين بمواقف قادة الثورة في الولايات وتوجيهات عبان رمضان[4].

وتأكيدا على العلاقة الوثيقة بين خلية المعهد وقيادة الشمال القسنطيني نشير الى أن زيغود يوسف ونائبيه ابن طوبال وابن عودة استجابا لطلب الخلية بإقراضها مبلغ ثمان ملايين فرنك لإتمام بناء وترميم مدرسة التربية والتعليم التي تديرها جمعية العلماء لاستقبال التلاميذ في أحسن الظروف للموسم 1956-1957.

ونشير أخيرا أن الخلية واصلت مهمة ربط الاتصال بين قيادة الولاية وقيادة الجبهة في العاصمة ومختلف مناطق الوطن، حيث كان أعضاء الخلية الأم وفروعها في الشرق الجزائري ينهضون بمهمة نقل البريد وتبليغ الرسائل الشفهية، ومنهم الشيخ أحمد حماني الذي قبض عليه يوم 11 أوت 1957 وهو يحمل

---

1 شهادة بوغابة، سبق ذكرها، وعبد الرزاق بوحارة: منابع التحرير، تر صالح عبدالنوري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص69 وما بعدها.

2 شهادة عبد الحميد الابراهيمي، مصدر سابق.

3 شهادة بوغابة، سبق ذكرها.

4 شهادة بوغابة، سبق ذكرها.

رسالة من قيادة الولاية الثانية، مما أدى إلى تعرضه للتعذيب والاعتقال، وتعرض الخلية للاكتشاف واعتقال مسؤوليها الصادق مخلوف وحمادي الهاشمي، في حين فر صالح كحلوش والتحق بجبال الشمال القسنطيني مجاهدا[1].

خامسا . دعم الثورة في مختلف الجهات والانخراط فيها:

لقد نهضت خلية المعهد بدور هام في استغلال كل فرص الدعم لمساندة الثورة، ومنها تجنيد عناصر شبكة الاتصالات بالعاصمة في تموين الثورة بما تحتاجه في العاصمة من خرائط عسكرية، ومناظير، وآلات الكتابة والسحب...، ومن أولائك النشطين بمركز الجمعية بالعاصمة نذكر: عباللطيف سلطاني أمين مال الجمعية، وصالح نور وعبدالسلام برجان، كما كان متجر عباس التركي بنهج "شارتر" مركز لاتصال ودعم الثورة[2]، وقد ذكر دحلب أن مهمته إلى الشمال القسنطيني تمت تحت غطاء شركة تجارية لعباس التركي[3].

لقد أدى معهد ابن باديس واجبه الوطني على أكمل وجه، وتجند أساتذته وطلابه في خدمة الثورة، وفي هذا الشأن يقول بوغابة :" ولقد واصل المعهد بأساتذته وطلابه المتواجدين بالمعهد ودار الطلبة. أثناء الدراسة. والموزعين على مدنهم ومداشرهم وقراهم . أثناء مواسم الراحة الصيفية والأعياد الدينية والعطل الأسبوعية. لقد واصل هؤلاء جميعا مهمتهم في خدمة الثورة بكل الإمكانيات والوسائل، عبر مختلف أماكن تواجدهم، إلى أن ألقي القبض على مدير المعهد بالنيابة وعضو الخلية الأم الشيخ أحمد حماني بتاريخ 11 أوت 1957"[4].

---

1 شهادة بوغابة، سبق ذكرها.

2 شهادة بوغابة، سبق ذكرها.

3 DAHLAB Saad ;Pour l' Indépendance de l'Algérie ;mission accomplie ed, Dahlab, Alger, 1990, p50

4 شهادة بوغابة، سبق ذكرها.

وإثر إغلاق المعهد بسبب الحادثة السابقة وما تبعه من مضايقة نشاط المدارس الحرة في مختلف الجهات كان مصير المعلمين والطلاب الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني أو التجند في خدمة الثورة مدنيا[1].

الخاتمة:

من خلال ما سبق نخلص للتأكيد على الدور المهم الذي نهض به شوخ معهد ابن باديس في تقديم الدعم للثورة الجزائرية، حيث نهضت خلية المعهد الثورة التي أنشأها العربي التبسي وابراهيم مزهودي بأدوار مهمة، وخاصة في مجال الاتصالات، وجمع التبرعات، وتجنيد الطلاب، واحتظان المجاهدين، والدعاية لصالح الثورة، وكل ذلك يفند الرؤية السلبية القاصرة لدور رجال جمعية العلماء والتي يروج لها بعض الكتاب والمؤرخين.

---

1 حول دور طلبة المعهد في الثورة انظر عبد الله مقلاتي: إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة التحريرية، مرجع سابق، ص93 وما بعدها.

التأطير الإداري والتعبئة السياسية للجماهير في ممارسات جبهة التحرير الوطني

1954–1962م

د/عبد القادر خليفي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

لقد راهنت جبهة التحرير الوطني منذ البداية على تنظيم انتشارها ميدانيا، فكان لزاما عليها بعد أن نجحت في جعل الحدث الثوري حقيقة قائمة يتلمسها الشعب الجزائري، ويتابع تطورها اليومي أن تبادر إلى غرس هياكلها وسط الجماهير، عبر التواجد في كل المواقع، في الريف كما في المدينة بغرض ضمان الالتفاف الواسع حول مقاصدها، المعلنة في بيانها الأول الشهير، والعمل التدريجي على خلق إدارة موازية، تمثل سلطة بديلة للإدارة الاستعمارية، بما يسمح في نهاية الأمر بقطع الصلة بين الجزائريين ومستعمريهم، والشعور بحالة التحرر المعنوي، والقدرة على تصريف الشؤون المختلفة بعيدا عن الوصاية الفرنسية، وهي الفكرة التي تفضي إلى خلق ما يسمى بدولة داخل دولة.

فما هي مرتكزات هذه الإستراتيجية؟ وهل كانت الجبهة تتوفر على الأطر والإمكانات التي تسمح لها بخلق إدارة موازية؟ وإلى أي مدى تحقق لها التجاوب الجماهيري؟

1- ميلاد الثورة الجزائرية:

كان الفاتح نوفمبر 1954م حدا فاصلا بين عهدين، ذلك أن توقيع شهادة وفاة الجزائر الفرنسية قد كانت في هذا التاريخ المفصلي، الذي جسد عمليا تلك الآمال والتطلعات التي كانت تحملها فئات الشعب العريضة، حتى وإن لم

تسمح لها الظروف التاريخية بالتعبير عنها في وضح النهار وبكيفية لا غبار عليها، لكنها سعت إلى طرحها في أكثر من مناسبة ولاسيما في مرحلة الثلاثينيات وقد دلت الشواهد المستقاة من أدبيات المرحلة، أن إرادتها في إحداث التغيير، والتخلص من الوضعية المخالفة لمنطق التطور الإنساني، ما انفكت تتصاعد منذ مطلع القرن العشرين، وإذا كانت الخيبة هي حصاد تلك التجارب النضالية، فإنها بالمقابل كانت الوقود الضروري لإعادة وضع القطار على سكته ولأن المستعمرين المتشبعين بغطرستهم وعنصريتهم، لم يستشعروا أفقهم المسدود، فقد كانت لحظة الصدام المروع في الثامن ماي 1945م، منعرجا ألقى في الهاوية تلك الأوهام الزائفة، التي ظل البعض من السياسيين يتشبثون بها، وأبان بشكل واضح أن مرتكزات الكولونيالية لا تتبدل مهما تغيرت فلسفة الفكر العالمي.

يكفي للتدليل على أن غلاة الاستعمار لم يكونوا يلحظون أي مؤشرات حول الزلزال، الذي سيعصف بحالة الاستقرار والهدوء المصطنع تحت أرجلهم، ما كان يردده رئيس المجلس الجزائري لاكيار Laquière، حين تحدث في شهر أكتوبر 1954م قائلا: " أن سماء الجزائر الفرنسية في أوج صفائها ولابد من الحفاظ عليها بحرص شديد من أية سحب، يمكن أن تجعل وجهها المشرق يتجهم "[1].

وتبرز الغطرسة الفرنسية بعدم الاعتراف بالواقع الناشئ عن تحرك الفاتح نوفمبر، في تصريحات المسؤولين الفرنسيين الرسميين، وممثلي التشكيلات الحزبية من اليمين إلى اليسار، وعلى صفحات الجرائد المتنوعة، ومن ذلك، ما قاله رئيس الحكومة بيير منديس فرانس Mandés France Pierre، ونشرته

---

1 – فرحات عباس، تشريح حرب، ترجمة أحمد منور، طبعة خاصة، Elmusk Editions، الجزائر، 2010، ص 111.

صحيفة لوموند le Monde بتاريخ 15 نوفمبر 1954م:" لا تخافوا إن الأمة لن تسمح لأحد بأن يخاطر بوحدتها، وأن ليس هناك انفصال ممكن للجزائر عن فرنسا...هناك مواطنون شنوا حربا على وطنهم، ولكن الشعب لم يتبعهم...إن الجزائر هي فرنسا...وهذه إرادتنا، ولا حق لأي أحد أن يشك فيها "[1].

ومن المعروف أن الطبقة الحاكمة في فرنسا، قد تشبثت منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة بأسطورة الجزائر الفرنسية، وانطلاقا من هذا الموقف، فإن الوطنيين الجزائريين كانوا يقدمون للرأي العام كقطاع طرق، ومارقين عن القانون، أما الصحافة الكبرى، فلم تعط بعدا سياسيا للأحداث، ولم يكن أحد يرى فيما يحصل تعبير عن مطامح سياسية[2].

إن كل تلك المواقف تشترك في خاصية تجاهل الوضع القائم على الأرض، وهو ما حاولت الباحثة سيلفي ثينو Sylvie Thénault أن تقف عليه، مؤكدة بأن السياسة الفرنسية قد أخفقت في المحافظة على الجزائر، فكان من الطبيعي أن تضيع منها، حيث كتبت في هذا الإطار: "ولمّا نزلت القارعة مدويّة على الحضور الفرنسي بالقطر الجزائري في ليلة عيد القديسين الأحمر... ذلك أن فرنسا أغلقت كل المنافذ للتعبير الجماعي الخاص بالجزائريين المستعمرين، فهي لم تترك لهم حلا آخر إلا اختيار الكفاح المسلح، ليكون لهم صوتا مسموعا

1 – مولود قاسم نايت بلقاسم ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1984 ص ص 105–106.

2 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص 25.

لديها، فتاريخ السياسة الفرنسية ما وراء المتوسط يعجّ بمحطات الفشل في بناء جزائر فرنسية مستقرة ودائمة)[1].

2- جبهة التحرير بين معركتين:

لقد كان على قيادة الثورة ممارسة عمل مزدوج، تحرير الأرض وتحرير الإنسان، حيث فرضت ضرورات المعركة، بناء المجتمع الجزائري، وتنظيم الإدارة الجزائرية، وكان هذا العمل المتكامل هو الذي أعطى للثورة الجزائرية طابعها المدني- العسكري، فلقد كان على قيادة ج ت وبناء العلاقات الاجتماعية من الصفر، وإيجاد الحلول الناجعة للمشكلات التي كانت تفرزها طبيعة الصراع.[2]

لاشك، أن جبهة التحرير الوطني، قد تمكنت من إطلاق رصاصة القطيعة في ساعة الصفر من الفاتح نوفمبر 1954م، عبر مجال واسع من التراب الوطني، هدفت من خلاله تأكيد الطابع المعمم للثورة، وهي تضع قدميها على خط الانطلاق في يومها الأول، لكن نجاحها في ذلك التحدي، لم يكن يخفي قلقها من احتمالية الإخفاق في بلورة الأهداف التي سطرها قادتها التاريخيون في بيانهم المرجعي ويتعلق الأمر بتفجير طاقات الجماهير الشعبية، وتوظيفها في مواصلة المعركة المصيرية[3].

إن تخوفات المفجرين، لم تكن مجرد هواجس غير مبررة، بل كانت تعكس حقيقة قائمة على الأرض، تتعلق بضعف ثقتهم في درجة الاستعداد

---

1 – سيلفي ثينو، تاريخ حرب من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص 17.

2 – بسام العسلي، المجاهدون الجزائريون سلسلة جهاد شعب الجزائر، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986، ص ص 52-53.

3 – أحسن بومالي، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1956م، دار المعرفة الجزائر، 2010، ص 31.

الشعبي،[1] للالتحام بالمشروع الثوري، انطلاقا من غياب مؤشر ايجابي في الساحة الوطنية، يمكنه أن يمثل سندا يطمئن إليه السواد الأعظم من الجزائريين، بما يدفعهم إلى تخطي حالة الترقب، وفي هذا المعنى، كتب محمد حربي:" ومع هذا، فإن الجزائريين كانوا عموما مترددين، ومتخوفين من المغامرة، وهذا ليس بالغريب، فقد كان أبناء الجزائر يتأرجحون بين الرغبة في وضع حد للاستعمار تحت راية جديدة، وبين الخوف من أن تقود هذه النزعة التجديدية التي ينادونها بكل جوارحهم إلى عمل فاشل كما وقع سنة 1945م، ثم أن الطابع السري للحركة التي انطلقت في غرة نوفمبر، كان يثير أكثر من نقطة استفهام"[2].

إن الدراسات الاجتماعية، وتلك المتعلقة بعلم نفسية الشعوب، تشير إلى أن تحرك العموم وراء نخبة تقود، لا يتم إلا في المرحلة التي يحصل فيها التطابق في الأهداف بين الجانبين، وفي هذا المضمار، يرى الباحث نبيل أحمد بلاسي، أن بلوغ النصر في المعركة المصيرية، يتوقف على مدى النجاح في جر الجماهير، التي لا يمكن استنفارها إذا لم تفهم بوضوح أن مصلحتها مرتبطة بتحقيق أهداف الثورة[3].

---

1 - تكاد تجمع الكتابات المؤرخة لعمليات التحضير للثورة، أن التخوف من رد فعل الجماهير قد شغلت حيزا هاما في النقاشات لاسيما خلال لقاء مجموعة الـ22 في شهر جوان 1954م ، على الرغم من مسايرة الحاضرين لمقولة العربي بن مهيدي " أعلنوا الثورة والقوا بها إلى الشارع ، فسوف يتبناها عشرة ملايين جزائري ". ينظر: إبراهيم لونيسي، الصراع السياسي داخل جبهة التحرير الوطني خلال الثورة التحريرية 1954-1962م، دار هومة الجزائر، 2015، ص 15.

2 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، المصدر السابق، ص 32.

3 - نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1990م، ص ص 154-155.

والواقع، أن المناضلين الذين فجروا ثورة أول نوفمبر 1954م، قد وجدوا أنفسهم أمام اختيار بالغ الأهمية، بين الانكباب على استحداث التنظيمات ووضع الهياكل، أو المبادرة بالشروع في المعركة، فكان ترجيح الخيار الثاني ضرورة أملتها ظروف المرحلة، ومن ثمة كانت مسألة التنظيم تمثل أفقا مستقبليا، غير أن انخراط الجماهير في الحراك الثوري وتدفقها مع تطور المواجهة، قد طرح بإلحاح حاد مسألة تنظيمها، وشيئا فشيئا أخذت تتشكل مؤسسات، عن طريق وضع النظم والقواعد التي تلائم هذا الواقع الجديد[1].

وحتى تستفيد الجبهة من طاقات تلك الجماهير، فقد كان عليها أن تعمل بحزم كي تدخل الفعالية في التنظيم، وتنتهج أسلوب الانضباط الثوري على كافة المستويات، ومن أجل تبليغ مبادئها وأهدافها كان عليها القيام بعمل مكثف من التنظيم والتوعية المستمرة للفئات الشعبية[2].

لقد شرعت ج ت و منذ الأشهر الأولى التي أعقبت تفجير الثورة، في تجسيد مخطط يهدف إلى خلق العديد من المصالح الإدارية، تكون موازية للإدارة الاستعمارية، أوكلت لها مهام ترتبط بحياة المواطنين، وبالرغم من استشعار القيادة الثورية للصعوبات الجدية التي تعترض هذا التوجه، الذي تقتضي طبيعة الخدمات والأنشطة التي يديرها، أن يرتكز على التدوين، وأن يتوفر على مستلزمات العمل المكتبي، من مطابع وآلات الكتابة، زيادة على الكادر المتخصص، كما تشكل مسألة أرشفة الوثائق تحديا إضافيا، لاسيما وسط حالة

---

1 - عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، ط1، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 305.

2 - أحسن بومالي، مظاهر من تنظيم جبهة التحرير الوطني في بداية الثورة 1954-1956م، رسالة ماجستير في الإعلام معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1984-1985م، ص 145.

التنقل الدائم لهذه المصالح المستحدثة، والأخطار المحدقة بالأسرار، ومع ذلك، فإن الجبهة كانت ترى أن تأسيسها لهذه الإدارة، سيساعدها بدون شك، على دفع الجماهير لمقاطعة الهيئات الفرنسية[1].

في هذا الباب، كان استحداث ما يسمى بالمرشدين السياسيين، الذين أسندت إليهم مهام إستراتيجية للتعامل مع جماهير الشعب، وبث الوعي الثوري لديها، وترقية حسها الوطني، ولتفادي أخطاء الماضي، ووقاية الشعب والوطن من الأخطار والأخطاء التي قد ترتكب وتضر بسمعة الثورة كان المرشدون السياسيون يؤكدون دوما على حقيقة أن الثورة ملك للجميع، وهي من صنع الشعب وإليه، ومن ثمة، كان التركيز منصبا على محاربة الأنانية، والتصدي للعصبية، والنعرات القبلية والجهوية، بهدف الوصول بالجماهير إلى إدراك أن الوحدة الوطنية هي مفتاح النصر[2].

كانت رؤية بعض قادة الثورة، ومنهم عبان رمضان، تقوم على ضرورة إحداث قطيعة جذرية بين الشعب الجزائري بكافة أطيافه، والنظام الاستعماري، من خلال وضع حد لكل تواصل مهما كانت طبيعته، وتهديم أي جسر للعلاقات مهما بدت غير مرئية، فلا يمكن أن يحصل التعايش بين المجموعتين، ذلك أن الواقع التاريخي، اثبت أنهما كانا مختلفين كل الاختلاف، وأن العنصر الغازي قد تفنن إلى أبعد الحدود في السياسة التدميرية لاجتثاث أصحاب الأرض.[3]

---

1 – أحسن بومالي، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية، مرجع سابق، ص ص 316-317.

2 – أحسن بومالي، مظاهر من تنظيم جبهة التحرير الوطني، مرجع سابق، ص 149.

3 – خالفة معمري، عبان رمضان، تعريب زينب زخروف، منشورات ثالة، الجزائر، 2008م، ص 214.

يذهب محمد لحسن زغيدي، إلى أن مؤتمر الصومام قد استطاع إقامة إدارة جزائرية، تمكنت الثورة من خلالها محاصرة الإدارة الاستعمارية، التي انصرف عنها الشعب[1]، وهي مسألة أشارت إليها كتابات العسكريين الفرنسيين، التي أقرت بهذه الحقيقة، حيث تحدثت على أن ج ت و قد كسبت الرهان المتعلق باستمالة الجماهير، وأرست نظاما متكاملا بين نشاطها الثوري، وقيادتها للسكان، ومن ذلك ما جاء به فيليب تريبيي Philippe Tripier، الذي اعتبر أن الصومام قد كشف بجلاء ذلك الجهد البالغ الأهمية الذي تم بذله، بهدف وضع ميكانيزمات دقيقة وواضحة لتسيير عمل ج ت و علاوة على تأسيسه لمعالم ترتكز عليها المؤسسات، تكاد تحاكي ما تتوفر عليه الدول الحديثة[2].

إن مسعى إحداث القطيعة ما بين شرائح المجتمع الجزائري، ودواليب النظام الاستعماري وأجهزته، لم تكن عملية في المتناول، بل على العكس من ذلك، فقد كانت عملية شاقة، استلزمت ربط اتصالات دائمة بالشخصيات ذات النفوذ وبالهيئات[3]، ولبلوغ الغاية، أصدرت ج ت و أمرا إلى كل الموظفين في الإدارات الاستعمارية، لتقديم استقالتهم، كما فرضت على الفئات المرتبطة المصالح مع الاستعمار، على غرار القياد، والباشاغوات، وكل من كانوا يتقلدون

---

1 – محمد لحسن زغيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956–1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 143.

2 – عبد النور خيثر، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954–1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005–2006م، ص 157. (اعتمدنا تسلسل صفحات النسخة الالكترونية لخلو الأطروحة من الترقيم باستثناء المقدمة).

3 – أحسن بومالي، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية، مرجع سابق، ص 139.

مناصب سياسية، كما دعت الجماهير إلى عدم دفع الضريبة للخزينة الاستعمارية، وقطع صلتهم برموز الكولونيالية[1].

لقد انتقلت الجبهة من دور التوعية والدعوة لمقاومة الاستعمار الفرنسي، إلى التوغل في ميدان الكفاح السياسي، ومن مظاهر ذلك، نجاح الجبهة في دعوة المواطنين إلى عدم التعاون السياسي مع العدو، فكانت النتيجة استقالة النواب الوطنيين، وتلتها استقالة النواب الموالين للإدارة، مما أدى بالحكومة الفرنسية إلى حل المجلس الجزائري، كما انمحى أثر مجالس العمالات والبلديات، ومما زاد في هذا الفراغ، تسريح واستقالة عدد كبيرا من الموظفين، ولقد أدى الانهيار العميق الذي تشهده الإدارة الفرنسية، إلى نشوء وتطور سلطة مزدوجة.[2]

ولعل من التحديات التي كان على الجبهة التعاطي معها بصرامة، كانت مسألة سلوك البعض من السياسيين، الذين ظلوا يأملون في قدرة فرنسا على إعادة الأوضاع إلى ما قبل الفاتح نوفمبر فكانت دعاياتهم المسمومة في أوساط الجماهير، بشأن توقع فشل الثورة، بمثابة معاول هدم، ومن ثمة كان لزاما على ج ت و أن تعالج أنشطة هؤلاء، وغيرهم من العملاء، بتوجيه التحذيرات أولا، ثم الشروع في تسليط العقاب الملائم في المرحلة الثانية، ومن ذلك تنفيذ حكم الإعدام، وهي العملية التي كانت تترك آثارها الايجابية على المواطنين[3].

ولكن علينا أن نتذكر، بأن مسألة التشدد مع المترددين والمخالفين، لم تكن دائما تسير بما تشتهيه سفينة الجبهة، وفي هذا الإطار، يكتب فرحات

---

1 – المرجع نفسه، ص 139.

2 – ميثاق الصومام الوثيقة السياسية الأولى لثورة، مجلة أول نوفمبر، العدد 51، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر 1981، ص 31.

3 – أحسن بومالي، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية، مرجع سابق، ص ص 140–141.

عباس بأن الأخطاء المؤسفة التي كان يرتكبها بعض مسؤولي الثورة من حين لآخر، حيث كانوا يضربون على المزاج، ودون تمييز، والتي في نظره ظلت محدودة، قد دفعت بأناس ذوي مروءة، إلى أحضان معسكر الجيش والسلطات الفرنسية، وكان هذا حال العديد من الجزائريين، الذين تحولوا إلى حركى رغما عنهم[1]، وهو التحليل الذي ذهب إليه محمد حربي أيضا، الذي أشار إلى أن التدخل الفوضوي من جانب ج ت و في النزاعات بين الفلاحين والمظالم التي كان يقترفها ممثلوها، قد أسهمت في ارتماء العديد من المواطنين في أحضان السلطة الفرنسية[2].

ولعل من الضروري هنا، أن نقف لنشير إلى تلك الإجراءات القاسية التي طرحت في سياق أن المعركة المصيرية تفرض قواعد صارمة، حيث طبقت على الذين لم ينقادوا للتعليمات المعطاة، فعملية الأنوف المقطوعة، التي عاشتها سنتي 1955-1956م، مثّلت مرحلة من أبرز المراحل في هذا العمل بحسب الباحث سليمان الشيخ، ذلك أن الأنف رمز الفخر والشرف لدى الجزائريين مهدد بالقطع في حالة عدم الانقياد لقانون الجماعة، فترى المحكوم عليه، يحمل في وجهه بصورة لا تمحى علامة خيانته، كما يحمل أيضا سمة عدالة قد تكون سريعة ضعيفة التمييز[3].

لم تكن الإستراتيجية الثورية لتترك مجالا بلا اهتمام، فقد أولت للجوانب الاقتصادية ما تستحقه من عناية، على الرغم من أن حالة الحرب لم تكن تسمح

---

1 - فرحات عباس، المصدر السابق، ص 248.

2 - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية- دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 255.

3 - سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح: دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، ترجمة محمد حافظ الجمالي منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص 233.

ببناء نموذج تنموي، أو حتى التفكير في المسائل الاقتصادية، ومع ذلك فقد بادرت الجبهة إلى إقامة أسواق في بعض المناطق الجبلية في الولاية الثانية مثل السوق التي أقيمت بنواحي أولاد عسكر، كما شجعت النشاط التجاري، بإقامة دكاكين وأمرت بالامتناع عن دفع الغرامات والضرائب، وشجعت الشعب على الاستثمار في الأراضي وفي الثروة الحيوانية، وتولت إقراضهم مبالغ مالية، وأحيانا على شكل حبوب، بل وأنشأت تعاونيات فلاحية ضمت الأملاك التي هجرها أصحابها أو تم ترحيلهم منها، وأصبحت عائداتها توزع على عناصر جيش التحرير وأفراد الشعب، مثلما يذكر ذلك أحد قادتها[1].

لقد كان من نتيجة هذا التفكك الذي حدث في الإدارة الاستعمارية في الجزائر، أن تمكنت الجبهة من توسيع نفوذها وتطويره، حيث أصبحت تشرف على التموين، وجباية الضرائب[2]، والقضاء وتجنيد المجاهدين، والأمن، والاستعلامات، وفي ذات الآن، أقدمت قيادة الثورة على مرحلة جديدة هامة تتمثل في تأسيس المجالس الشعبية المنتخبة من طرف سكان القرى[3].

---

1 – علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962م، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011، ص 195.

2 – المقصود بالضرائب هنا هي الاشتراكات المفروضة على المواطنين، ويبدو أنها لم تكن موحدة وثابتة فهي تراعي مستوى مداخيل العائلات والأفراد وقد تطورت قيمتها مع تغير المعطيات، علاوة على تضارب المصادر في تحديد قيمتها وهذه عينة على ذلك:

– دفع ما نسبته 10% من الراتب الشهري للموظف، بينما تقدر مساهمة التاجر بحسب حجم ورواج تجارته. ينظر: أحسن بومالي، مظاهر من تنظيم جبهة التحرير الوطني، مرجع سابق ص 162.

– يرى حربي الذي لم يقدم رقما أو نسبا تقريبية أن مبالغ الإسهامات الحربية قد جرى تحديدها بصورة اعتباطية. ينظر: محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مصدر سابق، ص 255.

3 – مجلة أول نوفمبر، العدد 28، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1978، ص 40.

كان لتطبيق مقررات الصومام، الخاصة بتأسيس تلك المجالس الأثر الأكبر في تعبئة الجماهير وفي سيرها الفعال، فقد كان تنظيم هذه المجالس[1] شاملا لكل ميادين الحياة، بل كان عبارة عن حكومة مصغرة، لا تتولى شؤون الثورة المسلحة فقط، بل تتولى أيضا شؤون الجماهير الشعبية من بسط الأمن وإسعاف المنكوبين، وتنظيم الحالة المدنية، وحماية المواطنين من الوقوع في مكائد العدو، والقيام بالإحصائيات للمواليد والوفيات، والضحايا، والشهداء، والأسرى[2].

أنشئت مجالس الشعب على مستوى الدواوير، فكان لكل دوار مجلس شعبي، يتكون من خمسة أعضاء، مكلفين بالمالية، والدعاية، والأخبار، والأمن، والتموين، وكان الهدف من تكوينها إنشاء نظام سياسي-إداري بديل للإدارة الاستعمارية، فهو تنظيم سياسي بحسب أعمال الدعاية والتجنيد والتأطير التي اسندت إليه، وإداري من خلال مختلف الأنشطة التي كانت مجالس الشعب تمارسها في مجال الحياة الإدارية بمختلف مظاهرها، ولقد حققت إستراتيجية

---

1 - كتبت المجاهد موضحة مهام المجالس الشعبية على هذا النحو:" إن مجلس الشعب هو الذي يتلقى التعليمات التوجيهية من السلطة المركزية لج ت و، وهو المسؤول عن تسيير جميع الشؤون التي تهم السكان، إن مجلس الشعب هو الذي يهيئ للمجاهدين مكان الإقامة، ويسجل عدد السكان، ويسهر على الأمن، ويجمع الضرائب ويتلقى المعلومات اللازمة عن تنقلات العدو، يعتني بحياة الشعب، ويفصل في النزاعات، ويقوم بجميع المهام التي تقوم بها البلدية، الإحصاء المدني، إيجاد مخازن للحبوب، بناء المدارس، البحث عن منابيع المياه...إن مجالس الشعب تتمتع بالسلطة التي تعطيها لها ثقة الشعب...إن مجالس الشعب هي التي تدرب أبناء أمتنا على ممارسة الحكم الديمقراطي، وتجعل من الشعور الوطني الذي يشتغل في أعماق كل جزائري وطنية متحمسة للواجب ". ينظر: المجاهد، العدد 10، 05 سبتمبر 1957، ص 6.

2 - الأخضر بوالطمين، التعبئة الجماهيرية في الثورة التحريرية، مجلة أول نوفمبر، العدد 48، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1981، ص 14.

عزل الإدارة الفرنسية، وخلق بديل لها نجاحات واسعة خلال عامي 1956-1957م[1].

لقد أثارت فكرة استحداث مجالس الشعب[2] نقاشا ساخنا بين المشاركين في مؤتمر الصومام بالرغم من عدم تسجيل معارضة للمقترح في حد ذاته، غير أن تباين المواقف انصب حول الكيفيات العملية لإنشائها، ولاسيما ديمقراطية انتخاب أعضائها، وهي النقطة التي يبدو أن العربي بن مهيدي كان أشد المدافعين عنها[3].

---

1 - صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص 38.

2 - يذكر علي كافي أن منطقة الشمال القسنطيني كانت السباقة لخلق هذه الآلية الديمقراطية وأن مؤتمر الصومام قد تبناها فقط وفي هذا الصدد كتب: "ولأول مرة في حياة الجزائر الثائرة، وخلال ثورة أول نوفمبر أنشئ ما عرف بالمجالس الشعبية وكانت هذه مبادرة ذاتية من قيادة المنطقة الثانية قبل مؤتمر الصومام، تندرج في إطار تنظيم الشعب، وتأطيره، وتعبئته وكانت هذه المجالس القاعدة الصلبة للهرم التنظيمي للمنطقة الثانية". ينظر: علي كافي المصدر السابق، ص 121.

3 - صالح بلحاج، المرجع السابق، ص 39.

- وقد أوردت المجاهد مقالا بقلم عبان رمضان تحت عنوان " افتتاح فصل جديد من الثورة الجزائرية "، يبدو أنه كتب بعد نهاية أشغال مؤتمر الصومام، تحدث فيه عن التحدي الذي ترفعه جبهة التحرير الوطني في مواجهة المخططات الفرنسية، ومنها الدعاية الانتخابية التي كان تروج لها باريس وممثلوها بالجزائر حيث كتب الآتي: " إننا نجيب روبير لاكوست الذي يعدنا بإصدار انتخابات في شهر أكتوبر بالمنطقة الهادئة ببلاد القبائل، أننا سنجيبه إلى الميعاد ونضرب له من جهتنا وعدا أمام هيئة الأمم في نوفمبر ...إن غي موليه يريد الانتخابات مهما كلفته، وإننا لنعلمه أن إدارة جبهة التحرير ستنتظم قبل انعقاد مجلس هيئة الأمم المتحدة انتخابات لتعيين مجالس الشعب لا ببلاد القبائل وحدها، بل بالبلاد الجزائرية جمعاء، وسيتاح للصحافة الفرنسية والأجنبية أن تأتي أفواجا لتشاهد عمليات الانتخاب " ينظر: جريدة المجاهد، العدد 3، 01 سبتمبر 1956، ص 4.

وخلافا لنغمة النجاح[1] التي يسعى البعض لترديدها بقوة، يذهب محمد حربي إلى أن عملية التأطير السياسي وتنظيم الشعب، قد أوكلت لأناس لا خبرة لديهم، ويفتقرون إلى التكوين السياسي، ولا وقت لديهم للحصول عليه، ومن ثمة كانت مهمتهم صعبة للغاية لاسيما في الوسط الفلاحي، حيث كانت المصلحة الذاتية تطغى على الواجب الوطني[2] .

إن الحديث عن مزايا ابتكار المجالس الشعبية، لا يفضي بالضرورة إلى التأكيد بأنها كانت أنوية لمؤسسات أو هيئات بالفعل ديمقراطية على مستويي التشكيل والممارسة، فبرأي بعض المعاصرين، فإن مشروعها قد تعرض للإفساد، حين بدأ وضعه موضع التطبيق، ففي إفادة عبد الحميد بوضياف التي أوردها حربي، جاء أن الشعب في الولاية الرابعة أزيح شيئا فشيئا تاركا المجال للسلوك السلطوي لبعض المسؤولين، مما أثار تذمره بالرغم من أنه قد اقبل على كل التضحيات، وخضع لكل أعمال العنف، إلا أن عنف جبهة التحرير، لم يوضع يوما في الكفة المقابلة لكفة العنف الصادر عن الاستعمار، بحيث كان ينظر إليه على أنه يمثل عنف الجماعة التي يريد كل واحد أن ينصهر فيها [3].

في الواقع، فإن مجالس الشعب أي الجماعة بوصفها بنية تحتية سرية، لم تكن على مستوى الفكرة ابتكارا حصريا لج ت و، بل لها ماض قديم في التقاليد المجتمعية الجزائرية، فقد بدأت في الوسط الريفي، وجرى تعميمها على المراكز الحضرية، من خلال خلايا ج ت و والتي تطلق عليها السلطات الفرنسية

---

1 – في هذا الصدد كتب علي كافي:" إن المجالس الشعبية كانت بحق تكريسا للسيادة، وركيزة هامة جدا في إرساء أسس الدولة المستقبلية ". ينظر: علي كافي، المصدر السابق، ص 196.

2 – محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مصدر سابق، ص 255.

3 – المصدر نفسه، ص ص 255– 256.

التنظيم السياسي الإداري OPA، قد أثارت انتباه تلك السلطات التي أخذت تستشعر خطورتها، ويرى سليمان الشيخ، أن النشاط الخفي لهذه البنية التحتية السياسية-الإدارية كان من الاتساع والفعالية، بحيث أن الإدارة الاستعمارية وجدت نفسها مهددة من الداخل.[1]

3- المقاطعة السياسية والاقتصادية: الرهانات والمكاسب.

جاء في أحد المناشير التي أصدرتها جبهة التحرير الوطني، وأشارت إليه مذكرة إعلامية يوم 15 مارس 1956م، دعوة الشبان الجزائريين تحت طائلة التهديد بالموت، إلى تقديم الاستقالة الفورية من الهيئات الشبانية الفرنسية، وفك كل اتصال أو علاقة مهما كانت خفية مع الفرنسيين واليهود وخاطب المنشور خاصة فئة الشباب، حيث حثّها على قطع صلاتها بتلك الهيئات، على غرار الكشافة ودعاها إلى الانضمام إلى هيئة الكشافة الإسلامية الجزائرية S.M.A التي تم تشكيلها، وركز الخطاب الذي حملته ذات الوثيقة، على التضحيات الجسيمة وضريبة الدم التي يدفعها الجزائريون في سبيل القضية الوطنية[2].

ولعل من الاستراتيجيات البارزة التي أولتها الجبهة أهمية خاصة، كانت إستراتيجية المقاطعة الاقتصادية، وهكذا، فقد أصدرت جبهة التحرير الوطني بتاريخ 15 جوان 1955م، أمرا إلى كافة الجزائريين، بالامتناع عن تعاطي التبغ، والتوقف عن التردد على الحانات، والأماكن المخصصة لبيع المشروبات الكحولية، مؤكدة أن الالتزام بهذا الإجراء، لا يعبر فقط عن إرادة تحرير الوطن من الاستعمار، بل يمثل أيضا ضربة قوية للاقتصاد الامبريالي، وإن التجند الجماعي وراء هذه الخطوة يجسد التضامن مع جيش التحرير الوطني، الذي

---

1 - سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 246.

2 - ANOM , GGA, 7G /1223-1224, Découverte d’un tract du FLN, Note de renseignement du 15 mars 1956.

يقود معركة الانعتاق، وهي فرصة للتأكيد للعالم بأن الجزائري يعرف ماذا يريد، والى أين هو ذاهب[1].

ويتوخى الهدف الآخر ضرب مصالح الرأسمال الزراعي الاستعماري، من خلال ضرب زراعة وصناعة التبغ، المتمثلة في الشركات الكبرى كمصانع باستوس Bastos لمالكها الكبير بورجو Borgeaud، وكذلك مصانع جوب Job، التي كانت تحتكر هذه المنتجات بالجزائر، وقد تم توسيع الحظر ليشمل منع الفلاحين والمزارعين من العمل عند المستوطنين، كما حصل في مناطق باليسترو(الأخضرية)، وتلمسان، وعين تموشنت خلال سنتي 1956-1957م، مما ضرب في الصميم القطاع الزراعي للكولون[2].

لقد كانت مناشير جبهة التحرير تدعوا صراحة لمقاطعة البضائع والمنتوجات الاستعمارية،وكل أشكال التعاون، كما ورد في أحد المنشورات" قاطعوا كل منتجات الكولون الفرنسيين، باجتناب كل المبادلات والمعاملات معهم مثل: البيع والشراء، أو كراء الأراضي والبساتين"[3].

وإلى جانب حظر المواد السالفة الذكر، تم منع ارتداء القبعات les Bérets، والتردد على قاعات السينما، وإعلان مراسيم الاحتفالات في الوقت الذي كان يموت فيه أفراد الشعب الجزائري، والامتناع عن دفع الضرائب، ومنع تصوير النساء لغرض طلب وثائق الهوية، والتداوي عند الأطباء، وذهاب الأطفال للدراسة، كما شملت المقاطعة، عدم طرح النزاعات على مستوى القضاء

---

1 - Mohamed Harbi, les Archives de la Révolution algérienne, les Editions Jeune Afrique, S.D, p 105.

2 – هواري قبايلي، ثمن حرب: الثورة الجزائرية وانعكاساتها على الاقتصاد الاستعماري الفرنسي، ط1، دار كوكب العلوم الجزائر، 2012م، ص ص 257-258.

3 – هواري قبايلي، المرجع السابق، ص 260.

الفرنسي، وفي هذا الإطار، دلت الإحصائيات على تراجع القضايا المعالجة بالمحاكم في الفترة 1954–1957م إلى نسبة 90%[1].

وفي هذا الصدد، نشرت جريدة المقاومة الجزائرية على لسان صحفي فرنسي أجرى تحقيقا في الولاية الثالثة قوله[2]:" إن الثورة الجزائرية أوجدت إدارتها الخاصة، إدارة سرية تأخذ الضرائب وتقضي بين الناس، وتفصل في النزاعات، وبذلك صارت محكمة تيزي وزو خالية لا يقدم إليها أحد وصار المحامون بدون قضايا يكتسبون منها، مما اضطرهم إلى طلب إعانة مالية من وزارة المال الفرنسية "

وقد أكد لي ذلك والدي المجاهد الحسين خليفي[3] ، مضيفا بأن ج ت و قد أمرت بداية من سنة 1956م بالامتناع عن إبراز مظاهر الاحتفال، ومن ذلك

1 - Gilbert Meynier, Histoire intérieure du FLN 1954-1962, Casbah Editions, Alger, 2003, pp 200-201.

2 – محمد لحسن زغيدي، المرجع السابق، ص 142. نقلا عن: جريدة المقاومة الجزائرية، 20 ماي 1957م، ص 3.

3 – الحسين بن الفضالي خليفي (1927– حي 2017 م) أصيل بلدية أولاد عدي لقبالة ولاية المسيلة، من أعيان دائرة أولاد دراج، ناضل في صفوف جبهة التحرير الوطني بدوّار سلمان بإقليم المسيلة كعضو اتصال مكلفا بنقل البريد بين مسؤول لجنة الدّوار المذكور المسمى عبد القادر بن فليفل، باتجاه العديد من رؤساء اللجان بالقرى المجاورة على غرار المعاضيد، والمعاتيق، والطّلبة، وكان ذلك خلال الفترة 1957–1960م، ليلتحق في نهاية سنة 1960م بفرنسا، حيث أصبح عنصرا ضمن ما يعرف بمجموعات الصدام les Groupes de Choc الناشطة في منطقة ريس أورنجيس Ris Orangis بضاحية باريس، تحت قيادة المسمى عبد الله القبايلي، المنحدر من منطقة ذراع الميزان بإقليم تيزي وزو، وقد كان الفوج الذي انتمى إليه يتشكل من خمسة عناصر، وهم: محمد بن تيخة إسماعيل مجناح (حي 2017)، والبشير تومي، والصادق مجناح(حي 2017)، ومن بين المهام التي أسندت إليهم: فرض تحصيل الاشتراكات، والقيام بتأديب العصاة، والإغارة على مواقع العناصر المصالية، واستمر الأمر كذلك إلى غاية وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م.

إلغاء صور البهجة المصاحبة للأعراس بحيث تتم مراسيم الزواج في صمت، ويتم تقييد عقود الزواج من طرف مسؤولي الجبهة بالدّوار مقابل دفع مبلغ 50 فرنكا قديما، وبخصوص مدى الالتزام بقرار منع تعاطي التبغ، أفادني بأن الالتزام كان ظاهريا، بحيث لا يجرؤ أحد على القيام بذلك أمام حتى أقرب الناس إليه، ومع ذلك، فقد كان يتم الاستهلاك في الخفاء، بما في ذلك من طرف جنود جيش التحرير[1].

ويبدو إصرار الجبهة على مواصلة النهج، من خلال إصدارها لمنشور جديد حمل تاريخ أفريل 1956م، تحدث عن وجوب التزام الجميع بأمر المقاطعة، والتي تعني التحريم الكامل لكل أشكال التعامل مع الإدارة الاستعمارية، وحظر كل استعمال أو استهلاك للمنتجات، وبضائع الاقتصاد الاستعماري، فقد حان وقت بدء المعركة الاقتصادية[2].

تمت الدعوة إذن إلى مقاطعة جذرية للإدارة الاستعمارية، والانخراط في المؤسسات التي شكلتها الجبهة، مما يقود إلى خلق دولة داخل دولة، وفي هذا الاتجاه، يكتب الباحث جيلبير مينيه Gilbert Meynier بأن نجاح ج ت و في تأسيس منظومة إدارية تماثل ما هو قائم عند الدولة الاستعمارية إنما تحقق لأنها عبرت عن آمال الجماهير، التي كانت تستشعر وهي تستجيب للنظام بأنها في دولتها، مضيفا بأن الهدف الحقيقي من الالتحاق بتلك المؤسسات الموازية، هو إثبات أن الشعب الجزائري لم يعد بحاجة إلى وصي يسيره، وبأنه أصبح قادرا على إدارة شؤونه بنفسه، أي باختصار صاحب سيادة[3].

---

1 – الحسين خليفي، مقابلة شخصية، أولاد عدي لقبالة، المسيلة، 01 نوفمبر 2013م.

2 - Mohamed Harbi et Gilbert Meynier, Le FLN Documents et Histoire 1954-1962, Casbah Editions, Alger, 2004,pp 112 -113.

3 - Gilbert Meynier, Op.Cit, pp 200-203.

وفي سياق مدّ أذرعها صوب كافة الشرائح والفعاليات، عملت الجبهة على خلق تنظيمات جماهيرية، والتي كان عليها التشكل والخضوع لمقتضيات القانون الفرنسي، وهو ما سايرته ج ت و تكتيكيا، حيث كانت تتوخى جعلها قوة داعمة لآلية الكفاح السياسية والعسكرية التي تقودها، وهكذا شهدت الساحة، ميلاد التنظيمات الطلابية والعمالية، وتنظيمات التجار، والحركة النسوية، والتي ظهر بعضها قبل مؤتمر الصومام، الذي أكد على أهميتها الإستراتيجية كقناة معبرة عن تطلعات الشعب الجزائري، ومن ثمة جاء التنصيص على موقعها الحيوي في المواجهة المفتوحة مع المستعمر.

وفي هذا السياق، فإن تاريخ 24 فيفري 1956م، يمثل محطة معلمية بالغة الدلالة، فقد شهد هذا التاريخ ميلاد التنظيم النقابي الشهير الإتحاد العام للعمال الجزائريين، الذي أسندت رئاسة مركزيته الأولى إلى المناضل الشهيد عيسات إيدير بمعية بن عيسى عطا الله، وبوعلام بورويبة، ورابح جرمان وعلي يحي مجيد، وكانت القيادة الجماعية يومئذ، هي القاعدة السائدة في كل مؤسسات الجبهة، وكان على هذه القيادة الجديدة أن تواجه وضعية معقدة، وتخوض معركة فاصلة ضد النقابيين المصاليين والشيوعيين على حد سواء، وبعد مضي أقل من شهر على تأسيس الإتحاد بادرت أمانته العليا إلى إصدار صحيفة " العامل الجزائري " بإشراف زيتوني مسعودي، وقد صدر منها 13 عددا، صودرت كلها عدا العدد الافتتاحي[1].

لقد كان مطلوبا من مناضلي النقابة الثورية توجيه نشاطات منظمتهم، لمؤازرة الأعمال البطولية لجيش التحرير الوطني، عبر الحركات الإضرابية،

1 – محمد عباس، رواد الوطنية – ثوار عظماء (سلسلة الأعمال الكاملة)، ج7، دار هومة، الجزائر، 2013، ص ص 459-460.

وعمليات التضامن والمساهمة المالية مع ج ت و وبسرعة تم تشكيل خلايا للإتحاد لدى عمال سكك الحديد، وعمال البريد والميناء، والمعلمين وبشكل أقل حماسا لدى الموظفين، لم يمض وقت طويل حتى استقطب هذا الإتحاد شريحة العمال انضماما وتوجيها، فبعد شهر من تأسيسها، أحصت النقابة انخراط 110.000 عامل في صفوفها.[1]

حرصت وثيقة الصومام على تعزيز الأهمية المنتظرة من هذا الإتحاد كقوة اجتماعية فاعلة، حيث ينبغي التوظيف الجيد لموقعها المحلي في دواليب الاقتصاد الاستعماري، وتطوير موقعها على الساحة الدولية، حيث بحلول شهر جويلية 1956م، أصبح التنظيم عضوا كامل الحقوق في الرابطة العالمية للنقابات الحرة، والنقابة الدولية للعمل، فصار صوت العمال القوي، ومن ثمة صوت الثورة الجزائرية في المحافل النقابية العالمية.

وعلى المستوى الداخلي، وبالرغم من المحاصرة الاستعمارية المبكرة لنشاطاته، وذلك بإقدام الإدارة الفرنسية على شن حملة اعتقالات واسعة في صفوف إطاراته وقيادييه منذ شهر ماي 1956م إلا أن التنظيم تمكن وبحلول شهر جويلية من نفس العام، من وضع تنظيمه الداخلي حيز الممارسة الأمر الذي مكنه من تنظيم مسيرات وشن إضرابات متتالية، ولعل أقواها كانت إضرابات 05 جويلية وفاتح نوفمبر 1956م، ويعد إضراب الثمانية أيام 28 جانفي – 04 فيفري 1957م آخر حركة إضرابية للإتحاد، حيث تعرض نقابيوه وإطاراته للمتابعة والتوقيف، ثم منع من النشاط، مما قاده إلى ولوج السرية، بل أن قيادة الاتحاد وعلى غرار القيادة السياسية ممثلة في لجنة التنسيق والتنفيذ

---

1 – هواري قبايلي، المرجع السابق، ص 282.

غادرت أرض الوطن، واستقرت في العاصمة التونسية منذ نهاية شهر جانفي 1957م[1].

كان على الإتحاد أن يتكيّف مع الظروف والمستجدات، وأن يواصل نشاطه ولو خارج قواعده في الداخل[2]، وهكذا نراه يتجه للتغلغل وسط الجالية المهاجرة بفرنسا، حيث قام بتأسيس الودادية العامة للعمال الجزائريين AGTA بتاريخ 16 فيفري 1957م، وهي التنظيم الذي لعب دورا هاما في تعبئة العمال المهاجرين لصالح القضية الوطنية، وتولت الدفاع عن حقوقهم، وأضحت قناة دعائية تعمل على تنوير الرأي العام الفرنسي بحقيقة الأوضاع في الجزائر، كما تصدت لمحاولات النقابة المصالية توجيه الطبقة العمالية نحو أطروحاتها، إلا أن نشاطها لم يعمر سوى 18 شهرا، حيث تعرضت للحل في شهر أوت 1958م[3].

حظيت فئة التجار والحرفيين هي الأخرى، باهتمام خاص من لدن قيادة الثورة، فكان لابد من تخندقها في صف المعركة، فبحكم طبيعة النشاط الحيوي للتجار، باعتبارهم مخزونا حيويا لتموين الثورة الجزائرية بالمؤونة والمال، وبغية هيكلة هذه الشريحة، تم إنشاء الإتحاد العام للتجار الجزائريين في المؤتمر التأسيسي المنعقد بالجزائر العاصمة يومي 13 و 14 سبتمبر 1956م، بحضور 40 نقابة تجارية وصناعية ليكون فضاء منظما لفئة التجار والحرفيين.

---

1 – عقيلة ضيف الله، المرجع السابق، ص ص 328–330.

2 – يذكر محمد تقية أن دور الاتحاد انتهى مع إضراب الثمانية أيام، وأن محاولات القاعدة العمالية بإعادة بعث النشاط لم تكن تلقى التشجيع من القيادة المركزية، التي تمركزت بالخارج تجنبا للوقوع في قبضة السلطات الاستعمارية. ينظر: الثورة الجزائرية: المصدر، الرمز، والمآل، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2010، ص 219.

3 – سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 247.

وتحدثت مذكرة استعلامية فرنسية بخصوص نشاطات الإتحاد، بأنه وخلال المؤتمر التأسيسي تم التطرق إلى مسألة الاتصالات مع التجار اليهود لدفعهم إلى الانخراط في هذه المنظمة، وتحديد مبلغ اشتراكهم بـ 25000 فرنك، وهي العملية التي تجعلهم في منأى عن عداوة الجبهة، وتوقع الإتحاد أن تكون مساهمة 2000 تاجر إسرائيلي بالجزائر في حدود 50 مليون سنتيم.[1]

لقد ساهمت هذه المنظمة في بضعة أشهر فقط، في تقديم خدمات بالغة الأهمية للثورة عبر آلية النضال المستمر، وتجنيد التجار وراء جبهة التحرير الوطني، وقد كان إضراب الفاتح نوفمبر 1956م أول إضراب له، ومثّل في الآن ذاته، نقطة الانطلاق للقمع الفرنسي وقد شكل الإضراب العام لمدة ثمانية أيام امتحانا حقيقيا لصمود التنظيم، وفرصة قوية أثبت من خلالها التجار، تعلقهم بالقضية الوطنية وتحديهم العلني لآلة البطش الاستعمارية، وهو الموقف الذي جلب له المتابعات والمحاكمات وشتى أنواع التنكيل وهي الوضعية التي اضطرت قيادة الاتحاد إلى مغادرة التراب الوطني والاستقرار بتونس، ومواصلة نشاطاتها هناك، بالتنسيق التام مع قيادة جبهة التحرير الوطني.[2]

خاتمة:

إن ما نخلص إليه بعد هذا الاستعراض المقتضب لإستراتيجية جبهة التحرير الوطني، المتعلقة بإدارة الحرب التحريرية، والتي تعاطت معها – وهي تفتقر إلى وسائل النجاح– وفق منظور المواجهة الشاملة، حيث نأت بها بعيدا عن مجرد كونها صراعا مسلحا ضد قوة احتلال، تقوده نخبة طلائعية لتضفي عليها الطابع الجماهيري، وتجعلها حاملة لمشروع بديل، يبرز قدرة الإنسان

---

1 - ANOM, 12 CAB /146, Activité de l’union générale des commerçants algériens, note de renseignements, du 3 octobre 1956 /Secret.

2 – المجاهد، العدد 11، 01 نوفمبر 1957م، ص ص 12–13.

الجزائري على رفع التحدي، ويظهر طموحه المشروع لتقويض سلطة الإدارة الاستعمارية، وتطلعه إلى إحلال إدارة وطنية محلها، تعيد له كينونته التي تعرضت للمصادرة، وتسمح له بالانخراط في المجتمع العالمي بعيدا عن الوصاية، وعلى الرغم من الصعوبات المختلفة التي واجهها هذا المسعى، إلا أن الإرادة الجماعية للجزائريين هي التي صنعت الفارق في النهاية، حيث كان الرهان بين شعب ملتف حول مؤسسات ثورته، وبين منظومة استعمارية لم تزل غارقة في أساليبها القديمة، فكانت هزيمتها المدوية حتمية تاريخية.

Le militantisme politique du mouvement national algérien après la deuxième guerre mondiale entre la rivalité et la coopération

Pr.DJOUIBA Abdel Kamel
Université Mohamed Boudiaf de M'sila-Algérie

À l'esprit du défunt professeur Abdelkrim BOUSAFSAF qui a bercé ses efforts et son temps pour l'éducation et l'enseignement, en particulier la recherche scientifique.

D'après les sociologues et les politiciens, le militantisme est un engagement actif et durable au service d'une cause, il est aussi un processus, ou les croyances des acteurs sont déterminées par des croyances antérieures. Accent sur la trajectoire biographique. Permet de faire le lien entre l'individu et le collectif.

Chose qu'on peut toucher facilement avec le mouvement national algérien avec toutes ses composantes humaines, soit leaders ou militants, d'après leurs trajectoires politiques face à la politique coloniale.

Ce mouvement national algérien a connu un changement radical sur le plan des principes et des moyens de lutte contre le colonialisme français, ce changement s'est commencé par Les événements du 8 mai 1945 qui ont fortement impacté sur le mouvement national, son devenir et sa stratégie. Ce fut avant tout la fin des AML, seule séquence historique où tous les courants du nationalisme algérien furent unis. Sans oublier que les massacres ont endeuillé une région où l'appui au mouvement national était particulièrement puissant, c'était aussi bien le fief des partisans de Ferhat Abbas, que de Messali Hadj et des Oulémas. L'administration coloniale, suite, à sa féroce répression tenta la conciliation et proposa un projet qui ne pouvait selon elle que contenter les nationalistes à savoir celui de constitution. Il y eu convocation d'une assemblée constituante et l'administration française concéda treize sièges aux Algériens. La participation aux élections en vue de siéger à l'assemblée constituante divisa les rangs

des nationalistes, le PPA clandestin y était fortement opposés [1] ce qui n’était pas le cas des partisans de Ferhat Abbas. A l’annonce des résultats les partisans de Ferhat Abbas remportèrent 11 des 13 sièges. [2].

Ce rapprochement conseillable ?

Après la dernière victoire aux élections l’UDMA lança un projet de réforme en date de 09 Août 1946 à l'Assemblée constituante ; en proposant l’octroi d’une Constitution spécialement pour l’Algérie, avant la publication de la Constitution de la IVe République en Octobre de la même année. [3]

Le projet proposé par le Parti de l’Union démocratique fut de réclamer des réformes politiques et socio-économiques, comme il est indiqué dans les articles ci-dessous:

Article premier : La France reconnaît la République algérienne et son gouvernement et les couleurs nationales.

Article II : la République Algérienne est un membre de l'Union française, avec la supervision conjointe de la politique étrangère et la défense nationale.

Article III : la République Algérienne jouit d'une pleine souveraineté sur le territoire national, et supervise toutes les affaires

---

(1) Abdelkader Hamid, Ferhat Abbes l’homme de la république, maison Al Maerefa, Algérie, p 108.
(2) Charles André Julian : l’Afrique du Nord en marche, traduit par Monji Slim et autres, MTE, Tunis, 1976, p 200.
(3) Abbes Farhat, La guerre d’Algérie et sa révolution, la nuit coloniale, imprimerie Fadhala, El mohamadia, Maroc, p 200.

intérieures par le Parlement, dont les députés seront élus au suffrage général.

Article IV : les Français ont les mêmes droits que les Algériens.

Article V : les Algériens en France bénéficient des mêmes droits que les Français.

Article VI : après la ratification, les deux articles précédents peuvent être généralisés sur tous les membres de l'Union française.

Article VII : L'enseignement par les deux langues officielles, le français et l'arabe est obligatoire pour les deux sexes ([1]).

Cependant, ce projet rencontra une forte opposition, le Conseil n'a même pas jugé bon de débattre ne serait-ce que de quelques propositions. L'UDMA n'eut de cesse de politiser à outrance les débats en cours à la constituante et la principale revendication ne demeura pas lettre morte dans les mains des nationalistes de l'UDMA. La pression des politiques de l'UDMA fut si forte que la Quatrième République envisagea d'adopter un projet de constitution de l'Algérie en demandant notamment aux conseils locaux des provinces d'entamer des discussions en vue d'enrichir le contenu des réformes à Constantine. A titre d'exemple, la session de printemps du Conseil général tenue en avril 1947 ratifia un protocole d'idées issues des propositions de Ferhat Abbas existant dans son projet fédéral et qui réclamait que soit respecté la personnalité algérien et la garantie du droit à l'indépendance au sein de l'Union Française (2)

Cela provoqua bien évidemment la colère du colonat dont les membres se déplacèrent pour menacer le Gouvernement français au cas où celui-ci donnerait son approbation à des lois n'étant pas en faveur de l'Algérie française, et parmi ceux qui ont adopté cette proposition « Guittiénne Faure» (3) qui affirma menaçant l'administration «si le Conseil national d'Algérie offre un droit opposé

(1) Ibid, pp 200-201.
(2) Hamid, Op. Cit., p 115.
(3) Professeur des droits à l'université d'Alger, membre au parlement au nom du mouvement républicain populaire et directeur du quotidien le journal d'Alger.

aux intérêts des colons, les représentants de la minorité européenne n'hésiteront pas à aller ailleurs du métropole.(1)

Pour sa part, a déclaré le député «Jacques Chevalier»

Dans son attaque sur la constitution proposée par le Parti de l'Union démocratique, en disant: « Faire apprendre l'arabe obligatoirement va pousser les musulmans de plus en plus à l'Islam, ce qui signifie le renforcement de la relation avec la Ligue arabe et tous ceux qui veulent l'indépendance de l'Algérie, et enfin, cela signifie l'adoption des Berbères sous l'autorité de l'islam par le langage» (2)

L'ancien directeur général de gouvernement général d'Algérie, «Boyer Bonce» dans une lettre adressée au ministre français des Affaires étrangères a déclaré : « Si la France a nous abandonne cela sera la honte, nous serons obligés de demander à l'Organisation des Nations Unies notre droit en tant qu'un peuple abandonné par la France, et dans ce cas vous serez obligé de fournir les raisons qui poussaient la France à cette trahison»(3). Les multiples pressions du colonat n'étaient que la continuité des méthodes utilisées naguère pour faire échouer tout projet de réforme aussi minime soit-il. Ce fut déjà le cas sous le Front Populaire lorsque les colons firent échouer le projet Blum-Violette. Ils firent de même avec les propositions du parti de Ferhat Abbas s'y opposant frontalement. (4)

La pression des colons sur le gouvernement de la quatrième République française commença avant la publication de la Constitution, chose qui fit changer le point de vue du gouvernement en signalant au Conseil son souhait d'exclure le projet de la loi proposée par l'UDMA, et d'accorder la préséance au projet proposé par lui-même, (5) Ainsi ils étaient sur la même ligne que «Charles de Gaulle » qui déclara au cours d'un débat parlementaire prononcé le 18

(1) Mohamed El Arbi Zoubairi, l'Histoire de l'Algérie contemporaine, publications de l'Union des écrivains arabes, 200.
(2) Ibid.
(3) Zoubairi, Op.cit.
(4) Julian, Op.cit., p 347-348. Voir aussi Stora Benjamin, Zakya Daoud : Ferhat Abbas, une utopie Algérienne, Ed : Denoél, Paris : 1995, p : 177.
(5) Ageron, Op.cit., p 154.

Août 1947, qu'il soutenait la proposition de publier une loi qui permette à la France d’ exercer ses droits de souveraineté et les devoirs de plein exercice. ([1]). Il est clair que l’objectif du Général De Gaulle était de satisfaire les colons pour ainsi gagner leur sympathie, car ce dernier était bien conscient de leur influence en Algérie. Toutefois les hommes du mouvement national algérien décidèrent d’agir et ne furent nullement les adeptes de l’immobilisme face aux manœuvres du colonat. Ils tentèrent de rallier à leur cause les milieux français qui étaient partisans des réformes. Il y eut bien sur Ferhat Abbas, qui a mis en garde sur les conséquences qu’aurait l'adoption de tout projet qui ne reconnaîtrait pas la République algérienne indépendante, il appela à la justice pour les Algériens et leur droit de se réunir loin des anciennes demandes de l'intégration. [(2)]

C’est dans un contexte plus que tendu que, Ferhat Abbas lors de sa rencontre avec le président du gouvernement français de l’époque, «Paul Ramadier» tenta de le convaincre de faire adopter un projet équitable répondant ainsi aux aspirations du mouvement national dont la finalité était l’indépendance, en disant: «Le corps de l’Algérie est limitée par des vêtements imposés sur lui, il avait besoin de respirer, alors essayer de lui tisser des vêtements à la mode». Le premier ministre a répondu en disant: «absolument monsieur Abbas Nous allons vous tisser des nouveaux vêtements sur mesure mais détaillée sur la façon française. »[(3)]

Malgré tous les efforts déployés par les éléments du mouvement national algérien, pour exercer une sorte de pression sur le gouvernement français, d'une part, et de gagner le soutien des certaines personnalités modérées des partis français d autre part, toutes les tentatives en vue d’impacter sur la ligne politique du gouvernement français furent des échecs parce que l'Algérie était un territoire français et une quelconque action politique visant à en altérer le statut ne pouvait connaître que l’échec. C’est ainsi que fut ratifié la

---

(1) Julian, Op.cit., p 350.
(2) Abbes, Op.cit., p 216.
3 Amar Naroun : Ferhat Abbas, ou les chemins de la souveraineté, Ed, Denoël, France: 1961, p: 117. Vu aussi, Stora, Daoud : Op.cit., p:179.

loi organique de l'Algérie dans le Conseil national français le 20 Septembre 1947 par 322 voix contre 92 voix, avec 163 voix nulles. ([1])

Ferhat Abbas commenta ceci en disant: «sous la pression des intérêts personnels des colons, le Parlement français a voté sur la constitution de l'Algérie, ce qui est vraiment contre la démocratie. »([2])

La loi contenait huit sections et soixante articles, conçus dans son ensemble pour séparer l'élite intellectuelle de l'ensemble du peuple algérien, cette loi dans ses articles tenta une certaine symbiose entre système « fédéral » et l'intégration, l'Algérie étant une des provinces d'outre-mer qui avait sa spécificité administrative et financière.([3]). Avec en prime une égalité théorique en droits et devoirs pour tous les citoyens, Il y eut aussi mise en Place d'un Conseil algérien composé de deux collèges dans lequel siégeaient les musulmans et les Européens.([4]). La même loi prévoyait que La France en Algérie était représentée par un ministre délégué, et fut également retenu par cette loi, la reconnaissance de la langue arabe comme langue officielle, à côté du français. ([5])

Pour «Jacques Chevalier» c'était une avancée significative pour lui la plupart des revendications du manifeste avait été satisfaite :« la constitution a répondu a certain nombre des revendications exprimés par les signataires du manifeste du peuple algérien, comme elle a donné naissance et sans opposition à la phase de transition vers le libéralisme ou le fédéralisme, alors il suffit de revenir au deuxième

---

(1) Charles Robert-Ageron : Histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, Presse universitaire de France, 1968, P : 60.

(2) C.A.O.M, Aix-en-Provence, Fonds personnels, Ferhat Abbas, Boite : 93/4296. (Rapport N=°5-948 de la police des informations générales, sous-titre : Vœux au conseil général du 12/11/1947)

(3) Gabriel Esquer : Histoire de l'Algérie 1830-1950, Ed, presses universitaires de France, Paris : 1950, P : 116.

(4) C.A.O.M, Boite 8 H/41, Journal officiel du 21 Septembre 1947, portant lois de 20 sep 1947.

(5) Julian, Op.cit., p 352-353.voir aussi : Mahfoud Kaddach : Histoire du nationalisme Algérien 1919-1954, ENAL, Alger : 1981, T2, pp : 771-772.

titre du manifeste et voir sa conformité avec le contenu de la loi du 20 Septembre 1947 ayant inclus la Constitution d’Algérie »([1]).

Quant au mouvement national, il fut dérouté par le contenu de la constitution, ce qui eut pour conséquence un changement dans sa posture politique illustrée notamment par l’action d’un Ferhat Abbas plus qu’amer, fait qui est signalé dans un rapport confidentiel du Commandement général de la dixième région militaire à Constantin le 01 avril 1948, faisant état d’une certaine radicalisation du Pharmacien de Sétif en déclarant: «... Nous avons combattu aux côtés de la France en 14-1918 et 39-1945, derrière les promesses du gouvernement, nullement réalisées, par contre ils nous ont massacré en 1945, nous ne pouvons pas leur faire confiance à nouveau ... si une catastrophe a eu lieu, comme ceux qui se sont produits en 1940, et qui je l'espère arrivera en France, je serai parmi les ennemis.»([2]).

Aussitôt le choc et la déception passés, la première réaction du mouvement national ne se fit pas attendre, les conseillers de l'UDMA siégeant au sein du Conseil de la République démissionnèrent et justifièrent leur choix dans une lettre signée le 31 Août 1947, où ils déclarèrent : << Nous protestons contre la loi organique de l’Algérie imposée par le Parlement français à la majorité de la population algérienne, et sur cette base, nous vous adressons notre démission du conseil, sans mettre à l’abri la négociation menée par les partis en notre absence sur cette loi ([3]), on note ici les trois inconvénients suivants :

- Tout d’abord cette loi passa en l'absence des musulmans élus représentants de la population algérienne, et sans prendre en considération leurs aspirations, les colons ont conspiré avec l’ancien chef du gouvernement (Charles de Gaulle) pour empêcher le

(1) Jacques Chevallier : Nous.. Algériens.. Ed Clemon-Levy, Paris : 1958, P : 75.
(2) C.A.O.M, Aix-en-Provence, Boite: 93/4296. OP.cit.(Secret, Demande d’informations, de la dixième region militaire de Constantine, la direction générale, deuxième bureau, N°: 256, le 01 Avril 1948)
(3) Ageron : Op.cit. p : 609.

fonctionnement des institutions républicaines dans le cadre de la loi, et il a signé l'alliance contre les musulmans algériens.

- Deuxièmement, nous voyons dans la présente Constitution, une violation et contradiction de la Constitution de la IVe République, en particulier l'article 82 dans le deuxième alinéa, qui confirme que le statut personnel ne peut en aucun cas constituer une raison de la déchéance des droits et libertés inhérents à la citoyenneté française, autre ironie est de voir dans le cadre de l'une république indivisible en vertu de la Constitution, une division des élus en deux groupes en fonction de leur sexe et leurs croyances religieuses.

- Troisièmement, le gouvernement et certains parlementaires reposaient sur le démembrement du conseil algérien de chaque autorité législative, à la présence des représentants des Algériens dans le Parlement français, ce qui est incompatible avec la réalité, leur présence dans le parlement français est de ne pas pratiquer la souveraineté française, mais de contribuer à la mise en place d'organismes fédéraux, dans le but d'exercer sa souveraineté en Algérie et dans le Conseil de la Fédération. ([1])

Ceci est démontré par l’instruction émise par les services du gouvernement général en Algérie adressée aux divers services, mettant l’accent sur les nouveaux pouvoirs accordés au gouverneur général après la publication de la loi du 20 Septembre 1947, où il insiste sur l’instruction que le gouverneur général et sans faire référence à un organisme consultatif, est devenu légalement qualifié pour traiter et régler les questions qui étaient du ressort de l’ancien Conseil consultatif. ([2]) même les relations avec le Conseil algérien ne devaient passer que par sa voie ([3]) pour la mise en place des projets

(1) Naroun : op.cit. pp: 174-176.
(2) C.A.O.M, Boite 8 H/41, Note N=° 2.961 en date de 05 Fev 1949, du gouvernement général de l’Algérie a messieurs les directeurs et chefs de service, portant l’objet : règlement des affaires pour lesquelles l’avis de l’ancien conseil de gouvernement était prévu par les textes.
(3) Ibid. Note de service N° 58 SG/CB, a messieurs les directeurs et chefs de service, en date de 16 Juin 1948, portant l’objet : correspondance avec l’assemblée algérienne.

avec le Conseil dans le but d'exprimer une opinion ou revenait seul Gouverneur général. ([1])

C'est dans cette optique que des personnalités du mouvement national critiquèrent avec virulence cette constitution à l'instar du Dr Saâdane, qu'il décrivit comme « jeux enfantins », qui ne pouvant dans un cadre approprié résoudre les problèmes de la liberté et de la démocratie, cette constitution étant - fondée sur des mensonges et des mystères. La constitution pour lui, n'était le fait que d' hommes qui n'ont pu échapper à l'intolérance du colonialisme et de la tradition de l'impérialisme, en disant: «il y a des hommes esclaves mais libres, par contre il y a des hommes libres mais ils sont des esclaves, en vérité les hommes qui étaient d'accord avec la loi de l'Algérie ne sont plus libres mais en réalité se sont des esclaves, l'instinct de contrôler l'autre est grandi en eux, et n'hésiter plus d'utiliser la force et la violence pour garder les biens des autres. »([2])

Puis il conclut en disant : « La tragédie dans ce cas est le fait que nous et la France ne parlions pas la même langue, le gouvernement français et le Conseil national promulguent les lois pour notre pays, qui est pour eux comme une ferme, sans tenir compte que c'est une patrie et nous ne sommes plus des serviteurs et des serfs. » ([3])

De son côté, Mustefai de l'Union démocratique de l'Algérie, fit une critique acerbe de la constitution: «Cette loi fondamentale n'est pas fondée sur la politique d'intégration malgré, qu'elle se semble de le faire, et même ce n'est pas de la loi fédérale, de la façon demandée, elle n'a pas de l'esprit démocratique, malgré sa naissance dans une atmosphère d'émancipation Universelle, elle n'est pas du tout progressive parce qu'elle prend ce qu'elle donne à la droite, de la main gauche, tous les malhonnêtes moyens sont utilisés pour imposer cette injuste constitution sur l'Algérie, alors que tous les arguments présentés sont illégaux ([4]), dans son originalité elle manque de

(1) Ibid. Note de service, N° 1726 en date de 22 Avril 1948, portant l'objet : Transmission à l'assemblée algérienne des projets de décision et des demandes d'avis.
(2) Naroun : op.cit. p: 170.
(3) Ibid. p: 171.
(4) C.A.O.M, Boite: 93/4296, Op.cit. Rapport Confidentiel N=° 5-948.

personnalité et de l'âme et même de l'esprit, et son originalité - si elle existe – c'est juste pour préserver les anciens privilèges accordés aux maîtres de la terre, alors elle remplace les menottes aux poignets de fer par autres en or. »([1])

L'administration de la Quatrième République, appliqua immédiatement de manière effective après ratification, la Constitution, en organisant des élections municipales en Octobre1947 ([2]) et est allé à la forme de réalisation de ce qui est venu dans ce projet sur le terrain, sans prendre en considération l'avis des personnes concernées, ce qui est confirmé par le Gouvernement Général de l'Algérie par une correspondance destinée aux chefs des trois préfectures, pour soumettre leurs propositions concernant les conseillers Algériens dans le Conseil de gouvernement, en disant dans cette correspondance ce qui suit: « Selon la loi du 20 Septembre 1947, contenant la Constitution de l'Algérie, en particulier l'article VII de lui, les deux des dix conseillers du gouvernement sont nommés par le gouverneur général ... Je vous demande donc, de me fait part de vos propositions dès que possible, deux ou trois noms avec des fiches des renseignements à chacun entre eux » ([3])

Le même est confirmée par d'autres correspondances émises par le gouverneur du territoire du Sud adressé au ministre de l'Intérieur, demandant la confirmation de la mise en œuvre de ce qui était mentionné dans la constitution de 1947 surtout le deuxième article

---

(1) Juin Guillipse, l'Algérie révolutionnaire, traduit par Khayri Hammad, 1ere édition, Taliaa, Beyrouth, 1961, p89-90.
(2) Zoubairi, Op. Cit.
(3) C.A.O.M, Boite 8 H/41, correspondance Secrète en date de 29 Mai 1948, N=° 456 S, du Gouvernement Général de l'Algérie, cabinet du gouverneur général, A m/ le préfet de –Constantine, Oran, Alger- Objet : (conseillers du gouvernement).

relatif à l'égalité de rémunération, les subventions et les allocations familiales entre les soldats musulmans et français.([1])

Ou bien la convergence entre les partis politiques algériens était implicitement dans la rivalité de base ?

Dans le même temps les services de surveillance poursuivirent leur politique de répression à l’égard du mouvement national algérien, en favorisant notamment la division entre les principales formations nationalistes, à savoir le mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques présidé par Messali al Haj, et l’Union démocratique du manifeste algérien dirigé par Farhat Abbas. Ce fut justement le cas après les élections municipales en Octobre 1947 dans lesquelles le MTLD obtenait 33 % des voix, par rapport à 18 % pour l'Union démocratique.([2]) Messali Haj a envoyé une invitation à la direction de l'Union démocratique pour unir les efforts de l'organisation et ouvrir un dialogue bilatéral afin de trouver les moyens pour faire débarrasser le pays du joug colonial. La réponse de l'Union démocratique fut au début positive, le Bureau politique du parti approuva, sachant que le postulat de tout dialogue réel entre les deux parties, était de parvenir à un accord sur un programme de travail commun basé principalement sur une constitution avec la souveraineté absolue d'un état algérien, et l'abolition de toutes formes de colonialisme, qui est en fait les principes et les exigences les plus près du programme MTLD.

Toutefois, cet accord et de convergence ne dura pas et ce parce que l'Union démocratique révisa sa position, et posait de nouvelles conditions pour la poursuite de cette alliance, y compris le non - rejet de la représentation parlementaire, et le non condamnation de la fédération française, et le non renoncement de la Constitution de l'état souverain absolu de l’Algérie, ce qui fut rejeté par le MTLD, et poussa Messali a critiqué la Constitution de la République fédérale, soutenue par Ferhat Abbas, en disant; l’impérialisme nouveau - né, car elle laisse la défense nationale et les affaires étrangères entre les mains de

(1) Ibid. correspondance a monsieur le secrétaire du gouvernement général de l’Algérie, portant l’objet : Loi du 20 septembre1947 portant statut organique de l’Algérie – décrets à intervenir en application de l’article 2- en date de 27 Fev 1948, sous N° 787 sud/2.

(2) Stora, Daoud : Op.cit. p: 181.

l'impérialisme français, et met en égalité seulement un million des Européens en Algérie avec plus de dix millions d'Algériens. ([1])

De nouveau le mouvement national apparaissait plus que divisé, la situation était dès lors idéale pour ainsi concrétiser les aspirations de la IVe République, qui bloquait ainsi toutes possibilités aux Algériens de faire valoir leur droits, ainsi les dispositions apportés par la Constitution de 1947, ne profitèrent qu'au colonat emmené par « René Mayer» ministre des Finances dans le gouvernement de «Robert Schuman» en 1947, et a été le porte - parole officiel des extrémistes au sein du gouvernement. Il utilisa sa position et son influence pour déplacer « Châtaignons » du poste de gouverneur - général, et le nomma comme ambassadeur à Moscou, après avoir été accusé de complaisance avec les Algériens !

Quant à lui « Jacques Chevalier » écrit dans le journal «Echo d'Algérie », la phrase «Allez-vous en» « le maire de Skikda, » la presse alla même jusqu'à le surnommer «ben Mohammed Châtaignons» ([2]), il se fit remplacé par celui qui soutenu par la presse du colonat, l'extrême gauchiste « Marcel Edmond Naegelen ». ([3]) Celui-ci, aussitôt nommé débuta sa nouvelle mission avec enthousiasme, son objectif imposer la souveraineté française en Algérie à nouveau dans toutes ses formes. Pour Naegelen qui vécut dans le souvenir traumatique de la perte de l'Alsace-Lorraine, les nationalistes algériens avaient un objectif similaire à celui des Allemands, d'amputer le territoire français en militant pour l'indépendance de l'Algérie. Les slogans séparatistes du parti MTLD achevèrent de le convaincre ([4]).

Les colons affichèrent d'emblée solidarité et soutien au nouveau gouverneur général, et Immédiatement son investiture, en obtenant celui-ci fit le serment d'empêcher l'existence des nationalistes

---

(1) Zoubairi, Op.cit.
(2) Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, Op.cit. P : 610.
(3) Xavier Yacono : Histoire de l'Algérie de la fin de la régence Turque à l'insurrection de 1954, Ed, l'Atlanthrope, Paris : 1993, P : 347.
(4) Julian, Op.cit. p 355.

algériens au Conseil de l'Algérie. ([1]), mais Charles André Julien a mentionné à cet égard: «...immédiatement les colons sont neutralisés ; parce qu'ils n'ont pas convaincus que par l'exercice du pouvoir.» ([2]) il est utile de demander ici; qui a dominé l'autre les colons ou « **Naegelen**? » Quelle que soit la réponse, la complicité entre les deux est clairement apparu, lors des élections du conseil d'Algérie entre le 04 et11 Avril 1948, qui consacrèrent l'échec du Mouvement national de se réunir en un seul front contre l'alliance coloniale. ([3]), sans oublier l'apparition de la discorde dans les rangs du MTLD qui se divisa sur la question de la participation ou non aux élections. Ce qui eut pour conséquence de favoriser l'émergence d'un courant révolutionnaire rejetant le jeu politique, c'est de cette tendance d'ailleurs qu'émergea quelques années plus tard l'OS (l'organisation spéciale). Et ce Malgré les efforts des personnalités nationales pour unifier le mouvement national, dont «El Bachir Ibrahimi» de l'Association des Oulamas musulmans auteur d'un appel adressé à tous les partis du mouvement national, à unir les rangs surtout dans les élections ([4])

Mais ce fut désuni que les partis du mouvement national entrèrent dans la bataille électorale confortant Naegelen dans ses objectifs. Naegelen confirma le propos des nationalistes algériens du MTLD qui s'étaient toujours méfié de la gauche française qui a toujours soutenu ardemment la colonisation. Pour lui l'indépendance de l'Algérie correspondait à la fin et l'échec de l'œuvre française, il fallait par tous les moyens empêcher cette éventualité. Ce fut d'ailleurs pour cela qu'il organisa la fraude qui marqua considérablement les nationalistes algériens et leur fit prendre conscience que le jeu politique ne pouvait aboutir que par la méthode connue par son nom basé sur la fraude, la peur et le sang ([5]) Pour ce faire il a accusa les candidats du mouvement national d'avoir recours à la violence, de menacer la sécurité et l'ordre

(1) M.E. Naegelen, Mission en Algérie, Ed, Flammarion, Paris : 1962, P : 25.
(2) Julian, Op.cit. p 356.
(3) Hamid, Op.cit. p 119.
(4) Stora, Daoud : Op.cit. p : 177.
(5) Bernard Droz, Evelyne Lever : Histoire de la guerre de l'Algérie1954-1962, Seuil-histoire, Paris : 1982, pp : 33-36.

public pour ainsi invalider leur candidatures et procéder à l'arrestation de leur candidats ([1]).

Les ordres exécutifs furent lancées officieusement aux services des municipalités pour retarder au maximum la répartition des cartes de vote dans les quartiers où le Gouvernement soupçonnait l'existence d'un électorat ouvertement acquis aux thèses du mouvement national, par contre la même administration favorisa un grand nombre de candidats indépendants fidèles de l'administration coloniale, pour ainsi affaiblir le bloc électoral du mouvement national, avec en prime le bourrage d'urnes et mise en place de boîtes contenants des bulletins de vote et ce avant même les élections. ([2]) En condamnation du processus des élections un groupe de députés de l'Assemblée nationale a envoyé une lettre au ministre de l'Intérieur, par laquelle a déclaré que: «... travail direct fait par les **Kaids** dans les salles de vote, la perte des cartes d'électeur et des cartes d'identité, l'arrêt du scrutin à dix heures du matin, laissant le vote à la volonté des utilisateurs des coffres de vote ... » ([3])

Pour déduire les faits, les députés ont inclus avec leur message des exemples concrets, selon les sources des informations de chacun, un parmi eux dit: « L'un de mes amis des républicains de la ville d'Alger a été dans l'un des bureaux de vote, et il a été invité à quitter la salle de vote à 10.45 minutes du matin, et a été contraint de revenir après un quart d'heure pour la descente de la neige, il a noté que la liste électorale n'a porté que dix signatures quand il sort, la même liste a détient 194 signatures quand il est revenu, confirmant qu'il était resté devant la porte du bureau pour un quart d'heure, ce qui prouve qu'aucune personne n'a entré dans la salle de vote dans cette période. »([4])

Quel que soit le parti qui a eu les voix authentiques des électeurs - qui très probablement le MTLD – l'administration de la IVe

---

(1) Stora, Daoud, Op.cit. p : 183.
(2) Djilali Sari, Mahfoud Kaddach, Résistance politique 1900-1954, le chemin réformiste et le chemin révolutionnaire, Entreprise nationale du livre, Algérie : 1983, p 104-105.
(3) Julien Op.cit. p 360.
(4) Julien Op.cit. p : 360.

République en Algérie sous la direction du gouverneur général « Naegelen », a distribué les sièges à sa guise, car il a donné 09 sièges a l'MTLD, et 08 sièges pour le Parti de l'Union démocratique, tandis que les candidats libéraux obtinrent 41 sièges. ([1]) Il est clair que le costume taillé par la IVe République spécialement pour les Algériens par la Constitution de 1947 a vidé les résultats des élections de leur contenu, comme le Conseil de l'Algérie a été dépouillé de larges pouvoirs, et même entraver par des articles de ce qui en fait devenu un cadre formel. Le Mouvement national algérien fut convaincu que la IVe République et à travers ses différents organes, a voulu censurer le droit du peuple algérien à l'autodétermination ou même y participer, et même les concessions fournies par cette administration ne fonctionnent pas, et que le compromis ne reflètent pas la volonté du peuple à la liberté et à l'indépendance. ([2])

Les partis politiques algériens exprimèrent leur mécontentement envers la situation conduite par le processus électoral, à travers des conférences et des réunions, et aussi à travers les manifestes publiés, critiquant la manière illégale dans laquelle les dernières élections furent organisées accusant à la fois le gouverneur « Naegelen » d'avoir eu recours à la fraude et l'usage de la violence, ce fut exactement le contenu de la déclaration du Président du Parti de l'Union démocratique pour le manifeste algérien, Ferhat Abbas, lors de l'allocution d'ouverture de congrès du parti qui s'est réuni a Sétif les 25-26-27 Septembre 1948, ou il a déclara que le gouverneur général a annoncé aux correspondants des journaux d'Afrique du Nord à Paris qu'il n'a pas utilisé et n'a pas ordonné l'utilisation du terrorisme en Algérie, le déclarant a dit: « c'est vrai nous avons mis un arrêt au terrorisme mené par les ennemis de la France, on essayant de l'utiliser pour séparer la France de ses proches amis et serveurs. » ([3]) Il ajoute Ferhat Abbas, en disant: « ... qui peut croire que les Français ont des amis en Algérie, seuls les sales enfants des (beni oui oui) envoyés par

(1) Roger Le tourneau : l'Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane 1920-1961, Librairie Armand Colin, Paris : 1962, pp : 360-365.

(2) Bou Abdullah Abdul Hafiz : Ferhat Abbas entre l'intégration et le nationalisme 1919-1962, Master en histoire moderne et contemporaine, Département d'histoire, Université Al-Hajd Lakhdar, Batna : 2005-2006, p 159.

(3) C.A.O.M، Aix-en-Provence، Fonds personnels، Ferhat Abbas، Boite: 93/4296.

ses agents et Préfets à occuper les sièges du Conseil algérien, et deviennent les suiveurs des colons anciens amis de Vichy, ou notre émir de l'Afrique « Naegelen » veut acquiert leur affection et leur amitié ... » ([1])

Ferhat Abbas a continué de poser des questions ironiques en répondant à la déclaration faite par le gouverneur général « Naegelen », en disant : « Et qui peut dire que ce n'est pas Naegelen qui a sauvé l'Algérie du terrorisme ? Et quel terrorisme ? Est-ce que le terrorisme de l'armée française ? Ou bien le terrorisme des organisations civiles armées, qui a été révélé le lendemain sur notre nation le 8 mai 1945 ? Ou bien le terrorisme du PPA soutenu par quelques extrémistes du gouvernement général ? » ([2])

La méthode plus que douteuse utilisée par l'administration coloniale afin d'éliminer les deux plus grands courants politiques du mouvement national algérien et de semer la division et la discorde entre eux,, commença à porter ses fruits, ce fut justement l'avis argumenté « Ageron » qui a mentionné à cet égard en disant: « ... le PPA a continué de se grandir de plus en plus discrètement à travers ses publications et affiches, tandis que le parti des amis du manifeste et de la liberté fondé par Ferhat Abbas, est agrée par l'administration pour affaiblir le PPA » ([3]) C'est compatible avec la déclaration de Ferhat Abbas en accusant directement les éléments du PPA comme Parti du terrorisme, qui a une complicité avec l'administration coloniale, puisque il a dit: « La communication discrète entre l'Etat et les hommes du MTLD, chose n'a pas besoin de prouver. Parce que ce parti est agré dans le mois d'Octobre 1946 à Paris, et lui permettre directement de participer aux élections du Conseil national français ? Nous doutons de cette tolérance qui n'est pas vu du colonialisme

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Charles Robert Ageron : l'Algérie algérienne de Napoléon 3 à De Gaulle. Ed, Sindbad, Paris: 1980, P: 228.

français, en réalité y a pas de tolérance, mais il s'agit de la complicité et l'intrigue. » ([1])

Ferhat Abbas, est allé encore plus loin, lorsqu'il assimila la libération de Messali Haj et l'agrément du Mouvement de Triomphe pour les libertés démocratiques MTLD en France, à un complot visant à affaiblir son parti, opinion qu'il défendra dans son livre, « Autopsie d'une guerre » en disant : « Lorsque le Président du Conseil français, Georges Bidault a demandé au gouverneur général Châtaignan " Pour couper la route en face de moi et ne me permets plus de revenir à l'Assemblée nationale, ce dernier a répondu: Il n'y a qu'une seule personne qui peut le battre, c'est Messali Haj. » ([2])

Les partisans de Messali ont eux aussi répondu aux accusations de Ferhat Abbas avec d'autres accusations contre lui et contre son parti, on lui accusant par l'abandonnement des principes du manifeste du 03 février 1943, de son tour a répond aussi durement, par les dits faux patriotes, existé par la volonté du gouverneur général « Naegelen » afin de perturber les revendications nationales. ([3])

Dans sa critique des élections de 1948 et la complicité des éléments du MTLD avec l'administration coloniale, a dit : « ...D'une part, ordonnant la mise à mort des électeurs qui sont venus donner ses voix aux candidats du MTLD, on les mitraille par des couts de feu en dos ? Et d'autre part, le commandant de la police de Paris a réservé une villa luxe dans la place Opéra pour le député du MTLD Djamel Dardour. Ici, ils sont pour persécuter et tuer, mais là-bas ils s'octroient des subventions, voitures américaines pour les députés qui ont alimenté le terrorisme pour effectuer leur propagande complètement ». ([4])

Les courants du mouvement national algérien avant le déclenchement de la révolution de libération en Novembre 1954, ils vivaient une atmosphère volatile, à travers des étapes difficiles dans

---

(1) C.A.O.M, 93/4296, Op.cit.
(2) Ahmed Mehsas : le Mouvement révolutionnaire en Algérie de la première guerre mondiale a 1954, Ed, le Harmattan, Paris : 1979, p 230.
(3) Hamid, Op.cit. p : 121.
(4) C.A.O.M, 93/4296, Op.cit.

la recherche d'identité d'une part, et d’autre part la recherche de chemin le plus court pour atteindre les objectifs souhaités dans la défense des droits volés par la France coloniale. Cependant, cette tâche difficile que nous suivons par ce travail, a poussé les partis du mouvement national à être impliqué dans le conflit explicable seulement par la recherche du pouvoir et de la richesse ? Ce qui les affaiblit et réduit leur impact et gagner de la force et l'immunité au système colonial pour mettre en œuvre ses plans comme il les souhaite, et prolonge la vie de sa présence en Algérie, mais dans tous les cas, l'expérience politique de ces partis avec tous ses inconvénients, n’est pas considéré inutile, sorte elle avait une figure positive parce qu’elle a donné une forte impulsion aux jeunes énergies cachés dans l'ombre pour renforcer le travail de lutte de libération en avant sans irréversibilité? C’était donc la révolution de Novembre 1954, qu’elle a libéré l’homme et la terre, sous un commandement jeune bénéficié grandement de l'expérience de ces partis et courants politiques existaient déjà avant le déclenchement de la révolution de libération national



بحوث تتعلق بكتابات وأفكار الأستاذ الدكتور بوصفصاف

تجربة المؤرخ عبد الكريم بوصفصاف في البحث العلمي

د/أحمد حداد

جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة 02

مقدمة:

في بداية هذا المقال أترحم على أستاذي عبد الكريم بوصفصاف، الذي كان مثالا للباحث الجاد وللمثقف المنافح عن قضايا أمته الإسلامية والعربية قولا وعملا. كما أتقدم بالشكر للقائمين على إخراج هذا الكتاب الجماعي، وكل من ساهم ويساهم في التعريف بعلماء الأمة وتدوين سيرهم وجهودهم في الميدان العلمي، ونقل تجاربهم حتى لا تطمس أعمالهم، وتبقى نبراسا للأجيال على مر الزمن.

1-أهمية التوثيق ونقل التجارب للأجيال

أمام هذا الانفجار التكنولوجي والكم الهائل من المعلومات المتدفقة علينا بغثها وسمينها، المكذوب منها والصحيح ، كان لزاما علينا تدوين السير والتراجم ونقل تجارب المخلصين من أمثال "عبد الكريم بوصفصاف" فكما يقول الفيلسوف عبد الوهاب المسيري في كتابه " رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية " يقول: أدعو المفكرين العرب لكتابة سيرهم، وليضعوا خبرتهم تحت تصرف الأجيال الجديدة، ومما يجعل المسألة أكثر إلحاحا تعاظم الفجوة بين الأجيال، مما يؤدي إلى عدم توارث المعرفة والحكمة وأخشى ما أخشاه أن تبدأ الأجيال القادمة من نقطة الصفر".

لذلك كان عنوان مقالي بالشكل السابق، حتى لا نبدأ دائما من الصفر، ولتكن تجربة عبد الكريم بوصفصاف وتجارب الآخرين مصباحا يستضاء به، وتبنى عليها التراكمات انطلاقا من الموروث الحضاري للأمة الإسلامية.

2-عبد الكريم بوصفصاف والبحث العلمي:

يحمل البحث معنى التنقيب، التقصي، التفتيش، والعلم معناه الدراية، إدراك الحقائق الإلمام بها وكل ما يتصل بها، ومنه فالبحث العلمي هو عملية تقصي الحقائق باتباع اساليب ومناهج علمية توصلنا للحقيقة أو التأكد منها أو إضافة الجديد لها. وعلى الرغم من إعاقته (فقدان البصر) فقد سلكعبد الكريم بوصفصاف بكل أمانة الخطوات المنهجية للوصول للحقيقة العلمية أو الاقتراب منها، إذ اشتغل- رحمه الله- مدة خمسا وأربعين سنة في البحث العلمي أثمرت بتأليفه لـ 22 كتاب (مابين تأليف جماعي وفردي) وتكوين عشرات الطلبة والطالبات اللذين تزخر بهم المؤسسات الوطنية ،والتي نتمنى أن يستمروا في أداء الرسالة التي حملها عبد الكريم بوصفصاف والمتمثلة في بحث علمي وإنتاج معرفي يخدم المدرسة التاريخية الوطنية الجزائرية، وأن لا يستسلموا للعراقيل التي توضع أمامهم وما أكثرها. فأن تؤلف كتابا في بلادنا فالفعل في حد ذاته يعتبر معجزة، ولا غرابة في إقرار رفيق دربه ابو القاسم سعد الله صاحب اليوميات " مسار قلم" بعجزه أحيانا عن تسجيل أفكاره في بعض الظروف لافتقاده سكينة النفس بفعل تفاهة الأحداث ومعاكسة الإدارة والحوادث العامة والروتين، فما بالك أن تتحدى الظروف كما تحداها عبد الكريم بوصفصاف الذي فقد بصره وهو صغير لكن أنتج ما لم يستطع الأصحاء إنتاجه، فالإعاقة ليس في العضو البشري ولكن في العقل الحامل للأفكار الميتة كما يقول مالك بن نبي.

استقيت تجربته رحمه الله من خلال احتكاكي به كطالب ماجستير (2005 – 2007) وطالب دكتوراه علوم (2010 – 2015)، ومن خلال اللقاءات التي بادرنا لتنظيمها في بيته بالمدينة الجديدة علي منجلي لطلبة الماستر (تخصص حديث) سنوات 2015، 2016، 2017. وقبل وفاته رحمة الله عليه بعشرين يوما، زرته في بيته بمفردي، وقبل ذلك كنا نتواصل بالهاتف، إذ كان يلح علي مواصلة تلك اللقاءات رغم المرض، ويقول لي دائما "لا أحس بالراحة إلا وسط النقاش العلمي فلا تنزعج فبيتي مفتوح لمن يرغب في الإفادة والاستفادة " وكأني به يريد تبليغ رسالته وتجربته العلمية إلى أكبر عدد ممكن من الطلبة.

3-عبد الكريم بوصفصاف ومبادرته لفتح الاختصاصات العلمية:

حيث ما ارتحل وحل الدكتور عبد الكريم، إلا وبادر ببعث النشاط والحيوية، إذ كان يبادر لخلق النواة الأولى للأبحاث العلمية ويرعاها حتى تكبر، ولكم عانى في ذلك أهوالا وأهولا، لكن الله سبحانه وتعالى يرسل له من المسئولين المخلصين الذين ساعدوه على تذليل الصعاب. إذ كان هو المؤسس لمخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة منتوري بمدينة العلم والعلماء قسنطينة. وكنت شاهدا على نشاط المخبر الذي كان بمثابة خلية نحل دائمة الاشتغال، أثمر عشرات الإصدارات مابين كتب ومجلات وتنظيم الملتقيات وتكريم وجوه العلم والثقافة فكان رحمه الله يجند الأساتذة والباحثين خدمة للعلم وللجزائ، حتى أنه إذا لم تكف الاعتمادات المالية المخصصة للمخبر كان يسعى لدى الخيرين من ابناء الوطن، وكأني به استلهم ذلك مما كان يفعله محمد البشير الإبراهيمي الذي تميز بتجنيد الأمة لبناء المدارس الحرة، مدركا أن العمل لا يقوم به المخبر أو شخص وإنما تقوم به الجماعة كل واحد من موقعه.

ومن بين المكرمين في هذا المخبر أحد الأساتذة الجزائريين البارزين في مجالات: الفلسفة والتاريخ والسياسة والتربية ألا وهو الرئيس الحالي لجمعية العلماء المسلمين "عبد الرزاق قسوم"، كان ذلك يومي 23 و 24 جمادى الأولى 1427 هـ الموافق لـ 19 و 20 جوان 2006، ضمن ملتقى لدراسة أعماله العلمية ومما جاء في الكتيب الذي يروي الدكتور عبد الكريم بوصفصاف السيرة الذاتية والعلمية لعبد الرزاق قسوم أن هذا الأخير كان يدرس متطوعا بمدرسة المغير الحرة (ولاية الوادي)1955/1954 وأن ما بقي عالقا بذهن عبد الرزاق حتى الآن يقصد (2006) ماكان يلقنه لتلامذتهمن ابيات الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقا نومنها[1]:

كفكف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل — وانهض ولا تشكُ الزمان فما شكا إلا الكسول
واسلك بهمتك السبيل ولا تقل كيف السبيل؟ — ما ضل ذو أمل سعى يوما وحكمته الدليل
كلا، ولا خاب امرؤ يوما ومقصده نبيل — أفنيت يا مسكين عمرك بالتأوه والحَزَنْ
وقعدت مكتوف اليدين تقول: حاربني الزمن — ما لم تقم بالعبء أنت، فمن يقوم به إذن؟
كم قلت: أمراض البلاد وأنت من أمراضها — والسوء علتها فهل فتشت عن أعراضها؟
يا من حملت الفأس تهدمها على أنقاضها — اقعد فما أنت الذي يسعى إلى إنهاضها
وانظر بعينيك الذئاب تعب في أحواضها — أضحى المتشاؤم في حديثك بالغريزة والسليقة
مثل الغراب نعى الديار وأسمع الدنيا نعيقه — تلك الحقيقة ومريض القلب تجرحه الحقيقة
أمل يلوح بريقه فاستهد يا هذا بريقه — ما ضاق عيشك لو سعيت له، ولو لم تشك ضيقه

أبيات أخرى:

وطن يباع ويشترى وتصيح فليحيا الوطن — لو كنت تنذب حظه لبذلت من دمك الثمن

1عبد الكريم بوصفصاف: السيرة الذاتية والمسيرة العلمية للدكتور عبد الرزاق قسوم، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية 2006 /

ولقمت تبني عزه لو كنت من أهل الفطن

ومن الأبحاث العلمية التي نشرها الأستاذ عبد الكريم بالمخبر: معجم أعلام الجزائر (في جزئين) المجلة الدورية (الحوار الفكري)، كتاب عن مناقشة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله....

كما نظم المخبر مسابقات للدخول لدراسات مابعد التدرج (الماجستير) ومن بينها دفعتي سنة 2005 / 2006 إذ فتح ثمانية مقاعد تنافس عليها 175 مترشح، وشهادة لله، أن الناجحين كانوا من مناطق مختلفة من الوطن، فالنزاهة كانت تكتسي المسابقة كما كان رحمه الله يريد طلبة يقدمون إضافات ويصر على تكوينهم تكوينا جيدا. فالسنة الأولى كانت سنة نظرية، ندرس يوم الاثنين وقد برمج المقياس المسند إليه في نهاية اليوم لكي يستفسرنا عما درسناه ويقوم بمناقشتنا ثم يشرع في مقياسه بتفان وحب ونشاط مؤكدا على ضرورة التكوين والتفاني في العمل.



صورة تمثل مناقشتي للماجستير بمقر كلية العلوم الإنسانية جامعة عبد الحميد مهري يوم 30 جانفي 2008 ويظهر فيها من اليمين إلى اليسار: الدكتورة

كريمة الأخلاق بن حسين – صالح فركوس – الجمعي خمري – رحمه الله – عبد الكريم بوصفصاف – رحمه الله – أحمد حداد.

الرحلة إلى تونس: (2006)

ولأن عبد الكريم بوصفصاف ، ديناميكي وحيوي ، فقد اقترح علينا في نهاية السنة النظرية للماجستير – وكنا ثمانية كما أسلفت – أن نبرمج رحلة علمية لتونس تدوم أسبوعا، على نفقتنا، فوافقنا، إذ سافرنا على متن سيارتين خاصتين، كانت لنا فرصة اللقاء بأساتذة من جامعة منوبة بتونس، وتم تزويدنا بكتب علمية افادتنا في أبحاثنا، وربطنا علاقات ببعض الأساتذة ومنهم الدكتور التليلي لعجيلي صديق المرحوم عبد الكريم بوصفصاف ومؤلف كتب تتمحور حول إشكالية الدين وعلاقته بالسياسة، وحمل آخر كتبه الذي طبع سنة 2016 عنوان: مسجد باريس وجامع باريس: السياسة الإسلامية لفرنسا اللائكية.



الصورة تعود إلى سنة 2006 بجامعة منوبة ويظهر في الصورة من اليمين إلى اليسار: محمد مسعي (طالب)، أحمد حداد (طالب)، المرحوم عبد الكريم

بوصفصاف، لزهر غربي (أستاذ تونسي)، التليلي لعجيلي (أستاذ تونسي)، بن شعبان السبتي (طالب).

كنا نرافق عبد الكريم بوصفصاف في تنقلاته بين جامعة منوبة والأرشيف التونسي، أين كان يجمع المادة الخبرية لكتابه والذي صدر في جزئين عن الثورة الجزائرية في الصحافة التونسية. وكان يسهر– رحمه الله – على ربط علاقات علمية مع مختلف القائمين على دور العلم ويعرفنا بهم، لتعزيز الأواصر وتمتين العلاقات وتبادل الخبرات.

4–العودة للجزائر واستكمال أعماله العلمية:

كان عبد الكريم بوصفصاف ،ملتزما بالبحث العلمي وبالتدريس ، إذ كان يؤلف وينشر المقالات ويشرف على الطلبة، وتستضيفه وسائل الإعلام، والجامعات، ومن المناصب العلمية التي تقلدها على فترات، رئاسته للمجالس العلمية للكليات والمؤسسات، منها المجلس العلمي لمؤسسة عبد الحميد بن باديس، إذ دأب على التعريف بشخصيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمناسبة الملتقيات الفكرية التي تنظمها المؤسسة كل سنة في يوم العلم 16 أفريل في إصدار، بعنوان كتاب الملتقى، ومما اتيحت لي فرصة الاطلاع عليه كتابين :الكتاب الأول الموسوم " ابن باديس الرمز في ذكراه الثانية والستين الذي صدر سنة 2002 بمناسبة ملتقى " مفهوم العلم والعلماء قديما وحديثا والذي طبع منه طبعتان متتاليتان نظرا للطلب المتزايد عليه، وكتاب "الشهيد جدري العربي بن بلقاسم التبسي رحمه الله. وقد كتب عبد الكريم بوصفصاف في الكتاب الاول ما نصه: "تعد الكتابة عن حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثاره الفكرية الدينية والأدبية من الموضوعات القديمة الجديدة المتجددة على الدوام، لأنها عالجت حياة الأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها،

والطريقة الوحيدة التي حافظ بها على ميراث هذا الرجل حيا بيننا هي دراسة الموضوعات الفكرية المتنوعة التي تتضمنها آثاره، دراسة علمية أكاديمية مجردة من العواطف والأهواء وطرح القضايا المختلفة بشكل منهجي مثير وتصنيفها وتحليلها واستنباط المفيد منها للأمة في حاضرها ومستقبلها وتربية الشباب على نهجه، الذي يجمع بين الإسلام والوطنية والقومية في آن واحد. إن الرجال الذين يتحملون مسؤولية شعوبهم دون تكليف واختيار من قبل مواطنيهم يكونون موهوبين أو متميزين في راينا، ومن هنا نعتقد أن بن باديس لم يهيئه مواطنوه ولكن ظروف المجتمع الجزائري هي التي هيأته وأعدته للمهام الكبرى[1].

5-وقفات من خلال المجالس العلمية ببيته:

لم أجد ما أكرم به، أستاذي عبد الكريم بوصفصاف، إلا بما هو أحب إلى قلبه وهو التدريس وعقد المجالس العلمية، إذ قبل تقاعده ببضع شهور نظمت زيارات لطلبة الماستر وكان يستقبلنا في بيته بالمدينة الجديدة علي منجلي، اين كان الطلبة يستفسرونه عن بحوثهم، وهم الذين كانوا خلال مسارهم الجامعي يعتمدون على كتب الدكتور بوصفصاف، لكنهم يجهلون أنه متواجد على بضع كليومترات من الجامعة ومستعد لمساعدتهم في أبحاثهم، حتى أن البعض منهم بقي على اتصال به إلى غاية إنهاء مذكرته في الماستر. خلال هذه اللقاءات التي تمت على ثلاث فترات كان الدكتور عبد الكريم بوصفصاف ينقل تجربته العلمية للطلبة ويشجعهم على البحث والتواصل مع تاريخهم.

في نهاية أول لقاء اعتذر الطلبة له عن كثرة أسئلتهم فرد عليهم رحمه الله: "لا تعتذروا فأنتم أبنائي وبناتي وحياتي خارج الطلبة لا تساوي شيئا،

1- عبد الكريم بوصفصاف: كتاب الملتقى ابن باديس الرمز في ذكراه الثانية والستين، دار الهدى ص ص 3 – 5

وتواجدكم هو بلسم وشفاء لي بإذن الله " وقد كان يجيب عن استفسارات أو يوضح ويعلق بصبر ودون ضجر أو قلق بالرغم من مرضه.

ولكي يحث الطلبة على الاجتهاد والعمل ومواجهة الصعاب، سرد عبد الكريم بوصفصاف تجربته في البحث بأرشيف ولاية قسنطينة، أين عمل هناك في التنقيب على الوثائق البالية التي تكاد تندثر، من سنة 1975 إلى 1983، وكان شاهدا على تردد باحثين أجانب على ذلك المكان في ظروف عمل صعبة بفعل وجود الرطوبة حتى أن الدموع تتساقط من أعين المترددين على الطابق الأرضي لأرشيف ولاية قسنطينة. وقد نوه عبد الكريم بوصفصاف بمثابرة وجدية مدير الأرشيف السيد عبد الكريم بجاجة وجهوده في تنظيم مختلف المحفوظات وصرامته في الحفاظ على ما يحتويه من وثائق.

كما تطرق عبد الكريم بوصفصاف إلى ضرورة تنقل الباحث والسفر لمقابلة شخصية علمية أو البحث عن كتاب مفقود، أو التأكد من معلومة... فقد حدث له شخصيا وهو يعد بحثا عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ سمع بأن الجمعية كان تحضر قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945) إلى الثورة ضد الاستعمار الفرنسي وأنها كانت تجمع السلاح وتخفيه بضيعة بنواحي سطيف يملكها شخص يدعى "بن بية"، فتنقل إلى هناك، فنفى له لذلك، وقال بأن الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي كانا أثناء زيارتهما للمنطقة، يستضيفهما ببيته، هذا كل ما في الأمر.

كما تكلم الدكتور بوصفصاف عن لقاءاته بعلماء جزائريين وأجانب أمثال عبد الرحمان الجيلالي، الشيخ دردور، ابو القاسم سعدالله، هذا الأخير الذي قال عنه بإعجاب وتقدير: إنه إنسان قدوة علما وأخلاقا، فأثناء زيارته له ببيته ببن عكنون بالعاصمة، وجده يعمل، وهو صائم، وكان اليوم يوم اثنين فهو الباحث

المتواضع الذي لا يحب الأضواء ويتفادى وسائل الإعلام، وقد كرمه عبد الكريم بوصفصاف بمخبر الدراسات التاريخية والفلسفية.

ولم يكن عبد الكريم بوصفصاف يرفض المشاركة في الأعمال العلمية وإحياء المناسبات التاريخية إذ تعاون مع المجاهد محمد بن داس، الذي كان مديرا للمجاهدين بولايتي سطيف وميلة وقام بتدوين الشهادات الحية وإخراجها في كتب مثل: خنساوات الثورة التحريرية، مدونة الفداء بسطيف، النوفمبريون ... فالباحث، عليه أن يكون باحثا عضويا، مساهما في كشف الحقائق وانتشال القضايا التاريخية من النسيان، متصديا للإستعمار الجديد الذي يراهن على احتلال وتزوير التاريخ، هكذا كان يحث الطلبة على العلم والعمل وأن يكون المسلم مثلما قال الرسول ﷺ:" **كالغيث حيث ما وقع نفع** " فأثناء انتقال عبد الكريم بوصفصاف إلى جامعة أحمد دراية بأدرار وبالرغم من تقدمه في السن إلى أنه سعى وسافر حتى العاصمة أين مقر الوزارة الوصية، من أجل فتح تخصصات في التاريخ بذات الجامعة كما أسس مخبر الدراسات الإفريقية.

وفي الأخير وجه – رحمه الله – نصيحة للطلبة بأن يعيشوا للإسلام وللجزائر، كما كتب ذات يوم الشيخ عبد الحميد بن باديس.



صورة لعبد الكريم بوصفصاف مع طلبة الماستر (تاريخ حديث ومعاصر) في أفريل 2017.

خاتمة

إن رحلة عبد الكريم بوصفصاف في المجال العلمي والبحثي لا تكفها مقالة أو كتاب جماعي ومازال الكثير من أعماله متناثرة بين ثنايا الصحف والمجلات، من بينها سجاله على صفحات النصر مع أحد أنصار مصالي الحاج في 16 حلقة، إضافة إلى اللقاءات والحوارات الإذاعية، ونهيب بالباحثين لجمعها حتى تدخل في نطاق التراكمات التي تحفظ للأمة ذاتها وهويتها. وقد اندرجت أعمال عبد الكريم بوصفصاف ضمن المدرسة الوطنية التاريخية برؤية جزائرية ذات البعد الإسلامي العربي، هذه المدرسة التي تأسست على يد رجال جمعية العلماء أمثال مبارك الميلي وتوفيق المدني واللذان قاما بالرد على افتراءات الاحتلال الفرنسي الذي زور التاريخ ومازال أنصاره على خطاه بدعوى الموضوعية، وما هدفهم من ذلك إلى طرح كل القضايا على بساط النقد بغرض

التشكيك ومحاولة النيل من الأبطال والأحداث التي أخرجت الاستعمار ذات يوم ضمن موجة تحررية، لكن ميادين الاستقلال لدى الشعوب لم تكن معلومة، فاستغل الاستعمار الثغرات للعودة عبر احتلال التاريخ، وتغيير المناهج التعليمية، وطمس أو تشويه تراجم وسير الأبطال والعلماء.

قراءة في كتاب "حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف 1954–1962" لعبد الكريم بوصفصاف

د/لخضر بوطبة

جامعة سطيف 02

الملخص:

يتناول المقال أحد مؤلفات الفقيد الدكتور عبد الكريم بوالصفصاف الذي تناول في ستة فصول موضوعات متنوعة قيمة جديرة بالمطالعة والشكر والعرفان، حيث صال وجال عبر عصور التاريخ في منطقة سطيف ليحط الرحال في فترة حرب التحرير الوطني، حيث قدمت منطقة سطيف على غرار مناطق أخرى من الوطن قوافل من الشهداء، الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل أن نعيش نحن أحرارا وقد تضمن الفصل الأول التنظيم السياسي والإداري في الجزائر عامة إبان العهد الاستعماري ثم تبعه في الفصل الثاني باستعراض الترسانة الحربية الضخمة التي استخدمها الاستعمار الفرنسي، ثم وقف في الفصل الثالث على القوانين الاستثنائية والتعسفية للإدارة الاستعمارية من أجل قمع الجزائريين واضطهادهم وإبادتهم، وفي الفصل الرابع تجول بنا عبر محطات تاريخ منطقة سطيف ودورها في الأحداث البارزة التي عرفتها، ليعود بنا في الفصل الخامس إلى ذكر المؤسسات والمراكز العسكرية الرهيبة خلال الثورة التحريرية 1954–1962، حيث يتفاجأ المرء لكثرتها وتنوعها وله أن يتصور كيف كانت تبطش بالسكان، وختم الكتاب بفصل سادس حدثنا فيه عن مراكز الجيش الفرنسي في ستون بلدية من بلديات ولاية سطيف، وكان الكتاب معزز بالصور والوثائق

والأرقام والإحصائيات مما أضفى على الكتاب الطابع العلمي الأكاديمي رغم ما فيه من بعض الأخطاء و الهفوات.

Abstract :

The article deals with one of the of the Dr. Abdul Karim Bousafsaf works, who discussed in six chapters a variety of valuable topics, where he traveled through the Setif's history dawn to the period of the National Liberation War, where the area provided a large member of martyrs, who sacrificed their selves and goods in order to live freedome.

The first chapter included the political and administrative organization in Algeria during the colonial era, followed, in the second chapter, by reviewing the huge army power used by French colonialism, he talked in the third chapter, about the arbitrary laws used by the colonial administration against Algerians. And in the forth chapter he guided as different prominent events as Setif's history.

He mentioned in the fifth chapter the terrible institutions and military centers during the liberation's revolution of (1954-1962).The author has finished his book, by talking in the sixth chapter about the French army centers in sixty communes in Setif.The book is supported by pictures, documents, figures and statistics, which give it the academic research's characters, despite some gaps.

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يسعدني ويشرفني أن أشارك في الكتاب التكريمي للمرحوم الدكتور عبد الكريم بوصفصاف الذي له فضل كبير علينا جميعا بما ترك من مراجع قيمة لا يمكن

لدارس التاريخ أن يستغنى عنها، حيث تأتي جهوده في الكتابة التاريخية في إطار الدفاع عن الذاكرة الجماعية وحفظها، في وقت تعالت فيه بعض الأصوات الشاذة تنكر التاريخ وتدعي بأن التمسك به قد تجاوزته الأحداث، وعلى الرغم من جهود الكثير من الكتاب والمؤرخين في كتابة تاريخ الثورة، إلا أنه لا يزال التاريخ المحلي لم يحظ بعد بالاهتمام والعناية، وأن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ما هو في الحقيقة إلا محاولة لإماطة اللثام على التاريخ المحلي الذي هو في اعتقادنا حجر الزاوية في كتابة التاريخ الوطني.

في البداية لا بد علينا أن نثمن جهود الأستاذ عبد الكريم بالصفصاف في الكتابة في تاريخ الثورة والمساهمة في حفظ الذاكرة الجماعية، وقبل الشروع في استعراض ما جاء في محتوى الكتاب فيما يتعلق بموضوع المداخلة وجب التنبيه إلى مصطلح حرب الجزائر الذي ورد في عنوان هذا الكتاب والذي من المؤكد أن الكاتب لم ينتبه له، حيث أثار هذا المصطلح جدلا كبيرا في الأوساط السياسية الفرنسية منذ قيام الثورة، كما كان مطلبا جزائريا منذ مدة وهو السعي لانتزاع اعتراف فرنسا بأن ما كان يجري في السنوات من 54 إلى 62 هو ثورة تحريرية كانت تهدف إلى تصفية الوجود الاستعماري والاستقلال عن فرنسا، لكن فرنسا كانت تعتبر هذه الثورة تمردا وعصيانا وأطلقت على المحاربين من المجاهدين مجموعة قطاع طرق وإرهابيين ومخربين ومشاغبين إلى غير ذلك من النعوت والصفات الذميمة التي كان الهدف منها كما يقال بالعامية تغطية الشمس بالغربال. وكانت تسمي عملياتها العسكرية ضرورية من أجل فرض النظام maintenir l'ordre والتهدئة. pacification

ويرجع المختصون رفض السلطات الفرنسية تسمية ما كان يحدث في الجزائر بالثورة حتى لا يظهر الوضع وكأنه حربا أهلية بين سكان يخضعون

للدولة الفرنسوية في إقليم ما وراء البحار بسطت عليه سيادتها من 1830 ومن ثمة يجب أن تتحمل نتائج الحرب الآنية والمستقبلية[1].

وكانت السلطات الفرنسية حتى سنة 1999 ترفض فكرة حرب الجزائر، حيث تم في هذه السنة مصادقة البرلمان الفرنسي على قانون حرب الجزائر وتوج هذا القانون بقانون 25 فبراير 2005 الذي وصف الأعمال التي قام بها الاستعمار الفرنسي في زمن الإمبراطورية الفرنسية من الأعمال الإيجابية التي تتطلب الاحترام والتقدير والاعتراف بالجميل، وذلك جاء تتويجا لجهود قدماء المحاربين وكذا الأقدام السوداء الرامية إلى إعادة الاعتبار لهم معنويا وتعويضهم ماديا[2].

لا بد من الإشارة هنا والتأكيد على أن مفجري الثورة كانوا على دراية كبيرة بصعوبة المهمة، بل هي مستحيلة بالنسبة للكثيرين من المناضلين. فرفع السلاح في وجه أعتا قوة حينئذ يعتبر ضرب من الانتحار أو من الخيال، لكن المجاهدين الأوائل كانوا يدركون رغم ذلك أن التوكل على الله قبل كل شيء والعزيمة المتوفرة كفيلان بالتغلب على العدو بالإضافة إلى ضرورة إشراك الشعب في المعركة بكل الوسائل والأساليب. ولا أعتقد أني في حاجة إلى التذكير بالترسانة الحربية التي كانت تمتلكها فرنسا[3] وحلف الشمال الأطلسي الذي كان يقف مع حليفته فرنسا قلبا وقالبا، فلم يتوقف دعمه على الميدان السياسي من

---

1 نور الدين ثنيو: الذاكرة والشهادة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، أعمال الملتقى الوطني"الثورة الجزائرية في الكتابات التاريخية المعاصرة"، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 8 و9 /2014/01، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية ع 10، ص ص 84-85.

2 نور الدين ثنيو: المرجع نفسه، ص85.

3 أنظر الفصل الثالث من الكتاب حيث تطرق فيه الكاتب إلى أنواع الجيوش والأسلحة الفرنسية، ص ص 34-50.

خلال الإدعاء أن ما يحدث على التراب الجزائري هو قضية داخلية فرنسية وهو في الحقيقة على علم بواقع الامر، قلت لم يتوقف دعمه على المجال السياسي فحسب، بل تعداه غلى الدعم العسكري من خلال مد فرنسا بأحدث العتاد الحربي من بوارج وطائرات من كل نوع ودبابات وأسلحة أخرى، كما دعمها بالجيوش الأشداء الأقوياء، فحسب شهادة المجاهد دحمان عترورت استعانت فرنسا بقوات من الحلف الأطلسي خاصة بعد سنة 1958 أي بعد الانقلاب العسكري ومجيء الجنرال دوغول، وقال في ذات الوقت أن قوات الحلف الأطلسي لم تكن تتعرض بالأذى للسكان المدنيين المتعاطفين والمتعاونين مع المجاهدين، بل كانت تبحث عن المجاهدين المسلحين[1].

ومن الأساليب الجهنمية التي كانت الإدارة الاستعمارية تسلطها على السكان إسناد مهمة تعذيب الجزائيين إلى فرق الحركة والقومية، من أجل إحداث شرخ بين الشعب والثورة، وترك الحرب تشتعل بين الإخوة، ومن الوسائل الجهنمية التي تدخل ضمن إطار الحرب النفسية التي كانت تقوم بها الفرق الإدارية المختصة "لاصاص S.A.S" أنها كانت تحمل المجاهد الذي كانت تتمكن من إلقاء القبض عليه على متن سيارة وتقوم بالتجوال به في وسط المدينة وتشعل المذياع المسجل لشريط يتكلم باسم هذا المجاهد كلاما مفاده أنه "كان في الجبل لكنه الآن تاب وأصبح متعاون مع الإدارة الفرنسية وأن فرنسا رحيمة وعادلة ولن تؤذ أي مجاهد يستسلم"، لكن الشعب والمجاهدين تفطنوا إلى هذه الأساليب

---

1 المجاهد دحمان عتروت المدعو العمروشي من مواليد مستة لعمارشة بدوار سرج الغول (شمال سطيف بنحو 50 كلم)، أحد مجاهدي منطقة العين الكبيرة والبابور التابعة لولاية الثانية المنطقة الثانية القسم الثاني، وهو من مواليد 1938، سنتناول حياته النضالية في تأليف خاص بشهداء ومجاهدي منطقة العين الكبيرة غبان الثورة التحريرية 1954-1962.

الدنيئة وإلى أهدافها المتمثلة في زعزعة الثقة بين الشعب والثورة، وكذا النيل من معنويات الشعب والمجاهدين في الجبال على حد سواء.[1]

وكان التعذيب رهيب إلى درجة أن جبهة التحرير كانت على دراية بأن عناصرها وكذا باقي الفئات الشعبية يستحيل عليها تحمل عملية التعذيب طويلا، ولذلك وجهت تعليمة للمجاهدين بمحاولة التحمل والصبر قدر الإمكان حتى تنقضي مدة 24 ساعة حينئذ يمكنهم التكلم، ذلك أنه خلال هذه المدة قد يتسنى للمجاهدين تغيير مراكزهم واتجاهاتهم إذا علموا بطبيعة الحال بوقوع مجاهدين تحت قبضة العدو.

1- التعريف بصاحب الكتاب:

هو البروفيسور عبد الكريم بو الصفصاف من مواليد قرية فج مزالة (فرجيوة حاليا التابعة لولاية ميلة) في 19 أوت 1944و هو من الطلبة المشاركين في إضراب 19 ماي 1956، أصيب بالعمى في إحدى عيناه بسبب انفجار لغم وهو في الثالثة من عمره، ثم ما لبثت العين الأخرى أن تأثرت هي كذلك وأصبح كفيفا في السن السادسة[2]، من فج مزالة كما كانت تسمى (فرجيوة حاليا . ولاية ميلة) حيث وُلد وترعرع ودرس المرحلة الابتدائية ثم شق الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف طريقه إلى العلم والمجد العلمي، تدريسا وإشرافا وتوجيها وإعدادا للباحثين والباحثات، حيث تحصل على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة

---

1 شهادة المواطن سماة محمد المدعو السعيد والبشير من مواليد 1932 بمشتة بني بزاز بالبابور في مقابلة معه يوم 28 مارس 2018 على الساعة 17 في ساحة منزله الكائن بمشتة عين بوغوفالة (شمال عين الكبيرة بحوالي 2كلم).

2 ذكر هذه الحادثة دون تفاصيل أخرى بنفسه على صفحة الفيسبوك

قسنطية سنة 1974، كما تحصل على الماجيستر بتقدير مشرف جدا، و شهادة الدكتوراه، ونال درجة بروفيسور سنة 1997.

وما تزال مدرجات الجامعات والمراكز الجامعية التي اشتغل بها تشهد بحيويته العلمية والفكرية، وتفانيه في العمل المتواصل ومواظبته دون ملل ولا كلل، وقد أنشأ عدة فرق للبحث ومخابر للبحث التاريخي وأدارها بكل صرامة وجدية، حيث كانت تكلل دائما بمنجزات في شكل مجلات ، كتب جماعية، ومطبوعات متنوعة هي بمثابة ثمرات العمل في الفرق البحثية والملتقيات والندوات التي تُعقد بشكل منتظم تقريبا. حتى كان المخبر الذي ينتمي إليه في قسنطينة. مخبر التاريخ. يُذكر كمعلم من معالم النشاط البحثي والدراسات العلمية النشطة، تخرج على يديه المئات من الطلبة والطالبات من شرق الجزائر وجنوبها الشرقي، وكان مخبره في معهد التاريخ بقسنطينة (حي كوحيل لخضر بجنان الزيتون) ملتقى للأساتذة الذين كانوا يلتفون بالأستاذ حيث كانت تدور مناقشات علمية مثمرة. وتنقل في عمله بين العديد من المؤسسات العلمية والتربوية والإدارية نذكر منها قسنطينة التي قضى بها سنين طويلة من عمره، وقالمة وأم البواقي وخنشلة وباتنة وأدرار، وأنهى مشواره الوظيفي في الجامعة الإفريقية بأدرار.

نال الفقيد وسام رئيس الجمهورية سنة 2004، كما نال العديد من الدروع والتقديرات والتكريمات على مدار حياته العلمية التي امتدت إلى أكثر من أربعين عاما كاملة ودُرست أعماله وحياته في العديد من الجامعات الوطنية في أيام دراسية وتكريمية؛ خاصة وهو صاحب عطاء علمي ممدود في مجالات مختلفة: سياسية، فكرية، اجتماعية، تاريخية، ودينية، وانتشرت كتاباته وكتابات عنه في الدوريات والمجلات والصحف.

وإلى جانب المؤلفات الكثيرة المتنوعة التي يسّر الله تعالى له أمر إنجازها، ومنها بوجه خاص:

-جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، الذي يعتبر مرجعا لا غنى عنه للباحثين والدارسين لهذه الجمعية وتاريخها ودورها المتعدد الجوانب.

-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الأخرى.

-قاموس شهداء ولاية ميلة 1954–1962.

-الشعر الثوري الملحون في الثورة الجزائرية.

-جهاد المرأة الجزائرية و جهودها الكبرى في ولاية سطيف.

-حرب الجزائر و مراكز الجيش الفرنسي في ولاية سطيف 1954–1962.

-موسوعة شهداء سطيف إبان الثورة 1954–1962

-معجم أعلام الجزائر في القرنين 19 و 20.

وكتب حول الفكر العربي الحديث والمعاصر، وله بحث أكاديمي حول الأبعاد الثقافية والاجتماعية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس: دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، ورواد النهضة والتجديد في الجزائر، وكتاب جهاد المرأة الجزائرية في ولاية سطيف وتضحياتها الكبرى (1962–1954)، إضافة إلى أبحاث ودراسات عديدة في المجلات العلمية المحكمة، كما أشرف على عشرات الرسائل الجامعية (ماجيستير ودكتوراه)[1] توفي الفقيد صبيحة يوم 26

---

1 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الدكتور عبد الكريم بوصفصاف مؤرخ الحركة الإصلاحية (رحمة الله عليه)

https://www.facebook.com/oulamaalg/posts/ ،26 novembre 2017 ·

نوفمبر 2017 رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، فقد كان قمة من قامات التاريخ الشامخة ووتد من أوتاد المدرسة التاريخية الجزائرية المتينة وأحد أبرز أعمدتها.

2- التعريف بالكتاب:

والكتاب من الحجم الكبير حيث يقع في 564 صفحة وهو موسوعي من حيث تنوع مواضيعه، وإلمامه بالموضوع من جميع جوانبه، ويندرج في إطار الجهود التي تبذلها وزارة المجاهدين ومديريات المجاهدين الموزعة عبر كافة مدن القطر، من أجل التأريخ للثورة وجمع الوثائق والشهادات من أجل حفظها من الضياع والتلف، فالأيام تمضي والشهور والسنوات ولاتزال الكثير من الشهادات والحقائق والأحداث عن الثورة في صدور الرجال وكم من مجاهد رحل عنا حاملا أسراره معه.

والكتاب عبارة عن دراسة وصفية وليس الغرض منه التحليل والتعمق وذكر الأحداث وسردها، فهو يكاد يخلو من ذكر تلك الحوادث وأسماء المجاهدين والشهداء، لأن المجال لا يسمح بذلك فذكر الأسماء يحتاج إلى مجلدات وإلى مجهود مضاعف.

ولنعد إلى الكتاب ونستعرض في عجالة محتواه العام، فبعد المقدمة التي تضمنت الإهداء إلى الشهداء والشهيدات والمجاهدين والمجاهدات وإلى كافة الشعب الصمود، وكلمة الشكر موقعة من طرف السيدين محمد بن داس المدير الولائي للمجاهدين، وأحمد جناني الأمين الولائي لمنظمة المجاهدين، ثم تقديم الكتاب بقلم محمد بن داس والتنويه بقيمته وأهميته العلمية والتاريخية، مع موجز عن محتوى الفصول الستة والإشادة بالجهود الحميدة للمؤلف رغم الصعوبات والمشاق التي لا شك قد تكون اعترضنه.

واحتوى الكتاب على مقدمة تضمنت ثمان صفحات وضح فيها المؤلف السياسة الاستعمارية بصفة عامة في الجزائر، ونوه بالتضحيات التي قدمها الشعب الجزائري وبالمعاناة التي لا نظير لها والتي قابلها بالصبر والصمود حتى تحقيق النصر. كما رافع عن قضية ضرورة تحرير التاريخ من النزعة الاستعمارية الضيقة، والثقة في الكتابات الوطنية التي اعتمدت على ذاكرة ممن عايشوا الثورة وصنعوا أحداثها، واكتووا بنار الاستعمار سوا من المجاهدين أو من المدنيين الذين كانوا شهودا على فظاعة الاستعمار. كما لخص محتوى كل فصل من فصول هذا الكتاب.

فتناول في الفصل الأول (ص ص 14–31) التنظيم السياسي الإداري في عهد الاستعمار الفرنسي، وقد احتوى هذا الفصل على المؤسسات السياسية، حيث ذكر أن فرنسا قسمت البلاد الجزائرية إلى ثلاث عمالات، وقسمت العمالة إلى دوائر والدوائر إلى بلديات وقسموا هذه الأخيرة إلى دواوير، وقسموا البلديات إلى ثلاثة أنواع هي البلديات التي سماها ربما سهوا المؤسسات ذات الصلاحيات الكاملة والبلديات المختلطة والبلديات الأهلية، وكذا المؤسسات القضائية. وتطرق إلى قضية تمثيل الجزائريين في المجالس الفرنسية والتي وصفها بأنها تتعارض تماما مع سمعة فرنسا وأسبقيتها في الفكر الديموقراطي، وذكر أن هذه النظم في الواقع زادت من فقر الجزائريين وتهميشهم وتجهيلهم. وخلص في نهاية هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج تمثلت في أن فرنسا عملت على تجسيد تفوقها العنصري في الجزائر على جميع المستويات المادية والأدبية، حتى أضحت الجزائر كأنها قطعة من فرنسا، وخضع الشعب المغلوب على أمره لقوانين الإدارة الاستعمارية وأصبح يعيش داخل سجن كبير وتحول إلى عبيد للمستوطنين الأوروبيين، لكن الشعب لم يستكن لهذا الواقع البائس بل قاوم بالسلاح ثم

بالأسلوب السلمي حتى حانت ساعة الحسم ودقت، حين اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح من شهر نوفمبر 1954 وكان الشعب هذه المرة مصرا على مواصلة الكفاح حتى تحقيق النصر، كما كان حريصا على الاستفادة من ثورات الماضي وتفادي الأخطاء التي كانت سببا في فشلها.

ثم انتقل في الفصل الثاني (ص ص 33-48) إلى استعراض أنواع الجيوش والأسلحة الفرنسية الفتاكة، المختلفة البرية والجوية والبحرية التي استعملها الاستعمار من أجل إخماد الثورة والقضاء عليها. والتي كان يواجهها المجاهدون بأسلحة بدائية تقليدية لا مجال للمقارنة مع هذه الترسانة الهائلة والضخمة، ويستخلص منه أن فرنسا سخرت كل ما كانت تملكه من قوة لإرهاب الشعب وحمله على التخلي عن الثوار وعزلهم عنهم وذلك بمختلف الوسائل والأساليب منها ترهيبه بهذه الأسلحة الفتاكة، والتي لم تستخدم بعضها حتى في الحرب العالمية الثانية، ولم تستخدم حتى في حرب الخليج الثانية ضد العراق. ويُذكر ان فرنسا الديموقراطية قامت بنقل آلاف من سكان منطقة سطيف الذين انتفضوا عقب مجازر الثامن ماي نقلتهم إلى ساحل ملبو شرق مدينة سوق الاثنين وشرعت في استعراض قواتها الجوية والبحرية أمامهم لإرهابهم وتخويفهم، وإيصال رسالة مفادها "أنكم لا تملكون مثل هذه الأسلحة حتى تواجهون فرنسا القوية". ثم يتساءل الكاتب عن مبدأ حقوق الإنسان وحرية الشعوب في تقرير مصيرها، هذا المبدأ الذي أعلنت عنه الأمم المتحدة منذ سنة 1945. وفي الواقع فقد بدأ الحديث عن حق الشعوب في تقرير مصيرها منذ لقاء الأطلسي سنة 1941 الذي جمع الرئيس السوفياتي ستالين والرئيس الأمريكي رززفلت ورئيس الوزراء الانجليزي ونستون تشرشل حيث أعرب الثلاثة عن حق الشعوب في تقرير مصيرها وذلك لضمان هدوءها والحرب العالمية كانت لا تزال مشتعلة.

وفي الفصل الثالث (ص ص50- 98) تطرق إلى أساليب الحرب الاستعمارية في الجزائر 1954-1962 وتناول فيه القوانين التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية من أجل تضييق الخناق على الجزائريين، وكذا تجنيد العملاء لضرب الثورة وتقسيم المجتمع من خلال منحهم الامتيازات والإغراء بالأموال والمناصب فأنشأت لهذا الغرض فرق القومية والحركة من أبناء المجتمع الذين باعوا دينهم وضمائرهم، وخانوا وطنهم ومجتمعهم وخدموا أسيادهم الذين تملصوا من أعمالهم الدنيئة وتنكروا لهم فيما بعد، حيث تفيد اعترافات بعض الجنود والقادة العسكريين أنهم كانوا يخوفون المعتقلين الذين كانوا يرفضون الإدلاء بالمعلومات أثناء استنطاقهم بإحالتهم على عناصر الحركة والخونة لاستنطاقهم، فكانوا يعترفون ويتكلمون، كما كانت السلطات الاستعمارية تلجأ إلى ممارسة فنون التعذيب في التعامل مع السجناء والمعتقلين والأسرى[1] وغالبا ما كان الجنود ورجال الشرطة يقتلون السجين بمجرد أن يدلي بمعلومات أو أخبار، وكم من سجين مات تحت التعذيب، رغم أن عملية التعذيب أثارت ضجة إعلامية في

---

1 ظهرت كتابات فرنسية كثيرة في الآونة الأخيرة حول اعترافات جنود وقادة عسكريين فرنسيين شاركوا في حرب الجزائر، كما ظهرت دراسات حول التعذيب إبان الثورة التحريرية، يمكن العودة إليها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-Raphaëlle Branche :La torture et l’armée pendant la guerre d’Algérie.
-Paroles des Torturées,
-On a torturé en Algérie.
Guy Pervillé : le terrorisme dans la gurre d’Algérie (1954-1962), dans (l’Algérie des français), éd, du Seuil, Paris, 1993.

-مجهول المؤلف: الغنغرينا أو تعذيب الجزائريين في باريس، ترجمة رمضان لاوند، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1959.

-الجنرال بول أوساراس: شهادتي حول التعذيب في الجزائر، مصالح خاصة الجزائر 1957-1959، ترجمة مصطفى فرحات، دار المعرفة، الجزائر، 2008.

فرنسا حينها[1]، لكن السلطات الاستعمارية في الجزائر استمرت في ممارسة فنونه حتى تاريخ وقف إطلاق النار. وقد ابتكر الفرنسيون أنواعا فظيعة ومرعبة للتعذيب تجعل الإنسان يعترف بمكان اختفاء أقرب الناس إليه تحت وطأة التعذيب القاسي المنافي للروح الإنسانية. وفي نهاية هذا الفصل يذكر الكاتب أن كل الأساليب والوسائل قد تحطمت أمام صخرة الثورة الصلبة، وأن هذه القوة لم تزد الثورة إلا قوة وانتشارا، ولم تزد الثوار إلا صمودا ومقاومة وعزيمة على تحقيق النصر.

وحمل الفصل الرابع (من الصفحة 100 إلى 142) عنوان ولاية سطيف في موكب التاريخ حيث تناول فيه بإيجاز منطقة سطيف عبر عصور التاريخ، ويختم هذا الفصل بالحديث عن مجازر الثامن ماي 1945 التي تعتبر بوابة الثورة ومفتاحها. وخلص إلى القول أن موقع ولاية سطيف المميز واعتبارها همزة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب جعل منها منطقة مهمة انتبه إليها كل الغزاة الوافدين عليها ولذلك دفعت الثمن غاليا جراء هذا الموقع الاستراتيجي، وفي الوقت نفسه لعبت دورا هاما في ربط الولايات التاريخية الثلاثة والتنسيق فيما بينها إبان الثورة التحريرية، يُذكر أن منطقة سطيف كانت تتقاسمها ثلاث ولايات تاريخية الولاية الأولى (الأوراس) وتضم القسم الجنوبي جنوب خط السكة الحديدية، والقسم الغربي تابع للولاية الثالثة (القبائل) ويفصلها الطريق الوطني رقم 9 الرابط بين سطيف وبجاية عن الولاية الثانية(الشمال القسنطيني).

---

1 حتى الفرنسيين لم يسلموا من التعذيب لما صرحوا بأنهم ضد التعذيب وعملوا على فضحه في عبر وسائل الإعلام وكذا في كتاباتهم نذك على سبيل المثال الكاتب الكبير هنري علاق الذي مات تحت التعذيب بسبب موقفه من قضية التعذيب في الجزائر حيث اشتهر بمؤلفه "المسألة" La question"

وتناول في الفصل الخامس (من الصفحة 143 إلى الصفحة 162) التعريف بالمراكز الاستعمارية الفرنسية إبان الثورة التحريرية بمختلف أنواعها وسيندهش القارئ من كثرتها ويتعجب من تنوعها فهي كانت تشمل المؤسسات أو المراكز التالية:

أبراج المراقبة وعددها 419 في ولاية سطيف، لا يزال منها 82 برجا قائما إلى الآن.أنشأت من أجل مراقبة تحركات جيش وجبهة التحرير وكانت تتخذ المناطق الإستراتيجية والأماكن المرتفعة حتى يتسنى لها المراقبة بشكل كامل، وكانت مجهزة بالأسلحة الثقيلة والأضواء الكاشفة، والمناظير والهواتف. وأنشأت المعتقلات التي هي عبارة عن مراكز عبور المعتقلين من سجن إلى آخر وكان أغلب المساجين من دون ملفات إدارية وقد لقي الكثير منهم حتفه إعداما أو تحت التعذيب الرهيب. كما أنشأ العدو المحتشدات لتجميع السكان الذين تم ترحيلهم من قراهم ومشاتيهم القريبة من الغابات والجبال ومراكز الثوار، وكانت تفتقد إلى الشروط الصحية، كما أقاموا السجون في مراكز تواجد المستوطنين والتي يعود بعضها إلى القرن التاسع عشر، لكن عددها مع اندلاع الثورة ازداد بشكل كبير، فلا يكاد يخلو مركز عمراني من سجن[1]. واستحدثوا مراكز للقتل والدفن الجماعي، من دون محاكمة[2]، وأنشئوا كذلك مراكز الدفاع

1 يحكي مواطن كان يسكن بالقرب من سجن عين الكبيرة (بيريڤوفيل) أنه كان يسمع صراخ المعذبين في هذا السجن في في الليل حيث كان الفرنسيون يستمتعون بتعذيب الضحايا، مستغلين فرصة غياب الحاكم عن المدينة.

2 يعتبر مركز الزعرورة بالقرب من الدهامشة (شمال شرق سطيف) من أشهر المراكز التي عرفت بالتعذيب الرهيب والقتل الفردي والجماعي العشوائي من دون محاكمة، فقد كانت لنا لقاءات مع عدد من مجاهدي المنطقة ومن بعض مواطيني القاطنين بالقرب من هذا المركز فأجمعوا على انه من=

الذاتي وهي وسيلة رهيبة تجعل الجزائريين يقاتلون بعضهم البعض حيث تم تسليح المواطنين الذين رفضوا ترحيلهم لمواجهة المجاهدين بالأسلحة، وتدعمت هذه المؤسسات والمراكز بإنشاء المصالح الإدارية المختصة S.A .S التي تدخل في إطار الحرب النفسية ووظفت العملاء والحركى والخونة، وكانت لهذه المصالح أهداف خبيثة تكمن في عزل الشعب عن الثورة من خلال المساعدات الغذائية التي كانت الغدارة تقوم بتوزيعها على السكان، كما استحدثوا المكتب الثاني والخامس اللذان كانت مهمتهما الاستنطاق والتعذيب بالإضافة إلى الحرب النفسية وغسيل الدماغ. وكانت الثكنات العسكرية كذلك مراكز مهمة كانت تتواجد بكثرة في المدن والمراكز الحساسة وكانت جاهزة للتدخل السريع كلما تطلب الأمر ذلك، وهي مدججة بأحدث أنواع الأسلحة المدمرة. كل هذه المراكز والمؤسسات القمعية كانت مدعومة بمراكز الدرك والشرطة، والمدفعية والحركى والقومية ومراكز الذخيرة والتموين والنوادي والمطارات وغيرها من المراكز التي كانت تطوق القرى والمداشر والمدن وكانت تفرض عليها رقابة شديدة وحصار خانق فتحولت الجزائر إلى سجن كبير.

وختم الدراسة بفصل سادس أخذ النصيب الأكبر من الكتاب من حيث عدد صفحاته الذي فاق بشكل كبير عدد صفحات الفصول الخمسة مجتمعة (376 صفحة مقابل 162 صفحة أي من الصفحة 164 إلى الصفحة 536)، وهذا يدل على ضخامة عدد المؤسسات والمراكز الاستعمارية المخصصة للسجن والقمع والتعذيب والتقتيل، وقد استعرض الكاتب في هذا الفصل المراكز

= النادر ان يدخل شخص هذ المركز ويخرج حيا. فقد كانت سمعة هذا المركز سيئة على درجة تثير الرعب والفزع في النفوس.

والمؤسسات العسكرية في كل بلديات ولاية سطيف. وأنهى الكتاب بخاتمة ومجموعة من الملاحق ومصادر ومراجع الدراسة.

وما يميز الكتاب هو تلك الصور الحية التي أرفقها الكاتب وخاصة في الفصل السادس الذي تناول فيه مراكز ومؤسسات الاستعمار، فلا يكاد يخلو مركز أو مؤسسة من صورة أو صورتين، وأشار إلى وضعية هذه المؤسسات والمراكز في الوقت الراهن فبعضها ما زال ماثلا إلى اليوم ويقف شاهدا على التاريخ، والبعض الآخر خرب بفعل نكبات الزمن وأيادي البشر التي حولت هذه المؤسسات إلى سكنات وغيرها من المرافق كما ورد في الكتاب.

وقد اعتمد الكاتب على بيبليوغرافية غنية وثرية تمثلت في وثائق عن منظمة المجاهدين في شكل تقارير وشهادات لمجاهدين ومعتقلين وسجناء، بالإضافة إلى المقالات المنشورة في المجلات والدوريات الوطنية مثل مجلة الجيش وجريدة المجاهد، علاوة على عدد كبير من الكتب المطبوعة لجزائريين وفرنسيين. وقد تناول المراكز التالية:

-**المعتقلات:** وهي نوعين، عسكرية وتختص في استقبال الأسرى المجاهدين، ومدنية وكان يساق إليها كل مشتبه في تعاونه مع الثوار وكان عدد المعتقلات في إقليم سطيف 16 معتقلا، يعتبر معتقل قصر الطير الكائن في قصر الأبطال من المعتقلات الرهيبة إبان الثورة.

-**المحتشدات:** أنشئت في إطار مشروع عزل الشعب عن الثورة وكانت تتم عن طريق تجميع السكان وإحاطتهم بأسلاك شائكة ومكهربة حتى لا يمكنهم الفرار، وكانت مزودة بأبراج مراقبة يحرسها الحركة والقومية والعساكر وهي مزودة بالأسلحة المتنوعة. وكان تشمل سكان القرى والمداشر والدواوير التي تكون في الغالب متاخمة للجبال والغابات التي كانت محور نشاط الثوار والمجاهدين.

وكان عددها 26 محتشدا موزعين عبر كل تراب الولاية، وكان الهدف منها منع اتصال السكان بالثوار وبالتالي منع التموين عنهم والحيلولة دون وصول الأخبار والمعلومات إليهم، وكان المحتشدون يحيون حياة قاسية حيث حرارة الشمس التي كانت تلهب أجسادهم التي لم تكن تحمل غلا شبه ملابس رثة وبالية، وبرد الشتاء القارص.

-**السجون:** وكان عددها في ولاية سطيف 14 سجنا، وكان المسجونون يعانون من ظروف قاسية في السجن، وإذا كان الفرنسيون لما ثاروا على نظام الحكم الفاسد والمستبد في سنة 1789 أول عمل قاموا به هو تحطيم سجن الباستيل في باريس رمز الطغيان والظلم، فقد أسسوا سجون لا تقل شهرة عن هذا السجن اللعين، وهي تضاهي سجن كيان في كاليدونيا الجديدة، أمثال سجن سركاجي بالعاصمة ولامبيز في تازولت في ولاية باتنة، والكدية في قسنطينة. وكان الغرض من هذه السجون المرعبة إخافة الجزائريين والثني من عزيمتهم والنيل من كرامتهم وعزتهم.

وكانت السجون تخضع لمراقبة صارمة، وكذلك السجناء حيث كانت السلطات الاستعمارية تختار بعناية لجان مختصة في مراقبتهم داخل السجون، خوفا من تأثير الثوار عليهم، والتصدي لأي محاولة فرار أو عصيان أو تمرد، وكان السجناء يتعاطفون فيما بينهم ويتآزرون ويعملون على رفع معنويات من حكم عليهم بالإعدام، ويذكرونهم أن من يموت فهو شهيد حتى لا ينهاروا ويواجهون الموت بشجاعة وإقدام، وهذا كان يغيظ الفرنسيين ويجعلهم يفقدون صوابهم. كما كانوا يهتفون بالأناشيد الوطنية والتكبير كلما علموا أو سمعوا بأحدهم يساق إلى الإعدام وهذا كان يثير الرعب في نفوس الحراس، وقد تمكنت جبهة التحرير من اختراق السجون والقيام بالنشاط السياسي ونشر الوعي الوطني

بين السجناء، وتجدر الإشارة إلى انه لا تخلو مدينة أو مركز أوروبي من سجن كان يمارس فيه فنون التعذيب، بعيدا عن رقابة الصحافة التي كانت متمركزة فقط في المدن الكبرى كقسنطينة والجزائر وغيرها، اما في المدن الصغيرة كمدينة العين الكبيرة على سبيل المثال لا الحصر كان السجين يتعرض لتعذيب رهيب وقد لقي الكثير من السجناء حتفهم تحت التعذيب، في هذا السجن وفي سجن بني عزيز وبابور، ومن الأمثلة على ذلك التعذيب الرهيب الذي تعرض له المجاهد قدور بوالحية من مدينة بيريقوفيل (عين الكبيرة) بعدما ألقي عليه القبض في نواحي جبل دكارة حيث كان من المفروض أن يقتاد غلى معتقل قصر الطير باعتباره ثائر، لكن مؤامرة تمت بين المعمرين والإدارة الاستعمارية في هذه المدينة حيث دفع بعض الكولون الأموال إلى الإدارة لكي يسلموه لهم حب شهادات من عايشوا الحدث، فقاموا بإعدامه رميا بالرصاص في أعالي مدينة العين الكبيرة في موضع يقال له صرفدة، بعد أن باءت كل محاولاتهم بالفشل في انتزاع معلومات منه قد تضر برفاقه في السلاح[1].

-مراكز القتل والدفن الجماعي:

وكانت الإدارة الاستعمارية بمختلف تشكيلاتها تقوم باغتيال المواطنين عشوائيا وبدون محاكمة أو تهمة ثابتة، بل لمجرد الشك أو وشاية من أحد الحركى والخونة، وغالبا ما كانت سلسلة القتل والاغتيالات تتم بعد تكبد الفرنسيين الخسائر الفادحة على يد المجاهدين أو الفدائيين في المدن. وذلك كرد فعل فوري وعنيف من أجل حمل الثوار على التقليل من هجماتهم ضد المراكز الاستعمارية. وقد بلغ عددها في إقليم ولاية سطيف 111 مركزا موزعين على مختلف البلديات.

---

1 شهادة نجل الشهيد قدور بوالحية السيد محمد بوالحية من مواليد 1956. بمدنة العين الكبيرة.

- الفرق الإدارية المختصة (لاصاص) (S.A.S-)sections administratifs spécialisés: أنشأت في الجزائر سنة 1955 وكانت بالنسبة للمسئولين الفرنسيين "قلب فرنسا le ceour de la France" كانت مهمتها الأساسية مواجهة التنظيمات العسكرية والسياسية لجبهة التحرير الوطني،[1]كانت تحمل أهدافا إنسانية ظاهريا تمثلت في تقديم خدمات اجتماعية للسكان كالعلاج مثلا والتلقيحات وتوفير المواد الغذائية، ومعالجة المجاهدين المصابين في المعارك في المستشفيات الفرنسية، واعتبرت هذه الأعمال رأس الحربة في حرب التهدئة، لكنها في الواقع جعلت للتجسس على الشعب وخلق الشك والريبة في العلاقات الاجتماعية ومتابعة أخبار المجاهدين وتحركاتهم والمتعاطفين معهم وغيرها من الأهداف الباطنية، وبلغ عددها 55 مركزا في مختلف المناطق في الولاية تبعا لأهمية المنطقة وخطورتها وغيرها من الاعتبارات. وتجدر الإشارة إلى أن سلطات الاحتلال قامت بتوظيف الأهالي في هذه المصلحة، قصد الاستفادة من معرفتهم الجيدة لبعضهم البعض، وكذا معرفتهم للأسر والأفراد ومن ثمة سهولة رصد تحركاتهم، وكان غرضها زرع بذور التفرقة والشقاق بين صفوف الشعب.

–المكتب الثاني 2ème Bureau:

وكان عددها 35 مركزا، وهدفها الجوسسة وجمع المعلومات المتعلقة بتحركات المجاهدين والفدائيين وكل كا له علاقة بالثورة وكانت تستخدم في عملها أسلوب الترغيب والترهيب.

---

1 Patrick Rotman, Bertrand Tavernier : La guerre sans nom –Les appelés d’Algérie 1954-1962, Document, edition du Seuil, Paris, 1992, p195-196.

-الثكنات العسكرية:

وكان عددها 193 ثكنة، وفي الثكنات العسكرية يذكر أحد ضباط الجيش الفرنسي أنهم كانوا يتلقون دروسا مركزة ورفيعة المستوى في مدينة شرشال العسكرية تتضمن الدروس حول الدين الإسلامي، وتاريخ الجزائر، وتاريخ جبهة التحرير الوطني، وقال أنهم كانوا يعطونهم دروسا حول تاريخ وتنظيم جبهة التحرير الوطني، حصة في الأسبوع وجول قياداتها وكانوا خبراء ومتخصصين سبق لهم أن عملوا في الهند الصينية.

-مراكز الدرك: كان عددها 14 مركزا.

-مراكز الشرطة: وكان عددها 5 فقط 4 منها في بلدية سطيف وواحدة في بني ورتيلان.

أراد الأستاذ بوالصفصاف من تأليفه هذا الكتاب أن يؤكد على:

- إصرار فرنسا على تصفية الثورة بكل الوسائل ومن أجل ذلك سخرت إمكانيات ضخمة مادية ومعنوية.
- صمود المجاهدين (جيش وجبهة التحرير) في وجه الاستعمار وآلياته الجهنمية، ومواكبة مخططات العدو والشروع فورا في إيجاد حلولا استعجالية لها.
- معاناة الشعب والمجاهدين من السياسة العسكرية الرهيبة، ولاسيما بعد وصول الجنرال دوغول إلى الحكم، حيث أحاط نفسه بمجموعة من خيرة الضباط الذين يتمتعون بتجربة كبيرة معظمهم سبق لهم العمل في الحروب الكبرى كالحرب العالمية الثانية والهند الصينية.

شنت السلطات الاستعمارية على الجزائريين بالإضافة إلى الحرب المدمرة الوحشية حربا أخرى لا تقل خطورة عن الأولى؛ إنها الحرب النفسية. فقد كانت

تدرك أن استعمال السلاح والقمع لا يمكنه إلا أن يزيد من تعميق الهوة بينها وبين الفئات الشعبية التي كان حقدها وكرهها يتزايد بشكل مطرد، ومن ثمة كانت النتائج عكس ما كانت تخطط له السلطات الاستعمارية حيث كان التفاف الشعب بالثورة يتزايد، وأمام هذا الفشل الماثل بين أعين الساسة والعسكريين؛ كانت السلطات الفرنسية تستعمل أسلوب الحرب النفسية بغرض تحطيم معنويات الشعب وعزله عن الثورة، وذلك من خلال سياسة المشاريع الاقتصادية والاجتماعية الفاشلة والتي تجاوزتها الأحداث والزمن.

وعلاوة على الحرب النفسية والإعلامية التي كانت تشنها فرنسا على الجزائريين، كان عليها أن تخوض حربا أخرى في فرنسا ضد جبهة التحرير الوطني التي انتشرت في كل الأقاليم الفرنسية من جهة، وحربا أخرى لإقناع الرأي العام الفرنسي بأن ما يحدث في الجزائر هو من أجل مصلحة فرنسا، ذلك أن الشعب الفرنسي سئم الحرب في الجزائر، والعائلات كانت ترفض أن تستمر في استقبال توابيت أمواتها، وكان المجندون يرفضون التوجه إلى الجزائر في المدن الفرنسية[1] ، بعدما افتضحت السياسة الفرنسية ونواياها، حيث كان المجندون العائدون يقصون الحكايات والأحداث التي شهدوها في الجزائر لذويهم،

---

1 رفض أحد الشبان التوجه إلى الجزائر لأداء واجب الخدمة الوطنية والمشاركة في حرب الجزائر وبعث رسالة إلى الرئيس الفرنسي حينها روني كوتي René Coty جزء فيها مايلي:"لقد تم توجيهي في للذهاب إلى الجزائر، لكنني اتخذت قراري برفض المشاركة في الحرب التي تشنها فرنسا في الجزائر وهي مهددة بالانتشار لتشمل كامل منطقة الشمال الإفريقي، إن ضميري لا يسمح لي بمحاربة الشعب الذي أتمنى أن يكون صديقا وحليفا لفرنسا، وأرغب في الدفاع عن الصداقة بين الجزائريين والفرنسيين، وأبقى وفيا للتقاليد الفرنسية في العدالة والحرية التي نصت عليها ديباجة الدستور ، وأنا على أتم الاستعداد لحمل السلاح من أجل فرنسا التي أحبها أكثر من أي شيء آخر في حالة ما تعرضت لاعتداء خارجي، لكنني أرفض أن أرتكب أشياء فظيعة أندم عليها".

فكانت تلك القصص والحكايات تمثل بالنسبة للصحافة المعارضة مادة دسمة لمناهضة الحكومة، كما أدرك المجندون أنهم لم يكونوا يمارسون فرض النظام في الجزائر بل كانوا يقومون بحرب إبادة، أعادت إلى الأذهان جرائم النازية والفاشية إبان الحرب العالمية الثانية. كما كانت العائلات الفرنسية تحتج على المعيشة حيث شهدت فترة الحرب ارتفاعا محسوسا في الأسعار بسبب تعاظم النفقات العسكرية، كل ذلك يضاف إليه ضغط الرأي العام الدولي بعد أن تمكنت الثورة من إيصال صوتها إلى الخارج، فوجدت فرنسا نفسها في مأزق حقيقي بسبب صمود الثورة أمام كل الأساليب الجهنمية الرهيبة التي استعملت، فجن جنون الساسة والعسكريين الفرنسيين فكان عليهم التفكير في حل ينقذ بلادهم من الانفجار والانهيار.

إن ازدياد عمليات القمع والتقتيل والإذلال للجزائريين هي في الواقع عوامل ساهمت في استمرار الثورة وتغذيتها وتموينها بمجاهدين جدد كانوا ينضمون إلى الصفوف كرد فعل على تلك السياسة التي كانت تقوم على مبدأ عنصري يقول:"إن لم يعمل صاحب البرنوس لمصلحتنا فمن الأفضل له ولنا أن يموت. "[1]

وفي الأخير سجل بعض الاستنتاجات التي توصل إليها من خلال هذه الدراسة في خاتمة الكتاب فذكر أن ضخامة المعدات والآليات الحربية ومراكز القمع والتعذيب والسجن يدل من جهة على مكانة المستعمرة الجزائرية لدى

---

1 اسماعيل سامعي: "في الجزائر يتكلم السلاح، المأساة والآمال"، أعمال الملتقى الوطني"الثورة الجزائرية في الكتابات التاريخية المعاصرة"، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 8 و9 /2014/01، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية ع 10، ص 33-51.

الفرنسيين وتمسكهم بها مهما كان الثمن، ومعاناة الشعب الجزائري الكبيرة من خلال تعرضه لضغط رهيب من أجل أن يتخلى عن الثوار.

وجه الكاتب دعوة إلى الهيئات الوصية بضرورة العناية بهذه المراكز من خلال الترميم وتوفير الحماية لها للمحافظة عليها كشاهد مادي على فظاعة الاستعمار.

تمسك فرنسا بالجزائر واعتبارها جوهرة مستعمراتها، جعلها تتخلى عن كل المستعمرات من أجل التفرغ للثورة الجزائرية، فما كان ذلك يزيد الثورة إلا قوة وعزما، كما أن الدول التي نالت استقلالها أصبحت تؤيد الثورة وتساندها ماديا ومعنويا.

أوصى الكاتب بوضع منظومة تاريخية ضمن البرامج التربوية تركز على القيم الرفيعة لمبادئ الثورة وإنسانيتها وما تشتمل عليه من قيم التضامن والإخاء والصبر والتضحية ونكران الذات والإيثار، وكذا قيم السلم والتحاور والنقاش البناء من أجل خدمة الوطن ونشر هذه المبادئ لدى الناشئة.

وفي الأخير نبه الكاتب إلى مخاطر العلمنة الذي تروج له الدول الغربية وتبعتها دول العالم الثالث من غير إدراك ولا وعي، وهي فكرة تنادي بالإلحاد والابتعاد عن كل ما يربط الفرد بأصوله ومقوماته الشخصية، ويتبع هذه الأفكار الزائفة.

الخاتمة:

وفي الأخير توصل الكاتب إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

ضخامة عدد المؤسسات العسكرية وتنوعها في منطقة سطيف يدل على أن الاستعمار استعمل كل الوسائل والأساليب الممكنة لإخماد الثورة والقضاء عليها،

كما يدل من جهة أخرى على أهمية المنطقة نظرا لموقعها الاستراتيجي بين الولايات التاريخية الثلاث (الولاية الأولى والثانية والثالثة).

-ضرورة العناية بهذه المراكز وصيانتها وترميمها حتى تبقى عبرة وذكرى للأجيال لكي لا تنسى معاناة وتضحيات التي قدمها الشعب في سبيل الحرية والاستقلال.

-تنوع المؤسسات والمراكز العسكرية يدل ويشهد على التعذيب والآلام الرهيبة التي كان يسلطها العدو على المجاهدين بصفة خاصة وعلى الشعب عامة.

-أطلقت فرنسا يدها في مستعمراتها الإفريقية من أجل أن تتفرغ للثورة الجزائرية والتمسك بالجزائر يدل على مكانتها وعلى أهميتها الإستراتيجية بالنسبة لفرنسا.

-إن العنف الممارس اليوم ما هو في الواقع إلا نتيجة من نتائج الاستعمار البغيض الذي جثم على هذه البلاد وحاول أن ينسي الشعب الجزائري انتمائه إلى حظيرة الأمة العربية الإسلامية، من خلال تعميرها بأجناس من مختلف البلدان الأوروبية ومحاولة إخلاءها من سكانها الأصليين، حيث كمان الوافدون من شذاذ الآفاق قامت السلطات الاستعمارية بمصادرة الأراضي من ملاكها الشرعيين ووزعتها على هؤلاء الحثالة.

-إن مخلفات وآثار الحقبة الاستعمارية لا تزال ماثلة إلى الآن، وأن محاولة القضاء عليها ليست بالأمر الهين، فذلك يتطلب نشر التوعية وزرع الروح الوطنية في أوساط الشباب بالطرق العلمية المدروسة، وعن طريق بذر المبادئ الديمقراطية التي ترتكز بالأساس على التوزيع العادل للثروة الوطنية، والتقريب بين الطبقات الاجتماعية في الثروة السلطة السياسية والإدارية.

-وضع منظومة تاريخية ضمن البرامج التربوية تركز على القيم الرفيعة والمبادئ النبيلة للثورة، التي قامت على روح التسامح والجنوح إلى السلم والقيم الإنسانية،

التي تندرج ضمن برامج التاريخ والأدب والفلسفة وعلم الاجتماع وببث سبل الحوار البناء، والخطاب الهادئ الهادف، ونشر ثقافة التواصل وكل ذلك يصب في مصلحة الوطن وحبه والتفاني في خدمته وليس مجرد التغني بالمآثر الوطنية، دون العمل عى تجسيد المثل العليا على أرض الواقع حتى نرتقي بالوطن إلى مصاف لدول العظمى.

-أن يكون لجيل نوفمبر وفي مقدمته لمجاهدون الواعون بالدور الفعال في زرع القيم النبيلة، ويكونوا نموذجا يقتدى به من طرف جيل الاستقلال الذي طبعته المادية، وهيمنت عليه العلمانية الغربية التي لا يمكن وقفها إلا بتوظيف الطاقات الوطنية والمادية والبشرية توظيفا حسنا يتوخى الحفاظ على الهوية الوطنية.

-إن الرجال الأحرار الذين ذاقوا مرارة الاستعمار اليوم تتمزق قلوبهم وهم يشاهدون مشاهد العنف وتخريب المؤسسات التعليمية والاقتصادية والإدارية، وأحقاد الماضي الاستعماري تعود، والفكر الجهوي الذي يمزق البلاد، وتكالب الاستعمار الذي يشتد ويتبلور، كيف للأركان التي بناه الأجداد يهدمها الأبناء.

جهود عبد الكريم بوصفصاف في تكوين الطلبة على البحث عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بجامعة أحمد دراية بأدرار

أ/ الطاهر خالد

جامعة الجزائر 02

مقدمة:

من الأساتذة الذين فرضوا حضورهم العلمي ووضعوا بصماتهم في ميدان الدراسات التاريخية وكان لنشاطهم أثر ملموس في توجيه الباحثين والطلبة بتعريف ودراسة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء الأستاذ الدكتور عبد الكريم وبصفصاف–رحمه الله–. فأنا لم يسعفني الحظ أن أكون من طلبته، كما لم ألتقي به يوما، لكن ما كتبته عنه كان من خلال تقديمه لكتاب أستاذي عبد الله مقلاتي الذي كان بعنوان: "**دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**". فتبين لي أنه شخصية مهتمة بتاريخنا الحضاري الذي جمعنا بهذه المنطقة لذلك الموضوع الذي نعالجه في هذه الورقة العلمية يهدف إلى إبراز جهوده والإشادة بها تقديرا لإنجازاته في المجال خاصة ما تعلق بإحياء التراث والدور الحضاري للجزائر في إفريقيا جنوب الصحراء فقد استعمل علمه ومنهجه ورؤيته لتسليط الضوء على هذا الجانب ووضعها موضع الفخر والاعتزاز. وبذلك فتح جسور الاطلاع على التاريخ المشترك بين المنطقتين للباحثين والدارسين. لأنه حاول منذ التحاقه بجامعة أدرار أن يبرز المكانة الحضارية للجزائر في تاريخ ضفتي الصحراء. فهو يرى أن إسهام الجزائر في هذا التاريخ لا يزال مجهولا، فقد أمضى ما يزيد عن ثمانية سنوات بهذه الجامعة في التدريس والتأطير فكون بذلك شعلة جديدة من الباحثين فكانت له إسهامات

في تحفيزهم على مثل هذه الأبحاث. ففي فترة كانت المدرسة التاريخية الجزائرية بأمس الحاجة إلى مثل هذه الدراسات في الجامعة الجزائرية لأنها تفتقد إلى مؤلفات بأقلام جزائرية عنها. إلا أنه اختار أن يجتهد ويتفانى في تأطير وتكوين طلبة يثرون برسائلهم العلمية القيمة المكتبات الجزائرية خاصة والعربية والإفريقية عامة. لكي يستفيد منها الطلبة وأساتذة الجامعات والمهتمين بتخصص الدراسات الإفريقية في المستقبل. فاستحق بهذه الجهود أن يحتل مكانة متميزة ورائدة على خارطة الأساتذة المهتمين بها لا يمكن الإغفال عنها. لأن الرجل قضى 43 سنة من حياته في العطاء للجامعة الجزائرية رفقة مجموعة من المؤرخين ساهم إلى جانبهم في وضع أسس المدرسة التاريخية الجزائريةأمثال يحيى بوعزيز وموسى لقبال وعبد القادر زبادية ومحمد الصغير غانم–رحمهم الله–وناصر الدين سعيدوني وعبد الحميد حاجيات. فقد جمع بين التدريس الجامعي والبحث التاريخي عن أصالة مواضيعه التي اختارها للبحث وعن عمق رؤيته الحضارية بخصوص واقع الدراسات الإفريقية بالجامعة الجزائرية. لذلك وجب منا أن نتساءل **عن العوامل التي جعلت من الدكتور عبد الكريم بوصفصاف يتوجه إلى الاهتمام بتاريخ صحرائنا وعلاقتها التاريخية بإفريقيا جنوب الصحراء؟ وكيف خطط لعمله في هذا الميدان؟** وبناء على ما تقدم فإننا ارتأينا أن نعالج هذا المقال مركزين فيه على محاور أساسية، إذ استهللنا في هذه الورقة العلمية التعريف به، ثم تطرقنا إلى التحاقه بجامعة أدرار وإحيائه لتراثها الحضاري المغاربي الإفريقي. كما أثرينا مقالنا بالحديث عن توجهه إلى هذا التخصص، ثم اهتمامه بالموروث الحضاري للصحراء الجزائرية. كما تطرقنا إلى دعوته لإحياء العلاقات الجزائرية الإفريقية والاهتمام بها. وفي الأخير عرجنا على جهوده الخاصة في

هذا الميدان بجامعة أدرار من خلال تأسيسه لمخبر الدراسات الإفريقية وترأسه له، وفتحه لمشاريع ماجيستير وماستر وإشرافه على طلبة الدراسات العليا.

أولا/التعريف بالأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف

1-مولده ونشاته:

هو أستاذ ومؤرخ جزائري ولد يوم 19أوت 1944 بقرية العبيات، بلدية فج مزالة المختلطة آنذاك بلدية فرجيوة حاليا ولاية ميلة. أرسله والده المختار إلى المدرسة القرآنية ليتسلح بكلام الله وأحاديث الرسول الله صلعم. ولما بلغ سن السابعة انتقل إلى فج مزالة للدراسة في مدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ونتيجة للقدرات العلمية قرر والده إرساله إلى العاصمة سنة 1954.ثم عاد مرة أخرى لقريته أين تابع تعليمه، وبالرغم من الإصابات التي تعرض لها في عينيه والتي أفقدته بصره وهو في سن السابعة نتيجة انفجار خرطوش. بعد سنتين أرسله والده للعلاج والدراسة بالعاصمة، لكن ظروف اندلاع الثورة جعلته يعود أدراجه إلى قريته ليواصل الدراسة بعين واحدة. ويشاء القدر أن يتعرض عبد الكريم الصبي في جوان 1958 إلى حادث فقد على إثرها عينه السليمة. منذ ذلك ظل يعتمد على نسبة ضئيلة من نور إحدى عينيه، ولكنه كان يعتمد بالأساس على نور البصيرة أكثر من نور البصر. ولم تسمح له الظروف بعرضه على طبيب العيون إلا سنة 1961 بمستشفى قسنطينة، لكن بعد فوات الأوان، ولم يعد بإمكان الأطباء فعل أي شيء، رغم أنهم أجروا له عمليتين جراحيتين.

2- مساره الدراسي والعلمي:

فيما يخص الشهادات الدراسية التي تحصل عليها، فإنه في السنوات الأولى للاستقلال تابع دراسته الابتدائية والمتوسطية والثانوية في المدارس الحرة

بقسنطينة. توجت بحصوله على الشهادة الابتدائية والشهادة الأهلية. وفي سنة 1970 شارك في مسابقة الدخول إلى الجامعة، فكان النجاح حليفه وكان الأول على مستوى دفعته. وسجل بجامعة قسنطينة تخصص تاريخ، تخرج منها سنة 1974 بشهادة ليسانس[1]. وقد قررت الجامعة تعيين المتحصلين على المراتب الثلاث الأولى في رتبة أستاذ معيد وهم: عبد الكريم بوصفصاف، نزيه بن جاب الله، فاطمة الزهراء قشي. وبعد ذلك سجل في نفس سنة التحاقه بالجامعة كأستاذ، بقسم الدراسات العليا بالعاصمة. وبعد سنة واحدة 1975 حصل على شهادة المنهجية في البحث بموضوعه "**ثورة 1871 الأسباب والنتائج**". وقد أتت الأبحاث والدراسات العلمية بجامعة قسنطينة ثمارها بعد مجهودات كبيرة، سواء من طلاّب الدراسات العليا، أو من طرف الإدارة التي عملت ما في وسعها على تذليل صعاب البحث والدراسة أمام الطلاّب. وكان من بين هذه الأبحاث تلك الأطروحة التي تقدّم بها بمعهد العلوم الاجتماعية – دائرة التاريخ – للحصول على ديبلوم الدراسات المعمّقة، تحت عنوان "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية**". وقد تمت مناقشة هذه الرسالة سنة 1978م، وتحصّل بها على الديبلوم المذكور بدرجة جيّد جدّا، ونظرا لأهمية هذه الأطروحة، فقد طبعها بمطبعة البعث. وفي سنة 1984 نال شهادة الماجستير بتقدير مشرف جدا مع التوصية بالطبع من لجنة المناقشة لبحثه الموسوم "**جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالجمعيات السياسية الأخرى**". وأخيرا توج مشواره العلمي سنة 1997 بحصوله على شهادة دكتوراه دولة في موضوع تاريخي فلسفي بعنوان "**الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في**

---

(1) ينظر: "**رحيل الباحث والمؤرخ عبد الكريم بوصفصاف**"، جريدة النصر، يوم 26نوفمبر 2017، ص23.

حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس- دراسة تاريخية فكرية مقارنة-"، تحت إشراف المؤرخ التونسي: محمد الهادي الشريف.

3-وظائفه الإدارية والعلمية:

فإلى جانب عمله في التعليم والبحث والإشراف على الرسائل العلمية، شغل في وظائف بيداغوجية وإدارية من رئيس قسم التاريخ، إلى مدير معهد، إلى رئيس مخبر، فعضو للمجلس العلمي بالقسم والكلية، إلى عضو في اللجنة القطاعية على مستوى وزارة التعليم العالي. وقد تميز عمله ونشاطه في هذه الوظائف بالجدية وأخذ سلاح المبادرة في التحسين والتطوير إداريا وعلميا وبيداغوجيا. كما يعتبر من أبرز أساتذة التاريخ في تلك الفترة ومن رواد المدرسة التاريخية الجزائرية خاصة وأنه كفيف البصر، فلقد استطاع من خلال عمله في جامعات قسنطينة وقالمة وباتنة وأم البواقي وأدرار أن يكونعنوان للعمل والالتزام.

4-تكريماته:

عبر تأسيسه وإدارته لمخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بقسنطينة ومخبر الدراسات الإفريقية بأدرار، وإخراجه لعشرات الكتب والمقالات، وإشرافه على العديد من الطلبة استحق أن يحظى بتكريم عدد من رؤساء الجامعات، ووزارة التعليم العالي، ووزارة المجاهدين، واتحاد المؤرخين العرب الذي كرمه في القاهرة بدرع الشماريخ سنة 2007. وقبله تكريم رئاسة الجمهورية له بوسام عام 2004. ولكن التكريم الحقيقي الذي ناله هو المكانة المرموقة التي حظي بها لدى طلابه، وكل الأستاذة والمثقفين الذين تأثروا بكتاباته وأفكاره وتتبعوا مسيرته العلمية وأشادوا بفضل هذا العصامي المتبحر في مختلف العلوم الإنسانية والرائد في مجال الكتابة التاريخية.

5- نشاطاته العلمية:

تمثل إنتاجه العلمي الذي تميز بالجدية العلمية في مجموعات من المؤلفات عبارة عن مقالات وكتب منها:

-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية.

-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى.

-قاموس شهداء ولاية ميلة.

-معجم أعلام الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين.

-جهاد المرأة الجزائرية في ولاية سطيف وتضحياتها الكبرى (1954-1962).

-تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

-الفكر العربي الحديث والمعاصر.

-رواد النهضة والتجديد في الجزائر.

-ابن باديس الرمز.

-الشيخ محمد البشير الابراهيمي العلم والمفكر والأديب الوطني المنظر.

-موسوعة شهداء سطيف أبان الثورة (1954-1962).

-حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي في ولاية سطيف.

-الشعر الثور الملحون في الثورة الجزائرية.

-الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس[1].

---

(1) ينظر: "**الدكتور بوصفصاف...عميد أساتذة التاريخ في ذمة الله**"، جريدة الشروق، ع/5649، يوم 27 نوفمبر 2017، ص19.

كما شارك في مؤتمرات وندوات دولية منها:

-ملتقى الحركة الوطنية التونسية، بتونس1987.

-دور الصحافة في نشر الوعي التاريخي، مؤسسة التميمي 1998.

-مشكلات الحدود وأثرها على العلاقات الدولية في الوطن العربي، سوريا 1999.

-العلوم الاجتماعية بين النقد والتأويل، القاهرة 2002.

كما أشرف ونظم ملتقيات علمية منها:

-ملتقى الجزائر في العهد العثماني 1994.

-ملتقى حول فلسفة التنوير وأثرها على الفكر العربي الحديث والمعاصر 2002.

والأكثر من ذلك فإن عبد الكريم بوصفصاف كان يعقد ملتقيات خاصة بأقطاب الفكر والتاريخ في الجزائر ويدرس أعمالهم ويكرمهم وهم على قيد الحياة مثل الملتقى الذي خصصه لأعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله سنة 2004 ومناقشة كذلك أعمال الدكتور عبد الرزاق قسوم.

6-وفاته:

لقد توفي يوم 26 نوفمبر 2017، ولا يسع طلبته وزملائه إلا الترحم عليه والتذكير بحياته التي كانت كلها كفاح وبحث علمي.

ثانيا/ التحاقه بجامعة أدرار وإحيائه لتراثها الحضاري المغاربي الإفريقي

يعتبر الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف أحد رواد المدرسة التاريخية الجزائرية من خلال مؤلفاته المتعددة المتعلقة بتاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، وكذلك من خلال تأطيره للعديد من الطلبة بكل من جامعة قسنطينة وقالمة وباتنة وأم البواقي.وقيامه بمهام علمية وتربوية وتكوين جيل من الأساتذة

في تاريخ الجزائر خاصة ما تعلق بتاريخ الثورة الجزائرية لينتقل بعد ذلك إلى أبناء الجنوب حيث أشار لي الأستاذ عبد الله مقلاتي[1]أنه لما كان رئيس قسم بجامعة أدرار هو من استقطبه إليها -كأستاذ زائر- سنة 2008،فهو من المؤرخين الجزائريين الذين قرروا الاستقرار بالجنوب الجزائري للعطاء والتدريس والتأطير والبحث، حيث التحق بأدرار في أفريل 2008 لينهل أبناؤها من عصارة فكره ونتاج قلمه، **فأين تكمن أهمية انتقاله إلى الجامعة الإفريقية بأدرار التي تعد جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى؟ وما الهدف من اختياره لهذه الجامعة؟**

إن من أهم الأعمال التي قام بها هناك أدائه للعديد من المهام الإدارية، والعلمية خلال مسيرته في أدرار، وتوجيه طلبة الدراسات العليا على التنقيب في تراثنا وإحيائه، من خلال إبراز الدور الحضاري للصحراء الجزائرية. فأدرار تعتبر الخزان الوطني الأكبر في التراث المخطوط من خلال تعداد خزائنها بالإضافة لكونها محاذية للدول الإفريقية نظرا للحواضر الثقافية والقوافل التجارية التي ربطت توات وتنبكت والأزواد وشنقيط[2]. لذلك نبه إلى ارتباط تاريخ الجزائر

---

(1) ويشغل حاليا أستاذ محاضر بجامعة المسيلة، ورئيس مخبر "**الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية**"، ورئيس "**المجلة التاريخية الجزائرية** "، وهو من الذين اهتموا بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، حيث وصفه أستاذه عبد الكريم بوصفصاف أنه الباحث النشيط والمجتهد المختص في تقديم الدراسات الجديدة في العلاقات الحضارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء. وقد أصدر مجموعة من الكتب تعالج هذه القضية منها:"**دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**"، وكتاب "**البعد الإفريقي للثورة الجزائرية ودور الجزائر في تحرير إفريقيا**"، و"**دور إقليم توات خلال الثورة الجزائرية (1962-1956)**"، وكذلك كتاب "**الثورة الجزائرية وإفريقيا صفحة دبلوماسية ناصعة**"، و"**معجم أعلام توات**".

(2) بشار قويدر وحساني مختار: **مخطوطات ولاية أدرار**، باتنة-الجزائر: مطبعة عمار قرفي، 1999، ص ص11 وما بعدها.

بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء. فهو كان يهدف إلى صياغة هذا التاريخ وإعادة كتابته مع ضرورة استخدام المصادر المتعلقة به. فوجه جهوده إلى تكوين باحثين أكفاء ذوي القدرة على البحث والاستقصاء والتنقيب. وبذلك شكل هذا التخصص محور اهتمامه بجامعة أدرار في حقل الدراسات التاريخية سواء في الفترة الوسيطة أو الحديثة أو المعاصرة. ونظرا لهذا الاهتمام فبفضله احتل هذا التاريخ مكانة بهذه الجامعة، خاصة وأنه استحدث مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية بها سنة 2009 وقد شغله إلى سنة 2016.

لقد كان استقراره بأدرار التي تعد جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى استجابة لرغبة أكاديمية لدراسة الصحراء الجزائرية وربطها مع إفريقيا جنوب الصحراء. لأنه كان يدرك أن للجزائر إسهامات حضارية معها، وذلك من خلال البصمات التي خلفها تجارها وعلماؤها ومتصوفوها بالمنطقة ومكانتها ومدى تأثيرها فيهم. حيث شهدت المنطقة علاقات مع الطرف الجزائري وبشكل عام كانت العلاقات بين الطرفين قديمة، حيث يقول في ذلك: "**إن العلاقات الجزائرية بالبلدان الإفريقية جنوب الصحراء لم تكن علاقات حديثة النشأة، وإنما لها جذور عميقة في التاريخ**"(1).وبذلك فهو يرى أن هذه العلاقات قد اتخذت أشكالا ايجابية تمخضت عن ارتباط حضاري من خلال إشعاع الثقافة الجزائرية الذي تجلى في:

تواقد عدد كبير من العلماء والصلحاء على الحواضر العلمية في بلاد السودان للتدريس والإمامة لأن الجزائر زخرت بالعديد منهم حيث ساهموا بشكل واسع في نقل التراث الجزائري الإسلامي إلى إفريقيا جنوب الصحراء. فقد

---

(1) عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، ط1، الجزائر: الشروق، 2009، ص6.

استقطبت الحواضر العلمية المتواجدة بها بصفة عامة وتنبكت بصفة خاصة عددا من العلماء الجزائريين الذين قرروا الاستقرار بها. وكان هدفهم نشر الإسلام والعلم والأفكار الإصلاحية والثقافة العربية ومن بينهم أبو القاسم التواتي ويحي التادلسي وعبد الكريم المغيلي.

كما ساهم علماء توات في نشر الإسلام بها بواسطة الرحلات العلمية وتبادل الوفود ولقاءات مواكب الحج والاجتماع حول الطريقة الصوفية. ولم يكتفوا بالتدريس والإمامة فقد نقلوا كثيرا من مخطوطاتهم إليها، وأنشئوا العديد من المدارس والرابطات. وبذلك أسهموا في إرساء نهضة علمية في مختلف الحواضر التي زاروها ودرسوا بها[1]. فكانت لهم مكانة مرموقة بين الأفارقة وذلك بوصفهم حملة الرسالة وهذا ما أكده السعدي بأن خمسين رجلا من التواتيين من عباد الله الصالحين دفنوا بتنبكت [2].

فكان في منظور عبد الكريم بوصفصاف أن هذه الأبحاث مهمة للطلبة والباحثين الجزائريين من خلال التذكير بجهود علمائنا وتاريخهم العظيم وإسهاماتهم في الروابط المتينة التي تربط بيننا وبين إخواننا الإفريقيين منذ دخول الإسلام لبلاد السودان.

لأن أول دولة إسلامية مستقلة قامت في الجزائر والمغرب الإسلامي هي الدولة الرستمية التي اهتمت بربط علاقات سياسية وتجارية وثقافية مع ممالك إفريقيا جنوب الصحراء، فنتج عنها انتشار الإسلام وازدهار التجارة في رحابها.

---

(1) عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: مرجع سابق، ص137.

(2) عبد الرحمن السعدي: **تاريخ السودان**، ط1، تحقيق: حماه الله ولد السالم، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، 2012، ص203.

وهذا ما أ كده مؤرخ الإباضية ابن الصغير[1]. كما تعد حاضرة تلمسان ذات حركة فكرية رائدة،امتد تأثيرها وإشعاعها إلى مدنها وحواضرها العلمية، فقد هاجر علماء تلمسان إليها للتدريس حيث يشير ابن بطوطة أنه التقى في مدينة مالي بالشيخ التلمساني وهو ولد ابن الشيخ اللبن الذي وجده يعلم الناس القرآن الكريم والفقه بها[2].

كما كانت هناك صلات تمت عبر قنوات مختلفة أهمها الهجرات،فالتاجر اجتهد عن طريق المجالس واللقاءات في الأسواق والمحافل العامة في بث تعاليم دينه وثقافته،حيث تحدث الإدريسي (ت560هـ-1160) أن تجار قبائل ورجلان عرفوا بالثراء لأن لهم نشاط بارز في عملية شراء الذهب والمتاجرة ببلاد السودان [3].فقد وفد الكثير منهم إلى المنطقة على هيئة تجار أو علماء فساهموا في نشر الإسلام وثقافتهم، ولما طاب لهم المقام في المنطقة سكن الكثير منهم هناك[4].

كما أن الحركة الصوفية كان لها دورا كبيرا في البعد الديني حيث لعبت الحواضر الصحراوية الجزائرية دورا في توطيد الصلات الروحية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من خلال توافد الطرق الصوفية على إفريقيا. كما أنشئوا

---

(1) ابن الصغير المالكي: **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص64؛ محمد طمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م، ص98.

(2) أبو عبد الله محمد ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ط1، ج2، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، بيروت: دار الإحياء للعلوم، 1987، ص703.

(3) الإدريسي ابن عبد الله الشريف: **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس- مقتبس من كتاب نزهة المشتاق-**، تحقيق: إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص39.

(4) إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية- (296-160هـ/777- 909م) دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-**، ط2، الجزائر: المطبعة العربية، 1993، ص 222.

زوايا وحركات دينية بين ضفتي الصحراء كان لها دورا في تبليغ رسالة الإسلام، وهذه الزوايا شكلت روابط ثقافية جمعت بين الضفتين كانت لها انعكاسات ايجابية على الجانبين. ومن بين الطرق التي كانت حاضرة بقوة في هذه المنطقة هي الطريقة القادرية والتيجانية والسنوسية. وكل هذا اقر به عبد الكريم بوصفصاف في خلاصة قوله: "... **أن مهمة نشر الإسلام واللغة العربية في تلك الأقاليم الإفريقية نهض بها علماء ومتصوفة وتجار جزائريون...**"[(1)].

ثالثا/ توجهه إلى تخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

لقد عرف تخصص إفريقيا جنوب الصحراءفي الجامعة الجزائرية ما بعد الاستقلال عزوف طلبة الدراسات العليا عن التحاقهم به. وكذلك عدم إقبالهم على اختيار مواضيع حوله، حيث أشار عبد الكريم بوصفصاف إلى ذلك في قوله: "......**قلت فيه الدراسات الوطنية على الرغم من المكانة الإستراتيجية الجوارية التي يحتلها في العلاقات الجزائرية الإفريقية**"[(2)]. فقد توجهوا لدراسة التخصصات الأخرى خاصة ما تعلق بقضايا التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر. لأنه عرف إقبال كبير من طرف الباحثين والدارسين بالجزائر مما فتح المجال لهم بالتخصص والبحث فيه خاصة تاريخ الثورة الجزائرية. إلا أن هذا التخصص لم يلق ميولا من طرف المؤلفين والباحثين والدارسين الجزائريين في هذه الفترة[(3)]. ولم يصل حسب رأينا إلى حد إرساء أسسه بجامعاتنا، رغم

---

(1) عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: مرجع سابق، ص6.

(2) نفسه، ص5.

(3) يعتبر عبد القادر زبادية أول من تخصص في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بعد الاستقلال، ولد عبد القادر زبادية في20 نوفمبر 1935 بولاية باتنة، زاول دراسته العليا بجامعة بغداد فنال منها شهادة الماجستير عام 1961بموضوع حول مملكة سنغاي. وواصل دراسته حتى نال شهادة =

الخلفية التاريخية التي تجمعنا مع الممالك والدول الإفريقية منذ قدوم الإسلام للمغرب.في حين أن الجامعة الجزائرية تحتاج إليه لأنه يعمق المعرفة على القارة الإفريقية، من خلال القيام بالبحوث والدراسات الخاصة بها، وتوثيقها ونشرها وتكوين باحثين مختصين أكاديميين في شؤونها، من حيث التركيز على الجوانب الثقافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.لأن هذا التخصص لا يزال فتيا في الجامعات الجزائرية، لذلك سعى بعض الأساتذة الباحثين إلى إبرازه وتحقيق تطلعات الجامعة. من خلال تكوين وإعداد طلبة مختصين أسهموا في تكوين جيل جديد متخصص في هذه الدراسات من حملة (ماجستير، ماستر، دكتوراه) لتغطية احتياجات الجامعة الجزائرية، وتحقيق تواصل بين الجزائر والدول الإفريقيةودعم سياسات الجزائر اتجاه إفريقيا.

وفي خضم هذه الصعوبات ظهرت مجموعة من الأساتذة المهتمين بالدراسات الإفريقية في الجامعات الجزائرية. حيث اهتموا بها وعرفوها للطلبة الذين لهم الرغبة في دراسة هذا التاريخ والبحث فيه، وأبرزوا أهميته في الوقت الراهن. ومن المؤرخين الذين توجهوا باهتماماتهم إلى تراث الجنوب الجزائري

= الدكتوراه الدور الثالث بجامعة الجزائر بقسم التاريخ وموضوعها حول "**مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591**" ناقشها بتاريخ 1970/05/06.ثم تحصل على منحة لمواصلة دراسته ببريطانيا فتحصل بها على دكتوراه دولة في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر بجامعة لندن سنة 1974 بعنوان: " **The Career and Correspondence of Ahmad al-Bakkay of Timbuktu from1847 to 1866**تحت إشراف Dr. Humphrey John. Fisher ، ومن مؤلفاته له كتاب "**الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء-دراسات نصوص-**". وترجم كتاب: " **الجزائر في عهد رياس البحر**" لوليم سبنسر. وحقق كتاب لمحمد بن عبد الكريم المغيلي "**أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**"، توفي يوم 03 أفريل 2013 عن عمر يناهز 78 سنة.

وصلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المشتركة مع ممالك ودول إفريقيا جنوب الصحراء هو المؤرخ الجزائري عبد الكريم بوصفصاف، فانطلاقه من فكرة أن للجزائر دور حضاري في هذه المنطقة منذ الفتح الإسلامي للمغرب دفعت به إلى التوجه لهذا التخصص لإبراز هذا الدور وهو ما أكد عليه في قوله: "...**بل إن بعض الدول في هذه المناطق الإفريقية قد تأسست على أيدي علماء ومثقفين وفقهاء جزائريين ولكن هذه الدول لم تجد اهتماما كبيرا من الباحثين الجزائريين**"[1]. فإلى جانب اهتمامه بتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر لم يغفل عن إسهام الجزائر في نشر الإسلام والثقافة العربية بهذه المنطقة، فقد ظهر ذلك جليا من خلال تأطيره لرسائل وأطروحات بعض الطلبة وتكوينه لهم في هذا الجانب. ليصبح هؤلاء الطلبة باحثين مختصين فيه بالمستقبل. وهناك أسباب دفعته إلى التوجه اليه من بينها:

- تطلعه إلى تكوين الطلبة في الدراسات العليا في تراثنا الصحراوي الجزائري وعلاقته بإفريقيا جنوب الصحراء، لأن مثل هذا التخصص لم يسعده الحظ كثيرا في جامعاتنا.
- رغبته في زيادة الأبحاث المتعلقة بصحراء الجزائر وتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، فهو يعتبر أن مثل هذه الأبحاث دين على طلبة جامعاتنا من تحقيقهم ما بذمتهم من التزامات للكشف عن خبايا هذا الجزء من تاريخنا، وإزالة الستار عنه.
- التعرف على تاريخ صحراء الجزائر وما مدى عطائها، وتأثيرها على تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، وذلك من خلال التنسيق بين الباحثين والمهتمين

(1) عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: مرجع سابق، ص6.

والدارسين وتكريس كل الجهود لإنجاز أبحاث أكاديمية متخصصة في هذا الميدان.

رابعا/اهتمامه بالموروث الحضاري للصحراء الجزائرية

ان الصحراء الجزائرية كانت معبرا للقوافل التجارية بين الشمال والجنوب، وبذلك شكلت محطات رئيسية في الطريق بين البحر الأبيض المتوسط والقارة الإفريقية لا سيما ببلاد السودان. فالمراكز الصحراوية الجزائرية كانت مسرح نشاط تجاري وصوفي وعلمي، طيلة قرون قبل اكتشافها من قبل الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر(1). لذلك لا يمكن للمؤرخ أو الباحث أن يتنكر للدور الحضاري الذي لعبته صحراؤنا من تأثير في سائر الحضارات والأمم. ومن هذا المنطلق يعتبر التراث الصحراوي مرجعا حقيقيا للدراسة الاجتماعية والتاريخية والدينية والثقافية والإنسانية، حيث شكلت العديد من الموروثات الصحراوية مادة خصبة للباحثين والدارسين تعكس إبداع الإنسان الصحراوي بشكل خاص. فهناك القليل من الباحثين الجزائريين الذين اهتموا بالحضارة الصحراوية الجزائرية وتبادلها الثقافي الحضاري الثري الذي ظلت صحراء بلادنا منذ القدم عنصرا مؤثرا فيه. لأن مثل هذا التراث معرض للاضمحلال، إذ لم يتخذ الباحثين والدارسين الجزائريين الإجراءات اللازمة للتنقيب عنه لحفظه والرفع من قيمته ودحض المبتذلات التي تراكمت عن هذا الموروث طيلة عقود. فذلك سيسهم في عودة الوثائق الأصلية عن هذا التراث إلى رفوف مكتبات الجامعة الجزائرية. كما سيعطي نفسا جديدا لنشر هذه البيبليوغرافية وتوزيعها والرجوع إلى

---

(1) محمد الصالح حوتية: **توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة /الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007، ص8.

المصادر المرجعية، مما سيحقق للطالب والباحث الجزائري الرغبة في البحث والدراسة عن الإرث الحضاري الصحراوي الجزائري. لذلك ناشد المؤرخ عبد الكريم بوصفصاف باكتشاف هذا الجانب، وحث الطلبة والباحثين على دراسته لإبراز أهمية صحرائنا سياسيا واقتصاديا وثقافيا حيث قام بفتح مسابقة ماجستير بجامعة ادرار -جزء من عمل المخبر- في تخصص إفريقيا جنوب الصحراء، وتكوين الطلبة في الدراسات العليا من خلال تأطيره لهم في أطروحات تتناول مثل هذه المواضيع، ليصبحوا فيما بعد أساتذة متخصصين في هذا المجال فيحملوا المشعل في المستقبل لجيل جديد. لأن الصحراء الجزائرية محطة تواصل بين الجزائر وبلاد السودان والمغرب العربي منذ القدم، لذلك نبه إلى الاهتمام والمساهمة من خلال إعداد رسائل وأطروحات في إحياء التراث الجزائري خاصة ما تعلق بصحرائها والتراث الحضاري المشترك بين ضفتي الصحراء، من خلال التعريف بإسهام الجزائر في ترك البصمات التي خلفها علماؤها هناك خاصة إقليم توات ومدى تأثيره الحضاري والثقافي بين ضفتي الصحراء خلال الفترات التاريخية، كما دعا إلى النهوض بالثقافة الجزائرية في إفريقيا جنوب الصحراء.

خامسا/ دعوته لإحياء العلاقات الجزائرية الإفريقية والاهتمام بها

إن ما جعل عبد الكريم بوصفصاف يدعوا إلى إحياء العلاقات الجزائرية الإفريقية والاهتمام بها هو أن مثل هذه الدراسات لا تزال عذراء في بلادنا، حيث تحتاج إلى المزيد من الأبحاث والتنقيب. فالتاريخ الإفريقي ينتظر جهود الباحثين الجزائريين المهتمين به في الكشف والدراسة عنه. فكانت رؤيته إلى ضرورة تكوين وتأطير الطلبة ليرفع الستار عن ضعف الكتابة الأكاديمية على تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بالجزائر. لأن السبب في ذلك راجع لعدم وجود باحثين مختصين بقسم الدراسات الإفريقية في الجامعات الجزائرية. فكان في منظور

عبد الكريم بوصفصاف الرعاية والاهتمام به من حيث الوقائع والأحداث. وذلك بالبحث والدراسة المعمقة، لأن هذه البحوث ستسهم في الحفاظ على التاريخ المشترك بين المنطقتين من الجوانب الثقافية والحضارية. لذلك من الضروري الإسهام الجاد في دراسة تاريخ هذه العلاقة علميا وأكاديميا، وذلك من خلال الحرص الشديد على فتح أفاق جديدة للباحثين الجزائريين للبحث عن إفريقيا والعمل على إضافة بصمة جديدة في البحث والكتابة التاريخية، مع إعطاء هذه الأبحاث البعد الإقليمي والدولي والعالمي للدراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء. وكان يرى إلى أنه لا يتم ذلك إلا بإنشاء معهد للدراسات الإفريقية بجامعة أدرار ليهتم بدراسة مختلف مظاهر الحضارة الإفريقية والتراث الصحراوي الجزائري المشترك من حيث الشعوب واللغات واللهجات الإفريقية. كما دعا عبد الكريم بوصفصاف إلى ضرورة إبراز دور صحراء الجزائر في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى إفريقيا وذلك ليتمكن طلبتنا بالتعرف على تاريخهم المشترك مع الشعوب الإفريقية وهذا ما ذكره في قوله:"**.... كما يدل على العلاقات الايجابية بين الجزائر وهذه البلدان منذ ما يزيد عن ستة قرون من الزمن**"(1). لذلك حرص على طلبته الباحثين أنهم مطالبين بكتابة تاريخ إفريقيا والمحافظة على هذا التاريخ المشترك من خلال تطوير العلاقات والحفاظ على استمراريتها بيننا وبين الأفارقة لأنه حان الوقت لإعادة الاعتبار لتاريخنا المشترك مع الشعوب الإفريقية لخلق جيل من الباحثين للحفاظ على هذا الموروث الحضاري الكبير بين الطرفين.

---

(1) عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: مرجع سابق، ص7.

سادسا/جهوده الخاصة بالدراسات الإفريقية في جامعة أدرار

1-تأسيسه لمخبر الدراسات الإفريقية وترأسه له:

لقد نبعت فكرة إنشاء مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أدرار من اهتمام مؤسسه الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف وهو أول مخبر يتأسس في الجنوب وعبر عن ذلك بقوله: "...**وأحمد الله أنني كنتُ أول من أنشأ مخبر بحث في الجنوب تحت اسم مخبر الدراسات التاريخية والأفريقية...**"[1]. في حين أنه أسس قبل ذلك مخبر "**الدراسات التاريخية والفلسفية**" بجامعة قسنطينة. وقد سعى من وراء إنشائه لمخبر الدراسات الإفريقية إلى إثراء البحث العلمي في الجزائر بهدف إحياء الموروث الثقافي المشترك بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء. وذلك للتعمق في المسائل التي تتيح للباحثين في هذا التاريخ رؤية أكثر وضوحا لجوانب العلاقات التاريخية المشتركة التي ربطت المنطقتين منذ قدوم الإسلام للمغرب وإسهامات الجزائر الحضارية بهذه المنطقة. بحيث سيكون هذا المخبر إضافة مفيدة للجامعة والمكتبة الجزائرية الإفريقية.

ويعود استحداثه لهذا المخبر منذ قدومه لهذه الجامعة، حيث أسسه سنة 2009، وصدر قرار تأسيسه بمقتضى القرار الوزاري الصادر عن السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي يوم 25 مارس 2010 تحت رقم: 93، وهو المخبر الأول الذي نشأ بجامعة الإفريقية أحمد دراية بأدرار ويعد أول مخبر

---

(1) جمال بوزيان: "**في آخر حوار مع المرحوم المؤرخ الجزائري د.عبد الكريم بوصفصاف**"، صحيفة لمراقب العراقي،ع/1836، يوم 28 يناير 2018 م؛ ص 7.

للدراسات الإفريقية بالجامعات الجزائرية[1]. حيث ظل على رأسه إلى غاية نهاية 2016 وذلك بسبب مرضه.

ولقد جاء تأسيسه لهذا المخبر في أدرار أي في قلب الصحراء الجزائرية مواتيا لتلك الأحداث التاريخية المتعلقة بتراث بلادنا التي مرت بصحرائنا، فكانت لها صلات بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء، والتي لم تكن حاجزا يقف بين المنطقتين في أداء رسالتها الحضارية بحكم القرب الجغرافي والصلات البشرية الواضحة بينهما. مما يدل على أن علاقتهما بين الطرفين كانت قديمة وثابة إلى حد بعيد. وهذا سيسهل على الطالب الباحث والدارس لهذا الموروث الثقافي عملية البحث والتنقيب من خلال المصادر من كتب ومخطوطات.

كما أن تأسيسه له كان استجابة لضرورة انجاز أبحاث أكاديمية بغية إعادة الاعتبار للتراث والإرث التي تزخر بها صحراء الجزائر، لأن هذه المنطقة ظلت تشكل مجالا للتواصل والتفاعل مع الفضاءات المغاربية والأورومتوسطية والمشرقية والإفريقية. مما جعلها تكتسب شخصية تجمع بين المقومات الثقافية المحلية، وتلك الوافدة عليها من جهة أخرى. فهذا المخبر سيعمل على ترسيخ الهوية الثقافية الجزائرية المتعددة، لاسيما ما تعلق منها بالمكون الصحراوي. وهذه الأبحاث ستكون متعددة التخصص تهم مجالات المعرفة التاريخية والاجتماعية والثقافية بمفهومها الواسع للأقاليم الجنوبية وتشجيع البحث في خدمة تاريخ الجزائر.

---

(1) وأنشأ ثاني مخبر للدراسات الإفريقية بجامعة الجزائر 02 يوم 22ماي 2012 بموجب القرار الوزاري رقم: 131 وأسسه الأستاذ الدكتور بكاي منصف وهو صاحب مشروع ماستر ودكتوراه في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بنفس الجامعة، ينظر: مجلة الدراسات الإفريقية، ع/1، السنة الأولى، ماي 2014، ص5.

إن إحداثه للمخبر بجامعة أدرار دون غيرها يستوجب من الطلبة الباحثين والدارسين الذين سيلتحقون بهأنه ستكون مراحل دراستهم التركيز على الإسهام الحضاري للجزائر في إفريقيا جنوب الصحراء على مر التاريخ، لأن مبادرة إحداثه تعد إحدى الخطوات المؤسسة في كتابة تاريخنا المرتبط بالمنطقة وفي حفظ وتثمين تراث بلادنا.

وقد جعل عبد الكريم بوصفصاف هذا المخبر يقوم على أهداف فالهدف الأساسي يتحدد في القيام بأبحاث متعددة التخصص تشمل مجالات المعرفة التاريخية والاجتماعية والثقافية بمفهومها الواسع عن الجزائر الصحراوية. كما يهدف إلى تجميع الباحثين وتوحيد جهودهم حول البحث والدراسة على هذا الموروث الحضاري. بالإضافة إلى الإطلاع على وضعية البحث التاريخي حول منطقة الصحراء ودورها في نقل التراث إلى ما وراء الصحراء واستكشاف مسارات جديدة للبحث، من خلال تناول قضايا ذات صلة بالتاريخ والذاكرة والتراث، وجعل مسألة المنهجية في صلب التفكير. كما يتطلع إلى ترقية البحث العلمي الموجه نحو تحقيق أهداف علمية تساهم في سد الكثير من الثغرات التي تكتنف هذا الموروث الحضاري المتعلق بتاريخ بلادنا. ويهدف أيضا إلى إثراء المكتبة الجزائرية التاريخية عن هذا المجال.

ولقد استدعت الاهتمامات العلمية للمخبر تقسيمه إلى عشرة فرق بحث منها خمسة متعلقة بعلاقة الجزائر بإفريقيا جنوب الصحراء وهي:

الفرقة الأولى: الطرق الصوفية ودورها في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بإقليم توات، تدرس هذه الفرقة نشأة وتطور الحركة الصوفية في منطقة توات ودورها في إنشاء الزوايا التي بلغت حوالي 300 زاوية. ورئيس الفرقة هو عبد الكريم بوصفصاف.

الفرقة الثالثة: مخطوطات توات وتمبكتو دراسة بيبلوغرافية مقارنة، تهتم هذه الفرقة بأهمية التراث العربي الإسلامي الموجود بحاضرتي توات وتمبكتو،بما لهما من دور في بعث الحركة العلمية والثقافية بين ضفتي الصحراء. وتعتبر هذه الدراسة عمل بيبلوغرافي يتم من خلال حصر التراث المخطوط والاطلاع على خبايا الخزائن المختلفة. ويهدف هذا العمل إلى بعث الطلاب من أجل البحث والتحقيق. ورئيس الفرقة هو محمد إسطنبولي.

الفرقة الخامسة: الحركة الفقهية في توات وعلاقتها بحواضر شمال إفريقيا وغربها. ورئيس الفرقة هو عز الدين يحي.

الفرقة السادسة: الحواضر الإسلامية في السودان الغربي. ورئيس الفرقة هو محمد حوتية.

الفرقة السابعة: التعليم الرسمي وأثره على المجتمع الجزائري (1830-1962) السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة توات وجنوب الصحراء. ورئيس الفرقة هو الطاهر ذراع.

الفرقة التاسعة: علماء توات من خلال مخطوطات المنطقة، وتقوم هذه الفرقة على البحث عن علماء توات وجهودهم الفكرية والثقافية والعلمية في المنطقة وعلى الساحل الإفريقي من خلال المخطوطات العلمية التي تركوها. والتي تمثل تراثا علميا يستحق التقدير والاحترام. ورئيس الفرقة هو مبروك المصري.

وكان من نتائج تأسيسه لهذا المخبر إصداره لمجلة الدراسات التاريخية الإفريقية، وتكوين دفعات من الطلبة المتخصصين بشهادة "**الماستر**"،وتنظيم منتديات وطنية وملتقيات دولية حضرها الأساتذة الكِبار من كل البلاد العربية تقريبا، بالإضافة لأيام دراسية محلية[1].

---

(1) جمال بوزيان: مرجع سابق، ص7.

2-فتحه لمشاريع ماجستير وماستر وإشرافه على طلبة الدراسات العليا:

فيما يخص المشاريع أخبرني الأستاذ عبد الله مقلاتي إننا قد اجتهدنا معا في فتح أول مشروع ماجستير حول "**التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور**" منذ سنة 2007، الذي استمر لسنوات وتخرج منه عدد من الطلبة بعضهم موظفون حاليا. وبعد دخول النظام الجديد في التعليم العالي (ل م د) تم فتحه لمشروع ماستر أكاديمية بعنوان: **الاستعمار وحركات التحرر في افريقيا ما بين القرنيين 15 و20.**

أما عن إشرافه على طلبة الدراسات العليا فهذه عملية فنية وأخلاقية، لأنها تحتاج إلى مشرف أكاديمي مقتدر، فهو الذي يوجه الباحث ويرسم له الطريق الصحيح لمسار بحثه. فبحوث التخرج هي ثمرة تحتاج لمن يساعد الباحث في الإشراف عليه فيكون كمحور لبحثه. وبالرغم من عبء المهام الادارية والتعليمية التي كان يقوم بها عبد الكريم بوصفصاف فإنه كان يشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه. حيث كان يوجه باحث الدراسات العليا في اختيار البحث المناسب، ومساعدته في اختيار المصادر والمراجع المناسبة. ناهيك عن تقصيه نتائجه وتعليمه أسلوب البحث ومتابعة ما يكتبه وتصحيحه عدة مرات للبحث. أضف الى ذلك أنه كان يناقش الرسائل العلمية، ويشارك في الملتقيات الدولية والوطنية. وقد تخرج على يده عدد من الطلبة والباحثين سواء في جامعات أخرى أو خلال مدة إقامته بأدرار،آملا من هؤلاء الباحثين الناشئين في تطوير الحركة العلمية الحضارية الجزائرية المشتركة مع إفريقيا جنوب الصحراء وهذا ما ناشد به في قوله: "**...وهذه الأبحاث الجديدة التي تسطرها أقلام شابة من الباحثين والباحثات الجزائريين والجزائريات إن دلت على نمو تطور الحركة العلمية في الجزائر، فإنما تدل على البعد الحضاري والروحي**

الذي يجمع بين الجزائريين وإخوانهم في إفريقيا..."[1]. وبذلك فإن الهدف الأساسي من استقدام الدكتور عبد الكريم بوصفصاف إلى قسم التاريخ بجامعة أدرار لم يكن بمجرد تدريس طلبة الليسانس فقط، وإنما كان الهدف الأكبر هو أن يتولى تأطير طلبة الدراسات العليا والإشراف على رسائلهم العلمية. وقد استعنا في انجاز هذا العمل بالبوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات المختصة بالإشعار عن المذكرات على المستوى الوطني، لأنها تشمل كل مراحل إعداد الرسائل والأطروحات منذ اختيار الموضوع وإشعاره إلى غاية نشره. حيث اعتمدنا على الرسائل والأطروحات التي أشرف عليها وكذلك رسائل الماجستير التي ناقشها في تخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء وهي:

فمن رسائل الماجستير التي أشرف عليها في جامعة الأمير عبد القادر وجامعة أدرار ما يلي:

رسائل الماجستير				
رقم	اسم الطالب	عنوان المذكرة	الجامعة	سنة المناقشة
01	أحمد بوعتروس	الدعوات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء في القرن 19	جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية– قسنطينة–	2001
02	ماضي مسعودة	فرانتز فانون والثورة في إفريقيا (1925–1961)	جامعة أحمد دراية بأدرار	2009
03	بوترعة علي	القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء (ق18–19)	جامعة أحمد دراية بأدرار	2010
04	زهرة مسعودي	الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 إلى القرن 20م	جامعة أحمد دراية بأدرار	2010

(1) عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: مرجع سابق، ص7.

05	أحمد عياد	المستكشفون الأوربيون في غرب إفريقيا	جامعة أحمد دراية بأدرار	2011
06	عبد الله بابا	الزوايا البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم التوات من (1700 إلى 200)	جامعة أحمد دراية بأدرار	2011
07	أسماء أيلالي	الإسهامات الاجتماعية والثقافية لشيخ محمد باي بالعالم بإقليم توات (2009-1930)	جامعة أحمد دراية بأدرار	2013
08	حمامد محمد	الحياة الاجتماعية والثقافية بوارجلان ونواحيها خلال القرنين (6-5ه/11-12م)	جامعة أحمد دراية بأدرار	2013
09	عفيفة حوتية	حاضرة تينجورارين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن (13ه-19م)	جامعة أحمد دراية بأدرار	2015
10	أم هاني طواهرية	تطور الذهنية الاجتماعية بمنطقة توات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين	جامعة أحمد دراية بأدرار	2015
11	حليمة سليماني	قصر أدغاغباقليم توات –دراسة اجتماعية وثقافية من القرن (12ه-18م) إلى النصف الثاني من القرن (14ه-20م)	جامعة أحمد دراية بأدرار	2016

ومن رسائل الدكتوراه التي أشرف عليها بجامعة أدرار هي:

رسائل الدكتوراه				
رقم	اسم الطالب	عنوان المذكرة	الجامعة	سنة المناقشة
01	عبد الكريم البلبالي	الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالبلدان الإفريقية (1954-1962)	جامعة أحمد دراية بأدرار	2015
02	عبد الله بابا	الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي (1962-1900) من خلال سجلات المحكمة الشرعية بأدرار	جامعة أحمد دراية بأدرار	2015

ومن رسائل الماجستير التي نوقشت تحت اشرافه أو كانت ضمن أهدافه ومشاريعه بجامعة أدرار هي:

رقم	اسم الطالب	عنوان المذكرة	اسم المشرف	الجامعة	سنة المناقشة
01	عبد القادر يقادر	ألفية الغريب نظم محمد الزجولي الشهير بابن العالم (1212ه)	د/ الطاهر مشري	جامعة أحمد دراية بأدرار	2009
02	لحبيب اعيللة	المنظومات اللغوية في توات (النحوية والصرفية والعروضية)	د/ الطاهر مشري	جامعة أحمد دراية بأدرار	2009
03	أحمد ذكار	حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة (1000 الى 1301ه/1591-1883)	د/محمد حوتية	جامعة أحمد دراية بأدرار	2010
04	حسين خالدي	البعد الافريقي للثورة الجزائرية وتأثيره في تصفية الاستعمار في غرب افريقيا (1954-1962)	د/محمد حوتية	جامعة أحمد دراية بأدرار	2011
05	زهير قزان	حاضرة توات المالكية أعلامها، نوازلها، خصائصها	د/محمد حوتية	جامعة أحمد دراية بأدرار	2011
06	أحمد بوسعيد	الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن (12ه-18م)	د/محمد حوتية	جامعة أحمد دراية بأدرار	2012
07	مريم بخدا	أعلام عائلة التنلانية ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين (11-12ه/17-18م)	خير الدين شترة	جامعة أحمد دراية بأدرار	2013
08	حليمة كحلاوي	الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرنين (12-14ه/18-20م)	محفوظ رموم	جامعة أحمد دراية بأدرار	

09	بدر الدين مصباحي	تجارة الصحراء بين الجزائر وغرب افريقيا (13-10ه/16-19م)	د/محمدحوتية	جامعة أحمد دراية بأدرار	2016

خاتمة:

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول انه من أهم اهتمامات عبد الكريم بوصفصاف التي نالت القسط الوافر في حياته العلمية بجامعة أدرار هي الدراسات الإفريقية، خاصة ما تعلق بموروثنا الصحراوي الجزائري ودوره في إفريقيا جنوب الصحراء، مما دفع به إلى تكوين باحثين ومتخصصين لتوثيق العلاقات التاريخية الجزائرية مع هذه المنطقة، لان اهتمامه بهذه القضية وتفاعله معها كان دائما في إطار الدائرة الحضارية التي جمعت الطرفين، أي أنه لم يعمل على بتر بلادنا من بعدها الحضاري مع هذه المنطقة، لذلك يعتبر واضع بوادر الدراسة عن موروثنا الصحراوي بجامعة أدرار، وذلك من خلال جهوده في هذا المجال باستقراره في الجنوب الجزائري، وتأسيسه لمخبر الدراسات الإفريقية، وفتحه لمشاريع ماجستير وماستر في هذا التخصص، وتأطيره وتكوينه للطلبة من اجل ان يخلف ورائه جيلا من الأكاديميين ليسيرون على نهجه وفكره مقتدين به، وهنا يحق لنا أن نتساءل هل سيكون هذا الجيل في المستوى الذي كان يطمح إليه؟ وهل سيكون أهلا لجهوده وتطلعاته التي بذلها في هذا المجال؟ وماذا يمكنهم ان يقدموا للجامعة الجزائرية في هذا التخصص بعد رحيله إلى ربه؟

إسهامات البروفسور عبد الكريم بوصفصاف في تأطير الرسائل الجامعية

أ /أسماء ابلالي

جامعة أدرار

ملخص:

يعتبر البحث العلمي من الأولويات التي تهتم بها الجامعة الجزائرية منذ الاستقلال إلى اليوم لما له من دور في تكوين الطالب الناجح وتخريج الكوادر ذات الكفاءة العالية لضمان رقي وازدهار المجتمع، ومن هنا يأتي دور الأستاذ المشرف والمكون في الإرشاد والتوجيه في إعداد رسائل البحث العلمي بمختلف مراحله (ليسانس، ماجستير، دكتوراه) للارتقاء بالمؤسسات التعليمية وتكوين الطالب الكفء؛ ولقد ساهم أبناء الجزائر من جيل الأمس وجيل اليوم في هذا المجال، ولعل أبرزهم في وقتنا الحاضر الأستاذ الدكتور المؤرخ "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله قطب الجامعة الجزائرية وأحد أركانها المعطاءة الذي عمل بفضل جهوده الجبارة على صقل أفكار طلبته وتوجيههم وتبصيرهم من خلال خبراته الإشرافية والبحثية والتعليمية، لتخرج أعمالهم العلمية في صورة مثلى وللوصول بالطالب إلى مستوى علمي عالٍ وسنحاول من خلال هذت المقال التعريف بالبروفسور عبد الكريم بوصفصاف وخبراتِه العلمية ودورها في إنجاز الرسائل الجامعية وهذا بالإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي العوامل التي ساهمت في التكوين العلمي للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف؟ وما دور خبراته العلمية في تأطير الرسائل الجامعية؟ وفيما تتمثل إسهاماته في الإشراف على الرسائل الجامعية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا المقال إلى العناصر التالية:

-مقدمة.

-التعريف بالأستاذ الدكتور المؤرخ عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله.

-خبرات التأطير عند الأستاذ الدكتور المؤرخ عبد الكريم بوصفصاف.

-دور الأستاذ الدكتور المؤرخ عبد الكريم بوالصفصاف في تأطير الرسائل الجامعية.

-خاتمة.

مقدمة:

تعتبر عملية الإشراف على الرسائل العلمية من بين أهم الأمور الصعبة لما تتطلبه من خِبرات علمية وبحثية يجب أن تتوفر في الأستاذ المشرف، ولما يقوم به الأخير من تدريب الطلبة على مهارات البحث العلمي لإعداد باحثين مؤهلين بالنهوض بالمجتمع، ولقد ساهم البروفسور "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله في هذا الشأن بما أطره من رسائل بحث علمي متميزة أهله في ذلك امتلاكه لخبرات ومقومات الأستاذ المشرف وهذا ما سنتعرف عليه في هذا المقال.

1-التعريف بالأستاذ الدكتور المؤرخ عبد الكريم بوصفصاف وتكوينه العلمي:

ولد أستاذنا الفاضل "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله ابن الجزائر المجاهدة يوم 19 أوت من عام 1944م بقرية العبيات بلدية (فج مزالة المختلطة (بلدية فرجيوة حالياً) ولاية ميلة من عائلة ثورية معروفة بالمنطقة ترجع أصولها إلى (اللبازيد) القادمون من منطقة الساقية الحمراء[1]، حيث كان والده رحمه الله

---

1 - **(اللبازيد)** أصلهم من منطقة الساقية الحمراء بالصحراء الغربية و بعد قدومهم إلى الجزائر استقروا في الأغواط وطولقة ببسكرة، حيث قاوموا الاحتلال الفرنسي في بلاد الزاب منذ الأربعينيات من القرن 19م، وبعد هزيمتهم تفرقوا في كل من قسنطينة وفرجيوة ومنطقة سطيف، وبعد وضع=

"الشيخ المختار" رجلاً ثورياً عمل على جمع الأموال والتبرعات من موظفي بلدية (فج مزالة المختلطة) منذ 1955م حتى 1958م ونقلها إلى مسؤولي الثورة في قسم الجهة التي كانت تحت قيادة "سي محي الدين" والمسؤول السياسي "عبد الحميد بوسيادي" إلى أن ألقي عليه القبض مع رفاقه المجاهدين وزج بهم في سجن الكدية بقسنطينة إلى غاية الاستقلال، كما كان له ثلاثة اخوة مجاهدون أيضاً هم: "الأخضر" استشهد بمدينة الجزائر عام 1960م و"علي" وسليمان"[1].

كان ميلاده مزامناً للمراحل الأخيرة للحرب العالمية الثانية وبدايات بوادر انهزام القوى الفاشية والنازية التي صاحبها ظهور حركات التحرر في العالم الأفرو أسيوي، أما في الجزائر فقد ميز الوضع بها سيطرة المحتل الفرنسي على مقاليد الحكم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في ظل غياب قوة موحدة يلتف حولها الشعب الجزائري الذي أجبر على خوض حرباً لا ناقة له فيها ولا جمل تحت ضغط الوعود الفرنسية الكاذبة بمنحه الحرية والاستقلال بعد نهاية الحرب وانتصار الحلفاء، ففي ظل هذا الوضع العسير ولد أستاذنا الكريم رحمه الله وعاش في كنف والده الشيخ "المختار" الذي حرس على تعليمه وتربيته تربية دينية فأرسله إلى المدارس القرآنية ليتسلح بكلام الله وأحاديث نبيه عليه الصلاة والسلام؛ ولما بلغ السابعة من عمره أرسله والده إلى بلدة (فج مزالة) ليلتحق

= الفرنسيين لنظام الحالة المدنية قسموا أسرة (اللبازيد) إلى أربع عائلات هي: بوزيدي، بوالصفصاف، كركوش، ومنصور تقطن حالياً في فرجيوة والعاصمة وقسنطينة ينظر: عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، (ج2)، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص10.

1 - عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع نفسه، (ج2)، ص ص10، 12.

بالمدرسة الابتدائية التابعة **لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين**[1] هذه الأخيرة التي كانت في ذلك الوقت رمزاً للإسلام والوطنية والعروبة لينهل من هذه المبادئ الثلاثة، ومن هنا بدأت علاقة أستاذنا الفاضل بهذه الجمعية وبدأ تاريخها يرتبط بمساره الثقافي والتعليمي؛ وخلال دراسته أظهر نبوغاً متميزاً مما جعل والده (رحمه الله) يرسله إلى احدى المدارس بمدينة الجزائر العاصمة وعمره لا يتجاوز التسع سنوات، فانتقل إلى العاصمة بغرض الدراسة وعلاج احدى عينيه التي أصيبت جراء انفجار خرطوشة فسُجل بمدرسة في (حي القبة) أين كان يعمل أخويه "الأخضر" و"علي"؛ وبعد اندلاع الثورة المظفرة اضطر – بإيعاز من أسرته – إلى الرجوع إلى بلدته ليواصل تعليمه الديني في المدرسة القرآنية على يد الشيخ "محمد الصالح بوزواته" فحفظ معظم أجزاء القرآن الكريم وتزود **بعلوم اللغة كالنحو والصرف وعلوم الدين كالفقه وأصول الفقه** وبعضاً من علم التاريخ والجغرافيا والأناشيد الدينية، وإلى جانب هذا كان فتى حاذقاً مفعم بالذكاء استطاع أن يُسجل معظم أحداث الثورة التي عايشها في ذاكرته – على الرغم من صغر سنه– وفي جوان 1958م تعرض أستاذنا الفاضل رحمه الله إلى حادث هو وأخوه "عمار" في المنطقة الواقعة بين قرية "منتوري" وقرية "المزايت" عندما كانت

1 – **تأسست جمعية العلماء** اثر انعقاد الاجتماع العلماء الجزائريين يوم 5 ماي 1931م بنادي الترقي بالعاصمة، اذ تمت المصادقة على القانون الأساسي للجمعية الذي ضم خمسة أقسام وثلاثة وعشرين فصلاً، وتم انتخاب هيئتها الادارية المكونة من 13 عضواً ، وانتخب "عبد الحميد بن باديس" رئيساً للجمعية و"محمد البشير الابراهيمي" نائبا له، وهكذا برزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى الوجود كحركة سياسية اسلامية ذات جذور اجتماعية قوية، في وقت تكاثر فيه الحديث عن اندماج الجزائر مع فرنسا والدعوة للتخلي عن الهوية الاسلامية للحصول على الجنسية الفرنسية، وكان الهدف من إنشائها تجديد الاسلام عن طريق العلم ومحاربة الخرافات وكان شعارها (الاسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني)، ينظر، فهد مسلم زغير: محمد البشير الابراهيمي ودوره الفكري والسياسي (1889– 1965)، مجلة ديالى، ع(63)، جامعة المستنصرية، 2014، ص ص 404– 405.

طائرات العدو الفرنسي تداهم المجاهدين مما أدى إلى اصابتهما بجروح متفاوتة الخطورة فأصيبت عينه السليمة، ولم يتمكن في ظل تلك الظروف القاسية التي كانت تعيشها الجزائر وعمل الثورة على مقاطعة مؤسسات الاستدمار من العلاج، ولم يُعرض على طبيب العيون إلا في سنة 1961م إلا أنه لم يُعد بإمكان الأطباء عمل أي شيء رغم اجراء عمليتين[1] له؛ وهكذا أصبح أستاذنا الفاضل يعتمد على نور البصيرة التي زرعها المولى عز وجل فيه وهو القائل: ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾[2] .

بعد حصول الجزائر على الاستقلال عاد أستاذنا الفاضل رحمه الله إلى مدينة قسنطينة أين واصل دراسته الابتدائية والمتوسطية والثانوية في المدارس الحرة التي كانت نشطة في المدينة فحصل على الشهادة الابتدائية والشهادة الأهلية، وفي عام 1970م شارك في مسابقة الدخول إلى الجامعة فكان النجاح حليفه والأول في دفعته، فقد أظهر تفوقاً على باقي زملائه مثل: الأستاذتين "فاطمة الزهراء قشي" و"نزيهة بن جاب الله" بشهادتهما، وشهادة أساتذته الجزائريين والمشارقة الذين لاحظوا عليه نبوغاً فكرياً وجدية متزايدة وتكهنوا بأن سيكون له شأن في المستقبل، وفعلاً فقد صدقت نبوءة أساتذته فيه فقد أصبح التوفيق والنجاح من تلك الحظة حليفه؛ ففي سنة 1974م نال شهادة **الليسانس** في التاريخ من جامعة قسنطينة، وفي السنة نفسها عينته هيئة الأساتذة مُعيد بقسم التاريخ، وسُجل بقسم الدراسات العليا بجامعة العاصمة، وفي سنة 1975م حصل على شهادة المنهجية في البحث[3]، وفي سنة 1978م حصل على شهادة دبلوم الدراسات المعمقة بتقدير جيد جداً في موضوع "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**

---

1 – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، (ج2)، ص ص11، 13.

2 – سورة الحج الآية 46.

3 – كان موضوع بحثه يتمحور حول (ثورة 1871م الأسباب والنتائج).

ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية" وكان بهذا أول طالب في الدراسات العليا يناقش رسالته في العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة قسنطينة، وفي مطلع سنة 1984م حصل على شهادة الماجستير بتقدير (مشرف جداً)[1].

غادر البروفسور "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله الجزائر عام 1986م إلى تونس منتدباً من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لانجاز أطروحة الدكتوراه، وفي عام 1997م توج مشوراه العلمي بالحصول على شهادة **دكتوراه دولة** في موضوع تاريخي فلسفي موسوم بـ **(الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس دراسة تاريخية وفكرية مقارنة)** بتقدير مرتبة الشرف الأولى وأشرف على عمله هذا الأستاذ الدكتور "محمد الهادي الشريف"[2]، واعتبرت اللجنة أطروحته من الدراسات التاريخية الكبرى[3].

---

1 – كان عنوان الرسالة "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالجمعيت السياسية الأخرى".

2 – **محمد الهادي الشريف ولد بتونس** العاصمة يوم 23 جويلية 1932 مؤرخ وأستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بالجامعة التونسية. تلقى تعليمه بالمدرسة الصادقية، ثم انتقل إلى فرنسا لمواصلة تعليمه العالي بجامعة السوربون بباريس، وأحرز على شهادة التبريز في التاريخ عام 1963. أعد أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ حول السلطة والمجتمع بتونس في عهد حسين بن علي (1705– 1740م) وناقشها في شهر جوان 1979 بجامعة السوربون، درّس في البداية بالمعاهد الثانوية، ثم التحق بالجامعة التونسية عام 1967 حيث درّس التاريخ الحديث والمعاصر خاصة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس ودار المعلمين العليا بتونس .كما درس كأستاذ زائر بعدة جامعات عربية وأجنبية، عمل كباحث بالمركز القومي للبحث العلمي الفرنسي (CNRS) فيما بين 1970و1974 .وأشرف على العديد من الأطروحات التي نوقشت بالجامعة التونسية. انتخب عميدا لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس فيما بين 1987و1990 وشارك في أشغال لجان إصلاح الجامعة التونسية والتعليم العالي، حصل بعد تقاعده على رتبة أستاذ متميز. نشر محمد الهادي الشريف عشرات المقالات العلمية بالفرنسية أساسا بتونس والخارج، من مؤلفاته: تاريخ تونس، السلطة والمجتمع بتونس في عهد حسين بن علي (1705– 1740م)، ينظر، **محمد الهادي الشريف** –ويكيبيديا، الموسوعة الحرة الرابط/

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A

3 – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، (ج2)، ص ص 13، 15.

شغل أستاذنا الفاضل رحمه الله إلى جانب عمله في التعليم[1] والبحث والإشراف على الرسائل العلمية وظائف بيداغوجية وإدارية عديدة بجامعة قسنطينة من رئيس قسم إلى مدير معهد إلى رئيس قسم مرة أخرى إلى مدير مخبر إلى عضو المجلس العلمي بالقسم والكلية إلى عضو في اللجنة القطاعية على مستوى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إلى جانب قيامه بمهام التدريس في جامعات جزائرية أخرى مثل: جامعة باتنة (العقيد حاج لخضر)، جامعة تونس، مركز التكوين الإداري بأم البواقي[2]، وجامعة أدرار منذ 2008م إلى غاية وفاته رحمه الله، وقد تميز عمله ونشاطه في هذه الوظائف بالجدية وأخذ سلاح المبادرة في التحسين والتطوير إدارياً وعلمياً وبيداغوجياً لا سيما في العلاقات الانسانية بين الأساتذة والطلاب والعمال والموظفين الإداريين عموماً بشهادة جميع الإطارات العاملة في تلك الجامعات من مدراء وعمداء كليات وأساتذة وطلبة وغيرهم.

---

1 – للإشارة فان أستاذنا الفاضل "عبد الكريم" رحمه الله يُعد موسوعة علمية في الجامعة الجزائرية اذ عمل على تدريس عدة مقاييس يمكن وصفها بالمقاييس الدقيقة والصعبة من حيث أبعادها الفكرية والفلسفية والعلمية، كما أنه يعتبر واحد من أبرز المؤرخين العرب الداعين إلى ضرورة تطوير طرق التدريس من خلال الندوات التي كان يعقدها أو المؤتمرات التي يحضرها من أجل ذلك، ومن المقاييس التي درسها وما يزال: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، التحليل الاجتماعي للتاريخ الجزائري، اقتصاد المؤسسات السياسية في الجزائر، الدبلوماسية قديما وحديثا، التاريخ الأوروبي الحديث، تاريخ المغرب العربي الحديث تاريخ الجزائر المعاصر، التحليل الاجتماعي للتاريخ الجزائري، الاقتصاد الجزائري، العالم المعاصر، تاريخ الجزائر عبر العصور. الحركات الإصلاحية في المشرق العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، تاريخ الثورة الجزائرية، التاريخ الاجتماعي في المغرب العربي، منهجية العلوم الاجتماعية، المدارس التاريخية ومناهجها، التاريخ السياسي للجزائر من البداية حتى الآن، التاريخ السياسي للجزائر من الحرب الكونية الأولى حتى سنة 1962، تاريخ الحركة الوطنية المغاربية، تاريخ الثورة الجزائرية (1962–1954)، مجتمعات البحر الأبيض المتوسط، وتاريخ الجزائر الحديث.

2 – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، (ج2)، ص 15.

وإلى جانب هذا يُعد أستاذنا الفاضل رحمه الله من أبرز المهتمين والمؤرخين للحركة الاصلاحية في الجزائر التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال الثلاثينيات من القرن الماضي وما تلاها، ومن أبرز المفكرين الجزائريين المهتمين بمسألة الوحدة المغاربية ايماناً منه أن مسؤولية هذه المهمة النبيلة تقع بالدرجة الأولى على عاتق المثقفين من الجزائريين والتونسيين والليبيين والمغاربة والموريطانيين[1] كما يُعد من أبرز مؤرخي الجيل الثاني الأكاديميين في الجزائر إلى جانب الأساتذة: "عبد العزيز فيلالي"، محمد قورسو"، "فاطمة الزهراء قشي"، "خديجة منصوري"، "الجمعي خمري"، "محمد لحسن زغيدي"، "عمار هلال"، "محمد لمين بلغيث"، "بوبة مجاني"، و"عائشة غطاس" رحمها الله وغيرهم[2].

ويعتبر أيضاً أحد شوامخ المؤرخين العرب وعضو من أعضاء اتحاد المؤرخين العرب[3] بالقاهرة من (1992- 2004م) التي تضم أساتذة جامعيين

---

1 - نفسه، (ج2)، ص 16.

2 - عبد الكريم بوصفصاف: "راهن الدراسات التاريخية في الجزائر، الحوار الفكري"، (ع9)، جامعة منتوري – قسنطينة، ديسمبر 2007، ص 11.

3 - تم الموافقة على إشهار الاتحاد بوزارة الشئون الاجتماعية برقم 1092 بتاريخ 22/3/1992، وبدأ إشهاره وكان يضم 100 عضواً من مصر والبلاد العربية. واتخذ حجرة تاريخ العصور الوسطي بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة مقراً له، وأصبح عدد الأعضاء الآن يتجاوز 1200 عضواً، وتم اتخاذ مقر 10 شارع فؤاد بدواني بالحي الثامن مدينة نصر - القاهرة مقراً للأنشطة، وفي عام 2014 أهدي صاحب السمو الأستاذ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلي وحاكم الشارقة دولة الامارات العربية المتحدة مبني دورين وتأثيثه للاتحاد بالتجمع الأولي بمدينة القاهرة الجديدة ليساعد الاتحاد في عقد المؤتمرات والندوات ومزاولة مزيد من الأنشطة به. ينظر: جمعية المؤرخين العرب: "احتفالية تكريم شوامخ المؤرخين"، الرابط: http://arabhistoryso.net/Artical.aspx?Type=%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%84

من مختلف الدول العربية (مصر، السودان، الامارات، سوريا، اليمن، الأردن، الكويت، السعودية، الجزائر، وتونس، ...) وقد تم تكريمه[1] في الاحتفال الثاني ضمن ندوة تاريخ الوطن العربي عبر العصور (التاريخ الاجتماعي) أيام 7- 8 نوفمبر 2007م، وكان الأستاذ الجزائري الوحيد الذي يكرم من بين ستة عشر أستاذ ودكتور من جامعات عربية مختلفة[2]، كما تم تكريم المؤرخ الجزائري "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله في الملتقى المغاربي الثاني بتونس في ماي

---

1 – يقيم الاتحاد احتفالاً سنوياً ضمن فعاليات الندوة السنوية التي يقيمها حيث يكرم فيه أبرز المؤرخين العرب من مصر والبلاد العربية، وقد أقام الاتحاد عدة احتفالات ما بين نوفمبر 2006 الى اكتوبر 2014م. والى جانب هذا تصدر جمعية اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة اعداداً لمجلة المؤرخ العربي المجلة العلمية المحكمة التي تصدر سنويا حيث أصدرت 22 عدد منها ما بين 1993- 2014م. ويهدف الاتحاد من خلال أنشطته العلمية إلى: دراسة تاريخ الأمة العربية بمنهاج علمي موضوعي. العناية بالتراث التاريخي للأمة العربية وتنمية المعرفة لدى المواطن العربي. تشجيع وتحديث الدراسات التاريخية والأثرية التى تسهم فى دعم أواصر الوحدة العربية. العمل على توثيق التعاون وتحقيق الترابط بين الدول العربية.5. إبراز العناصر التى أسهم بها العرب والمسلمون فى بناء صرح الحضارة البشرية.. تكريم شوامخ المؤرخين العرب داخل مصر وسائر الوطن العربي.7. نشر البحوث التاريخية والأثرية فى: (مجلة المؤرخ العربي – وكتاب الحصاد).. عقد المؤتمرات والندوات الثقافية والتاريخية بعد أخذ موافقة الجهات المعنية قبل القيامبها.. التصديب الأدلة العلمية التاريخية للدفاع عن القضايا العربية وبخاصة قضية فلسطين.0. الدفاع عن الحقيقة التاريخية من أن تقع تحت أي تأثير مذهبي أو عقائدي11. تنقية التاريخ العربي مما لحق به من شوائب على مر العصور 12- الدفاع عن حقوق المؤرخ العربي وإنتاجه العلمي.13.تطوير وتحديث الدراسات التاريخية باستخدام أحدث وسائل التقنية الحديثة.ينظر: جمعية المؤرخين العرب / احتفالية تكريم شوامخ المؤرخين، الرابط: http://arabhistoryso.net/Artical.aspx?Type=%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%84

2 – نفسه.

2017م[1] باعتباره من بين الأيقونات الفكرية بالمغرب العربي، حيث ألف اثنين وثلاثين (32) كتاباً في الحركة الوطنية الجزائرية، ولديه إصدارات متنوعة في التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر.

أسهمت تلك التطورات التي شهدها في حياته في فتح ذهنه للأعمال العلمية فشارك برأيه في الآراء الثقافية والاجتماعية العامة لتاريخ الدولة الجزائرية، ونظراً لحركيته العلمية الدائمة والإخلاص العملي والنشاط الثقافي الذي تميز به بشهادة دكاترة وأساتذة من الجزائر ومن خارج الجزائر: أمثال: الدكاترة "سعد الله" رحمه الله، " عبد الرحمن بوقاف"، المفكر" حسن حنفي"، "نجاح محمد"، "محمد الهادي الشريف"، " عبد الرحمن التليلي"، "طه عبد الرحمن"، "عبد العظيم رمضان"، "رمضان بورغدة"، " الجمعي خمري" ، والأستاذة "أميرة بديعة الحسني الجزائري" وغيرهم كثيرون، كان لأستاذنا الفاضل رحمه الله بصمة واضحة وجلية وإنتاجات تاريخية عديدة ومحاولات جادة في التنظير والإبداع، وتجلى ذلك واضحاً في أعماله العلمية ومؤلفاته التي ملأت مكتبات الجامعات الجزائرية ودور الثقافة من بينها على سبيل المثال – لا الحصر– كتابه "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية**" الذي يُعد بحق الجامع

---

1 – نظم مركز البحوث والدراسات من أجل اتحاد المغرب العربي بتونس الملتقى المغاربي الثاني تحت شعار "جودة التعليم بالمغرب العربي الكبير: التحديات والرهانات"، يومي 3 و 4 ماي 2017، جاء هذا الملتقى لمناقشة مؤشرات الأداء المطلوبة لضمان الجودة في المؤسسات التعليمية بالدول المغاربية على مستوى الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والموظفين الإداريين وغيرهم من أصحاب المصلحة، وتم تكريم الأستاذ المؤرخ "عبد الكريم بوصفصاف" خلال هذا الملتقى الذي ألقى فيه الأستاذ "يوسف قاسمي" من جامعة قالمة سيرة للبوفسور "بوصفصاف"، ينظر، تكريم المؤرخ الجزائري **عبد الكريم بوصفصاف** في الملتقى المغاربي الثاني ... – الفجر ، الرابط:
http://www.al-fadjr.com/ar/culture/359944.html

الشامل لتاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال الحقبة الاستدمارية، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931- 1945م)"، " قاموس شهداء ولاية ميلة (1954- 1962م)"، "الشعر الثوري الملحون في الثورة الجزائرية 1954- 1962م)"، "معجم أعلام الجزائر في القرنين 19و 20م جزآن، "جهاد المرأة الجزائرية وجهودها الكبرى في ولاية سطيف"، " القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية (1954- 1962م)"، "ابن باديس الرمز"، و" الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس" وغيرها من الكتب القيمة التي تجاوز عددها الثلاثين كتاب تُعد اليوم مصدر ومرجع للعديد من المؤلفين والباحثين والدارسين الأكاديميين داخل الجزائر وخارجها، نهيك عن سلسلة المقالات العلمية التي قدمها في مناسبات مختلفة وفي ملتقيات دولية ووطنية وإقليمية وجهوية، أو سجلها في مجلات علمية أكاديمية محكمة والتي شملت مواضيع مختلفة من مراحل تاريخ الجزائر القديم والوسيط والحديث والمعاصر، دونها بطريقة علمية تحليلية دقيقة وأحياناً بطريقة فلسفية نقدية أدق منها تجاوز عددها الـ 40 مقالاً.

إضـــافة إلى اشـــرافه ورئاســـته على مشـــاريع البحث العلمي وتوليه لمناصــب إدارية عديدة كان أولها: عضــو هيئة تحرير مجلة ســيرتا ما بين (1979- 1999م) ، عضـــو اتحـاد المؤرخين العرب ببغـداد (1981- 1991)، وأمين وطني لاتحاد المؤرخين الجزائريين (1995- 2001)، مدير مخبر الدارســات التاريخية والفلســفية (2000- 2004م)، رئيس تحرير مجلة الشـهاب الجديد الصـادرة عن مؤسـسـة الشـيخ عبد الحميد بن باديس (2001- 2004م)، مــدير مجلــة الحوار الفكري (2000- 2017م)، مــدير مخبر

الدارســـــات الإفريقية للعلوم الإنســـــانية والعلوم الاجتماعية (مارس 2010-2017م) بجامعة أدرار ومدرس بنفس الجامعة منذ 2008م إلى غاية وفاته رحمه الله في نوفمبر 2017م، وغيرها من المهام الغدارية التي تولاها كما شـارك في عدة ملتقيات دولية وندوات عربية في المشـرق والمغرب، ونظم عدة ندوات وملقيات وطنية ودولية في التاريخ والفلسفة وعلوم أخرى[1].

إن هذا المسار التعلمي والتعليمي الحافل لأستاذنا الفاضل الدكتور "عبد الكريم" قد أكسبه خبرة نادرة ومتميزة في حقل الدراسات التاريخية وفي مجال الإشراف على الرسائل الجامعية وتأطيرها وهو ما سنتعرف عليه في العنصر الموالي.

ثانياً: خبرات التأطير عند الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله.

تلعب خبرات الأستاذ المشرف دوراً كبيراً في انجاز الرسائل العلمية فهي عملية مكملة لدور مهارات الباحثين لكون المشرف هو الذي يوجه الباحث ويرسم له الطريق الصحيح لمسار بحثه، ومن هنا تأتي أهمية خبرات التأطير عند الأستاذ المشرف في إعداد الرسائل الجامعية لتكتمل الأدوار ويخرج البحث في أحسن حُلة علمية، ولقد عمل أستاذنا الفاضل "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله على الإشراف على رسائل علمية جامعية أهله في ذلك امتلاكه لمقومات الأستاذ المشرف ولخبرات المشرفين التي اكتسبها عبر رحلته الطويلة في التدريس والتعليم والتي لمسناها فيه من خلال تجربتنا الشخصية معه في مرحلة الإعداد لشهادة الماجستير كطالبة تحت إشرافه وتوجيهه، ويمكن تقسيم هذه المقومات والخبرات إلى الآتي:

---

1 – للإطلاع على قائمة هذه الأعمال ينظر، عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر، (ج2)، المرجع السابق، ص ص 17، 26.

أ- الكفاءة العلمية: فالإشراف العلمي عبارة عن عمل فني لا يتسنى القيام به إلا لأستاذ مارس البحث العلمي، لديه ثقافة واسعة وتخصص دقيق وإسهامات علمية متميزة[1] وهو ما توفر في أستاذنا الفاضل "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله فهو يمتلك ثقافة واسعة مكنته من المساهمة في مجال البحث التاريخي بتأليف العديد من الكتب والمقالات العلمية، كما يمتلك مهارات التخطيط والتنظيم التي تساعد الباحث على تحقيق الهدف المرجو من البحث.

ب- خبرات تدريسية: اكتسبها من خلال ممارسته مهنة التدريس بالجامعة الجزائرية مثل: جامعة (قسطينة، أم البواقي، باتنة، وأدرار، ....) مما سمح له بتكوين علاقات إنسانية مع طلبته المشرف عليهم، ملئها اللطف والاحترام والتقدير والتشجيع والمحبة، فتجده واسع الصدر طويل الأناة مع الطالب فاتحاً قلبه وبيته له، بجانب الحزم مع طلبته.

جـ- توفر آداب المدرس فيه: والتي قسمها الأستاذ "طاهر عثمان علي" إلى قسمين:

1- آداب الأستاذ مع نفسه:

يمكن تلخيص معالم هذه الآداب في المحاور الآتية:

- اخلاص العمل لله عز وجل والقدوة الحسنة واستشعار المسؤولية.
- الثقة بنفسه وشهادة أساتذته له بالكفاءة والقدرة العلمية.
- أن يكون مؤمناً بصواب ما يقوله عاملاً بعلمه.
- أن يبذل كل ما في وسعه لتعليم الطلاب وإرشادهم.

---

1 - محمود خليل أبو دف: **تقييم أداء الأستاذ الجامعي –الجامعة** الإسلامية بغزة - **الجامعة** الإسلامية :: غزة ، الرابط:
http://site.iugaza.edu.ps/mdaff/files/2010/02/%D8%AA%D9%82%D9%8A%D9%8A%D9%85-%D8%A3%

- أن يكون حَسن الخلق متواضعاً رفيقاً حليماً ليناً.
- أن يدل على الحق ويظهره من غير خوف أو مجاملة لأحد.
- أن يفرق بين وظيفته ومصلحته الخاصة.
- أن لا يبخل بعلمه عن أحد من طلابه.

2- آداب الأستاذ مع طلبته:

تتمحور هذه الآداب في المحاور الآتية:

- أن يبذل كل ما في جهده من أجل افهام طلابه، وأن يغرس فيهم حب البحث والاستقصاء.
- أن يزرع في قلوبهم الرغبة في طلب العلم.
- أن تكون صلته قوية بطلبته وأن لا يفضل أحدهم على الآخر.

وقد نصت اللوائح في مختلف البلدان على هذه الخبرات التي يمكن معها للأستاذ الجامعي أن يصبح مشرفاً على رسالة جامعية[1].

ومن خلال تجربتنا الشخصية مع الدكتور "عبد الكريم" رحمه الله لمسنا وشهدنا له بكل هذه الخبرات التدريسية التي أهلته للإشراف على الرسائل الجامعية، كما أن هذه الآداب كلها جُمعت فيه فهو مثال العالم المتواضع المسخر قلمه ووقته لطلاب العلم على الرغم من وضعه الصحي وجسامة المسؤوليات الملقاة على عاتقه، فتجده لا يبخل عن معلومة عن طالب العلم ولا عن نصيحة له فاتحاً قلبه وبيته ومكتبته لهم، لأن عملية الإشراف على الرسائل العلمية

---

1 - الطاهر عثمان علي: دور مهارات الباحثين وخبرات المشرفين في اعداد الرسائل الجامعية: ص ص 16- 17، الرابط:
http://nauss.edu.sa/Ar/CollegesAndCenters/HighEducationCollege/CollegeActivities/act10102011/Doc

بالنسبة له متعددة الجوانب (علمية، أخلاقية ، وإنسانية) وليست مقتصرة على الجانب العلمي الفني فحسب.

د- خبرات إشرافية وبحثية: لا بد أن تتوفر في الأستاذ المشرف كأن يكون مختصاً بموضوع البحث الذي يشرف عليه، وهي خبرة تراكمية يكتسبها المشرف من خلال عمله المتصل بهذا المجال، أما الخبرة البحثية فهي خبرة بديهية مرّ بها المشرف عندما كان باحثاً من ارشاد الطالب إلى مجموعة المصادر والمراجع التي تخدم بحثه، وتصحيح بحثه أول بأول وتوجيه إلى الوجهة الصحيحة[1]، ومن خلال تجربتنا الشخصية أيضاً كطالبة تحت اشراف أستاذنا الفاضل "عبد الكريم" وجدنا أنه يتمتع بخبرات بحثية عالية اكتسبها خلال مرحلة تحصيله العلمي وعمله في مجال الإشراف بصورة مستمرة أهلته لفهم الطلبة، وهذا ما جعل العديد من طلبة العلم يقبلون على اختياره كمشرف على دراساتهم وأبحاثهم العلمية في مختلف دراجاتها لما له من خبرات إشرافية وبحثية تراكمية حصلت له لا عن عدد الرسائل التي أشرف عليها فحسب، وإنما عن نوعية المواضيع التي تطرقت اليها من اجتماعية وسياسية ودينية وتاريخية وثقافية وغيرها من المواضيع الأخرى.

ثالثاً: دور البروفسور عبد الكريم بوالصفصاف رحمه الله في تأطير الرسائل الجامعية.

إن عملية الإشراف على الرسائل العلمية ليست عملية علمية بحتة وإنما هي عملية متكاملة الجوانب تصب بمجملها في مسارين أساسيين أولهما صناعة (اعداد) باحث علمي متمكن، وثانيهما انجاز بحث علمي متميز يعود بالنفع على المؤسسة التعليمية والمجتمع ككل بما يقوم به الأستاذ المشرف من دور

---

1 - نفسه، ص18.

علمي فني بتوجيه الطالب ومساعدته وتدريبه على التفكير المعمق في حل المشكلات الفنية التي تواجهه ومتابعة أعماله إلى جانب الدور الأخلاقي، إذ يتوجب على الأستاذ المشرف أن يعمل على تنمية أخلاقيات البحث العلمي لدى الطلبة الذين يتولى الإشراف على رسائلهم العلمية كالأمانة العلمية بتحري الدقة ونقل المعلومة دون تحريف، والتواضع العلمي والمرونة الفكرية وعدم التعصب والتحلي بالموضوعية، وتقدير جهود الآخرين دون اهمال الدور الإنساني للأستاذ الذي يلعب دور كبير في دفع الطالب إلى الإنجاز بما يظهر الأستاذ من ثقة ومودة واحترام للطالب الباحث[1].

ولقد ساهمت الخبرات التدريسية والإشرافية والبحثية لأستاذنا الفاضل الدكتور "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله في اخراج العديد من الرسائل الجامعية العلمية الأكاديمية التي اتسمت بالدقة وبالموضوعية سواء من حيث اختيار الموضوع أو الاطار الزماني والمكاني، فقد جاءت كل الرسائل الجامعية التي أشرف عليها تصب في مواضيع هامة اجتماعية وسياسية كانت أو اقتصادية وثقافية، عن تاريخ الجزائر والعالم تجاوز عددها **المائة رسالة** ما بين رسائل دكتوراه وماجستير وماستر وليسانس فهو لم يدخر أي جهد في توجيه النصيحة ومتابعة خطوات بحوث طلبته من بدايتها إلى نهايتها.

فكان بهذا ربان السفينة الذي يوجهها ويقودها إلى شاطئ الأمان والسلامة بأخذ يد الطالب وتبصيره وتوجيهه إلى الطريق الصحيح، باعتبار أن البحث

---

1 – محمود خليل أبو دف: **تقييم أداء الأستاذ الجامعي –الجامعة** الإسلامية بغزة – **الجامعة** الإسلامية :: غزة ، الرابط:

http://site.iugaza.edu.ps/mdaff/files/2010/02/%D8%AA%D9%82%D9%8A%D9%8A%D9%85-%D8%A3%

العلمي عملية فنية تتطلب مهارات من طرف الباحث وخبرة إشرافية تدريسية وبحثية من طرف المشرف وهي خبرات متصلة ومتداخلة ببعضها البعض وهي ضرورية للأستاذ المشرف في إطار اتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه.

وفي هذا الإطار كانت له بصمة واضحة في إثراء الجامعة الجزائرية بصفة خاصة والمكتبة الوطنية بصفة عامة بإشرافه على العديد من البحوث الأكاديمية والعلمية التي تناولت مواضيع مختلفة محلية وإقليمية ووطنية وعالمية نذكر منها على سبيل المثال – لا الحصر– الرسائل التالية :

– فريدة قاسي: الصحافة الجزائرية وقضايا الوطن العربي (1919-1939)، دكتوراه 2005/ 2006 .

– محمد شرقي: أبرز القيادات السياسية والعسكرية في الثورة الجزائرية 1954-1962 م، دكتوراه 2006م.

- عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، دكتوراه 2008م.

- محفوظ رموم: الثورة الجزائرية من خلال الصحافة الليبية 1954-1962 م، دكتوراه 2012م.

- رمضان بورغدة: الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962 م، دكتوراه 2007م.

- عبد كامل جوبية: الجزائر والجمهورية الفرنسية الرابعة 1946-1958 م، دكتوراه 2010م.

- سفيان لوصيف: السياسة الثقافية في الجزائر 1962-1978 الإيديولوجية والممارسة، دكتوراه 2011م.

- أحمد حداد: المرحلة الإنتقالية في الجزائر 19 مارس – 25 سبتمبر 1962م، دكتوراه 2015م.
- فارس كعوان: المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي، مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري1830–1962 م، دكتوراه 2001م.
- أسعد لهلالي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1954–1962م، دكتوراه 2012م.
– الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين 1900–1930م، دراسة تاريخية و سياسية مقارنة، 2003م.
- عائشة بوتريد: دور المجلة الثقافية في نشر المعرفة التاريخية بالجزائر 1971–1989م، دكتوراه 2010م.
- عبد الوهاب شلالي: دور عمال المناجم الجزائرية في ثورة التحرير الجزائرية 1954–1962 المنطقة الحدودية الشرقية، دكتوراه 2010م.
- مومن العفري: شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، دكتوراه 2010م.
- عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة: دراسة تاريخية فكرية مقارنة 1899–2000 م، دكتوراه 2010م.
- محمد مرغيث: قضايا الحركة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب وعبد الحميد بن باديس : دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، دكتوراه 2014م.
- بشير قايد: قضايا العرب والمسلمين في آثار البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان : دراسة تاريخية وفكرية دكتوراه 2010م.

- حمادي بن موسى: مجلة المنار المصرية وأثرها على الحركة الإصلاحية في الجزائر 1898-1956م، دكتوراه 2012م[1].
- عبد الملك بوعريوة: العلاقة بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية المصالية (1954- 1962) دكتوراه 2014م.
- أمل شلبي: التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية (1954- 1962) ماجستير، جامعة باتنة 2005/ 2006م.
- غزالة بوغانم: الطريقة العلاوية ومكانتها الدينية والاجتماعية في الجزائر (1909- 1939)، ماجستير 2008م.

– أحمد منغور: موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954 – 1962م، ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية 2005 / 2005 جامعة منتوري.

– أسعد لهلالي: الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر 2005- 2006 جامعة منتوري.

- ماضي مسعوة: فرانز فانون والثورة في افريقيا (1925- 1961)، ماجستير 2009م.
- بوترعة علي: القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء (ق18و19 ماجستير 2010/2009م.

---

1 – جميع هذه الأطروحات نوقشت بجامعة منتوري بقسنطينة تحت إشراف البروفسور "عبد الكريم بوصفصاف" ينظر: **عبد الكريم بوصفصاف** –فهرس في الخط، الرابط: http://www.univ-constantine2.dz/opac/index.php?lvl=author_see&id=845

- مسعودي الزهرة: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م الى القرن 20م، ماجستير 2010/2009م.
- أحمد عباد: المستكشفون الأوربيون في غرب إفريقيا، ماجستير 2011/2010م.
- أسماء ابلالي: الاسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ محمد باي بالعالم بإقليم توات 1930–2009م، ماجستير، 2012/ 2013 م.
- خديجة حالة: الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني 1700–1830 ماجستير، 2013/2012م.
- بابا عبد الله: الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1700 إلى 2000م، ماجستير، 2013/2012م.
- كمون عبد السلام: مجموعة الاثنين وعشرين ودورها في تفجير الثورة الجزائرية 1954م، ماجستير، 2013/2012م.
- لوصيف موسى: الهجرة الجزائرية نحو المغرب الاقصى ودورها في الثورة التحريرية 1954–1962م، ماجستير، 2012 /2013م.
- عزة حسين: التعليم العربي في الجزائر إبان الثورة 1962/1954م، ماجستير، 2013/2012م.
- علي زين العابدين: الهجرة الجزائرية نحو فرنسا وانعكاساتها الاجتماعية والثقافية على المجتمع الجزائري، ماجستير، 2013/ 2014م.

– حمامد محمد: الحياة الاجتماعية والثقافية بوارجلان ونواحيها خلال القرنين 5–6 هـ/11–12م، ماجستير، 2013/ 2014م.

- وفاء بوصفصاف: التكوين الإجتماعي والثقافي والوطني لأبرز قادة الحركة الوطنية الجزائرية الشيخ عبد الحميد ابن باديس–أحمد مصالي الحاج– فرحات عباس–عمار أوزقان أنمودجاً، ماجستر، 2014/ 2015م.
- حوتية عفيفة: حاضرة تبنجورارين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن (13هـ/ 19م)، ماجستر، 2014/ 2015م.
- صبرينة بوالدريوع، الحياة الاجتماعية في ظل النظام الاشتراكي بالجزائر المرحلة البومدينية نموذجا 1965 .1978 ماجستير.
- طواهرية أم هاني: تطور الذهنية الاجتماعية بمنطقة توات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ماجستير 2014/ 2015م.
- حليمة سليماني: قصر أدغاغ بإقليم توات – دراسة اجتماعية وثقافية من القرن 12/ 14هـ/ 18 – 20م. ماجستير، 2015/ 2016م.

وغيرها من الرسائل العلمية التي أشرف عليها أو شارك في مناقشتها خلال مساره التعليمي.

خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه خلصنا إلى ما يلي:

1- كان للظروف الداخلية والخارجية التي ولد فيها البروفسور "عبد الكريم بوصفصاف" رحمه الله والتي تميزت بالسيطرة الفرنسية على الجزائر دور في تفتح عقله على ما يدور حوله، كما كان لها بالغ الأثر على مساره التعليمي والتربوي فيما بعد، إذ درس على يد علماء جزائريين ومشارقة ومغاربة وهو ما ساهم في صقل موهبته العلمية، فكان بهذا أحد مؤرخي الجزائر المخضرمين الذين عايشوا الحقبة الاستدمارية والسيادة الوطنية وهذا ما أكسبه خبرة كبيرة في المجال التاريخي والأدبي والاجتماعي.

2- لأستاذنا الفاضل كتابات تاريخية عدة أثرى بها المكتبة الجزائرية وخدم بها التاريخ الجزائري عبر حقبه المتوالية، فهو يُعد من أبرز مؤرخي الجيل الثاني الجزائريين الذين أسهموا في كتابة التاريخ الوطني كتابة أكاديمية في مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية إلى غاية وفاته رحمه الله عام 2017م.

3- كان لجهود شيخنا المؤرخ الدكتور "عبد الكريم" رحمه الله في التدريس والإشراف على الرسائل الجامعية أثرها في تخريج جيل من الطلبة المشبعين بروح العلم والمتمكنين من الاستقصاء والاستقراء والتحليل والتعليل للحدث والظاهرة التاريخية، وفي إخراج جملة من الأعمال الأكاديمية ذات الدراسات المعمقة خاصة في التاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي للجزائر ساهمت كلها في إثراء المكتبة الجزائرية وزادت التاريخ الوطني خدمة.

فهو يُعد بحق أحد أبرز المفكرين الذين ولدتهم الجزائر في التاريخ المعاصر ومن كبار مؤرخيها، فقد نجح في خلق وإعداد جيل من المثقفين والمؤرخين والباحثين والدارسين الاكاديميين المسلحين بالعلم والمشبعين بالروح الوطنية فكانت له بهذا بصمة واضحة وجلية في الجامعة الجزائرية الحديثة منذ نشأتها وإلى غاية يومنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع:

المصدر:

1- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، (ج2)، دار الهدى، الجزائر، 2004م.

المقالات:

1- (بوصفصاف) عبد الكريم: راهن الدراسات التاريخية في الجزائر، الحوار الفكري، (ع9)، جامعة منتوري – قسنطينة، ديسمبر 2007م.

2- (مسلم زغير) فهد: محمد البشير الابراهيمي ودوره الفكري والسياسي (1889- 1965)، مجلة ديالى، ع(63)، جامعة المستنصرية، 2014م.

الروابط الالكترونية:

1-**محمد الهادي الشريف** -ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الرابط/

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A

2- جمعية المؤرخين العرب: احتفالية تكريم شوامخ المؤرخين، الرابط:

http://arabhistoryso.net/Artical.aspx?Type=%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%84

3- تكريم المؤرخ الجزائري **عبد الكريم بوصفصاف** في الملتقى المغاربي الثاني ... - الفجر ، الرابط:

http://www.al-fadjr.com/ar/culture/359944.html

4- محمود خليل أبو دف: **تقييم أداء الأستاذ الجامعي** -**الجامعة** الإسلامية بغزة - **الجامعة** الإسلامية :: غزة ، الرابط:

http://site.iugaza.edu.ps/mdaff/files/2010/02/%D8%AA%D9%82%D9%8A%D9%8A%D9%85-%D8%A3%

5- الطاهر عثمان علي: دور مهارات الباحثين وخبرات المشرفين في اعداد الرسائل الجامعية: الرابط:

http://nauss.edu.sa/Ar/CollegesAndCenters/HighEducationCollege/CollegeActivities/act10102011/Doc

6- عبد الكريم بوصفصاف - فهرس في الخط، الرابط:

http://www.univ-constantine2.dz/opac/index.php?lvl=author_see&id=845

إسهامات الأستاذ بوصفصاف في كتابة تاريخ الثورة، كتاب "الثورة الجزائرية في الصحافة العربية" أنموذجا

د/ محفوظ رموم

جامعة أدرار

المقدمة:

إن أعمال الرجال لا تقدر بالسنوات، ولكن بما أعطوا وخلفوا وورثوا من علم ومؤلفات، ضمنوها أرائهم الفكرية والعلمية، أو بما كوّنوا من أطر أكاديمية عبر عقود من الإشراف والتوجيه لعشرات الرسائل الجامعية، أو بما ساهموا به في نشر الوعي والثقافة التاريخية والاجتماعية والعلمية، أو بما ألفوا ودونوا من كتب ومقالات، حوت مضامين أفكارهم ورؤاهم وتطلعاتهم لتاريخهم ومجتمعهم، في كل مناحي الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ولذلك فإن قلة قليلة من عبرت الدنيا وبصمت الواقع ببصمات قوية، ودخلت التاريخ من بابه الواسع، فما أكثر الرجال، ولكن ما أقل رجال العلم والمعرفة، وما أكثر المؤلفات وما أقل الكتابات الجادة والسجالية.

وعليه فإن مساهمتنا بهذا البحث ضمن مشروع الكتاب، الذي يسعى إلى تفكيك المعالم التاريخية والفكرية للأستاذ، باعتباره جملة من المسألة الثقافية الجزائرية، وجزء من المشهد الثقافي الجزائري، إنما جاء لتسليط الضوء على أحد أعمدة المدرسة التاريخية الجزائرية الناشئة، التي تتلمس طريقها بعيدا عن رواسب المدرسة الاستعمارية.

إسهامات الأستاذ بوصفصاف في كتابة تاريخ الثورة كتاب "الثورة الجزائرية في الصحافة العربية" أنموذجا.

1-بوصفصاف مسيرة علمية متفردة

2-تقديم الكتاب

3-محتوى الجزء الأول

4-محتوى الجزء الثاني

1/بوصفصاف مسيرة علمية متفردة:

كان الدكتور بوصفصاف عضوا نشطا في المجال البيداغوجي، حيث تفرغ للتدريس منذ نهاية السبعينات من القرن الماضي، في جامعة محمود منتوري بقسنطينة، كما تقلد العديد من المناصب العلمية والإدارية وكان مديرا لمعهد التاريخ بنفس الجامعة، خلال بداية التسعينيات، ثم مؤسسا، مع ثلة من زملائه، لأول مخبر في مجال العلوم الإنسانية بنفس الجامعة، تحت اسم «مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية"، ومجلته "الحوار الفكري".

عندما انتقل الدكتور إلى جامعة أدرار سنة 2007م، تحت رغبة مديرها الدكتور عيسى قرقب وأمينها العام الأستاذ عبدالله رزوقي، فتح آفاقا جديدة للجامعة الناشئة، فإضافة للتدريس، فتح أول مسابقة للماجستير تخصص "التاريخ الإفريقي"، ثم تخصص "التاريخ المغاربي عبر العصور"، في نظرة إستشرافية للجامعة ذات البعد الإفريقي ، حيث كان هدف إنشائها أن تتحول إلى مركز إشعاع لشعوب منطقة الساحل، ومن هنا جاءت فكرة تأسيسه لأول مخبر بالجامعة، ألا وهو "مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية"، وأصر على إلحاق مجلة "الحوار الفكري" بالمخبر، لتواصل مشاركتها في بناء المعرفة الإنسانية.

كتب الأستاذ بوصفصاف أكثر في التاريخ والفكر والسياسة والفلسفة، وعاش في أروقة الجامعات الجزائرية محاضرا ومدرسا، وكان من رواد مكتباتها ودور أرشيفها، ونظم وشارك في عشرات الملتقيات الوطنية والدولية، فكان محاضرا ومتدخلا مفوها، وقلما سيّالا مبدعا، حيث ترك للأجيال العشرات من الكتاب والمصنفات في مختلف مجالات التاريخ الحديث والمعاصر، ناهيك عن المئات ممن أطر من الطلبة في مختلف جامعات الوطن، وعبر ربوع تراب الجزائر الحبيبة.

إن المنطلق الأول للدكتور في عالم الكتابة التاريخية، البحث في رؤى الإصلاح الجزائري، الذي تفرد وأبدع فيه حتى أصبح المرجعية التي لا غنى عنها في هذا المجال، وقد كانت بدايته من خلال رسالته حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكانت باكورة أعماله الأكاديمية للحصول على ديبلوم الدراسات المعمقة خلال نهاية السبعينيات من القرن 20م، ثم لرسالة الماجستير، التي كانت تعميقا وتوسيعة للموضوع الأول خلال الثمانينيات، وذلك في جامعة مدينة ابن باديس، ولم يشأ الابتعاد عن هذا المجال، حيث كلل جهده بمقاربة حول الحركة الإصلاحية الجزائرية والمصرية، فكانت أطروحته للدكتوراه في التسعينيات، حول الفكر الباديسي والعبدوي، تتويجا لمسار البحث في الحركة الإصلاحية مغربا ومشرقا.

في الجهة الموازية، لم يهمل الدكتور تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، فجعلهما ضمن دائرة اهتماماته العلمية، فألف حول نضال المرأة الجزائرية، من خلال كتاب "خنساوات الجزائر"، وجمع سير المئات من مجاهدي الولاية الثانية، وكتب عن أحداث الثورة، كما تناولتها الصحافة العربية، وتعمق

أكثر في الأبعاد الفلسفية والفكرية لزعماء الجزائر المعاصرة كفرحات عباس وبومدين وغيرهم من خلال كتب"..................................".

يتناول الدكتور " عبد الكريم بوصفصاف"، التاريخ الجزائري من منظور التحرر المطلق من رواسب المدرسة الاستعمارية، ومن ثم العودة إلى القيم الوطنية في كتاباته التاريخية، ويسعى مشروع الأستاذ بوصفصاف، إلى جانب مجموعة أخرى من المؤرخين الجزائريين كأبي القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني، ومحفوظ قداش وجمال قنان وعبد الحميد زوزو ومحمد حربي وآخرون لا يسع المجال لذكرهم، إلى بعث مدرسة تاريخية وطنية، تكون ندا للمدرسة الاستعمارية، باعتبار المسألة الثقافية تعني الحضارة،[1] بل هي جزء من مشروع المجتمع الجزائري، الذي انطلق منذ أيام الحركة الوطنية بمختلف اتجاهاتها وتوجهاتها الفكرية والأيديولوجية.

إن مقاربة مواقف وأراء الدكتور التاريخية والفلسفية والفكرية، ورؤيته للتراث والتاريخ الجزائريين، تتأسس على مسائلة المشهد الفكري والفلسفي والاجتماعي والتاريخي للجزائر الحديثة والمعاصرة، كون علاقة الثقافة الوطنية المعاصرة بالتاريخ الوطني علاقة تكاملية، لا يمكن فهم إحداها بعيدا عن الأخرى[2].

2/تقديم الكتاب:

جاء كتاب "الثورة الجزائرية في الصحافة العربية"، في جزئين، وقد صدر عن دار مراد يونيفارستي براس بقسنطينة، الطبعة الأولى، سنة 2013م، وبدعم من وزارة الثقافة الجزائرية.

---

1 مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2000م، ص 101.

2 سعد الله أبو القاسم، منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ط2، ص 143.

ضم الجزء الأول: 312 صفحة، وضم الجزء الثاني 328 صفحة من الحجم العادي 14 / 12،

أما عن الغلاف، فقد صمم من طرف قسم أنفوغرافيا لنفس دار النشر.

الكتاب عبارة عن مشروع بحث، حاول من خلاله الباحثون الذين أشرف عليهم الدكتور بوصفصاف، تغطية النقص في كتابات الثورة، اعتمادا على الصحافة، وخاصة الصحافة العربية، باعتبار أن الدكتور عبدالله شريط قد اهتم بما كتبته الصحافة الأوربية، حيث جمع وترجم عديد المقالات والنصوص، التي وردت في الصحافة الفرنسية عن الثورة ونشرها في مجلدات، حيث أصبحت مصدرا لا غنى عن المعلومات الواردة فيها عن الثورة بأحداثها ومواقعها[1].

يعتبر الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه، باكورة العمل الجماعي الذي كان يحبذه الدكتور، والذي يعتبر أن الجامعة في حقيقتها، إنما هي تواصل وتعاون وتثاقف، ولذلك كان محبذا للإنتاج الجماعي لا الفردي، ومن هنا جاء عمله القيم الذي كان في حقيقته مشروع وحدة بحث لسنة 2005 CNEPRU الموسومة بـ " الثورة الجزائرية في الصحافة العربية"، والمسجل بمخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بجامعة قسنطينة، وقد شارك في تحرير العمل إلى جانب الدكتور بوصفصاف، كل من الأستاذ البروفيسور "سكفالي" بجامعة قسنطينة، والأستاذ "محمد شرقي" بجامعة قالمة، والأستاذ "عبد الوهاب خالد" بجامعة باتنة، والأستاذة "فريدة قاسي" من جامعة الأمير عبدالقادر، والدكتوراه "جميلة معاشي" والدكتور "صالح فركوس".

1 عبد الله شريط، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

3/محتوى الجزء الأول:

جاء الجزء الأول في خمسة فصول، كان الفصل الأول[1] تمهيدا لمحتوى الكتاب، إذ تناول الصحافة كوسيلة إعلامية ودورها في تكوين الرأي العام السياسي والثقافي والاجتماعي.

أما الفصل الثاني[2]، فقد تناول الثورة الجزائرية من خلال الصحافة التونسية الذي أعده الدكتور "بوصفصاف"، باعتباره قد تردد لسنوات على مكتباتها في فترة الثمانينات، حين كان طالبا لمدة 04 سنوات، جمع ونسخ ألاف صحف الجزائر الفرنسية، كجريدة "الصباح" و"العمل" وجريدة "الأسبوع" و"الزهرة" و"الدستور" و"الفكر"، ولذلك تفرغ لعملية التصفيف والتبويب.

عالج في مبحث، الصراع السياسي بين جبهة التحرير والحكومة الفرنسية، ودور الدول الصديقة في دعم الكفاح ماديا وعسكريا، ودبلوماسيا ومعنويا. وفي مبحث آخر، تناول الصراع العسكري بين جيش التحرير والجيش الفرنسي، والمعارك الدائرة بين الطرفين في ساحات القتال، وصدى ذلك في الإعلام الدولي، حيث تناقلت وكالات الأنباء العالمية أخبارها وأحداثها. أما المبحث الثالث، فقد خصص للمشهد الثقافي الجزائري وحركة النهضة الأدبية والفكرية والفنية التي عاشتها الجزائر آنذاك، لتعبر عن حيوية المجتمع الجزائري في فهم صراعه مع سلطة الاستعمار، وذلك ما عكسته الصحف التونسية، فالجزائر لم تكن آنذاك ساحة قتال فقط، بل ساحة للإبداع والإنتاج. في حين جاء المبحث

---

1 جاء الفصل الأول تحت عنوان " أهمية الصحافة كسلطة رابعة في المجتمع"، ينظر: الدكتور بوصفصاف، الثورة الجزائرية في الصحافة العربية، ج1، دار مراد يونيفارستي براس، قسنطينة، ط1، 2013، ص ص 12-63.

2 الفصل الثاني، جاء تحت عنوان " الثورة الجزائرية في الصحافة التونسية" بوصفصاف، المرجع السابق، ص ص 67- 151.

الرابع، لينقل معانات الجزائريين اللاجئين في تونس وحياتهم اليومية، وصور المعاناة والحرمان والقهر الممارسة عليهم.

أما الفصل الثالث[1]، فقد حرره "الأستاذ محمد شرقي"، وعالج فيه موقف الصحافة التونسية من الثورة وعلاقتها مع محيطها، كما نقل لنا المقالات الجزائرية التي نشرت في الصحافة التونسية إبان الفترة، وقيمة هذا المحور تكمن في إخراج وتعريف الباحثين بأعلام الجيل الأول من الثورة في تونس، والذي كان يتلمس طريقه من خلال الكتابة والإبداع الصحفي كعبد الله شريف، وأبو القاسم سعد الله، والطاهر وطار، وخليفة جندي، ويحي بو عزيز، وغيرهم ممن بدؤوا الكتابة مبكرا وكانوا آنذاك طلبة في تونس.

أما الفصل الرابع[2]، والذي حرره الدكتور "صالح فركوس"، والدكتورة "جميلة معاشي"، فقد خصص لصورة الثورة في الصحافة المغربية، وقد اعتمد الباحثان على مجلة "الحق" التي عرفت بدعمها المطلق للثورة، حيث انتقيا مقالات وأنباء وأخبار الثورة التي تردد صداها بقوة، وهذا بهدف تقوية مشاعر النضال والحماس لدى الجزائريين، حيث درس الدكتور "فركوس" مقالات الأعداد من سنة 1959 – 1960م، والأستاذة "جميلة معاشي" الأعداد بين سنتي 1961-1962م.

أما الفصل الخامس[3]، فقد حرره الدكتور "عبد الرحيم سكفالي"، تناول فيه المقالات السياسية الخاصة بالثورة الجزائرية صحيفة " صوت العرب" و " العمل

---

1 الفصل الثالث كان بعنوان " الموقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالإعلام التونسي" المرجع نفسه، ص ص 155- 187.

2 جاء الفصل الرابع تحت عنوان " الثورة الجزائرية في الصحافة المغربية"، بوصفصاف، المرجع السابق، ص ص 191- 292.

3 جاء الفصل الخامس تحت عنوان "La guerre d'Algérie et La Presse Arabe"، المرجع نفسه، ص ص 295- 306.

الإفريقي" و " الشباب الإفريقي"، وهو الفصل المحرّر باللغة الفرنسية، لغة الكاتب الباحث.

4/محتوى الجزء الثاني:

بعد أن تناول الجزء الأول من الكتاب، أحداث الثورة في الصحافة التونسية والمغربية خلال الفترة 1954- 1957م، في شقها السياسي والفكري والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، فقد خصص الجزء الثاني، للبحث في مختلف التطورات من الفترة 1957-1962م، مع التركيز أكثر على الصحافة المشرقية، التي تبنت القضية الجزائرية ودافعت عنها ونقلت أحداثها ووقائعها بالعربية، ولذلك جاءت كصحف موقف أكثر منها صحف إخبار، حيث كانت الثورة الجزائرية وليدة الحركات التحريرية العالمية.

تتبع الفصل الأول[1] من الجزء الثاني، والذي حرره الدكتور "بوصفصاف"، الوقائع السياسية في الجزائر من 1957-1959م، من خلال الصحف التونسية السابقة الذكر، مع التركيز على نشاط جبهة التحرير في الداخل والخارج ودورها في التعريف بالقضية الوطنية ومشاركتها في المؤتمرات الدولية، ومن ثم تناول الفصل كل المادة الخبرية المتعلقة بالمواقف الدولية من الثورة في المسائل الكبرى، وعلاقات الثورة ثم الحكومة المؤقتة الدبلوماسية، إضافة إلى كل التعاليق والتحاليل التي كتبها الصحفيون التونسيون على صفحات جرائدهم.

---

1 عنون الفصل الأول من الجزء الثاني بـ " التطور السياسي في الثورة الجزائرية 57- 59 من خلال الصحافة التونسية"، المرجع نفسه، ص -ص 15- 42.

أما الفصل الثاني[1]، والذي حرّره كذلك الدكتور "بوصفصاف"، فقد تناول أحداث الثورة عسكريا من خلال الصحف التونسية اليومية والأسبوعية الصادرة في الفترة الممتدة بين 1957-1959م، والخاصة بالمعارك الكبرى والأعمال الفدائية، ودور جيش الحدود ومهاجمة القوات الفرنسية وخسائر الجانبين.

في حين خصص الباحث ـ "عبد الوهاب خالد" من جامعة باتنة ـ الفصل الثالث[2]، للجانب الإخباري للثورة، اعتمادا على صحيفتي "المقاومة" و"المجاهد" الجزائريتين، و"العمل" و"الصباح" التونسيتين، وهو في الحقيقة معالجة لبعض المظاهر الاجتماعية في الثورة بين 1957-1959م، كالهجرة والطفولة والسكن والتعليم والعادات والتقاليد الخاصة باللاجئين الجزائريين في تونس، ومدى الاندماج الحاصل بين المجتمعين خلال فترة النضال، وقدم الباحث إحصاءات حول أعداد اللاجئين الذي بلغ إلى غاية أكتوبر 1958 ما يفوق 130 ألف لاجئ.

بينما حرّر نفس الباحث الفصل الرابع[3]، اعتمادا على نفس الصحف السالفة الذكر، وجاء خاصا بالنشاط الثقافي للثورة، من خلال تتبع دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، ودعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين، وكذا سعي المصالح الاجتماعية للجبهة إلى إدماج الأطفال الجزائريين بالمدارس التونسية لمزاولة تعليمهم وفق البرامج التونسية، إضافة إلى إنشاء مدارس خاصة داخل مخيمات اللاجئين وخارجها، مثل مدرسة "باردو" بالعاصمة سنة 1957م.

---

1 الفصل الثاني تحت عنوان" التطور العسكري في الثورة الجزائرية 57- 59 من خلال الصحافة التونسية"، بوصفصاف، المرجع السابق، ص –ص 45-77.

2 جاء الفصل الثالث تحت عنوان " النشاط الإخباري للثورة 1957- 1959"، نفسه، ص –ص 83- 111.

3 وُسم الفصل الرابع " النشاط الثقافي للثورة الجزائري"، نفسه، ص ص 117- 133.

وحرّرت الفصل الخامس[1]، الأستاذة "فريدة قاسي" من جامعة الأمير عبد القادر، ومحتوى أعمالها الثورة الجزائرية في جريدتي الصباح بين 1957-1960، وهي من أهم وأبرز الجرائد التونسية التي تابعت يوميا مجريات الأحداث وتطوراتها الخطيرة خاصة مع تطور السياسة الديغولية وقيادة الثورة في إدارة معركة الصراع السياسي، خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ النضال الوطني.

في حين خصص الفصل السادس[2]، للثورة الجزائرية في الصحافة المصرية، وأشرف على جمع المادة وتحريرها "جميلة معاش"، حيث تتبعت صدى الثورة في مصر إجمالا، والموقف الرسمي والإعلامي الرسمي منها ومدى نشاط مكتب الصحافة والإعلام لجبهة التحرير في القاهرة، لتتبع الباحثة بعدها أحداث الفاتح من نوفمبر في صحيفة الأهرام، وتخلص لنتيجة مفادها أن الموقف الإعلامي المصري كان كبيرا ومنحازا للثورة شكلا ومضمونا.

في الفصل السابع[3]، الدي تناول فيه الباحث "صالح فركوس"، الموقف الرسمي السوري في الثورة من خلال الصحافة السورية، حيث تتبع موقف المجلس النيابي السوري في جلسته السابعة (07) بتاريخ 09 نوفمبر 1954م، والجلسة الثامنة (08) بتاريخ 26 مارس 1956م، والجلسة التاسعة (09) المنعقدة في 03 أبريل 1956م، والجلسة العاشرة (10) المنعقدة يوم 30 جانفي 1956م، والجلسة الحادي عشر (11) بتاريخ 03 جانفي 1957م، وبذلك نقل لنا مناقشات البرلمان السوري، ودعمه للثورة وتواصل النواب السوريين مع السلك

---

1 الفصل الخامس بعنوان " التطور السياسي للثورة الجزائرية في الصحافة التونسية من خلال جريدة الصباح"، نفسه، ص ص 59،60- ص -137-168.

2 الفصل السادس جاء بعنوان " الثورة الجزائرية في جريدة الأهرام المصرية" ص ص 169-210.

3 الفصل السابع بعنوان " الثورة الجزائرية من خلال الصحافة السورية" ص ص 205- 246.

الدبلوماسي الخارجي في دمشق لشرح مواقف النضال الجزائري، أو للاحتجاج لدى السفير الفرنسي على أعمال بلاده الوحشية في الجزائر.

كما نقل الباحث قرارات المجلس في مقاطعة فرنسا، وانتقاده لموقف الحكومة وجامعة الدول العربية، وتقصيرهما تجاه الشعب الجزائري.

أما الباحث "محمد شرقي" فقد تناول في الفصل الثامن[1]، الثورة الجزائرية في الصحافة الكويتية من 1959- 1962، وبعد أن عرّف بالمجلة وتأسيسها ومكانها وخطها الافتتاحي، نقل لنا المقالات والافتتاحيات والقصائد الشعرية ذات الصلة بالثورة، والتي جاءت في معظمها بقلم رئيس التحرير، ونخبة من المشاركين، كالشاعر "سليمان العيسي" والشاعرة "أسمى رزق طوبي" وغيرهم.

في آخر فصل، والموسوم ب la presse Arabe et La Révolution Algérie 1954-1962 Radio Sawt El Arabe un moyen de Propagande[2]، والدي حرّره البروفيسور "سكفالي"، أكد أن لقناة صوت العرب بالقاهرة علاقة إعلامية مميزة في دعم الثورة، حيث أصبحت مصدرا للمعلومة، وناقلا سريعا لأحداث الثورة في الداخل والخارج، سواء على الصعيد السياسي الدبلوماسي أو الحربي العسكري، ذلك أن الإعلام الشفوي آنذاك، كان أكثر انتشارا، وأسرع وصولا وأقوى سلاح للدعاية، باعتباره يدخل كل البيوت دون اعتبار للمستوى الاجتماعي والثقافي.

الخاتمة:

على الرغم من أن الكتاب لم يكن مرتباً ترتيباً كرونولوجيا لأحداث الثورة، إلا أن المقالات والأبحاث الواردة فيه تقدم لنا صورة واضحة عن الثورة من خلال

---

1 عنون الفصل الثامن " الثورة الجزائرية في الصحافة الكويتية" مجلة العربي نموذجا 59- 62.

2 الفصل أنجزه البروفيسور سكفالي، من الصفحة 296 إلى الصفحة 359.

الصحافة في المغرب والمشرق، ونظرة الإعلام والدول الشقيقة للثورة، وكيفية رؤيتها لطبيعة النضال الجزائري.

قدمت الدراسة التي بين أيدينا للباحث والقارئ الجزائري، صورة وصدى ثورته لدى الدول الشقيقة التي عرفت بدعمها للقضية الجزائرية على مختلف الأصعدة السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية، إلا أن كتابنا هدا وضعنا في صورة الدعم الإعلامي العربي للثورة من خلال الدعاية التي مارستها مختلف الصحف في تونس والمغرب وسوريا ومصر وصوت العرب، للرد على الدعاية الفرنسية التي كانت تستحوذ على معظم الإعلام الغربي الداعم لها، خاصة المعسكر الرأسمالي الإمبريالي.

قدم لنا الكتاب صورة الحرب الدائرة في الجزائر، من خلال نقل النشاط العسكري والسياسي للثورة، وتتبع أخبارها، ونقل الأوضاع الاجتماعية في الداخل وعلى الحدود مع اللاجئين، وعمل المنظمات والمجتمع المدني في تحسين وضعيتهم.

كما أبرز لنا الكتاب دور الدكتور بوصفصاف في توجيه البحث التاريخي بالجزائر، من خلال إشرافه على مشروع البحث كتابة وتوجيها، حيث بصماته واضحة من خلال الموضوع داته، فقد كان الدكتور باحث متفرغ في تونس لمدة أربع سنوات، ما أتاح له الاطلاع على محتوى الجرائد التونسية في الفترة 1954–1962م، وهدا واضح في إشرافه على أكثر من موضوع يخص التاريخ المعاصر للجزائر، من خلال ما ورد في الصحافة السورية والمصرية والمغربية.

وثائق نادرة حول الاسهام العلمي والثقافي للدكتور عبد الكريم بوصفصاف

د/خميسي بولعراس

جامعة سطيف 02

مقدمة:

تعتبر نشرية العلوم الاجتماعية والنشرية الباديسية من إصدارات معهد العلوم الاجتماعية قسم التاريخ لجامعة قسنطينة من آهم الوثائق النادرة والمفقودة في المكتبات الجامعية والخاصة[1]. وقد تحصلت بالصدفة على نسخة من العدد الأول من النشرتين سنة 1992 مرمية بالحي الجامعي 11/ نوفمبر 1971 المعروف بالفيرمة بقسنطينة في نسخة واحدة ومازلت احتفظ بها إلى اليوم وأنا أتصفح محتوياتها شد انتباهي نشاط الباحث عبد الكريم بوصفصاف بآرائه ومقالته في هذان النشرتان النادرتان مع مجموعة من الباحثين في قسم التاريخ لقسنطينة

1. مساهمة الدكتور بوصفصاف في النشريتين

اعتمدنا على العدد الأول من النشريتين[2] لإبراز مساهمات الباحث عبد الكريم بوصفصاف. وهذه النشرية كما عبر عنها نائب المعهد المكلف بالوثائق مرمول محمد الصالح، إنها ثمرة من الثمار العلمية التي نضجت بمعهد العلوم الاجتماعية وهي تجربة علمية نتيجة التعاون التلقائي بين الأساتذة والطلبة، كما

1 – يرجع هذا إلى أن النسخ كانت محدودة جدا وكانت تكتب بالآلة الراقنة.

2 – العدد الأول كان بتاريخ رجب 1399هـ الموافق لـ جوان 1979م وقد اعتمدنا على هذه النسخة وهي ملك خاص وسنقوم بإهدائها إلى قسم التاريخ بجامعة قسنطينة.

أن العدد الأول يعتبر قطرة من غيث وبداية العمل جاء وبذرة طيبة يشمل العدد الأول عدة مقالات.

مظاهر ومراحل المقاومة الجزائرية قبل وبعد 8 ماي 1945 لمرمول محمد الصالح، وحوادث ماي 1945 لفيلالي عبد العزيز ومأساة الثامن ماي 1945 لمحي الدين مختار وياسلام على هذا الزمن لمرمول محمد الصالح.

أما مساهمة الباحث عبد الكريم بوصفصاف فكانت بعنوان الأوضاع السياسية قبل 8 ماي 1945 داخل الجزائر وخارجها وهي عبارة عن محاضرة ألقاها خلال الندوة التي نظمها معهد العلوم الاجتماعية بمناسبة الذكرى الرابعة والثلاثين لانتفاضة الشعب الجزائري في 8 ماي 1945.

حيث يطرح عبد الكريم بوصفصاف عدة إشكالات في موضوعه هذا منها هل يمكن أن نسمي ما وقع يوم 8 ماي وما بعده سنة 1945 في الجزائر بثورة فاشلة؟ أو هل نستطيع أن نعتبره انتفاضة شعبية تلقائية قام بها الشعب الجزائري احتجاجا على خيانة فرنسا لوعودها؟ أو هل يمكن أن نعتبر ذلك مؤامرة انتقامية وحشية دبرتها فرنسا بتواطؤ مع المعمرين؟ أم أنها حركة شعبية نظمها الجزائريون للتعبير عن غضبهم كسائر شعوب العالم بانتصار السلام وحرية الشعوب المضطهدة؟

هذه أهم الإشكالات التي طرحها الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف في موضوعه وللإجابة عن هذه التساؤلات قدم الباحث عدة نقاط مهمة أراد من خلالها تقديم مفاتيح هذه الإشكالات حيث تعرض إلى وضع الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية والوضع العربي والدولي أي أنه أراد أن يدرس حالة الجزائر في إطار الحراك العربي والدولي وليس كحدث منعزل متبعا في ذلك منهجا علميا يعتمد على التحليل والنقد ويبدو من خلال تحليلاته تمرسه

ومعرفته بتاريخ الجزائر والحركة الوطنية والقارئ سنجد هذا الثراء المعرفي عند الرجل خلال مطالعته للموضوع.

2-رحلة عبد الكريم بوصفصاف وطلبته إلى الجنوب

إن أهم ما حفظت لنا هذه النشرية حدث نادر في مسيرة الرجل وهو تدوينها لرحلته مع طلبته إلى الجنوب الجزائري من 13 ماي 1979 إلى 16 ماي 1979 والمعنونة بالتقرير العام عن الرحلة الدراسية والأعمال الميدانية التي قام بها طلاب دائرة التاريخ إلى جنوب الوطن وهذا التقرير كان من إعداد عبد الكريم بوصفصاف بعد عودته من الرحلة مع الطلبة

يلخص عبد الكريم بوصفصاف أبعاد هذه المرحلة الدراسية إلى الإطلاع على بعض الجوانب الاجتماعية في بعض المدن الجنوبية العريقة في الحضارة الإنسانية وكذا الإطلاع على بعض المنجزات الاقتصادية والحضارية والعمرانية للجنوب، ثم بين أهمية الرحلة في عمليات الاستكشاف والإطلاع وتحصيل المعرفة منذ القديم.

أ- الوصف الدقيق للرحلة:

لقد حفظت لنا هذه النشرية والذاكرة الجيدة ودقة الوصف عند الرجل لهذه الرحلة التي من خلال قراءتنا لها نحس أننا سافرنا معه في تلك اللحظة ولعل هذا ما يدفعنا إلى المواهب الخفية المكتنزة عند الرجل فهو يحسن الأسلوب القصصي بشكل يندهش له القارئ، وكان وصف الرحلة كالآتي:

بداية الانطلاق كانت في الثالث عشر من شهر ماي عام ألف وتسعمائة وتسع وسبعون، على الساعة الثامنة صباحا في فصل الربيع حيث زاروا في طريقهم المناطق الآتية.

– منطقة مدغاسن على الساعة التاسعة والنصف في التاريخ القديم والمرافق للأستاذ بوصفصاف في توضيح وشرح هذا المعلم التاريخي للطلبة وهو عبارة عن قبر دائري الشكل مخروطي، وقد أثنى عبد الكلام بوصفصاف أثناء تدوينه للرحلة على التحليل الجيد والمعارف المقدمة للطلبة من طرف الباحث المصاحب لهم الأستاذ محمود الأمين وكذا الأسئلة التي كانت تطرح من طرف الطلبة التي كانت نوعية تعكس المستوى الجيد للطلبة في تلك الفترة رغم قلة الوسائل وتقليديتها.

ب- مدينة تيمقاد:

حيث قاموا بزيارة المتحف رفقة المرشد وقدم بوصفصاف وصفا دقيقا لما يحتويه المتحف وهذا من خلال ما سمعه من المرشد وقد ساعده في ذلك مجموعة من الطلبة المصاحبين له[1].

إن أهم شيء حفظته لنا رحلة عبد الكريم وطلبته بعض الشواهد في تيمقاد والتي اندثرت اليوم بل يعطينا معارف تاريخية حولها، المسرح، المكتبة، المعبد...... إلخ.

وبعد زيارة تيمقاد تناولوا وجبة الغداء بالمطعم الجامعي بباتنة على الساعة الواحدة وخمسة وعشرين دقيقة.

بعدها توجهت الرحلة قاصدة مدينة بسكرة مرورا بعين التوتة فمدينة القنطرة التي نزل فيها الجميع لمشاهدة واد القنطرة ثم واصلت الرحلة مسارها حتى وصلت إلى بسكرة على الساعة الخامسة والنصف بعد الزوال وبعد استراحة دامت خمس وعشرين دقيقة توجهت الرحلة إلى سيدي عقبة على الساعة السادسة

---

1 – ويرجع حسبنا أنها في تلك الفترة بداية الثمانينات عدم وجود كثافة مرورية كاليوم وهذا ما سهل عملية الوصول بزمن أقل وهذا لفك اللبس عن هذا الأشكال عند القارئ اليوم

مساءً حيث أفاض الباحث المرافق لعبد الكريم بوصفصاف الدكتور عبد الباقي إبراهيم تقديم رائع وشرح ممتاز لمنطقة سيدي عقبة وركز على الفاتح عقبة بن نافع الفهري ومسجده.

توجه الرحلة إلى مدينة غرداية عبر مدينة توقرت وورجلان التي تناول فيها الوفد وجبة الغداء بمطعم الوفاء على الجانب الشمالي للطريق الرئيسي والتجول في المدينة الذي دام ثلاث ساعات واصلت بعدها الرحلة إلى غرداية واستقبالهم من طرف السلطات الحزبية واستقر الوفد في إقامة "نادي الشباب" وتمت وجبة الغداء في مطعم أحد الفنادق الذي دشن حديثا 8 أفريل 1979 ثم اجتماع بنادي الشباب لتنظيم أعمال اليومين من الرحلة.

وفي الصباح كان برنامج الرحلة يشمل زيارة الأماكن الأثرية لغرداية كالعطف وبونورة، بني يزقن بريان، القرارة، زيارة المتحف البلدي الذي دشن سنة 1958، وفيه نماذج من بقايا أثرية وصناعات تقليدية ميزابية، كما أعطانا في هذه الرحلة أشكال البيوت الميزابية ببساطتها كما عرفنا من خلالها عدة مميزات تميز بها المجتمع الميزابي.

- يحكي الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله عليه في رحلته هذه مع الطلبة وزملاءه الباحثين من قسم التاريخ عن وسائل الفكاهة والترويح النفس أثناء الرحلة، وهذا يكشف عن روح الدعابة وفيض الخاطر عند المرحوم بوصفصاف حيث يقول "فكانت هناك الأغاني التقليدية المحلية والعصرية الشيقة والأناشيد الوطنية الحماسية والمدائح الدينية والمباريات الشعرية كما استمتع الوفد بحفلة فلكلورية نظمها حزب جبهة التحرير الوطني بغرداية على شرفهم، ثم أن الأستاذ عبد العزيز فيلالي رئيس دائرة التاريخ آنذاك عن أهم المرافقين في الرحلة لعبد الكريم بوصفصاف الذي التقى بالشيخ سليمان داود في جلسة ثقافية علمية".

هذه بعض ما جاء في رحلة عبد الكريم بوصفصاف وطلبته وكذا زملاءه من قسم التاريخ إلى الجنوب الجزائري، ذلك أنها بينت جوانب خفية وحوادث تاريخية ميزت مسيرة المرحوم والتي كانت هذه النشرية من الوثائق النادرة التي دونت لنا وحفظت هذه المسيرة.

-**نشرية الباديسية:**[1] وهي من النشريات النادرة التي حفظت لنا هي الأخرى بعض ملامح الشخصية التاريخية للمرحوم بوصفصاف أو ما نسميه بدايات الرجل في الكتابة في المواضيع التاريخية (القلم الشاب) خصصت النشرية في عددها الأول ثماني ورقات على واجهة للمرحوم الذي يعد عضو ما أعضاء النشرية فكانت مساهمته في هذا العدد حول دور الصحافة في فلسفة جمعية العلماء المسلمين.

وقبل التطرق لما تضمنته هذه المساهمة يجدر بنا أن نقدم عوامل وظروف وميلاد هذه النشرية من خلال كلمة العدد الذي يبين فيها المرحوم هذه الدوافع التي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- إنما تحمل اسم رائد الإصلاح في الجزائر لكي تعمل على نشر مبادئه وأفكاره.
- كونها برزت إلى الوجود وجزائر الثورة تعمل بإخلاص من أجل استرجاع اللغة العربية إلى مكانتها القيادية.
- كونها ولدت في قسنطينة العريقة منبت الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر والندوة العلمية.

1 – وهي نشرية ثقافية يصدرها كل ثلاث أشهر معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة صدر العدد الأول الذي اعتمدنا عليه سنة رجب 1400 هـ الموافق لـ جوان 1980
وبسبب التسمية حسب المرحوم إنما تحمل اسم رجل عظيم وهو عبد الحميد بن باديس.

- كونها حققت حلما طالما رواد أفكار تلامذة ابن باديس مند سنة 1940 لأنهم كانوا يأملون في إصدار صحيفة فكرية اجتماعية تحمل اسم الفقيد ابن باديس ويضف المرحوم بوصفصاف في كلمة العدد بقوله "نتمنى أن ترتقي هذه النشرية إلى مجلة ثقافية اجتماعية لامعة تستفيد من تجارب الأسلاف وتعالج قضايا العصر ومشاكله بفضل مجهودات إطارات المعهد وطلابه"

هذا عن ظروف المحيطة بإنشاء النشرية، أما عن مساهمة عبد الكريم بوصفصاف فيها فقد ركز على دور هذه الوسيلة كسلاح استعملته جمعية العلماء في الرد على الاستعمار وتثقيف الشعب الجزائري تطويره دينيا وفكريا والحفاظ على هويته وقدم المرحوم جريدة المنتقد والشهاب والبصائر نماذج لدراسته هذه.

الخاتمة:

وخلاصة القول ين هاتان النشريتين النادرتين قد حفظتا لنا بعض ملامح شخصية عبد الكريم بوصفصاف من خلال نشاطاته وكتاباته وأفكاره، فالرجل في زمن اللاشيء كان يبدع ويكتب ويناضل وينشئ ويساهم في تطوير المشهد الثقافي الجامعي والبحث الجامعي.

فنأمل أن تنتج الجزائر جيلا يحمل هموم الثقافة والتغير والإصلاح كما حملها المرحوم ولعل مبادرة زملائنا في جامعة المسيلة في طبع كتاب جماعي حول هذه الشخصية إلا دليل على أن الرجل لم يمت، بل أنتج انتجلنسيا درست على يده وتشبعت بأفكاره وأساليبه تحمل همومه في هذا الكتاب.

المراجع المعتمدة:

1- نشرية معهد العلوم الاجتماعية، السنة الأولى العدد الأول، رجب 1399هـ- الموافق لـ جوان 1979م، دائرة التاريخ جامعة قسنطينة.

2- نشرية الباديسية، السنة الأولى العدد الأول، رجب 1400هـ- جوان 1980مـ جامعة قسنطينة.

الفكر الفلسفي الجزائري في أعمال الدكتور عبد الكريم بوصفصاف

أ/ خديجة حالة

جامعة أدرار

مقدمة

عرفت الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله عندما كنت في مرحلة التدرج حين كان يقدم محاضرات لطلبة السنة الثالثة والرابعة ليسانس كأستاذ زائر، وكنت أنا وأمثالي من المولعين بحضور مختلف الفعاليات للطلبة المتقدمين عنا في قسم التاريخ بجامعة أدرار سواء كانت عامة أو خاصة، وكانت محاضراته الأستاذ من أكثر المحاضرات حضورا طلبة وأساتذة؛ لأنه كان يؤثر بأسلوبه السردي للتاريخ ويتخذه كمنهج حياة قابل للتقويم والتقييم، وعرفت الأستاذ أكثر حين تتلمذت على يده في مرحلة الماجستير حيث قدم لنا منهجية البحث، وكان يركز في أية فرصة سنحت له على البحث عن مفكرين إصلاحيين في بلدان المغرب العربي بحكم التخصص الذي كنا ندرسه، ونقوم بدراسة نقدية للأفكار وتبعاتها على المستويين الاجتماعي والثقافي.

فيعد عبد الكريم بوصفصاف بحق أحد أهم المؤرخين المعاصرين الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر من الناحية الاجتماعية والثقافية، انطلاقا من تكوينه الذي كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا كبيرا في صقله، وكتابه تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بجزأيه الصادر عن دار الهدى سنة 2013م، أهم كتبه لكونه ضمنه مختلف المقالات المنشورة في أصقاع العالم مشرقا ومغرباً، ويصعب الوصول إليها، ونحاول في دراستنا هذه التطرق إلى النقاط التالية:

1- المفكرين الجزائريين والفلسفة.

2- عبد الكريم بوصفصاف والنقد الفلسفي.

3- المفكرون الجزائريون وإشكالية بناء المجتمع.

1- المفكرون الجزائريون والفلسفة.

تميز عبد الكريم بوصفصاف بالالتزام المستمر للوصول إلى محاولات جادة في مجال التنظير والإبداع، وقد شهد للأستاذ بهذه الجدية العلمية والمحاولات الإبداعية، أساتذة وباحثون بارزون أمثال الدكتور" أبو القاسم سعد الله" "عبد الرحمان بوقاف" والمفكر الدكتور" حسن حنفي" والدكتورة" نجاح محمد" والدكتور"محمد الهادي شريف"، والدكتور " عبد الرحمان التليلي" والدكتور" طه عبد الرحمان". والدكتور " عبد العظيم رمضان" والأستاذة الأميرة" بديعة الحسني الجزائري"، كما شهد له بذلك أيضاً بعض تلامذته وطلبته أمثال: الدكتور" الجمعي خمري"والأستاذ " محمد شرقي" والأستاذ"رمضان بورغدة" والأستاذ " أحمد بوعتروس" وغيرهم كثيرون[1].

قال عبد الكريم بوصفصاف حول الهوية:« إن الهوية الوطنية، قد تعرضت خلال السنوات الأخيرة إلى هزات خطيرة وشكوك مريبة، وتساؤلات عديدة حول كثير من القضايا: من نحن إلى أي جنس ننتمي؟ من أي منطقة في العالم جاء أجدادنا الأوائل؟ إن مثل هذه الأطروحات الجوفاء في أيامنا هذه لم تعد لها أية أهمية على الإطلاق، بل أصبحت شيئا من الماضي، فهل من واجبنا اليوم أن نواجه الهوية العالمية التي تحاول الأقطاب الكبرى فرضها علينا؟ أم نعود من جديد إلى البحث عن قضايا أصبحت من البديهيات المؤكدة لدى

---

1 عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلية، الجزائر، 2004، ص16.

فرد من أفراد المجتمع؟ هل نحن في حاجة حقا إلى البحث عن الأصول العرقية الثقافية والعرقية اللغوية؟ أم نحن في حاجة إلى الوحدة الوطنية والتكتلات الإقليمية وتطوير العلوم الدنيوية ومواكبة غيرنا في التطور العلمي والتقدم الأخلاقي الاجتماعي؟

إنها أسئلة محيرة حقا وإشكاليات معقدة...»[1] ، هذه إحدى التساؤلات التي طرحها عبد الكريم بوصفصاف، وحاولت كتابته الإجابة عليها، بحكم تكوينه والبيئة التي نشأ فيها فقد درس في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وانتهاجه لمنهج ابن باديس والعلماء في مساره الدراسي وحتى باكورة أعماله كانت حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت في طليعة الجمعيات الدينية والأحزاب السياسية التي عرفها الوطن العربي نظرا لجهودها المتعددة وأعمالها الحضارية البارزة التي قامت بها على المستوى الوطني من جهة وعلى المستوى المغاربي والعربي من جهة أخرى[2].

ثم توجه عبد الكريم بوصفصاف إلى البحث في الفكر الفلسفي العربي عن الأسلوب العلمي في الكتابة والمنهج فوجد أن من بين الذين مهدوا الطريق قبل ظهور الدراسات الفلسفية المتخصصة في الوطن العربي "جمال الدين الأفغاني" في رده على الدهريين و"محمد عبده" في شرحه لمفاهيم العقيدة الإسلامية على أساس المنطق العقلي و"أحمد لطفي السيد" في قيادته لحركة التنوير، و"طه حسين" في إدخاله للمنهج العقلي في الدراسات الأدبية، و"عباس محمود العقاد" في دعوته مسؤولية الفرد أمام عقلية الفكر والعقيدة.

1عبد الكريم بوصفصاف: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، دار الهدى عين مليلية، الجزائر، 2013، ص9.

2 المرجع نفسه، ص 159.

ثم وقف عند "عبد الحميد بن باديس" مطولا في اعتماده السببية في تغيير نفسية الفرد والمجتمع ومقاومة الجبرية أو القدرية التي كانت ترى أن ما وصلت إليه البلاد العربية والإسلامية من استعمار أجنبي، وتخلف ثقافي واقتصادي واجتماعي هو مقدر من عند الله[1]، وقضية السلم من أكبر القضايا التي شغلت بال ابن باديس، فهو يريد الاستمرارية في عمله وعدم التنازل عن مبادئه، والتي منها تمجيد العقل والدعوة إلى بناء الحياة كلها على التفكير ونشر الدعوة بالحجج والإقناع لا بالإكراه، إن هذا المبدأ من المبادئ الجوهرية في تفكير ابن باديس/ مبدأ العقل ومبدأ الحوار، ذلك أن احترام الإنسانية وحقوقها لا يكون إلا باحترام عقلها ومخاطبة هذا العقل بالحجة والبرهان لا بالقوة والعنف[2].

وأبدع بعض المفكرين الجزائريين في الفلسفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال نصوص الحركة الوطنية ومواثيق الثورة، أو من خلال بعض المؤلفات التي أنتجوها سواء في خضم المعركة أو بعد حرب التحرير، ومن أبرز هؤلاء المفكرين الشيخ "البشير الإبراهيمي" والشيخ "مبارك الميلي" و"أحمد توفيق المدني" و"عمار أوزقان" و"فرحات عباس" و"مصطفى الأشرف" و"أحمد طالب الإبراهيمي" و"محمد الميلي" و"عبد الله شريط"، ويرى عبد الكريم بوصفصاف خلافاً لهؤلاء، أن الذي كان علامة بارزة في أفق الفلسفة بالجزائر هو المفكر الكبير: "مالك بن نبي" الذي بلغ مرتبة معتبرة من الإبداع والتنظير في الفلسفة وعلم الاجتماع والتحليل التاريخي، غير أنه لا أحد من المفكرين الجزائريين كان يهتم بالفلسفة البنائية، وإن كان هذا النمط من الفلسفة قد انتهى تقريبا مع المرحلة الهيقلية، حيث كان الفيلسوف قديما يحاول إيجاد المبدأ الواحد

---

1 عبد الكريم بوصفصاف: تاريخ الجزائر ....، ج1، مرجع سابق، 2013، ص81.

2 المرجع نفسه، ص 153-154.

الذي تنتظم منه كل أجزاء الوجود، فإذا ما وُجد مبدأ كهذا أخذ يستنبط منه نتائجه حتى يقيم بناءً كاملا مغلقا يضم بين جنباته كل ركن من أركان الوجود وكل حقيقة من حقائقه.

فحسب رأي عبد الكريم بوصفصاف أن المفكرين الجزائريين لم يهتموا بوضع الأنساق الفلسفية كما يفعل الفلاسفة من قبل؛ ولكنهم اهتموا بالفلسفة التحليلية أي الفلسفة العلمية، فهي تسير نحو تصورات نظرية تجريدية أكثر ما تهتم بالحكمة وقد اتضح ذلك جليا في مؤلفات "مالك بن نبي" و"عبد الله شريط" بل وحتى في كتابات الدكتور "عبد الرزاق قسوم "و "عبد المجيد مزيان".

فالفلسفة في الجزائر حالها كحال التاريخ وعلم الاجتماع والأدب لم تصل بعد إلى مستوى تشكيل مدرسة فلسفية جزائرية متميزة، كما هو الحال في المغرب أو مصر مثلا، ولكن الأعمال الفلسفية الجزائرية أعمال جادة ومتجددة ليست إبداعا خالصا وتقليدا صرفا، ولكنها تواكب الفلسفات المعاصرة في العالم الغربي وتحاول تأسيس عصر جديد للتنوير في مجال الفلسفة خاصة وفي الفكر الجزائري عامة.

كما أن الفلسفة في الجزائر اليوم تشهد وضعا متميزاً فعلا، بناء على عدة اعتبارات ملحوظة في الوسط الجامعي بأقسام الفلسفة التي ارتقى عددها من ثلاثة أقسام إلى سبعة على الأقل ومن أبرز هذه الميزات الملحوظة:

أولا: تجديد النص الفلسفي من حيث الأسلوب اللغوي، ومن حيث جديدية الأفكار المترجمة من الفلسفات الغربية الانجلوسكسونية أو الفرنكوفونية إلى اللغة الوطنية على حد سواء، وتوظيفها في بناء نص فلسفي جديد ليس بنص غربي خالص ولا بنص عربي صرف، وإنما بخاصيتها الجزائرية التي تمتاز بالوضوح والدقة في اختيار المصطلحات والمعاني التي يصاغ بها النص

الفلسفي الحديث، والذي يجمع خاصة بين الفلسفة البنائية النسقية التي تمثلها المدارس الفلسفية القديمة، والفلسفة العلمية التحليلية التي تمثلها المدارس الحديثة، بل ويمكن القول أن ما نلمسه في النصوص الفلسفية الجزائرية الراهنة هو التزاوج بين حكمة الشرق وفلسفة التجريد النظري لدى الغرب[1].

ثانيا: ومن خلال هذه الدراسات الجديدة التي بدأت تلوح إشراقاتها في الأفق، وتبرز عملية التأصيل المتأنية في ذلك التناغم الفلسفي الشيق الذي يحاول فيه المفكر الجزائري إذابته في قالب الهوية الوطنية أحيانا أو في إطار التاريخانية الجزائرية التي أخذت تتشكل بوتيرة علمية منهجية أحيانا أخرى، وتقترب رويدا رويدا من فلسفة التاريخ، كتلك التي نجدها في كتابات عميد الفلاسفة الجزائريين الدكتور "عبد الله شريط" الذي ينطلق في جل كتاباته من الواقع الجزائري، أو من الهوية الوطنية للشعب الجزائري سواء عندما حاول أن يضفي على الاشتراكية في بلادنا طابعا محليا جزائريا خالصا، فهو يعتبر أن ينابيعها الأولى قد تفجرت من العبقرية الجزائرية ذاتها أو بالأحرى من عبقرية الجزائريين عبر العصور، مستندا في ذلك كله إلى تلك القيم الأخلاقية والسلوكات الإنسانية التي تميز بها سكان الأرياف والمدن الجزائرية بصورة عامة، بل ومن عادات وتقاليد الأمة ذاتها، وليست الاشتراكية في رأيه نظاما دخيلا أو مستوردا من أنظمة أجنبية معينة إلى الجزائر.

وكما نجد في كتابات عميد فلسفة الزمن في الجزائر الدكتور "عبد الرزاق قسوم" وهو يؤسس لفلسفة التاريخ وفلسفة التصوف وللنقد الفلسفي في الجزائر بأسلوب فلسفي تاريخي علمي واضح.

1عبد الكريم بوصفصاف: تاريخ الجزائر ....، ج1، مرجع سابق، ص43.

بل ومن المؤرخين من صار في سبيل وضع دراسات متميزة في فلسفة التاريخ أمثال الدكتور "أبو القاسم سعد الله" في كتابه منطلقات فكرية وقضايا شائكة، وتاريخ الجزائر الثقافي الذي يتألف من تسعة أجزاء، وهي سلسلة من ملاحم تاريخية وفكرية تربط حلقاتها المحكمة نظرات فلسفية تضفي عليها الطابع الإبداعي تارة، والمسحة التأصيلية لتراث قديم تارة أخرى؛ لأنه مدد متجدد باستمرار وهو مرتبط ارتباطا عضويا بمسيرة الأمة في انحطاطها ونهضتها على حد سواء، وقد يكون فكرا منحطا ظل ينتظر لحظة البعث من جديد كلما تحركت قاطرة الأمة في مسيرتها الإنسانية نحو مستقبل مشرق.

والمتمعن في هذه الدراسات الفكرية التاريخية عند عميد المؤرخين الجزائريين يجدها تنحو منحا جديدا للعمل على تأسيس فلسفة التاريخ في الجزائر، فهذه الكتابات الحصيفة جديرة بأن تكون أرضية صلبة لنهضة فلسفية جزائرية[1].

لكن ما يلاحظ في نخصص الفلسفة بجامعات الجزائر عدم ربط الإشكاليات الفلسفية محل الدراسة بالواقع المجتمعي الراهن يجعل الفلسفة تبدو في نظر الطالب إنشاءات عقلية نظرية محضة لا علاقة لها باليومي المعاش،وعليه لا بد من إيلاء عناية خاصة لما يسمى بالفلسفة التطبيقية التي تعنى بمشكلات الإنسان في الواقع المجتمعي اليومي و« يقصد بها البحث عن الإجابات الفلسفية التي تتطلبها جماعة تعيش في مجتمع معين، ولما كانت الفلسفة بصفة عامة محاولة لصنع المعنى لقضايا وأمور الإنسان في عالمه، فإن الفلسفة التطبيقية تبتغي الارتباط بالواقع الحي المعاش، والارتباط بالحس العام المشترك الموجود في مجتمع الطالب»[2].

---

1 عبد الكريم بوصفصاف: تاريخ الجزائر...، ج1، مرجع سابق، ص44-45.

2 حنيفي جميلة:" الفلسفة في الجامعة الجزائرية"، مجلة دراسات فلسفية، ع/9، 2013، ص139.

ولم تتوقف كتابات الدكتور بوصفصاف عند البحث عن الفكر الجزائري فقط بل أسس مخبر الدراسات التاريخية الفلسفية ونظم ملتقيات دولية لدراسة فكر عبد الله شريط وأبو القاسم سعد الله وعبد الرزاق قسوم على مرأى ومسامعهم.

2- عبد الكريم بوصفصاف والنقد الفلسفي:

من الواضح أن "عبد الكريم بوصفصاف" من المتتبعين لكل ما هو مستجد في المجال الفكري الفلسفي، فبمجرد صدور كتاب "الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس" للدكتور "الزاوي بغوره"[1] عام 2003، إلا والدكتور بوصفصاف أفرد له مقالا في مجلة الحوار الفكري دراسة نقدية، واستهل بالفصل الثالث من الكتاب الذي جاء بعنوان" موقف المفكرين الجزائريين من فكر "طه حسين" ويرى الدكتور بوصفصاف أن مؤلف الكتاب يهمل الكثير من المفكرين والأدباء الجزائريين الذين ناقشوا طه حسين واتخذوا مواقف مختلفة من آرائه الفكرية والأدبية، مؤيدين أو معارضين، ومنهم شيخ الأزهر السابق " محمد خضر حسين " وأساتذة آخرون ما يزالون على قيد الحياة في الجامعات الجزائرية، كتبوا أبحاثا ودراسات مستفيضة حول آراء ومواقف عميد الأدب العربي من التراث العربي أو من المناهج الغربية.

وانتقد الدكتور بوصفصاف الدكتور الزاوي حين اعتبر كتابات "مولود قاسم نايت بلقاسم" من قبيل الخيال أو الطوباوية، فقال: «دافع عن وجود

---

1 باحث وأكاديمي جزائري، أستاذ الفلسفة المعاصرة بقسم الفلسفة، جامعة الكويت، متخصص في فلسفة ميشيل فوكو، وباحث في فلسفة اللغة والسياسة، تتوزع اهتماماته بين الترجمة والتأليف. من أهم أعماله المترجمة: "يجب الدفاع عن المجتمع" لميشيل فوكو، و"تأويل الذات" لميشيل فوكو. ومن أهم تآليفه: "مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو"، و"الفلسفة واللغة"، و"نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة"، و"ما بعد الحداثة والتنوير"، مدونة برج بن عزوز، موقع: http://albordj.blogspot.com، يوم2018/05/20.

واستمرارية الدولة والأمة في مختلف المراحل، وذلك عبر تأويل تاريخي معين قريب إلى الطوباوية وفلسفة التاريخ»، والذي صنفه الأستاذ الزاوي بأنه نص دفاعي لا غير.

أما الخطاب الفلسفي في الجزائر فمؤلف الكتاب يراه من زاويتين هما:

الزاوية الأولى: وهي الممارسات القائمة، وهي تشخيص العقبات المعرفية والصعوبات الواقعية بتحليل الممارسة بفلسفية في المؤسستين التعليميتين الجامعية والثانوية.

الزاوية الثانية: فتتمثل في معالجة بعض مظاهر الممارسة الفلسفية خارج المؤسسة الفلسفية، سواء المكتوبة بالعربية أو بالفرنسية، وذلك عند إشكالياتها.

وهو يرى في هذا السياق أن الفلسفة ظلت غائبة وبعيدة عن مجرى الأحداث في الجزائر، رغم ما عرفته هذه الأخيرة من تحولات اقتصادية واجتماعية ومن اضطرابات سياسية عنيفة، كما يرى أنه من غير الممكن فصل تدريس الفلسفة في الجزائر عن مختلف الاستراتيجيات التي رسمتها السلطة، والتي تجد بعض مواقعها وآثارها في هذه المنظومة، ويأخذ المؤلف على المنظومة التربوية الجزائرية خضوعها مباشرة للقرارات السياسية الكبرى المحددة لتوجيهات المجتمع، مثل قرارات ديمقراطية التعليم والجزأرة والتعريب والأسلحة.

ويتساءل الدكتور بوصفصاف إذ لم تخضع المنظومة التربوية إلى قرارات السلطة السياسية المسيرة للبلاد، فإلى أي جهة تخضع يا ترى؟ لقرارات الجمعية الثقافية أم لقرارات الأحزاب السياسية أم للرغبات الشخصية للأفراد؟

وقد أنصف الدكتور بوصفصاف مؤلف الكتاب حيث قال:« أنه قدم نقدا موضوعيا للإصلاحات التي يعتبرها بسيطة ومجزأة، ويعتبر الكتاب وثيقة

هامة في تاريخ الفكر الجزائري الحديث والمعاصر، ينبغي قراءتها بشيء من الوعي والتأني، لأن كاتبها بالغ في الحياد والموضوعية، كما لو أنه كان كاتبا من الخارج وليس من داخل الجزائر، وهذه الميزة هي صفة علمية ضرورية وأكيدة لكل باحث في العلوم الإنسانية الاجتماعية، غير أن الإفراط فيها يجعل صاحبها أحيانا يحيد عن الحقيقة في بعض المسائل الأساسية الحساسة، ويركن على بعض القضايا المثيرة على حساب مسائل جوهرية مرتبطة ارتباطا عضويا بكيان الأمة ومسيرتها التاريخية عبر العصور»[1].

وانتهج الدكتور عبد الكريم بوصفصاف المنحى الفكري في تأطير رسائل الماجستير والدكتوراه فأشرف على رسالة ماجستير بعنوان الشيخ خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902-1993م، والشيخ أحمد حماني وقضايا عصره، 1915-1998م، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985م، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية 1899-1983م، وغيرهم من الرسائل والأطروحات الجامعية المختلفة والمتنوعة.

3- المفكرون الجزائريون وإشكالية بناء المجتمع.

أما المخيال التصوري لبناء المجتمع الجزائري عقب الاستقلال، فقد أكدت النخب السياسية والثقافية على ضرورة التمسك بالقيم الثورية. فـ"فرحات عباس" يصرح في خطاب له باعتباره أول رئيس للمجلس التأسيسي بعد الاستقلال، بأن :« بعث الدولة الجزائرية التي اندثرت منذ مائة عام واثنين وثلاثين سنة، لا يمكن أن يتحقق إلا بإبعاد كل موقف انحيازي وكل انحرافية والروح الانفصالية والروح الجهوية، فبإبعاد هذه العناصر الشريرة كلها، يمكن

---

1 عبد الكريم بوصفصاف: تاريخ الجزائر ....، ج2، مرجع سابق، ص398.

استرجاع الدولة الجزائرية، وإن البرنامج المحدد في طرابلس سيبقى ميثاقا، وسينقح هذا الميثاق ويثرى بالاستشارات الشعبية، وعندما ينظم الحزب فإن المناضلين سيعربون بحرية عن رأيهم وباستشارتنا الديمقراطية للشعب تصوغ أداة مستقبلنا، وفي انتظار ذلك يجب أن نشرع في العمل فورا، وإن كل تأخير لتنفيذ ميثاقنا ربما يكون مناهضا لمصالح الجماهير الكادحة ولتشييد الجزائر المستعمرة التي قد ماتت، لأنها كانت مركز غياب المساواة والعدالة، وستحيا الجمهورية الجزائرية، لأنها ستكون بلد المساواة والعدالة الاجتماعية[1]».

ثم يضيف مبرزا قدرات الجزائر الحضارية والثقافية وإمكانية التعايش السلمي في ظل الديمقراطية والتسامح، ثم يؤكد «أن حل هذه المشاكل كلها لا يتأتى إلا بتحوير عميق وثورة وسائل في مأمن الاحتكارات، ومقاومة الأمية وتنظيم الصحة العمومية وحفظها، وتمديدها إلى البوادي النائية، ووضع سياسة للإسكان ومكافحة الأكواخ والقيم، لكي نستطيع أن ننتزع بلادنا من التخلف الاقتصادي ومن طابع القرون الوسطى».

ودعا "فرحات عباس" إلى« ضرورة إعادة النظر في العلاقات مع فرنسا الليبرالية الرأسمالية، لأن الجزائر أصبحت حرة مستقلة لا مبرر لها في معاداة الشعب الفرنسي، لأن هناك عوامل مساعدة عليها تحسين العلاقات بين البلدين، ومن الأسس التي اعتبرها فرحات عباس الأساس القوي في قيام الدولة هو مساهمة الجزائر في بناء صرح المغرب العربي، واحترام وتوطيد ميثاق الدار البيضاء، والمشاركة في ترشيد إفريقيا وحضور الجزائر في كل مكان من العالم الذي ما يزال يعاني من النظام الاستعماري لقيادة المعركة ضده، وأن منهج الجزائر في الأمم المتحدة بعد الانضمام إليها مستقبلا هو مساندة الوسائل السلمية

1 المرجع نفسه، ص301.

في تسوية الخلافات الدولية، لأن السلام العالمي لن يبقى في صعيد الحلم والخيال»[1].

وعلق الدكتور عبد الكريم بوصفصاف بقوله: «أن فرحات عباس كان مخطئا في نظرته لصورة العالم الذي كان منقسما إلى معسكرين شرقي وغربي، أو إلى كتلتين معاديتين لبعضهما البعض، كما يرفض سياسة الأحلاف، والحق أن سياسة الأحلاف تضر أحيانا الشعوب الضعيفة، فإنها تنفعها أحيانا أخرى، أما توقف الصراع بين المعسكرين فإنه لم ولن يكون في صالح الشعوب الضعيفة، وتوقفه في نهاية الثمانينيات قد أدى إلى حدوث تغيرات جوهرية في النظام العالمي والعلاقات الدولية عموما».

أما بالنسبة لتسيير الدولة الجزائرية الفتية فقد عبر "إبراهيم مزهودي" عن اشمئزازه سنة 1968م من العمليات الاستبدادية التي يمارسها الحزب الواحد في البلدان المستقلة حديثا فيقول: « إن نظام الحزب الواحد أحد المشاكل الرئيسية في الأقطار حديثة الاستقلال/ فليس البشر قديسين ولا يمكن أن يكونوا كاملين، ومن الممكن إغراؤهم وإفسادهم، وهكذا فإن الحاجة إلى بعض الرقابة على سلطاتهم ضرورية في أنظمة الحزب الواحد في المرحلة الانتقالية، ولكن التخلف ليس اقتصاديا فحسب بل هو فكري أيضاً، وفي المرحلة الحاضرة من تطورنا نحتاج إلى حزب واحد يرتكز إلى الجماهير لا إلى حزب القيادة»[2].

ويرى الدكتور عبد الكريم بوصفصاف أن الآراء التي أدلى بها القادة الجزائريون في مطالع العقد الأول من الاستقلال تؤكد في مجموعها وجود فكر فسيفسائي لدى مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة، ومن أبرز المفكرين الجزائريين

---

1 عبد الكريم بوصفصاف: تاريخ الجزائر ....، ج2، مرجع سابق، ص303.

2 المرجع نفسه، ص304.

الذين كانت لهم محاولات استشرافية في تصور المجتمع الجزائري "مصطفى الأشرف"، فالمطلع على كتاباته يرى بوضوح طغيان الإشكالية الثقافية بأبعادها الحضارية والتاريخية واللغوية على مضامين مقالاته المتنوعة، ويتجلى هدفه من وراء ذلك كله في تأسيس ثقافة جزائرية أصيلة ومتفتحة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويرى تحقيق مجتمع جزائري عصري يكمن في ضرورة إتّباع طريقة دقيقة تستلزم من النخبة عملا متواصلا وفكرا سياسيا خلاقا يتميز باليقظة الدائمة، وينبغي في كل ذلك مراعاة ما تتوفر عليه من إمكانات، لأنها هي الشرط الأساس في كل عملية بنائية، إذ لا يمكن أن تتوافق الطموحات مع الإمكانات[1].

وتساءل عبد الكريم بوصفصاف عن طبيعة ونوعية المجتمع أو الدولة التي يطمح إليها السيد مصطفى الأشرف، هل هي الدولة الديمقراطية القائمة على التعددية الحزبية؟ وبالتالي التعددية في الرؤى والنظريات المختلفة، أم هي الديمقراطية الشعبية التي تقوم على أساس الحزب الواحد وملكية الدولة بوسائل الإنتاج؟

فالنظرية عند الأشرف حول مشروع المجتمع ليست ناضجة تمام النضج في اعتقاد الدكتور بوصفصاف، لأنها مجرد تصورات استشرافية مستقبلية مبنية على الأسس أو المعطيات الآنية التي كانت ملامحها بارزة في ظل النظام الاشتراكي، فهو يتحدث عن الديمقراطية حديثا عاما، إذ لم يوضح ما إذا كانت الديمقراطية التي يريدها هي الديمقراطية الغربية التي تقوم على الحرية في كل شيء، أم هي الديمقراطية الشعبية كما يحلو للدول الاشتراكية أن تسميها.

ولعل الشيء الواضح عند الأشرف في هذه النظرات الفكرية الإستشرافية هو أنه تشبع بالتفكير الثوري الإنساني الذي يريد أن يجعله يساير تطور المجتمع

---

1 المرجع نفسه، ص316.

في القوانين والآليات المختلفة، التي تنظم الأمة الدولة وتوجهها نحو مستقبل أفضل[1] .لكن بعد مرور سنوات عقب الاستقلال يرى الدكتور بوصفصاف أن الاشرف يعترف بفشل النخبة الجزائرية في قيادة المجتمع وتخليصه من العقبات الكؤود التي تعترضه في طريقه فيقول: «ينبغي بادئ ذي بدء الإقرار بأننا لم نلزم أنفسنا لتفادي المخاطر والمصائب التي عانى منها المجتمع الجزائري، لقد كرسنا كل جهودنا للتغلب على العدو، وها نحن اليوم ندفع الثمن، وربما سوف ننتظر مدة طويلة إلى دفع المزيد من الثمن على النقائص الملحوظة في مجتمعنا الضعيف على الرغم من عزيمته الثابتة واستبساله في القتال، وكذلك لدى المناضلين أنفسهم بسبب نقص تكوينهم السياسي»[2].

الخاتمة:

إن آخر ما يمكن قوله في هذه الدراسة هو أن الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف يعد من الباحثين الجزائريين الأوائل الذين عكفوا على دراسة جمعية العلماء من كل جوانبها سواء في أعماله، أو من خلال طلبته الذين أطروهم في الدراسات العليا، وانطلاقه من الجمعية كان نحو البحث عن الفكر الجزائري بكل خصوصياته الثقافية، ونظرة عبد الكريم بوصفصاف للفكر الفلسفي في الجزائر نظرة تتجه نحو التخطيط لبناء مستقبل فكري مستقل مبدع جديد ومتجدد من ذاته محو الآخر بكل اختلافاتها.

1 عبد الكريم بوصفصاف: تاريخ الجزائر ....، ج2، مرجع سابق، ص 320.
2 المرجع نفسه، ص321.

قراءة عبد الكريم بوصفصاف لفلسفة الإمام محمد عبده: مقاربة نقدية*

د/ خالدي مزاتي

جامعة أدرار

مقدمة:

لا شك أن المهام التي يُفترض في المثقف أن يؤديها داخل المجتمع الذي ينتمي إليه هي على قدر عظيم من الأهمية والخطورة. فزيادة عن نشاطاته الحرفية المختلفة، أو عمله في مجال التخصصات العلمية الضيّقة في الجامعات ومراكز البحث، فإنه ينتظر من المثقف الحقيقي أن يتجاوز نشاطه المهني الخاص إلى التعبير عن واقع مجتمعه، ومعرفة مشكلاته وقضاياه، وتشخيص أمراضه، ومن ثم اقتراح السبل والحلول النظرية الكفيلة لتلبية طموحاته في رسم مستقبل أفضل. ولما كان كبار المفكرين والكتاب وأساتذة الجامعات عندنا هم ممن يمكن تصنيفهم ضمن النخبة المثقفة التي تقع عليها مسؤولية التفاعل مع المصير العام المشترك ضمن سياق الاستشعار والتحسس الدائم للأخطار الخارجية، والأخطار الداخلية النابعة من الذات، ومواجهتها بإشاعة العقلانية وإنتاج المعرفة الصحيحة التي تؤسس لثقافة جادة من شأنها نشر الوعي الصحيح، ومحاربة مظاهر التخلف والجمود، فقد أردنا لهذه الورقة البحثية أن تكون تكريما لأحد أعلام الجزائر المعاصرة، وذلك إدراكا منا لأهمية الدور الذي تلعبه الكفاءات المنتجة للعلم والمعرفة في أيّة نهضة كانت. إنه الأستاذ والمؤرخ الجزائري عبد الكريم بوصفصاف الذي سلخ من عمره أزيد من أربعة عقود في

---

*- هذا المقال هو في الأصل ورقة بحثية قدمت لليوم الدراسي الذي عقد تكريما للأستاذ عبد الكريم بوصفصاف بتاريخ 2017/05/25 بجامعة أدرار.

خدمة الجامعة الجزائرية مربيا ومؤطرا للدارسين على أمل أن تتمكن الجزائر من صنع مستقبلها الخاص، وتحقيق نهضتها المنشودة، واستعادة شخصيتها الحضارية التي ما انفك الاستعمار الفرنسي يعمل على طمسها وتغييبها. ولأن أحسن تكريم لأي كاتب هو الدخول معه في مناقشة حول ما كتب، فقد اتخذنا من قراءة عبد الكريم بوصفصاف لفلسفة الإمام محمد عبده محورا مركزيا في هذه الورقة البحثية التي وزعناها إلى العناصر التالية:

أولا: في انتكاسة الأنوار أو الوجه الآخر للحداثة الأوروبية

لعله من المفيد أن نشير، في مستهل هذا العرض، إلى أن التحدي الأكبر الذي واجه الأمة العربية في العصر الحديث، وبالأخص النخب الفكرية والسياسية الفاعلة، هو بذل ما يكفي من جهد لتعبئة الجماهير وتجنيدها لنيل الحرية واستعادة الكرامة، وذلك بمقاومة خطر الاستعمار الغربي الغاشم الذي سار في اتجاه معاكس تماما للمبادئ والقيم الإنسانية المثلى التي قام على أساسها فكر الأنوار الأوروبي في القرن الثامن عشر، وبالنتيجة تدنيس الروح الأنوارية للثورة الفرنسية التي وعدت بتجسيد قيم العدل والمساواة تماشيا مع ميثاق " حقوق الإنسان والمواطن" المعلن عنه في العام 1789م، والذي يعد من أفضل انجازات تلك الثورة. بهذا المعنى نستطيع القول إن الاستعمار الأوروبي الحديث للوطن العربي، والذي بدأ في العام 1798 مع حملة نابليون بونابرت على مصر بدعوى تحريرها من حكم المماليك الظالم، مثّل الوجه غير الحميد للحداثة الأوروبية[1]. ذلك أنه بدل التحرير الموعود ونشر قيم العدل والمساواة، اُحْتلت

---

1 – لمعرفة المزيد عن " الوجوه الأخرى للحداثة الأوروبية " راجع: محمد عابد الجابري، **المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية**، ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996م). الفصل الأول.

الأرض العربية الإسلامية تباعا[1]، ونُهبت الثروات والموارد، وشُوّهت الشخصية إلى حد المسخ، وبُثّ الشقاق والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة تطبيقا للمبدأ الاستعماري المعروف " فرق تسد" الذي أعطى، إلى جانب القوة العسكرية وسلطان المعرفة، دفعا قويا لأوروبا التوسعية، فرنسا و بريطانيا خاصة، لتثبيت وجودها وبسط نفوذها على العالم العربي والإسلامي، وتقديم نفسها بوصفها قوة عسكرية وسياسية وثقافية واقتصادية مهيمنة، وقادرة، بالتالي، على فرض وجودها

1 – توضيحا لهذا الكلام الوارد أعلاه نقدم هنا لوحة تاريخية بأهم الأحداث المتعلقة بالحركة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر وذلك على النحو التالي:" في عام 1830، غزت فرنسا الجزائر. وبعد عشرين عاما من الحروب أتمت سيطرتها عليها وفتحت الباب واسعا أمام الاستعمار الأوربي لاحتلال بقية أنحاء المغرب. خلال الحقبة نفسها أخضعت روسيا الأراضي الإسلامية القديمة من القوقاز في آسيا الوسطى، مشجعة على توطين جماعات كبيرة من السكان غير المسلمين فيها. بين عامي 1865 و1873، وضعت روسيا القيصرية نهاية لاستقلال إمارة خوقند في آسيا الوسطى وفرضت حمايتها على إمارتين أخريين هما: خيوه (أوزبكستان) وبخارى. في عام 1881، وضعت فرنسا يدها على تونس، ومارست فيها سلطتها الفعلية بصيغة الحماية. في العام التالي 1882 احتل البريطانيون مصر وأقاموا حكم وصاية مصرية –انكليزية على السودان، احتفظت بريطانيا فيه بمركز القيادة. في نهاية القرن التاسع عشر، سيطر الهولنديون على الممالك المحلية في سومطرة، وأسسوا إمبراطورية واسعة وغنية في الأرخبيل الأندونيسي، أما في ماليزيا المجاورة، فقد أصبحت السلطة المحلية فيها عام 1880 تحت الحماية البريطانية. في عامي 1911–1912، غزت إيطاليا طرابلس الغرب. أما فرنسا فقد فرضت حمايتها على معظم أمراء المغرب، بينما أخذت اسبانيا على عاتقها ما تبقى من المملكة (منطقة الريف).[...] ومن جهة أخرى، فإن سيطرة الإنجليز على الهند قادتهم إلى أن يكون لهم الأولوية في التوسع في الخليج كمنطقة نفوذ، ومراقبة عدن وحضرموت. [...] وما حصل خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها في المشرق العربي معروف، فقد تم احتلال سوريا ولبنان وفلسطين والعراق في صيغة " الانتدابات"، ومهد الاحتلال للمشروع الصهيوني أن يبني دولته في فلسطين". راجع: وجيه كوثراني، **الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل**، ط1، (بيروت: دار الطليعة، 2000)، ص31.

كنموذج أو مثال للغلبة والتدخل التاريخي الفاعل في بناء حضارة مبدعة تتقدم في مراحل، الأمر الذي يجعلها (أي أوروبا) كفيلة بإخراج الشعوب الأخرى – غير الأوروبية– من حالة العجز والتخبط في مجالات الحياة كافة: مجال العقيدة، مجال النظم السياسية والاجتماعية، مجال الاقتصاد...الخ. لذلك ليس من المستغرب، والحالة هذه، أن تلجأ أوروبا خلال القرن الاستعماري إلى طرح مبدأ تميز الرجل الأبيض وجدارته بالسيطرة على العالم لإخراجه من حالة التوحش ونقله إلى مستوى الحضارة والتمدن، ومن هنا نظرية عبء الرسالة التمدينية التي أثقلت كاهل الرجل الأبيض– الأوروبي مدشن النظام الامبريالي الحديث. يقول عبد الوهاب المسيري:

" انطلاقا من ثنائية الأنا والآخر العنصرية الصلبة، كان النظام الإمبريالي القديم يحاول استعباد الشعوب الأخرى، فيحاول أن يوقف عمليات التحديث في أي مكان في العالم، ويقمع كل الثورات ليضمن تدفق العمالة والمواد الخام الرخيصة، وليضمن وجود مجال حيوي يشكل امتدادا استراتيجيا واقتصاديا له، حتى يظل العالم الغربي، منتجا ومستهلكا، أما العالم الثالث فيجب أن يظل متخلفا بدائيا، عاجزا ومستهلكا لبعض بضائع أوروبا وأفكارها. وفي إطار هذا ولدت عنصرية التفاوت وأفكار الشعب العضوي وعبء الرجل الأبيض والمجال الحيوي، وهي أفكار تسبغ القداسة على الإنسان الغربي وعلى تاريخه وحضارته، وتنزع القداسة عن الإنسان غير الأبيض وعن تاريخه، بل وتغييبهما، إذ يختفي هذا الإنسان كإنسان وينتهي تاريخه، فهو مجرد تاريخ متخلف، وانحراف عن النقطة التي يتجه نحوها التاريخ العالمي. وهذه الحلول النهائية كان يدعمها مدفع

غربي واضح يدك كل من يقف في طريقه دكا، كما فعل في فلسطين والجزائر وفيتنام"[1].

ثانيا: الإمام محمد عبده في سياق الفكر العربي الحديث

وعلى أية حال، فإن ما يجب التأكيد عليه هو أنه منذ السيطرة الأوروبية الكاملة على الوطن العربي بقوة السلاح، وتوجه كمال أتاتورك غربا وتضحيته بالولاء الديني والتحالف التاريخي مع العرب وغيرهم من المسلمين، وإلغائه للخلافة الإسلامية في العام 1924 وتركه للولايات العربية تواجه مصيرها أمام أوروبا الاستعمارية، تمكنت هذه الأخيرة من إسقاط هذا الكيان العربي- الإسلامي الموحد إسقاطا سياسيا، وتحويله إلى أقاليم مجزأة خاضعة للسلطة الاستعمارية وتدين لها بالولاء المطلق -طوعا أم كرها-، وتطبق نموذجها الأوروبي في مجالات الإدارة والاقتصاد والاجتماع والتربية والثقافة....الخ. وهذا كله دفع النخبة في المنطقة العربية التي كانت لا تزال، إلى ذلك التاريخ، تجر معها أثقالا لعصور كاملة من الانحطاط والجمود على التقليد، إلى ضرورة التفكير في إيجاد مشروع يمكّن الأمة من التصدي للتحديات الكبرى التي طُرحت في ظل الواقع السياسي الجديد، وفي مقدمة ذلك كله التفكير في كيفية التخلص من السيطرة الاستعمارية، وتجاوز حالة التخلف والانحطاط الذي يعيشه العالم الإسلامي بأكمله. يقول برهان غليون:

" لقد كانت فكرة الأمة، أو ما يمكن أن نطلق عليه دون تردد فكرة " القومية الإسلامية" كمحرك شعبي في مواجهة الاحتلال الغربي، قوية، بشكل خاص، في مصر التي تحولّت إلى مركز نشاط الإصلاحية الإسلامية ومقر

---

1 – عبد الوهاب الميسري وفتحي التريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، ط1 (دمشق: دار الفكر، 2003م)، ص167.

قيادتها. وإلى جانب محمد عبده الذي قام بالقسط الأكبر في هذا المجال ينبغي التذكير بنشاط دعاة مثل عبد الله فكري (توفي عام 1889) وعبد الله النديم (توفي عام 1869) وإبراهيم المويلحي (توفي عام 1906) ومصطفى كامل زعيم الحزب الوطني. ووجدت الفكرة الوطنية المصرية في هذا التوجه الإسلامي دعما معنويا وسياسيا كبيرا، كما وجدت فيه مصدر الشرعية الشكلية التي كانت تحتاجها في وجه الاحتلال بقدر ما كانت مصر لا تزال رسميا تحت السيادة العثمانية. ومن التقاء هذه العقيدة القومية الإسلامية مع الحركة الوطنية الدستورية سوف تتفجر أول ثورة وطنية – شعبية، اعني ثورة عرابي لعام (1881-1882). وسوف تبرز الفكرة الإسلامية القومية بشكل قوي أيضا في المغرب العربي الذي كان يخوض كفاحا مريرا من أجل الاحتفاظ بالهوية الوطنية، الإسلامية خاصة، أو العربية الإسلامية، وتأكيدها في مواجهة التغلغل الأجنبي، الثقافي والسياسي والعسكري القوي"[1]

الشيء الملاحظ على برهان غليون الذي أوردنا له النص الأخير أنه عندما تحدث، في موضع آخر، عما اصطلح عليه بـ :" الفكر العقلاني الحديث" الذي انشغل بقضية النهضة وتجديد الثقافة العربية الكلاسيكية، لم يأت على ذكر الدور الذي لعبه الإمام محمد عبده في إنشاء التيار العقلاني في الفكر العربي من خلال مساهمته الكبرى في الحركة التجديدية والنهضوية التي عرفها هذا الفكر خلال القرن التاسع عشر. وهذه في الحقيقة مقاربة أيديولوجية إقصائية تعطي الانطباع بأن ثمة ارتباطا عضويا بين التيار الليبرالي في الفكر العربي الحديث والتشبع بقيم العقلانية والتنوير. والأدعى إلى الانتباه في هذا الربط

---

1 – برهان غليون، **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة**، ط2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994م)، ص53-54. التشديد لنا.

المطلق الذي لا يخلو من تعسف[1]، الأسماء التي يذكرها غليون، والتي شكلت، في نظره، وهي مجتمعة " نخبة مثقفة جديدة متميزة عن النخبة القديمة المكوّنة من العلماء ورجال الدين والدولة ومستقلة عنها، لم تلبث حتى فرضت نفسها. وقد ضمت هذه النخبة رجالا ونساءا تجمعهم، بالرغم من تعدد مشاربهم وأقطارهم، وعبرها، وبالرغم من الرقابة السياسية القاسية، لغة واحدة وقضية واحدة. وليست الأسماء المعروفة مثل علي مبارك ورفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وعبد الرحمان الكواكبي وبطرس البستاني وناصيف وإبراهيم اليازجي واحمد فارس الشدياق وأديب إسحاق و جرجي زيدان وجميل الزهاوي ومعروف الرصافي وعبد الله النديم وانطون فرح إلا الأشهر من بين أعضاء هذه النخبة الواسعة التي أنشأت في الفكر العربي تيار التجديد العقلي الحديث"[2].

لنؤجل مؤقتا الحديث عن مسألة تصنيف فكر الإمام محمد عبده ضمن التيارات الرئيسية للفكر العربي الحديث، ولنلقي نظرة سريعة عن حياة هذا الرجل العظيم الذي كان له الأثر البالغ في بعث الحياة من جديد في الثقافة الإسلامية الكلاسيكية، والاجتهاد في إصلاح مناهج وأساليب التعليم، والتأسيس لعقلانية إصلاحية تنهل من التراث، وتروم المصالحة مع العصر وتخطي الفهم الحرفي للنصوص الدينية.

---

1 – ننبه القارئ الكريم بأننا نستلهم هنا بكيفية خاصة آراء عبد الإله بلقزيز حول أشكال العقلانية العربية، وبالأخص اعتراضه عن "عملية المماهاة " التي أقامها مؤرخو الفكر العربي الحديث والمعاصر "بين العقلانية والتنوير، وبين تيار الليبرالية العربية". راجع كتابه: **العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين**، ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007). الفصل الخامس.

2 – برهان غليون، **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة**، ص51.

ولد الشيخ محمد عبده[1] في قرية من قرى الصعيد المصري في العام 1849م، وتلقى تعليمه الأول في مدينة طنطا المصرية، وفي سنة 1866 التحق بالأزهر الذي كان في ذلك الوقت بمثابة أكبر جامعة في العالم الإسلامي كله، غير أن الفتى سرعان ما أصيب بخيبة أمل بعدما لاحظ قِدَم أساليب التعليم في هذه المؤسسة، فقرر الانصراف باهتمامه إلى التصوف والانعزال عن العالم تماما، فرده عن سلوك الزهد هذا أحد أقربائه. وبعد اجتماعه بالأفغاني استطاع أن يفد من تعاليم ووصايا أستاذه خير الإفادة، خاصة في مجال الدعوة إلى إصلاح التربية والتعليم، وتحطيم قيود التقليد، والوقوف في وجه الاستعمار بإتباع " المسلك البرغماتي الواقعي الذي يقوم على الانتهازية السياسية"[2].

وفي سنة 1877 حصل بتفوق على شهادة "العالمية"، وراح على إثر ذلك ينظم حلقات خاصة يشرح فيها كتاب مسكويه في تهذيب الأخلاق. وفي العام 1879 عُيِّن أستاذا في دار العلوم التي تأسست عام 1872 وفي الوقت نفسه كان يعلم في مدرسة اللغات. أما الأزهر فقد قدم فيه محاضرات في علم الكلام والمنطق والأخلاق. ومن المحطات البارزة في حياة الإمام محمد عبده اتهامه بالتخطيط لثورة عرابي باشا سنة 1882، ومن ثم نفيه إلى باريس، حيث أسس هناك رفقة جمال الدين الأفغاني مجلة العروة الوثقى الشهيرة. وفي عام 1885 حلّ ببيروت وأقام فيها مُدَرِسًا بالمدرسة السلطانية لأزيد من ثلاث سنوات، متوجا عمله في تلك المدرسة بـ رسالة التوحيد في علم الكلام. وعند عودته إلى

---

1 – اعتمدنا في هذه الفقرة الخاصة بترجمة حياة الإمام محمد عبده على: ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة:1798–1839**، ترجمة كريم عزقول، مراجعة أديب القنطار، (بيروت: نوفل، 2001م)، الفصل السادس.

2 – محمد عابد الجابري، **في نقد الحاجة إلى الإصلاح**، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م)، ص44.

مصر اشتغل بالقضاء، ثم عُيّن مفتي الديار المصرية في العام 1899، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله في سنة 1905.

الشيء الثابت على كل حال أن الإمام محمد عبده دخل في صراع مع المحافظين بسبب أرائه التقدمية الناتجة عن الروح المعتزلية التي تلبسته، حيث رفض الجبرية، و أثبت الحرية للإنسان، ودعا إلى الاحتكام إلى سلطان العقل في أمور الدنيا والدين. يقول ألبرت حوراني: "وكانت، إحدى غايات محمد عبده الرئيسية أن يُظهر إمكان التوفيق بين الإسلام وبين الفكر الحديث، و أن يبين كيفية تحقيق ذلك و[...] كان الجدل من مقومات فكره"[1]. ثم يضيف في موضع آخر: "وهكذا كانت ميزة المجتمع الإسلامي الأمثل، عند محمد عبده، لا تنحصر في الشريعة ، بل تتناول العقل أيضا. فالمسلم الحقيقي هو الذي يستعمل عقله في شؤون العالم والدين. والكافر الحقيقي وحده هو الذي يُطْبق عينيه على نور الحقيقة ويرفض النظر في البراهين العقلية. وخلافا لما يقوله الخصوم، فإن الإسلام لم يدعُ قط إلى تعطيل عمل العقل، إذ هو بالعكس يؤيد كل بحث عقلي وكل علم"[2]

وقبل أن ننتقل إلى الجزء المهم في بحثنا، والمتعلق بمقاربة الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف لفكر الإمام محمد عبده، يجدر بنا أن نشير إلى ملاحظة أساسية أوردها ألبرت حوراني عندما وضع يده، بكل براعة، على خاصية أساسية ميّزت تراث الإمام محمد عبده الفكري، وهي قابليته للقراءات والتأويلات المتعددة انطلاقا من نزعة التوفيق والتوليف المتجذرة فيه. وعلى هذا الأساس يبدو طبيعيا تماما " أن يهتم بعض أتباعه بناحية من تفكيره، وبعضهم بناحية أخرى، فنتج

1 – ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة: 1798-1839**، ص 152-153.

2 – ألبرت حوراني، المرجع نفسه، ص 156-157.

عن تشديد كل منهم تشديدا زائدا على ناحيته اختلال في التوازن الذي أقامه محمد عبده. وهكذا اتجه فريق من أتباعه في السنوات التي تلت وفاته وبتأثير من إلحاحه على جوهر الإسلام الثابت ومتطلباته المطلقة، اتجاها شبيها باتجاه "السلفية" الحنبلية، بينما قام فريق آخر بتحويل إلحاحه على شرعية التغيير الاجتماعي إلى فصل الدين عن المجتمع والاعتراف لكل منهما بقواعد خاصة به"[1].

ثالثا: مقاربة عبد الكريم بوصفصاف لفلسفة الإمام محمد عبده

والآن، إذا كان هذا الذي قلناه صحيحا فكيف قرأ الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف فكر الإمام محمد عبده؟ هل انساق مع احد الاتجاهين: الاتجاه الأول هو الذي شدد على البعد السلفي- الحنبلي في فكر الإمام عبده وممثله الأكبر تلميذه رشيد رضا، والاتجاه الثاني هو الذي ذهب بعيدا في إبراز الناحية العقلانية- التنويرية إلى الحد الذي قد يُخَلخِل أو يقطع الصلة تماما بين فكر الإمام ومرجعيته الدينية؛ أم أن الأستاذ المحتفى به اليوم اختار لنفسه طريقا ثالثا يجمع بين هذا وذاك على شاكلة الطريق الذي اختاره المفكر المصري محمد عماره[2]؟

ينبغي العلم، بادئ ذي بدء، بأن الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف، وهو المؤرخ المهتم بالفكر النهضوي العربي الذي تبلورت معالمه في العصر الحديث لدى الإصلاحيين العرب، اجتهد في أن يبرز لنا البعد الفلسفي في نصوص الإمام محمد عبده الذي نهض بدور مشهود في حقل المعرفة والثقافة في مصر

1 – ألبرت حوراني، مرجع سبق ذكره، ص 171- 172.

2 – بخصوص قراءة محمد عماره لفكر الإمام محمد عبده راجع كتابه: **الطريق إلى اليقظة الإسلامية** ط1، (القاهرة: دار السلام، 2012م)، ص150 وما يليها.

والعالم العربي والإسلامي كله، وهذا في سياق المقارنة التي أجراها بين عبده والشيخ عبد الحميد بن باديس. ومع أن الإرث الفكري الذي خلفه لنا الإمام محمد عبده تناوله كثيرون بالجمع، والتحقيق، والنشر، والتحليل، والتفسير، والنقد...الخ، إلا أن مقاربة الأستاذ عبد الكريم لهذا الإرث، من الزاوية التي ذكرناها، تكتسي عندنا أهمية خاصة، على الرغم من أنها لا تزيد- فيما نعلم- عن فصل واحد في كتاب.

إن مساهمة الأستاذ عبد الكريم تأخذ أهميتها من كونها تدفع أولا باتجاه تعميق النظر والحفر أكثر في كتابات الإمام التي تتميز، على قلتها، بالكثافة والعمق والخصوبة الأمر الذي يجعلها قابلة لتعدد القراءات وتنوع التأويلات. ثم إنه على الرغم من أهمية الدراسات العبدوية في الجزائر وتنوعها إلا أن الكتّاب الجزائريين لم يتعرضوا كثيرا، وبصورة مباشرة، للبعد الفلسفي في الآثار التي تركها لنا الإمام محمد عبده، وهي ظاهرة تلفت انتباه الباحث وتطرح أكثر من سؤال. لذلك نقول إن تناول الأستاذ بوصفصاف، وبعض الكتاب العرب لهذا البعد بالذات في كتابات محمد عبده، هو تناول واع وفيه شعور بمسؤولية المفكر التاريخية والأخلاقية أمام الأجيال، وإدراك واضح لأهمية الفلسفة ودورها الفاعل في تاريخ الشعوب وترقية المجتمعات من منطلق احتكامها لسلطان العقل. يقول أحد الكتاب:

" إن كل تباطؤ أو تراخ في نشاط العقل أو خمود في حنينه إلى الحقيقة وفي تشوقه إلى آفاق المعرفة يؤدي إلى إضعاف قدرة الإنسان التحررية وتعطيل سيره التقدمي وتعريضه مجددا لأخطار البدائية وشرورها. ولذا فإن تقصير العلماء ورواد الحقيقة في مهمتهم وانصرافهم إلى غايات مخالفة أو مناقضة لهذه المهمة وانسياقهم وانسياق مجتمعهم في سبل التوهم الهيّنة وسماحهم لقِوى الجهل

بأن تنتشر وتطغى – إن هذه وأمثالها من وجوه الإهمال والانحراف والضلال تنافي معاني التحضر والتقدم وتفسد فعلهما. وأشد منها منافاة وإفسادا تلك الجهود التي تسعى قاصدة إلى التضليل وإلى تغليب الخطأ على الصواب وإلى تبديد الحقيقة وكبتها وإخماد حنين العقل إليها وقدرته على حيازتها. لا شك في أنها جهود رجعية وخُطى انتكاسية، وإهاجة وتعزيز لقوى الهمجية البربرية "[1]

على هذا الأساس إذن لا نتردد في أن نكبر في الأستاذ بوصفصاف عنايته بالعناصر الفلسفية التي وجدها مبثوثة هنا وهناك في بعض نتاجات مصلحينا الكبار، مع انه كان بإمكانه، من موقعة كمؤرخ تقني محترف، أن لا يحفل بتلك العناصر وان لا يلتفت إليها أصلا. على أن السؤال الأكثر أهمية والذي ينبغي طرحه في هذا المقام يتلخص فيما يلي: ما طبيعة هذه الفلسفة التي وجدها الأستاذ بوصفصاف لدى محمد عبده؟ ما هي مقولاتها الأساسية؟ وأخيرا ما هي أهم المصنفات التي عبرت عن هذه الفلسفة وشكلت تجليا نصيا صريحا لها؟

لقد حدد الأستاذ بوصفصاف موقفه الأساسي من هذه القضية منذ بداية الفصل الذي خصصه لعرض فلسفة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس في الجزء الثالث من كتابه: الفكر العربي الحديث والمعاصر: محمد عبده وعبد الحميد بن باديس (أنموذجا). ولذلك فان أول شيء حرص عليه هو أن يبرر تصنيفه لهذين الرجلين ضمن فئة الفلاسفة، وذلك استنادا إلى تصور خاص للفلسفة يؤمن به، ومفاده أن هذه الأخيرة لم تبق في أيامنا، كما كانت في

---

1 – قسطنطين زريق، **الأعمال الفكرية العامة**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994م)، المجلد الثاني، ص 226–227.

الماضي، فلسفة نسقية "إذ تراجع عصر بناء الأنساق الفلسفية فأصبحت الفلسفة كالعلم عملا جماعيا، يتعاون على حل مشكلة واحدة مجموعة من الفلاسفة[...] مثلما تتعاون جماعة من العلماء على مسألة واحدة في المخبر"[1]. وبالفعل، فنحن اليوم لو اعتمدنا معيار المنظومة الفكرية الشاملة التي يطرح فيها الفيلسوف رؤية نسقية تجيب عن كل الأسئلة المتعلقة بقضايا الإنسان والكون، لأدى بنا ذلك إلى إقصاء فئة هائلة من المبدعين والمنظرين الكبار الذين أثروا حقل الفلسفة بنظرياتهم ومذاهبهم أمثال باشلار، رسل، أدورنو، فوكو، جاك داريدا...الخ.

ومن الأدلة التي اعتمد عليها الأستاذ بوصفصاف في إثبات أطروحته القائلة بوجود فلسفة ما لدى عبده هي " أن أولى كتابات الرجل كانت في حقل الفلسفة وعلم الكلام وتبسيط ونشر الحكمة وأفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني وإحياء علم التوحيد"[2]. والأستاذ بوصفصاف ركز هنا، بكيفية خاصة، على رسالة لعبده موسومة بــ "رسالة الواردات في سر التجليات"، هذا على فرض صحة نسبتها إليه، لأن محمد عمارة الذي جمع وحقق آثار الإمام شكك في صحة هذه النسبة باعتراف الأستاذ بوصفصاف نفسه.

ومن النصوص الأساسية التي عبر فيها عبده – فيما يرى بوصفصاف– عن آرائه الكلامية والفلسفية كتابه الموسوم بـ: رسالة التوحيد التي تعد تجديدا لعلم الكلام وفيها قدم عرضا "للفرق الكلامية والعوامل التي أدت إلى تنوعها

---

1 – عبد الكريم بوصفصاف، **الفكر العربي الحديث والمعاصر: محمد عبده وعبد الحميد بن باديس (نموذجا)**، (عين الباي– قسنطينة: دار مداد، 2009م)، الجزء الثالث، ص326.

2 – عبد الكريم بوصفصاف، المصدر نفسه، ص 329.

واختلافها، وامتزاج مسائل الفلسفة بمسائل الكلام والغلو الذي اتصفت به كل فرقة تجاه الأخرى مما اوجد هوة عميقة بين العلم والدين"[1].

والحق أنه يمكن أن يُرد على الأستاذ بوصفصاف، وعلى كل من يذهب مذهبه في هذه الجزئية، بالقول إن اجتهادات محمد عبده في رسالة التوحيد لم تخرج عن حدود الدائرة اللاهوتية، أي أن الرجل بقي يفكر ضمن إطار المنظومة الفكرية الدينية القائمة على المبادئ والأصول الأولى للإسلام في نسخته السنية، وبالتالي فهو هنا يظهر متكلما لامعا لا فيلسوفا حقيقيا على اعتبار أن الفلسفة بمعناها الصحيح تقتضي من المشتغلين بها أن يعتمدوا العقل وحده، بمعناه الكوني المطلق، أداة فضلى للبحث عن الحقيقة بعيدا عن المصادر الغيبية التي تفوق طاقة الإنسان، والذي ينبغي عليه – مع ذلك– أن يسلم بتلك المصادر ليكون أسعد حالا شريطة أن لا يخلط بين هذين المجالين: مجال الفلسفة و مجال الدين. بهذا المعنى إذن نستطيع القول إن الفيلسوف الحقيقي هو الذي يتجنب الخلط بين المسائل الفلسفية المرتبطة بالعقل والمسائل الكلامية المرتبطة بالوحي، لأن لكل من الفلسفة والدين طبيعته الخاصة. يقول ابن رشد:" إن الحكماء من الفلاسفة لا يجوز عندهم التكلم ولا الجدال في مبادئ الشريعة... وذلك لأنه لما كانت كل صناعة لها مبادئ، وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم مبادئها، لا يتعرض لها بنفي ولا إبطال، كانت الصناعة العلمية الشرعية أحرى بذلك".[2]

---

1 – عبد الكريم بوصفصاف، مصدر سبق ذكره، ص 357.

2 – ابن رشد، **تهافت التهافت**، تحقيق سليمان دنيا (القاهرة: دار المعارف، 1965م)، ج2، ص238.

وإذا صحّ كلام ابن رشد هذا، فإن " محمد عبده في شرحه لمفاهيم العقيدة الإسلامية على أساس المنطق العقلي"[1] كان ابعد ما يكون عن حقل الفلسفة، سواء قصدنا الفلسفة في بعدها " النظري التجريدي"، أو في بعدها العملي المرتبط بالاجتماع والسياسة والأخلاق، علما أن جميع فروع الفلسفة وأقسامها، قديما وحديثا، عند الغربيين كما الشرقيين، لا يمكن أن تخلو من الطابع النظري المجرد، أو من تلك الدمغة الميتافيزيقية التي غالبا ما يستبعدها أولئك الفلاسفة الذين يصدرون عن فهم خاص للفلسفة تؤطره منطلقات الوضعية المنطقية[2]. وعلى هذا فإن محمد عبده، من وجهة النظر هذه، لا يزيد عن كونه متكلما أو لاهوتيا أراد أن " يجعل الدفاع عن الإسلام محور تفكيره"[3]، شأنه في هذا شأن جميع المتكلمين الذين ظهروا في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

وأيا كان الأمر فإن فلسفة عبده، حسب اعتراف الأستاذ بوصفصاف نفسه، ليست فلسفة تأملية مجردة، وإنما هي، على الحقيقة، فلسفة "عملية إنسانية" تظهر من خلال تفسير الإمام للقرآن الكريم، علاوة عن دروسه ومحاضراته في المنطق. يقول بوصفصاف:" ولا شك أن محمد عبده قد وجد في الأخلاق منهجا متينا لفكره وهذا ما يفسر مدى تعلقه بمحاضراته وكتبه في تفسير القرآن الكريم التي تبرز فيها مشاعره وسلوكه [الأخلاقي] في صورة منسجمة ومنذئذ بدأت فلسفة الرجل تأخذ طابعا عمليا وإنسانيا، يمكن اكتشافه بيسر في دروسه وتطبيقاته في المنطق أو في نظريته في الحرية، أو تفسيره للقرآن"[4].

---

1 – عبد الكريم بوصفصاف، مصدر سبق ذكره، ص327.

2 – لمعرفة المزيد عن الوضعية المنطقية، راجع: زكي نجيب محمود، **المنطق الوضعي**، ط4، (القاهرة: مكتبة أنجلو– المصرية، 1966م)، جزءان.

3 – عبد الكريم بوصفصاف، مصدر سبق ذكره، ص327.

4 – عبد الكريم بوصفصاف، مصدر سبق ذكره، ص336.

واللافت أنه رغم العلم بالصراع المرير الذي حدث في التاريخ بين الفلسفة التي ناضلت من اجل الاستقلال بذاتها والاكتفاء بنور العقل، والدين الذي دعاها باستمرار إلى أنوار الإيمان منكرا عليها حقها في هذا الاستقلال، فان الأستاذ بوصفصاف يبدو راضيا كل الرضى عن تلك الفلسفة " الإنسانية" التي أرادها عبده أن تبقى متحالفة مع الدين متشبعة بأنواره:" هكذا إذن سلك المفكر المصري طريقه شيئا فشيئا نحو فلسفة قد تحالفت مع الدين وأضحت تأملا فيه واستشعارا له في النفس". وأكثر من هذا؛ إن الأستاذ بوصفصاف يعتقد بأنه " إذا كانت الفلسفة هي محبة الحكمة فلابد أن تكون مهمتها خدمة الدين لا الابتعاد عنه"[1].

وإذا ما أردنا أن نكون هنا عادلين، أو منصفين حقا، فلابد من القول بأن أية فلسفة، إذا ما أرادت لنفسها أن تبقى تابعة للدين، خادمة له، ومحور التفكير فيها منصبا على الله في المقام الأول، فلن تكون أبدا فلسفة "إنسانية" بمعناها الاصطلاحي المتعارف عليه لدى الفلاسفة. ذلك أن النزعة الإنسانية، وبخاصة في بعدها الفلسفي، هي تعبير عن موقف فلسفي يكرس مركزية الإنسان، ويحترمه لذاته، ويعتبره محور الكون و معيار التقويم في كل شيء، ولا يقبل بأية أسبقية دوغمائية كائنة ما كانت. ومن أهم خصائص هذه النزعة، حسب المرحوم عبد الرحمان بدوي، التأكيد على "أن معيار التقويم هو الإنسان"، " وتمجيد الطبيعة"، و" الإشادة بالعقل ورد المعرفة إليه". وهذا يعني أن "التقدم إنما يتم بالإنسان نفسه وقواه الخاصة، لا بقوة خارجية أو عالية على الكون". هذا ناهيك عن

1 – عبد الكريم بوصفصاف، مصدر سبق ذكره، ص 340.

خاصية خامسة للنزعة الإنسانية ذكرها بدوي وتتمثل في " النزعة الحسية الجمالية التي تميل إلى الرجوع إلى العاطفة واستلهامها لإدراك الوجود في بعض أجزائه"[1].

وفي كل الأحوال، فنحن عندما نسأل عن أهم القضايا التي اشتغلت عليها فلسفة عبده "الإنسانية" أو "العملية"، وعن أهم المقولات الناظمة لتلك الفلسفة، يجيبنا الأستاذ بوصفصاف قائلا: "وجملة القول أن علم الكلام والتوفيق بين الدين والعلم، وتفضيل العقل على النقل عند حدوث التعارض بينهما، والأخلاق، والتجديد، ورفض التقليد، وحرية الإرادة ورفض الجبرية وتسامح الأديان وحوار الحضارات هي العناصر الأساسية التي شكلت فلسفة الشيخ عبده الواقعية في حركته الإصلاحية التي حمل لواءها زهاء ثلاثين عاما"[2].

والذي يهمنا من كل المفاهيم والمقولات التي وظفها الإمام محمد عبده في التأسيس لخطابه النهضوي ، أو فلسفته "الإنسانية" بتعبير بوصفصاف هو مفهوم العقل والعقلانية التي صدر عنها هذا الرجل في مذهبه الإصلاحي العام. وهنا ينبغي القول بأننا إذا كنا نستطيع أن نتفهم، إلى حدود معينة، وجهة نظر بوصفصاف التي بناها استنادا إلى رأي لعثمان أمين، والقائلة بان عبده " قد منح عقله الحرية اللازمة في البحث والفهم والنقد"[3]، فإننا لا نوافقه عندما يقرر بأن الإمام محمد عبده " على الرغم من كونه عالما دينيا فان فلسفته لم تكن فلسفة دينية لأنه اعتمد العقل في البحث عن الحقيقة"[4]. ذلك أن الفلسفة التي تقبل بـ "التحالف مع الدين"، أو ترضى بقصر مهمتها على "خدمة الدين"، لا

---

1 – عبد الرحمان بدوي، **الإنسانية والوجودية في الفكر العربي**، (الكويت: وكالة المطبوعات بالاشتراك مع دار القلم ببيروت، 1982م)، ص19–24.

2 – عبد الكريم بوصفصاف، مصدر سبق ذكره، ص375.

3 – عبد الكريم بوصفصاف، مصدر سبق ذكره، ص332.

4 – عبد الكريم بوصفصاف، مصدر سبق ذكره، ص352.

يمكنها إلا أن تكون فلسفة دينية بحكم منطق الأشياء. ولئن كانت هذه الفلسفة الدينية تشيد بالعقل وتدعو إلى الاحتكام إليه فإنها تقف به عند حدود الدين الذي يمثل إطارها المرجعي، ومن مهامها الأساسية– في حالة الإسلام– تكريس الدعوة "إلى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده " والدعوة " إلى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم"[1]. ومعنى ذلك أن هذه الفلسفة مطالبة بالتقيد بحدود الدين والتحرك في فلكه. هذا علاوة على أنها تؤمن بأن المسلمين " ما عادوا العلم ولا العلم عاداهم إلا من يوم انحرافهم عن دينهم وأخذهم في الصد عن علمه، فكلما بعد عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وحرموا ثمار العقل وكانوا كلما توسعوا في العلوم الدينية، توسعوا في العلوم الكونية وضربوا الزمان بسوط من العزة".[2]

هكذا يتبين أن مقالة عبده الفلسفية هي، في عمومها مقالة إصلاحية مسكونة بهاجس التأسيس لنهضة عربية، وهذا واضح من خلال الثورة على التقليد والجمود، ومحاولة فهم الدين الإسلامي فهما عقلانيا بعيدا عن أي شكل من أشكال التعصب أو التطرف، الشيء الذي يفسر لنا النقد الشديد الذي وجهه الإمام عبده لظاهرة الغلو في الدين ولمناهج التدريس العتيقة التي كانت متبعة في الأزهر آنذاك. وإذا كان من سوء التقدير إخراج مقالة عبده من دائرة العقلانية والتنوير إخراجا تاما، فإن العقلانية الإصلاحية عنده، والتي تتحدد بإشكاليتها الناظمة لها، إشكالية النهضة والتقدم، بقيت مع ذلك مشدودة إلى الماضي، أي إلى التراث والنصوص التأسيسية للإسلام الذي حث الإنسان على توجيه نظره إلى الكون لتحصيل الاعتقاد الديني الصحيح بالدليل العقلي الذي اعتبره شيخنا

---

1 – محمد عبده، **الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية**، ط2، (بيروت: دار الحداثة، 1983م)، ص65.

2 – محمد عبده، **الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية**، ص202.

الأصل الأول للإسلام. ومع هذا كله، فإن النقطة التي يجب لفت الانتباه إليها هي انه ينبغي أن لا نبالغ في تقدير انتصار عبده للعقل الذي يبقى عنده مجرد آلة في خدمة الوحي و أقل مرتبة منه. يقول في هذا الصدد: "إن العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم بدون مرشد إلهي، كما لا يستقل الحيوان في إدراك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لا بد معها من السمع لإدراك المسموعات مثلا. كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات. والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله والإذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود أعمال"[1].

خاتمة:

قصارى القول إن العقلانية الإصلاحية لدى عبده لم يصدر فيها عن أي مصدر آخر غير المرجعية الإسلامية ولكنه، في الوقت نفسه، لم ينجر نحو إعادة إنتاج المعرفة الإسلامية التقليدية بالشكل الذي كانت تجتر به خلال عصور الانحطاط، وإنما اجتهد أيما اجتهاد في تجديد تلك المعرفة وتجاوز الفهم التقليدي الجامد للنصوص الدينية بما يتناسب مع ضرورة المحافظة على مبدأ التوازن والانسجام الدقيق بين الدين والعقل، ورفع التناقض بين الإيمان والعلم، وتقديم الإسلام الأصيل، كما فهمه، في صورة منظومة دينية وفكرية شاملة ومستقلة تملك من عناصر القوة ما يؤهلها للوقوف نِدا أمام الحضارة الأوروبية الحديثة. بهذا المعنى إذن نستطيع الرجوع بعقلانية عبده الإصلاحية، وبفلسفته عامة، إلى مصادرها التراثية كما تجلت لدى المعتزلة و الأشاعرة، وحتى لدى ابن رشد وابن خلدون، غير أن تلك العقلانية تبقى أبعد عن الانفتاح الشجاع

1 – محمد عبده، **رسالة التوحيد**، ط4، (القاهرة: دار المعارف، 1971م)، ص129.

على مصادر العقلانية الأوروبية ممثلة في نصوص التراث الغربي الحديث، وبالتالي فإن همها الأول كان هو العودة إلى جوهر الإسلام الأصيل، وليس إلى أي شيء آخر؛ وليس أدل على ذلك من أن العقلانية الإصلاحية لدى عبده لم تجد حرجا في تكريس القول بضرورة الإذعان لسلطان العقل باعتباره الأصل الأول للإسلام، وتأكيدها، في الوقت نفسه، لحاجة النظر العقلي إلى النبوة كعون خارجي.

مراجع البحث:

1- ابن رشــد، أبو الوليد محمد بن أحمد. **تهافت التهافت**. تحقيق ســليمان دنيا. القاهرة: دار المعارف، 1965م. ج2.

2- بدوي، عبد الرحمان. **الإنســانية والوجودية في الفكر العربي**. الكويت: وكالة المطبوعات بالاشتراك مع دار القلم ببيروت، 1982م.

3- بلقزيز، عبد الإله. **العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين**. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007. الفصل الخامس.

4- بوصــفصــاف، عبد الكريم. **الفكر العربي الحديث والمعاصــر: محمد عبده وعبد الحميد بن باديس (أنموذجا)**. عين الباي- قسنطينة: دار مداد، 2009م.

5- الجابري، محمد عابد. **المشــروع النهضــوي العربي: مراجعة نقدية**. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996م. الفصل الأول.

6- الجابري، محمد عابد. **في نقد الحاجة إلى الإصلاح**. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م.

7- حوراني، ألبرت. **الفكر العربي في عصــر النهضــة: 1798-1839**. ترجمة كريم عزقول. مراجعة أديب القنطار. بيروت: نوفل، 2001م.

8- زريق، قسطنطين. **الأعمال الفكرية العامة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994م، المجلد الثاني.

9- عبده، محمد. **الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية**. ط2. بيروت: دار الحداثة، 1983م.

10- عبده، محمد. **رسالة التوحيد**. ط4. القاهرة: دار المعارف، 1971م.

11- عماره، محمد. **الطريق إلى اليقظة الإسلامية**. ط1. القاهرة: دار السلام، 2012م.

12- غليون، برهان. **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة**. ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994م .

13- كوثراني، وجيه. **الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل**. ط1. دمشق: دار الفكر، 2003.

14- محمود، زكي نجيب. **المنطق الوضعي**. ط4. القاهرة: مكتبة أنجلو- المصرية، 1966م. جزءان.

15- الميسري، عبد الوهاب وفتحي التريكي. **الحداثة وما بعد الحداثة**. ط1. دمشق: دار الفكر، 2003م.

القسم الثالث

آراء وانطباعات معارفه وزملائه حول جوانب مختلفة من شخصية المرحوم

وقفة لا بد منها في حق المرحوم عبد الكريم بوصفصاف

أ.د/ مقلاتي عبد الله

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

يستحق منا المرحوم المؤرخ عبد الكريم بوصفصاف وقفات وكلمات، ولكن الكلمات لا يمكنها أن تعبر عن كامل المشاعر التي يكنها الطالب لأستاذه، والباحث عن الحقيقة لملهمه، والمبتدأ في حقل المعرفة للمؤرخ والمفكر المرحوم بوصفصاف.

تعرفت على أستاذ الجيل بوصفصاف عبر صفحات الجرائد الثقافية قبل أن ألتقي به في مدرجات جامعة قسنطينة، حيث كانت الصحف تغطي نشاطاته وتعرف بإنتاجه العلمي والفكري، وتعرفت عليه أكثر من خلال تتلمذي عليه في مرحلة ما بعد التدرج، حيث كنا بضعة طلاب ننهل من علمه الغزير في مرحلة الماجستير، ولم يكن أستاذا عاديا، فهو متميز بين أقرانه.

عرفناه متميزا بسعة اطلاعه العلمي، وبحيويته ونشاطه وانضباطه، وبعنايته الفائقة بطلابه، كان مضرب المثل بالنسبة لنا ولكل من عرفه، رجل يتحدى كل الصعاب وهو "كفيف"، ويكون قدوة لكل أستاذ يتسرب إليه الكدر والزجر من يوميات الجامعة والتدريس والإرهاق والصعوبات الجمة.

كان رحمه الله يحب العطف على طلابه، ويحتضن الأساتذة بكل أطيافهم في مخبره، ويسعى في حل المشكلات، وجمع الكلمة وخدمة الصالح العام، وقد حكى لي قصصا عن تدخله لحل مشكلات بعض الأساتذة المشارقة بجامعة منتوري حاولت الإدارة طردهم من مساكنهم الوظيفية، وتوسطه لحل كثير من

المشكلات التي تعرض لها الأساتذة، وفي بداية الثمانينات تعرض قسم التاريخ لمشكلة في التسيير، فتطوع الأستاذ بوصفصاف لاستقدام الأستاذ المتميز العيد مسـعود ليكون رئيسـا لقسـم التاريخ، وقد عرف القسـم في عهده أوج ازدهاره وحيويته.

وكان المرحوم بوصفصاف وطنيا مخلصا، وهو ابن عائلة مجاهدة من فرجيوة ولاية ميلة، انعكس ذلك واضحا في اهتمامه بالتاريخ الوطني وثورة التحرير، إذ كان غيورا على إبراز الشخصية الوطنية والهوية العربية والإسلامية للجزائريين، وكان حريصا على كتابة تاريخنا الوطني وخاصة الثورة التحريرية بموضوعية ونزاهة، وتصدى من أجل ذلك لكل المغرضين والمشككين وقاصري الفهم، وكأني به أخذ الحكمة من تجارب القادة والمنظرين، وخاصة رجال الثورة الذين خالطهم ومنهم العقيد ابن طوبال، وقصة مناظرته للكاتب عمار النجار بخصوص قضية مصالي الحاج معروفة وقد تتبعنا حلقاتها في جريدة النصر.

وبعد رحلة طويلة في الدراسة والتدريس ألف المرحوم عدة كتب ودراسات، كان أشهرها ما تعلق بموضوع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركة الوطنية الصادر عام 1981، وكتب أخرى خصصها لموضوع الثورة الجزائرية، وقد توج نشاطه العلمي الأكاديمي بإنشاء مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بجامعة منتوري، كان يقضي فيه وقتا طويلا في البحث والتدريس، حيث كنا شهودا على تضحياته الجسيمة، وهو يخصص اليوم كاملا من دون انقطاع للتدريس والبحث والإشراف والإدارة والتسيير، كما كان ينقل أعماله إلى بيته كما أسر لي، حيث خصص مكتبا وكتبة يعينونه في البحث.

في عام 2001 ناقشت رسالتي للماجستير، وكان الدكتور بوصفصاف عضوا مناقشا والدكتور عميراوي حميدة مشرفا، وقد ازداد بعدها ارتباطي بالأستاذ في مخبره الذي كنت أتردد عليه كثيرا، ونصحني مرة أمام قلة فرص التوظيف أن أعول على جامعات الجنوب أدرار وغرداية، وفعلا وظفت في جامعة أدرار، وسعيت مع رئيسها الدكتور عيسى قرقب الى استقدامه للتدريس كأستاذ زائر، وبعد سنوات رأى بوصفصاف أن جو منطقة أدرار يساعده صحيا، ورحب السيد مدير الجامعة بفكرة انتقاله لجامعة ادرار، خاصة وأننا فكرنا في سنة 2007 في فتح مسابقة الماجستير، وكانت فعلا مرحلة جديدة من حياة بوصفصاف ومشواره العلمي، فمجيئه عد فتحا مبينا لجامعة أدرار، خاصة وأنه فتح مخبرا، وأنشأ مجلة، وسعى لإقامة مركز للدراسات الإفريقية.

في فضاء الصحراء الممتع الرحب كنا نعقد جلسات السمر الليلية، حيث بادرنا كل خميس الى زيارة منطقة سياحية أو فضاء للراحة، وكانت فرصة أرحب لنتعرف على المرحوم بوصفاف، حياته الشخصية، مغامراته، أبحاثه وأفكاره ومواقفه، كان رجلا محبا للعلم، متواضعا، صبورا، مثابرا، خدوما، خلوقا، وكانت قيما نحاول أن نتطبع عليها، خاصة وأنه كثيرا ما كان يردد علينا: من لا شيخ له لا علم له.

وفي سنواته الأخيرة ألم به المرض، ومع ذلك لم ينقطع عن التدريس وإدارة المخبر، ونشر الكتب، وبنشاط الشباب اليافع كنا نرى فيه قدوة لنا، ومضرب المثل في حياتنا، خاصة وأن بيننا زملاء من الأساتذة الشباب بدأ الوهن والانطواء والعزوف عن أداء الواجبات والبحث العلمي يسري في حياتهم.

رحل عبد الكريم بوصـــفصـــاف يوم 26 نوفمبر 2017م، وترك لنا فراغا مهولا في الجامعة والبحث العلمي، كان يشـرف على نحو مائة رسـالة دكتوراه

وماجستير، ثلثهم تقريبا لم يناقش بعد، لكن بوصفصاف ترك لنا إرثا من القيم والمسؤولية التاريخية، توجب على طلابه والجيل الجديد من المؤرخين تحملها، رسالة خير وعمل في سبيل الوطن والعلم، ومن أجل رقي الجامعة الجزائرية التي خدمها نحو 43 سنة من حياته.

رحم الله الدكتور عبد الكريم بوصفصاف وطيب ثراه، وجازاه عنا خير الجزاء، ونفع الله بأعماله طلاب العلم والمعرفة.

ذكرياتي مع الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله

أ.د/ رمضان بورغدة

جامعة 8 ماي 1945م بقالمة

ليس المقصود من هذه الكلمة المختصرة الحديث عن علاقات وثيقة ربطت طالبا بأستاذه على مدار سنوات طويلة، وإنما الغرض هو محاولة إلقاء الضوء على القيم الأخلاقية والمكانة العلمية لرجل أخذ الله بصره وأنار بصيرته، رجل مثابر، تحدى الإعاقة البصرية التامة وكافح بإصرار واستمرار ليتبوأ مكانة مرموقة في حقل الدراسات التاريخية المتخصصة، رجل تخرّج على يديه عشرات الباحثين من حملة شهادات الدكتوراه والماجستير، ممن أصبحوا أساتذة لهم مكانتهم في مختلف الجامعات الجزائرية.

رجل بذل قصارى جهده في إنعاش وإثراء المكتبة التاريخية الجزائرية بمؤلفات نوعية، وساهم في الحركية العلمية سواء من خلال رئاسته لمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة في بداية تسعينات القرن الماضي، أو من خلال تأسيسه لمخبر الدراسات التاريخية والفلسفية الذي كان يعدّ من أكثر مخابر البحث حيوية ونشاطا في جامعة منتوري – قسنطينة، ثم في جامعة أدرار بأقصى الجنوب الجزائري بعد أن انتقل الأستاذ للعمل هناك.

لقد عرفت الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف في البداية وأنا طالب في مرحلة التعليم الثانوي من خلال إطلاعي على مؤلفه المتميز:" جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الوطنية الأخرى"، وهو في الأصل

رسالة ماجستير ناقشها الباحث عام 1984م، وقد طبعت عدة مرات بعد ذلك، ويمكن اعتبارها من أحسن المراجع التي أرّخت للحركة الإصلاحية في الجزائر.

وعلى الرغم من أنّني درست سنوات الليسانس الأربع (1988-1992) بقسم التاريخ بجامعة قسنطينة، إلا أنّني لم يكن لي شرف الدراسة على يد الأستاذ المرحوم، ولم يحدث أن التقيت به.

وكان أوّل احتكاك لي به قد حدث بمناسبة مشاركتي في مسابقة الماجستير التي نظمت بقسم التاريخ في أكتوبر 1992م، حيث كنت محظوظا، فقد كنت من بين الناجحين في الامتحان الكتابي، وكان لابدّ في ذلك الحين أن نخضع لامتحان شفوي لتحديد أربع (04) ناجحين من ضمن 129 طالب مترشح، وكان الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله رئيسا للجنة الامتحان التي تتشكل من مجموعة من الأساتذة وهم: الأستاذ الدكتور مصطفى حداد وعبد الرحيم سكفالي رحمهما الله، وخرنان مسعود، وأحمد صاري.

وبعد أن طرح الأساتذة مجموعة من الأسئلة في مختلف المقاييس، جاء الدور على الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف، الذي طرح علي السّؤال الآتي:" بماذا تعرف التصوف الإسلامي؟"، وبعد أن استأذنت الأستاذ في تقديم عرض موجز عن نشأة التصوف في تاريخ المسلمين، خلصت إلى أن التصوف هو انحراف في الفكر الإسلامي" وأنّه نتيجة لتأثّر المسلمين بثقافات الشعوب الأخرى، وأنّه لا يوجد أصل له في القرآن الكريم – الذي كنت أحفظه- واستندت في هذا الحكم على بعض الحجج التي كنت – في ذلك الحين- أعتقد أنّها تعضد موقفي.

لكنّ الأستاذ الفاضل تمسّك بتعريفه للتصوف، وتمسّكت بموقفي بإصرار، ونسيت أن مستقبلي العلمي رهن إرادة هذا الرجل الفاضل، فكيف يجرؤ طالب

لم يخطو في طريق البحث خطوة واحدة أن يتبنى موقفا مناقضا لموقف أستاذ له باع طويل في البحث العلمي، لكنني كنت محظوظا بأن المعني هو الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف الذي قطع النقاش بقوله:" لا بأس أمامنا سنة ونصف، نستطيع خلالها أن نتّفق حول هذا الموضوع"، لم أفهم المغزى من هذا الكلام إلا بعد ذلك بفترة طويلة من نجاحي في المسابقة الذي يبدو أنه كان بإرادة من الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف، فقد كان قصد الأستاذ – ضمنيا كما يبدو– أنّني صالح للاضطلاع بمهمّة البحث العلمي، وهي مهمّة شاقّة كما هو معلوم.

وخلال السنة الأولى ماجستير التي امتدّت على مدار الموسم الجامعي 1992–1993م كان الأستاذ المرحوم مديرا لمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة، فكانت الحصة البيداغوجية الخاصّة به تتمّ في مكتبه، خاصة أنّنا لم نكن إلاّ أربعة طلبة، وكانت الجلسات ممتعة، فقد كان الأستاذ بارعا في تحويل الجلسة إلى حلقات نقاش من دون حواجز ولذلك كنّا نتطلع إلى هذا اللقاء الأسبوعي بلهفة.

لقد كان من فضائل الأستاذ المرحوم بإذن الله أن اكتشفت فيلسوف الحضارة الخالد، الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله من خلال أوّل مؤلف قرأته له، وهو :" مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، حيث منحني الأستاذ هذا الكتاب وكلفني بالإطّلاع عليه وتقديم عرض حوله، لكنني لم أكن موفقا، فمن الصعوبة بمكان أن يستوعب طالب فكر مالك بن نبي الذي هو نتاج عبقرية فذّة من خلال أول قراءة لأحد مؤلفاته، خاصة هذا المؤلف، ولذلك أبدى الأستاذ امتعاضه –لأول وآخر مرة –عن العمل الذي قدّمته، والذي كان درسا قاصيا دفعني للإقبال على مؤلفات مالك بن نبي، فقرأتها جميعا بروية وتبصر، وكم كنت محظوظا

بهذا الاكتشاف المعرفي الرائع – المتأخر نوعا ما- والذي كان له تأثيرا بعيدا في طريقة نظرتي للأفكار.

لقد اكتشفت أستاذا بارعا في أداء مهمته البيداغوجية والعلمية، ورجلا يتميّز بالتواضع وحسن الخلق والعفوية وروح الفكاهة مع احتفاظه بوقاره، كان مكتبه خلية نحل، فلم يكد يخلو من وجود أساتذة أو طلبة يأتون للأستاذ بوصفصاف وليس لبوصفصاف كمدير معهد، لقد كان رجلا محبوبا، حسن المعاشرة، خدوما وعطوفا، لا يردّ أحدا طرق بابه، لقد كان – والله على ما أقول شهدا- كالغيث أينما نزل نفع.

وبعد أن ترأّس الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف لجنة مناقشة مذكرة السنة الأولى ماجستير التي أعددتها تحت إشراف الدكتورة وردة طنغور، قررت أن ألتمس منه التكرم بالإشراف على رسالة الماجستير وكانت بعنوان:" الجزائريون والعدالة الفرنسية بعمالة قسنطينة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، اتصلت بالأستاذ بواسطة الهاتف من محل قرب البريد المركزي في ساحة لابراش في قلب مدينة قسنطينة، فطلب مني الذهاب إليه بمنزله وكان يومئذ بحي الدقسي الذي لم أكن أعرفه، ووصف لي بدقة معالم الطريق الذي عليّ أن أسلكه للوصول إليه، تملّكتني الدهشة إلى درجة أنّني فقدت التركيز ولم يعلق في ذهني أي معلم من معالم الطريق المذكورة، إذ كيف لرجل كفيف مثله أن يقدم هذا الوصف الدقيق؟

أعاد الأستاذ السؤال:" هل استوعبت المسار الذي يجب أن تسلكه للوصول إلى منزلي؟ أجبت بالنفي طبعا، فأعاد الأستاذ ذكر معالم الطريق، وهو ما مكنني من الوصول إلى منزله بسهولة تامة.

الواقع أنني طوال أكثر من ربع قرن من التواصل مع الأستاذ لم أشعر يوما أن الإعاقة البصرية التامة أثرت فيه سلبا، بل كان راضيا، رضا المؤمن الصابر المحتسب بقضاء الله وقدره، أرجو من الله السميع العليم ونحن في العشر الأواخر من شهر رمضان أن يبدّله فقدان بصره نورا في قبره وأن يجعله في ميزان حسناته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

لقد كان أستاذي عبد الكريم بوصفصاف يتصرف بشكل طبيعي تماما، إلى درجة أنني كثيرا ما كنت أنسى أنه لا يبصر، خاصة أنه كثيرا ما يصف لي جمال الطبيعة بشكل مدهش، ويسألني:" عن جمال الطبيعة في مدينة إكس أون بروفنس الجزائرية (Aix –en – provence) " في إشارة منه إلى مدينة عزابه وريفها الخلاب. لقد أخذ الله بصره وأنار بصيرته، فقد كان الرجل يرى بنور قلبه. أذكر في أحد الأيام وقد كنت معه في مكتبته العامرة داخل منزله بحي الدقسي أنه طلب مني كتابا في أحد الرفوف، لكنني لم أفلح في إيجاده بعد محاولات متكررة، نهض من مكانه، مدّ يده وأخرج كتابا، وقال:"أنظر، أليس هذا هو؟ أي وربّي إنه لهو، يا للدهشة.

لقد كان الأستاذ الفاضل صابرا محتسبا في مواجهة مرضه الذي عانى منه خلال السنوات الأخيرة، فلم أذكر يوما أنه اشتكى مما به من ضرّ سواء خلال زياراتي له أو خلال اتصالاتي الهاتفية به، كان يسير على درب نبي الله أيوب عليه السلام، ولسان حاله قوله تعالى: " **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** " سورة الأنبياء آية 83.

كان الأستاذ الفاضل، كريما ومضيافا مع الجميع، لم أدخل منزله يوما من دون أن يكرمني، لقد كنت أشعر بالحرج، ولكن سرعان ما تلاشى مع مرور الوقت، فقد أصبحت العلاقات أكثر متانة، وأصبحنا نتبادل الزيارات الأسرية،

وكان الأستاذ خدوما، يشعر بنشوة وسرور كلما طلب منه أحد مساعدة، ففي كل المرات التي كنت شاهدا عليها، والله لا أذكر أنّني سمعت كلمة " لا" خرجت من فمه، سواء مع الذين يأتونه مباشرة إلى المكتب أو إلى منزله أو أولائك الذين يتصلون به عبر الهاتف.

ما تعلمته من أستاذي الفاضل رحمه الله، ليس فقط الصبر على عناء البحث الذي كان شاقا حقا خاصة في مرحلة الماجستير، بل تعلمت منه الكثير من القيم الأخلاقية السامية، كالتواضع والسعي في خدمة الناس، وبذل الجهد لإتقان العمل، وعزة النفس والصراحة من دون وقاحة، والكلام الطيّب من دون تملّق، وتبجيل الطلبة المتفوقين والاعتناء بهم والتواضع معهم.

أذكر في هذا السياق أنني خلال فترة الماجستير كنت أطرح بعض الأفكار المتعلقة بمختلف جوانب موضوع البحث، فيكون للأستاذ رأي آخر، فأتصرف بشكل يحفظ مكانة الأستاذ حفظا كاملا، وفي الوقت نفسه أحاول أن أتمسّك بأفكاري وأحاول تقديم مبررات لإقناعه بوجهة نظري، فيكون ردّه:" لا بأس، تستطيع أن تتمسّك بفكرتك، ولكن عليك أن تدافع عنها وحدك أمام لجنة المناقشة، وسأكون مسرورا بذلك"، بل كثيرا ما تتحوّل لقاءاتنا أو اتصالاتنا الهاتفية – التي كانت كثيرا ما تستمر مدة طويلة- إلى مناسبة لإثارة نقاشات فكرية بعيدة عن مجال البحث، وفي بعض الأحيان لمّا أطرح فكرة تعجبه، يطلب مني أن أكتبها في ورقة وأسلمها له، إنها قمّة التواضع وذروة أخلاق العلماء التي اتسم بها أستاذي الفاضل والتي يفتقدها كثير من أهل العلم.

لن أعطي الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف حقه في هذه العجالة، وإنّني على الأقل – وربما يقاسمني الرأي بعض طلبته الآخرون- مدين إلى أستاذي وقدوتي وأبي الروحي وصديقي الكبير باستمراري في حقل البحث

العلمي، فبفضل حسن معاملته ومساعداته وتشجيعاته المستمرة تمكنت من تجاوز فترات صعبة جدا– خاصة في فترة الماجستير – أوشكت خلالها أن أرمي المنشفة.

رحم الله أستاذي الفاضل برحمته الواسعة وجعل قبره روضة من رياض الجنة وأسكنه الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا.

" **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي** ""، سورة الفجر، آيات:27، 28، 29

في صحبة الدكتور عبد الكريم بوصفصاف عشرون عاما من المودة والتواصل

د/ خليفي عبد القادر

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ملامح البداية:

لقد كانت عاصمة الجسور المعلقة قسنطينة، وبالتحديد حيّها الشعبي جنان الزيتون المكان الذي احتضن مقر معهد العلوم الاجتماعية المهيكل في دائرتين آنذاك، وهما دائرة التاريخ ودائرة الفلسفة وهناك تعرفت في مطلع التسعينيات من القرن الماضي لأول مرة على شخص الراحل أستاذ الأجيال الدكتور عبد الكريم بوالصفصاف، حينما كنت أشق بداية مشواري الجامعي، وسط ظروف وطنية ودولية بالغة الاضطراب، فالبلاد كانت تعيش مخاض الديمقراطية الوليدة بعد أحداث أكتوبر 1988م وما أعقبها والساحة السياسية الدولية تسيطر عليها تطورات منطقة الخليج، بعد الغزو العراقي للكويت في شهر أوت 1990م وما تلاه من تداعيات، جعلت العالم يحبس أنفاسه لعدة أشهر، مترقبا نتائج المواجهة العسكرية المروعة بين العراق من جهة، والولايات المتحدة ومن سار في فلكها من العرب والعجم من جهة أخرى.

كانت تلك الأجواء إذن حاضرة بقوة في يومياتنا الجامعية للموسم 1990-1991م، تلاحقنا في حلنا وترحالنا وفي نقاشاتنا مع الأساتذة، لاسيما المشارقة منهم على غرار الدكتور حماد حسين، الذي كان دائم التألم بشأن التشرذم العربي، والدكتور أحمد اسماعيل البحيصي، الذي كان بطريقة عرضه لمقياس تاريخ الحضارات القديمة يجعلها وكأنها لوحات ترتسم أمامنا، وكان يهمس لنا في نهاية المحاضرة وبصوت خافت: أنتم أصلكم كنعانيون، لم أكن

وقتها قد تعاملت بشكل مباشر مع فقيدنا عبد الكريم، غير أن حضوره الدائم إلى المعهد، وهو على رأس إدارته بهيئته وهندامه الأنيق، وتنقله برفقة البعض ممن يتولون مساعدته في ذهابه وإيابه، ومنهم الأستاذ الطاهر ذراع، كان يصنع أمامنا مشهدا متميزا لمكافح قهر الظروف، ولم تقهره الظروف، كنا نحضر في المناسبات العلمية نستمع إلى تدخلاته وتعقيباته، وكلنا تعجب من براعته في الحديث، وقوة شخصيته التي تجعلك لا تشعر مطلقا بما يكابده من جراء فقده لبصره. ولعل من مظاهر هذا التحدي، ما أخبرنا به الأستاذ ميلود أونيس الذي رافقه في رحلة علمية إلى فرنسا في مطلع الثمانينيات، حيث أصرّ على أخذ حصص مكثفة في أحد المراكز الخاصة بتعليم اللغة الفرنسية.

أستاذ وصديق:

لقد كان أول احتكاك مباشر لي بالراحل طيب الله ثراه خلال السنة التحضيرية لإعداد رسالة الماجستير خلال الموسم 1998-1999م، حيث تولى تدريسنا نحن الأربعة مجموعة التاريخ الحديث والمعاصر: بشير فايد، وعبد الله مقلاتي، وسعاد بولجويجة في مقياس تاريخ الجزائر المعاصر، وهناك تعرفت على جديته ومثابرته وانضباطه، فكانت حصته مزيجا من المتعة والنقاش الفكري، تتخللها بعض الفرقعات التي يطلقها من حين لآخر.

كان البداية الفعلية للتعرف على هذا الرجل المتميز عندما التمست منه الموافقة على تأطيري ومن ثمة توجيهي لاختيار موضوع البحث، فكان أن اقترح عليّ انجاز عمل حول الشيخ أحمد توفيق المدني من أجل تكريمه، ورد الاعتبار له، لأن الرجل قد ظلم، وعانى من التهميش بالرغم مما قدمه للجزائر، وبالفعل شرعت في إعداد مادة البحث، وكنت ارجع إليه لاستشارته من حين لآخر، وأتذكر أنه في مطلع عام 2000م، وبينما كنت معه في منزله العائلي بحي

الدقسي بقسنطينة زاره عميد المؤرخين الجزائريين أبي القاسم سعد الله رحمه الله، الذي وبعد أن عرف موضوع بحثي ومجاله الزمني، توجه بالخطاب إلى مضيفه قائلا: لقد أرهقت طالبك بهذه الدراسة الطويلة، فماذا لو قسمتها إلى مرحلتين، كأن يدرس حياته الأولى بتونس، أو يعالج حياته بالجزائر، فكان جواب الراحل لو كنت قصّرت له العمل على المرحلة الأولى لجاء منقوصا، ولو أفردته للمرحلة الثانية لجاء مبتورا.

إنسانية وانضباط:

لعل في اسمه أكثر من دلالة، فقد كان كريم النفس، دمث الخلق، يمقت الظلم والنفاق، محاورا ممتازا، فتح بيته وقلبه للجميع، امتلك روح الدعابة، إذا حدثك تستمع إليه الساعات الطوال دون أن تشعر بانقضاء الزمن، حباه الخالق بذاكرة قوية جدا. حدثني من أنه في إحدى المناسبات الوطنية، وأظنها ذكرى أول نوفمبر، ألقى محاضرة بجامعة أدرار، حضرها المنتسبون إلى التعليم العالي، وقطاع من المجاهدين، والمسؤولين المحليين، ومن بينهم والي الولاية، ركّز خلالها على التأثيرات الثقافية للاستعمار على الشعب الجزائري، والتي مست كل جوانب الحياة، حيث ساد الاعتقاد أن كل ما هو فرنسي يحمل معنى التفوق والتميز، فأصبح الناس يصفون القسطل بأنه بلوط فرنسا، والتفاح الجيد بأنه تفاح فرنسا، بل شمل الأمر حتى الحيوانات، فعند رؤية النمل الأحمر الكبير الحجم يقال: هذا نمال فرانسيس، ولحظتها انفجر الجميع ضحكا.

يصف لك بطريقة مشوقة ومتميزة جولاته وسفرياته، فيعرض لك لوحات للمدن التي زارها بشوارعها وساحاتها وفنادقها، فيرسم لك صورة القاهرة بزحمتها، وينقلك إلى حلق الوادي بتونس مستحضرا هدوءها، ومناظر طاولات الشاي والذرة المشوية قرب شاطئها، ويحط بك الرحال بأدرار مفتونا بطيبة أهلها.

كان يشتهي تناول تمور دقلة نور، وكنت أمازحه أحيانا عبر الهاتف بالقول هل يسرّك أن أحمل إليك سيدة الواحات، فكان يرد قائلا: بطبيعة الحال أهلا وسهلا بها إلا إذا كان لها رأي آخر. لقد حظيت لديه بمنزلة خاصة، فقد كان يصفني بالابن والطالب والصديق، وكنت ألقي على مسامعه أحيانا بعض الأبيات الشعرية فيتفاعل معها، ومن ذلك قول حافظ إبراهيم:

إني لتطربني الخلال كريمة ... طرب الغريب بأوبة وتلاق

فالناس هذا حظه مال وذا ... علم وذاك مكارم الأخلاق

ولا أخفي على القارئ أنني كنت حريصا قدر المستطاع على استخدام اللغة العربية الفصحى عند مخاطبته، وكان يتملكني هاجس الوقوع في الخطأ اللغوي أو النحوي في حضرته.

كفاح حتى الموت:

كان يتمتع بطاقة عالية للعمل، وإصرار أسطوري على مغالبة المرض، فقد اخبرني قبل وفاته بسنة أو أكثر بأنه قد شرع في كتابة مذكراته، ولا أدري أين توقفت به رحلة التوثيق لمسيرته، كنت أتردد عليه في بيته بالمدينة الجديدة علي منجلي بقسنطينة، ولطالما حاولت أن تكون زيارتي قصيرة مراعاة لوضعه الصحي، إلا أنه كان يلحّ عليّ بالبقاء أطول مدة، فكان يروي لي بعض تفاصيل أحداث الثورة التحريرية كما عايشها بمنطقة فرجيوة بولاية ميلة، ذلك أن موضوع أطروحتي لنيل درجة الدكتوراه بإشرافه، كان حول المشاركة الجماهيرية في الكفاح الثوري من خلال أسلوبي المظاهرات والإضرابات.

والحقيقة، أن متابعته لعملي قد مكنتني من تجاوز الكثير من الصعوبات وحالات الفتور، وظل يوجهني حتى اللحظات الأخيرة، ففي صبيحة يوم المناقشة التي جرت بتاريخ 22 نوفمبر2017م، وعلى الرغم من تدهور حالته حيث لم

يستطع التنقل، بل لم يكن يقوى على التنفس إلا بواسطة قارورة الأكسيجين، إلا أنه أصر عليّ أن أقرأ على مسامعه الملخص الذي أعددته للمناسبة، فكان يبدي رضاه على ما يسمع، وبعد أن أوردت قول الشاعر الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر

تفاعل مع ذلك، وطلب مني أن أضيف البيت الثاني استكمالا للمعنى المقصود، فكتبت:

ولا بد لليل أن ينجلي ... ولا بد للقيد أن ينكسر.

كانت أمسية ذلك اليوم هي آخر لقاء جمعني به، حيث زرته بعد نهاية حفل المناقشة شاكرا فضله ومعترفا بما قدمه لي في مسيرتي العلمية، وقام هو يهنئني بالنجاح، وانصرفت على أمل أن أعود إليه مرة أخرى، ولكنها كانت المرة الأخيرة، ففي حدود الساعة 07:45 من صباح يوم الأحد 26 نوفمبر 2017م استيقظت على رنين الهاتف، فكان مخاطبي الزميل والصديق الدكتور محمد السعيد قاصري حيث بادرني بالقول: هل سمعت الخبر أم لا؟ فأجبته بالنفي وقد غمرني إحساس بالخوف، فرد عليّ قائلا: عظّم الله أجركم في الأستاذ عبد الكريم بوالصفصاف، فشعرت لحظتها بزلزال يهز كياني.

لقد رحل بوالصفصاف (1944-2017م)في قمة عطائه، وفقدت الجامعة الجزائرية وعائلة التاريخ على امتداد الوطن بموته قامة علمية شامخة، ونموذجا قل نظيره في المثابرة والتحدي، عاش فاقدا للبصر، ولكنه امتلك قوة البصيرة، حاز أخلاق العلماء، وفضائل الرجال.

وفي ختام هذه الوقفة الموجزة نسأل الله العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته، وأن ينعم عليه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

القسم الثاني: بحوث تتعلق بكتابات وأفكار الأستاذ الدكتور بوصفصاف

الصفحة

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

جوان 2018



Université Mohamed Boudiaf de M'sila
Laboratoire des Etudes et de Recherche sur la Révolution Algérienne



Publications de la Laboratoire des études et de Recherche sur la Révolution Algérienne
N⁰ 04

الإيداع القانوني: السداسي الأول 2018
978-9931-9460-3-8